

# نَهْائَةُ الْأَدَبِ

فِي

## فُنُونِ الْأَدَبِ

تَأْلِيفُ

شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّوِيرِيِّ

الْمُتَوَفَّى ٧٣٣ هـ

الجزء العاشر

تَحْقِيقُ

الدَّكْتُورُ يُوسُفُ الطَّوِيلُ

مَنْشُورَاتُ

مَحْتَدِ عَلِيٍّ بِيَهْمُونِ

دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ

بِكَيُوت - بَيْسْكَان



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### ذِكْرُ مَا وَصَفَتْ بِهِ الْعَرَبُ الْخَيْلَ

مِنْ تَرْتِيبِهَا فِي السِّنِّ، وَتَسْمِيَةِ أَعْضَائِهَا، وَأَبْعَاضِهَا، وَأَلْوَانِهَا، وَشَيَاطِئِهَا، وَغُرَرِهَا، وَحُجُولِهَا، وَغُصَمِهَا، وَدَوَائِرِهَا، وَمَا قِيلَ فِي طِبَائِعِهَا وَعَادَاتِهَا، وَالْمَحْمُودِ مِنْ صِفَاتِهَا وَمَحَاسِنِهَا، وَالْعَلَامَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى جَوْدَتِهَا وَنَجَابَتِهَا، وَعَدُّ غُيُوبِهَا الَّتِي تَكُونُ فِي خَلْقِهَا وَجَرِيهَا، وَالْعُيُوبِ الَّتِي تَطْرَأُ عَلَيْهَا وَتَحْدُثُ فِيهَا.

أَمَّا تَرْتِيبُهَا فِي السِّنِّ - فَالْعَرَبُ تَقُولُ: سِنَّ الْفَرَسِ إِذَا وَضَعْتَهُ أُمُّهُ فَهُوَ «مُهْرٌ». ثُمَّ هُوَ «فُلُوٌّ». فَإِذَا اسْتَكْمَلَ سَنَةً فَهُوَ «حَوْلِيٌّ». ثُمَّ هُوَ فِي الثَّانِيَةِ «جَذَعٌ». ثُمَّ فِي الثَّالِثَةِ «ثَنِيٌّ». ثُمَّ فِي الرَّابِعَةِ «رَبَاعٌ»، ثُمَّ فِي الْخَامِسَةِ «قَارِخٌ». ثُمَّ هُوَ إِلَى نَهَايَةِ عَمْرِهِ «مُذَكٌّ».

وَأَمَّا مَا قِيلَ فِي تَسْمِيَّتِهَا، وَتَسْمِيَةِ أَعْضَائِهَا وَأَبْعَاضِهَا - فَقَدْ قَالُوا: الْخَيْلُ مَوْثَنَةٌ، وَلَا وَاحِدَ لَهَا مِنْ جَنْسِهَا، وَجَمْعُهَا خِيُولٌ. وَيُقَالُ فِي صِفَاتِهَا: «أُذُنٌ مُؤَلَّلَةٌ» وَ«مُرْهَفَةٌ»، أَيْ مَحْدَدَةُ الطَّرَفِ. قَالَ عَدِيُّ بْنُ الرَّقَاقِ<sup>(١)</sup>: [مَنْ الْبَسِيطُ]

تَحْوُضٌ فِي فُرُجَاتِ النَّقْعِ دَامِيَةٌ كَأَنَّ آذَانَهَا أَطْرَافُ أَقْلَامٍ<sup>(٢)</sup> وَ«حَشْرَةٌ»، صَغِيرَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ، وَ«مَقْدُودَةٌ»، مُدَوَّرَةٌ، وَأُذُنٌ «غَضَنْفَرَةٌ»، أَيْ غَلِيظَةٌ، وَ«زُبْعْرَاءٌ» أَيْ غَلِيظَةٌ شَعْرَاءٌ، وَ«خُذَاوِيَّةٌ»، أَيْ خَفِيفَةُ السَّمْعِ. قَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ<sup>(٣)</sup>:

لَهُ أُذُنَانِ خُذَاوِيَّتَانِ      نِ وَالْعَيْنُ تُبْصِرُ مَا فِي الظُّلَمِ

ثُمَّ «النَّاصِيَةُ»، وَهِيَ الشَّعْرُ السَّائِلُ عَلَى الْجَبْهَةِ، يُقَالُ: «وَارِدَةٌ» وَهِيَ الطَّوِيلَةُ. وَ«جَثْلَةٌ» وَهِيَ الْكَثِيرَةُ الْمَلْتَفَّةُ، وَ«الْفَاشِغَةُ» وَ«الْعَمَاءُ»، وَهِيَ الْكَثِيرَةُ الْمُنْتَشِرَةُ، وَ«السَّفَوَاءُ»، وَهِيَ الْقَلِيلَةُ، وَ«عُصْفُورُهَا»، أَصْلُ مُنْبِتِ شَعْرِهَا. وَ«قَوْنَسُهَا»: الْعَظْمُ النَّاتِيءُ بَيْنَ الْأُذُنَيْنِ.

(١) هُوَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ الرَّقَاقِ الْعَامِلِيِّ. وَنَسَبُهُ النَّاسُ إِلَى «الرَّقَاقِ» وَهُوَ جَدُّ جَدِّهِ لَشَهْرَتِهِ، وَكَانَ شَاعِرًا مَقْدَمًا عِنْدَ بَنِي أُمِيَّةٍ، خَاصًّا بِالْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. . وَقَدْ تَعَرَّضَ لَجَرِيرٍ وَنَاقَضَهُ فِي مَجْلِسِ الْوَلِيدِ. (الْأَغَانِي ٨: ١٧٢ - ١٧٧).

(٢) النَّقْعُ: الْمَاءُ الْمَجْتَمِعُ فِي الْغَدِيرِ؛ أَوْ هُوَ الْأَرْضُ الْحَرَّةُ الطِّينُ الْمَسْتَوِيَّةُ لَيْسَ فِيهَا حَزُونَةٌ.

(٣) هُوَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدِ بْنِ حَمَادِ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ وَكَانَ يَسْكُنُ بِالْحَيْرَةِ، وَيَدْخُلُ الْأَرْيَافَ مُثْقَلًا لِسَانَهُ، وَاحْتَمَلَ عَنْهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ جَدًّا. . (الشَّعْرُ وَالشَّعْرَاءُ ص ٩٧).

وأما الوجه وما فيه مما لم يُذكر في خلق الإنسان - «التواهي» ، وهما عَظْمان شاخِصان في وجهه من الجبهة إلى المنخرين ، و«اللَّهْرَمَتَان» : ما اجْتَمَعَ من اللحم في مُعْظَم الجبين ، و«عَيْنٌ مُغْرِبَةٌ» أي بيضاء الحَمَالِقِ<sup>(١)</sup> وما حَوْلها . و«خَيْفَاء» ، إذا كانت إحداهما سوداء والأخرى زرقاء ، و«المُحْمَلِقَةُ» ، التي حَوْل مُقْلَتَيْهَا بياضٌ لم يُخَالِفِ السَّوَادَ .

و«أَنْفٌ مُصَفَّحٌ» أي مُعْتَدِلُ الْقَصْبَةِ . و«السَّمُ» : ثَقْبُهُ ، قال :

\* وَمَنْخَرًا وَاسِعَةً سُمُومُهُ \*

وقال مُزَاحِمُ بْنُ طُفَيْلٍ الْغَنَوِيُّ<sup>(٢)</sup> وقيل : العباس بن مرداس السُّلَمِيُّ<sup>(٣)</sup> :

مِلْءُ الْحِرْزَامِينَ وَمِلْءُ الْعَيْنِ يَنْفُسُ عِنْدَ الرَّبْوِ مَنْخَرِينَ<sup>(٤)</sup>

\* كَنْفَشٍ كِيرَيْنِ بِكَفِّي قَيْنِ<sup>(٥)</sup> \*

و«الْجَحْفَلَةُ» : الشَّفَّةُ ، و«الْفَيْدُ» : الشَّعْرُ النَّابِتُ عَلَيْهَا . و«الشُّدْقَانُ» : مَشَقَّ الْقَمِّ

إِلَى حَدِّ اللَّجَامِ .

وأما الْعُنُقُ وما فيه - «فَالْمَغْرَفَةُ» : موضعُ الْعُرْفِ . و«الْعُرْفُ» : شعرُ أَعْلَى الْعُنُقِ .

و«الْعُذْرَةُ» : ما على الْمَنْسَجِ يَقْبِضُ عَلَيْهِ الْفَارَسُ إِذَا رَكَبَ ، و«الْعُرْشَانِ» : اللحمَانِ مِنْ

جَانِبَيْ الْعُرْفِ ، و«الْجِرَانُ» : جِلْدُ أَسْفَلِ الْعُنُقِ . و«الدَّسِيعُ» : مُرْكَبُ الْعُنُقِ فِي الْكَاهِلِ .

قال سَلَامَةُ بْنُ جَنْدَلٍ<sup>(٦)</sup> :

يَرْقَى الدَّسِيعُ إِلَى هَادٍ لَهُ بَتِيعٌ فِي جُوجُو كَمْدَاكِ الطَّيْبِ مَخْضُوبِ<sup>(٧)</sup>

و«اللَّبَّانُ» : ما جرى عليه اللَّبَبُ . ويقال : «عُنُقٌ قَوْدَاءُ» أي طَوِيلَةٌ . و«سَطْعَاءُ» ، أي

طَوِيلَةٌ مُنْتَصِبَةٌ غَلِيظَةٌ . و«تَلْعَاءُ» : مُنْتَصِبَةٌ غَلِيظَةٌ الْأَصْلُ مَجْدُولَةٌ الْأَعْلَى . و«دَنَاءُ» أي

(١) حملاق الصين ، وحملقها ، وحملوقها : ما يسوده الكحل في باطن أجفانها . جمع حمالق .

(٢) هو مزاحم بن طفيل بن كعب الغنوي كان والده من أوصاف الناس للخيال وكان يقال له في الجاهلية المبحر لحسن شعره .

(٣) هو العباس بن مرداس السلمي ، وكان يهاجي خفاف ابن نديبة السلمي ثم تمادى الأمر بينهما إلى أن احتربا وكثرت القتلى بينهما ، وقد أسلم العباس قبل فتح مكة ، وحضر مع النبي ﷺ يوم الفتح . . . (طبقات الشعراء ص ٣٨٤) .

(٤) الربو : البهر وانتفاخ الجوف .

(٥) القين : الحداد .

(٦) هو من بني عامر بن عبيد بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم جاهلي قديم وهو من فرسان تميم المعدودين . . (الشعر والشعراء ص ١٢٢) .

(٧) البتع : شدة العنق وإشرافها - والجوؤ : الصدر - والمداك : حجر يسحق عليه الطيب .

مطمئنة من أصلها. و«هنعاء»: مطمئنة من وسطها، و«وقصاء»: قصيرة، و«مرهقة»: رقيقة.

وأما الظهر وما اتصل به من الوركين - فمنه: «المثنان» وهما لحمان يكتنفان الظهر من مَرَكَبِ العُنُقِ إلى عُلُو: ظهر الذنب. و«الحارك»: عظم مشرف من بين فَرْعِي الكَتِفَيْنِ. و«القرْدُودَةُ»: حدّ الفقار. و«الفقار»: المنتظمة في الصُّلْب. و«الصَّهْوَةُ»: مقعدُ الفارس. و«القَطَاة»: مقعدُ الرُّذِفِ خلفه. و«المعدان»: موضع السرج من جَنِيئِهِ. قال شاعر<sup>(١)</sup>:

فإِذَا زَالَ سَرَجِي عَنِ مَعْدٍ وَأَجْدِرَ بِالْحَوَادِثِ أَنْ تَكُونَا

و«الصُّرْدُ»: بياضٌ على الظهر. و«الغرابان»: ملتحقٌ أعالي الوركين في ناحية الصُّلْب. و«الصِّلَوَانِ»: ما أسهل من جانبي الوركين. و«العجب»: ما ارتفع من أصل الذنب. و«العلوة»: أصله، و«العسيب»: عظم الذنب. والأعوجُ العسيب: «أعزل».

وأما الصدر وما اتصل به من البطن - فمنه: «الكلكل»: ما من الأرض من فَهْدَتَيْهِ. و«الفهدتان»: اللّحمتان الناتنتان في الصدر، و«المخزم»: ما شدَّ عليه الحزام، و«الناجران»: عِرْقَانِ يُودَجُ<sup>(٢)</sup> منهما.

وأما الدُّرَاعَانِ وما دونهما - «المِرْفَقَانِ»: مَآخِيزُ رُؤُوسِ الذَّرَاعِ. و«الخَصِيلَة»: لحمة الذراع مع العَصَب. و«الضَّافِنُ»: عِرْقُ الذراع، و«الجبال»: عَصَبُهَا. و«الرِّفْمَتَانِ»: لَحْمَتَانِ فِي بَاطِنِهَا لَا تُنْبِتَانِ شَعْرًا، و«الرُّكْبَةُ»: مَوْصِلُ مَا بَيْنَ الذَّرَاعِ وَالْوُظُفِ. و«الوُظُفَانِ»: الْعِظْمَانِ تَحْتَ الرُّكْبَتَيْنِ وَالْعُرْقُوبَيْنِ، و«الرَّضْفَتَانِ»: عِظْمَانِ مُسْتَدِيرَانِ عَلَى الرُّكْبَةِ، و«السُّنْبُكُ»: ظَرْفُ مُقَدِّمِ الْحَافِرِ. و«النَّسْرُ»: مَا يَتَطَايَرُ مِنْ أَسْفَلِهِ كَالنَّوَى. و«الْمَنْقَلُ»: مُجْتَمَعُ الْحَافِرِ مِنْ بَاطِنِهِ، و«أَلْيَةُ الْحَافِرِ»: مُؤَخَّرُهُ. وَيَقَاتِلُ: حَافِرٌ أَرُخُ: مُنْبَطِحُ السَّنَابِكِ. و«فَرَشَاخُ» أَي مُنْبَطِحٌ. و«وَأَبُ»<sup>(٣)</sup>، مُقَعَّبٌ. و«مَضْرُورٌ»: مَضْمُومٌ صَغِيرٌ، و«مُكَنَّبٌ» أَي كَثِيفٌ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

وأما ألوانها وشيائها وُغَرَزُهَا وَحُجُولُهَا وَعُصْمُهَا وما فيها من الدوائر - من ألوانها: «الْبَهِيمُ وَالْمُضْمَتُ»: كُلُّ ذِي لَوْنٍ وَاحِدٍ لَا شِبْهَ فِيهِ، إِلَّا الْأَشْهَبُ فَإِنَّهُ لَا يَقَالُ لَهُ بَهِيمٌ. يَقَالُ: فَرَسٌ مُضْمَتٌ، وَالْأُنْثَى مُضْمَتَةٌ، وَالْجَمْعُ مَضَامِثٌ. وَكَذَلِكَ يَقَالُ فِي

(١) هو عمرو بن أحمر بن فرائص بن معن بن أعصر وكان أعور رماه رجل يقال له مخشي بسهم فذهب عينه. (الشعر والشعراء ص ١٦٨).

(٢) يقال: ودج الذبيحة أي قطع ودجها.

(٣) الواب: انضمام السنابك.

قوائم الفرس إذا لم يكن بهنّ تحجيل. قال أبو حاتم<sup>(١)</sup>:

\* مُبَهَمَةٌ مُضْمَتَةُ الْقَوَائِمِ \*

ومن ألوان الخيل: «الدَّهْمُ»، وهي ستة: «أدهمُ غَيْهَبٌ» وهو أشدها سواداً، والآنثى غَيْهَبَةٌ. والغَيْهَبُ: الظلمة، والجمع غَيَاهِبٌ. وكذلك «الغَزِيْبُ»، و«الحَالِكُ»، و«أدهمُ دَجُوجِيٌّ»: صافي السّواد؛ وقيل: هو مأخوذ من الدُّجَّة، وهي شِدَّة السّواد والظلمة. و«أدهمُ يَخْمُومٌ وأدهمُ أَحْمٌ»، وهو الذي أُشْرِيتْ سِرَاتُهُ<sup>(٢)</sup> وَحُجِرَتْهُ حُمْرَةٌ. قال أبو تمام<sup>(٣)</sup>:

أو أدهم فيه كمتة أمم كأنه قطعة من العَلَسِ<sup>(٤)</sup>

ثم «أدهمُ أَكْهَبٌ»، وهو إلى الكدرة.

ثم «أخوى» والجمع حُؤٌ؛ وهو أهونُ سواداً من الجَوْنِ، وَمَنَاجِرُهُ مُحْمَرَّةٌ، وشَاكِلَتُهُ مُصْفَرَّةٌ. والأخوى أربعة ألوان: «أخوى أَحْمٌ»، وهو المُشَاكِلُ لِلدَّهْمَةِ والخضرة؛ ولا فرق بينه وبين الأخضر الأحمر إلا بأحمرار مناجره وأصفرار شاكيلته. و«أخوى أَصْبَحٌ» وهو الذي تَقِلُّ حمرة مناجره فتصيرُ إلى السّواد ويكون البياض فيه غالباً على أطراف المنخَرَيْنِ. و«أخوى أَطْحَلٌ»، وهو الذي تَعْتَرِيهِ صُفْرَةٌ وخضرةٌ مُخالطتان لكُدْرَةٍ، و«أخوى أَكْهَبٌ»، والكَّهَبُ: قِلَّةُ ماء اللّوْنِ وكُدْرَتُهُ في موضع المنخرين في حمريتهما وفي سواد السَّرَاةِ في بياض الأقرباب.

ومنها الخُضْر - وهي أربعة: «أخضرُ أَحْمٌ»، وهو أدناها إلى الدَّهْمَةِ، قال

الشاعر:

\* خَضِرَاءُ حَمَاءُ كَلَوْنَ الْعَوْهَقِ<sup>(٥)</sup> \*

وهو اللَّازُورُودُ<sup>(٦)</sup>. و«أخضرُ أدغمُ» وهو الأخطبُ لونٍ وجهه وأذنيه وَمَنَاجِرُهُ،

(١) هو أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشمي السجستاني النحوي اللغوي المقرئ، نزيل البصرة وعالمها، كان إماماً في علوم الآداب، وعنه أخذ علماء عصره كابي بكر محمد بن دريد والمبرد وغيرهما. (وفيات الأعيان ٢: ٤٣٠).

(٢) سرة الفرس: أعلى متنه.

(٣) هو حبيب بن أوس.

(٤) الغلس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح.

(٥) العوهق: لون الرماد. والعوهق: شجر، وقيل: العوهق من شجر النبع الذي تتخذ منه القسي أجوده. (اللسان مادة عهق).

(٦) اللازورد: من الأحجار الكريمة، لونه أزرق سماوي أو بنفسجي، يكثر في أفغانستان، وأمريكا، يستعمل للزينة.

وهذا اللونُ يُسمَّى بالفارسيَّة «دِيزَجَا»، و«أخضرُ أطحلُ» وهو الذي تعلو خُضرته صُفرةٌ، و«أخضرُ أورقُ»، وهو الذي كلون الرَّماد.

ومنها الكُمَيْتُ - والجمع كُمْتٌ، والذكر والأنثى فيه كُمَيْتٌ، وهي تسعةٌ، قالوا: وكُمَيْتٌ من الأسماء المصغرة المرخمة التي لا تكبير لها، من أكمَتَ بمنزلة حميدٍ من أحمدٍ، غير أن أكمَتَ لم يُستعمل. والكُمَيْتُ بين الأَحْوَى والأَصْدَأ، وهو أقرب من الشُّقْرِ والوَرَادِ إلى السَّوَادِ وأشدَّ منها حمرةً، والفرق ما بين الكُمَيْتِ والأشقرِّ بالعُرفِ والدَّنْبِ، فإن كانا أَحْمَرَيْنِ فهو أَشْقَرُ، وإن كانا أَسْوَدَيْنِ فهو كُمَيْتٌ، والوَرْدُ بينهما. والكُمَيْتُ أحبُّ الألوانِ إلى العَرَبِ. ومن ألوانه: «كُمَيْتُ أَحْمُ» وهو الذي يُشاكل الأَحْوَى، غير أنه تَفْصِلُ بينهما حُمْرَةُ أَقْرَابِهِ وَمَرَاقِهِ وَمُرَيْطَائِهِ، والمُرَيْطَاءُ: الجلدَةُ التي بين العانة والسرَّةِ، والأقْرَابُ: من الشاكلة التي هي الخاصرةُ إلى مَرَأَقِ<sup>(١)</sup> البطن، واحدها: قُرْبٌ وقُرْبٌ. قال الأصمعي: أَشدُّ الخيل جُلوداً وحوافر الكُمْتِ الحُمُّ. و«كُمَيْتُ أَضْحَمُ»، وهو الأسود الذي يضرب إلى الصُّفرة. و«كُمَيْتُ أَطْحَمُ»، والطُّخْمَةُ: سَوَادٌ في مُقدِّم الأنف. و«كُمَيْتُ مُدْمَى»، وهو الشديد الحمرة وكلُّما انحدر إلى مَرَأَقِ البطن يزدادُ صفاءً. و«كُمَيْتُ أَحْمَرُ» وهو أَشدُّ حمرةً من المدْمَى، وهو أَحْسَنُ الكُمْتِ. و«كُمَيْتُ مُذْهَبٌ»، وهو الذي تعلو حمرة صُفرةً. و«كُمَيْتُ مُخْلِفٌ»، وهو أدنى الكُمْتِ إلى الشُّقْرِ وطاهرٌ شعر ذنبه وعُرفه كلون جسده وباطنه أَسْوَدُ، والأنثى مُخْلِفَةٌ. وأنشدوا<sup>(٢)</sup>:

كُمَيْتٌ غَيْرُ مُخْلِفَةٍ وَلَكِنْ كَلَوْنَ الصَّرْفِ غُلَّ بِهِ الْأَدِيمُ<sup>(٣)</sup>

قال أبو خَيْرَةَ: المُخْلِفُ بين الأصهب والأحمر، وهو من الإبل الأصَحْرُ. و«كُمَيْتُ أَكْلَفُ» وهو الذي لم تُصَفْ حُمْرته وَيَرَى في أطرافِ شعره سَوَادٌ. و«كُمَيْتُ أَصْدَأُ» وهو الذي فيه صُدَاةٌ أي كُدْرَةٌ بصُفرةٍ قليلة، شُبَّهَتْ بِلَوْنِ صَدَا الحديد.

ومنها الوَرَادُ - وهي جمع وَرْدٍ وهي ثلاثة - والوَرْدُ هو الذي تَغْلُوهُ حمرةٌ إلى الشُّقْرِ الخَلْقِيَّةِ<sup>(٤)</sup> وجِلْدُهُ وَأَصُولُ شَعْرِهِ سَوْدٌ. وقيل: الوَرْدَةُ: حمرةٌ تُضْرِبُ إلى الصُّفرة. وتحقيقه أنه بين الكُمَيْتِ الأحمرِ وبين الأشقرِ - منها: «وَرْدٌ خَالِصٌ»، و«وَرْدٌ مُصَامِصٌ» وهو الخالص أيضاً، والأنثى مُصَامِصَةٌ. و«وَرْدٌ أَغْبَسُ» تدعوهُ العجم «السَّمْنَدُ» وهو الذي لَوْنُهُ كلون الرَّماد.

(١) مَرَأَقِ البطن: مَاقٍ منه ولا في أسفله ونحوها.

(٢) هذا البيت لابن كلجة اليربوعي بن عبد مناف وكلجة أمه. (اللسان مادة حلف).

(٣) المخلفة: الخالصة اللون لا يحلف عليها أنها ليست كذلك. (اللسان مادة حلف).

(٤) الخلق: ضرب من الطيب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب. والخلقية نسبة إليه.

ومنها الشُّقْر - وهي تسعة - والأشقرُّ: أشدُّ حُمرةً من الورد - يقال: «أشقرُّ أَدْبَسُ» وهو الذي لونه بين السواد والحمرة. و«أشقرُّ خُلُوقي»، و«أشقرُّ أَصْبَحُ»، وهو قريب من الأصهب. والصُّهْبَةُ: الشُّقْرَةُ في شَعر الرأس. و«أشقرُّ سِلْغَدٌ» وهو الذي خَلَصَتْ شُقرته، والأنثى سِلْغَدَةٌ، والجمع سِلْغَدَات، قال شاعرٌ:

أشقرُّ سِلْغَدٌ وأخوى أدعجُ أَصَكُ أَظْمَى وَحَيْفُسُ أَقْلَجُ<sup>(١)</sup>

و«أشقرُّ قَرَفٌ» والأنثى قَرَفَةٌ، والجمع قُرُوفٌ وقِرَافٌ وأقِرَافٌ وهو كالسِّلْغَد. و«أشقرُّ مَدْمَى»، وهو الشديّد الحمرة. و«أشقرُّ أَفْهَبُ». والقَهْبَةُ غُبْرَةٌ إلى سواد. وقال ابن الأعرابي<sup>(٢)</sup>: الأَفْهَبُ: الذي فيه حُمرةٌ فيها غُبْرَةٌ. و«أشقرُّ أَمْعَرُ»، وهو الذي تعلو شُقرته مَغْرَةً، أي كدرَةً، و«أشقرُّ أَفْضَحُ»: بَيْنَ الفُضْحَةِ، وهي البياض ليس بالشديد.

ومنها الصُّفْرُ - وهي أربعة: «أصفرُّ فاقعٌ». و«أصفرُّ أَعْفَرُ» وهو بياضٌ تعلو حمرةً. و«أصفرُّ ناصِعٌ». و«أصفرُّ ذَهَبِيٌّ» وهو الذي يَضْرِبُ إلى البياض، وهو السُّوسَنِيُّ<sup>(٣)</sup>.

ومنها الشُّهْبُ - وهي خمسة. والأشهبُ: كلُّ فرس تكونُ شُقرته على لونين ثم تفترق شعراته فلا تَجْمع واحداً من اللونين شعراتٌ تَخْلُصُ بلون كَقَدْرِ النُّكْتَةِ<sup>(٤)</sup> فما فوقها. وقيل: الأشهبُ الأبيضُ الشُّقْرَةُ ليس بالبياض الصَّافِي القِرْطَاسِيَّ وجلده أسودٌ يقال له «أشهبٌ أبيضٌ»، والشُّهْبَةُ في الألوان: البياض الذي يَغْلِبُ على السَّواد. ويقال للأشهب أيضاً: أَضْحَى، والأنثى ضَحِيَاء. وأسماء ألوانه: «أشهبٌ ناصِعٌ»، و«أشهبٌ أَحْمٌ» وهو أسودٌ تَنْفُذُهُ شَعْرَاتٌ بِيضٌ. و«أشهبٌ زُرْزُورِيٌّ»، وهو الذي اعتدل فيه السواد والبياض. و«أشهبٌ مُفْلَسٌ» وهو الذي خالط بياضه سوادٌ أو حُمرة. و«أشهبٌ سامريٌّ»، وهو الذي شُهبته بسواد أَوْرَق.

ومنها الجَوْن - وهو اختلاط بياض بحُمرة الأشقر أو الكُمَيْت.

ومنها الصَّنَابِي - وهو دُهْمَةٌ فيها شُهبَةٌ، أو كُمْتَةٌ فيها شُهبَةٌ أَقْلٌ من بياض الأشهب. تُسَبُّ إلى الصَّنَابِ وهو الخَزْدَلُ بالزَّيْب.

(١) الأظْمَى: الذي ليس به رهل - والحيفس: القصير الغليظ.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي الكوفي صاحب اللغة، وهو من موالى بني هاشم. . . وكان أبوه زياد عبداً سندياً، وقيل إنه من موالى بني شيان. . . وكان أحول، راوية لأشعار القبائل ناسباً. (وفيات الأعيان ٤ : ٣٠٦).

(٣) السوسني: نسبة إلى السوسن، وهو نبات طيب الرائحة وأجناسه كثيرة وأطيه الأبيض.

(٤) النكته: النقطة في الشيء تخالف لونه.



ومنها الأغبر - وهو أشقر شملت شقرته شبهة.

ومنها الأبرش - وهو الذي فيه لمع بياض كالرُفْط<sup>(١)</sup>، وقيل: وهو الذي يكون في شعره نُكْتُ صِغَارٌ تُخَالِفُ سائر لونه، وإنما يكون ذلك في الدهم والشقر خاصة، وربما أصابها ذلك من شدة العطش. فإذا عَظُمَتِ النُّكْتُ فهو «مُدَنَّرٌ». وإذا كان في جسده بقع متفرقة مخالفةً للونه فهو «مُلَمَّعٌ» و«أَبْقَعٌ»، و«أَشِيمٌ». وقيل: الأَشِيمُ: أن تكون فيه شامة بيضاء؛ وقيل: قد تكون الشامة غيرَ بَيضاء. وإذا كان في الشامة أَسْطَالَةٌ فهو «مَوْلَعٌ»، وقال ابن بنين<sup>(٢)</sup>: إذا كان في الدابة عَدَّةُ ألوان من غير بَلَقٍ فذلك التوليع، يقال: بِزْدُونٌ مَوْلَعٌ، وإذا كانت الشامة في مَوْخَرِهِ أو شِقِّهِ الأيمن كَرِهَتْ.

ومنها العِرْسِي - وهو الذي يشبه لَوْنُ أبن عِرْس.

ومنها الأنمر - وهو الذي يكون فيه بقعة بيضاء وبقعة أخرى من أي لون كان.

ومنها الأبلق - وهو ما يكون نصف لَوْنِهِ أو ما قارب النصف أبيض، والنصف الآخر أسود أو أحمر.

ومنها الأغشى (بالغين المعجمة) - وهو ما أبيض رأسه دون جسده مثل الأرخم<sup>(٣)</sup>.

ومنها الأبيض - وهو الذي أبيض شعره بياضاً مثل بياض الأوضح أشد ما يكون من البياض وأصفاه لا يخالطه شيء من الألوان فيقال: فيه: أبيض قرطاسي. وربما كان أزرق العين أو أسود أو أكحل. ويدعى بما في عينيه من زُرْقَةٍ وَسَوَادٍ وَكَحَلٍ؛ ولا يكون أكحل حتى تسود أشفار عينيه وجفونه.

قال الشيخ<sup>(٤)</sup> رحمه الله تعالى في كتابه «فضل الخيل»: «واللوان الخيل أدهم، وأخضر، وأخوي، وكُمَيْت، وأشقر، وأصفر، وأسهب، وأبرش، ومُلَمَّع، ومَوْلَع، وأشيم». هذا قول أبي عبيدة<sup>(٥)</sup>. وقال الأبيوزدي<sup>(٦)</sup> في رسالته: الدهمة، ثم الحوة،

(١) الرقط: جمع أرقط، والرقطة: سواد يشوبه نقط بياض أو بياض يشوبه نقط سواد.

(٢) هو سليمان بن بنين بن خلف النحوي المصري. كانت وفاته سنة ٦١٤ هـ.

(٣) الأرخم: الذي أبيض رأسه واسود سائر.

(٤) هو الحافظ الدميطي.

(٥) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى، التيمي بالولاء، تيم قریش، البصري النحوي العلامة... (وفيات الأعيان ٥: ٢٣٥).

(٦) هو أبو المظفر بن أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي العباس أحمد بن إسحاق بن أبي العباس الإمام محمد بن إسحاق... قرشي أموي، نسابة شاعر ظريف... كان من أخبر الناس بعلم الأنساب، نقل عنه الحفاظ الأثبات الثبات... (وفيات الأعيان ٤: ٤٤٤).

ثم الصُّدَاةُ، ثم الخُضْرَةُ، ثم الكُمْتَةُ، ثم الوُزْدَةُ، ثم الشُّفْرَةُ، ثم الصُّفْرَةُ، ثم العُفْرَةُ، ثم الشَّهْبَةُ. هذا ما وقفنا عليه من ألوانها. والله أعلم.

وأما الشَّيَّةُ وجمعها شَيَات - فقالوا: كُلُّ لَوْنٍ يُخَالِفُ مُعْظَمَ لَوْنِ الْفَرَسِ فهو «شَيَّْةٌ». فإذا لم يكن فيه شَيَّْةٌ فهو «أَصَمٌّ»، و«بَهِيمٌ» من أيِّ الألوان كان، والأنثى أيضاً بهيم. وكذلك فرسٌ «مُضْمَتٌ» بمنزلة البهيم من أيِّ لون كان، والأنثى مُضْمَتَةٌ، والجمع مَصَامِثُ. وقد تقدَّم ذكر ذلك. فلنذكر الشَّيَات.

من الشَّيَّةِ -: العُرَّةُ، والقُرْحَةُ، والرُّثْمَةُ، والتَّحْجِيلُ، والسَّعْفُ، والتَّبْطُ، والصَّبْغُ، والشَّعْلُ، واللَّمْظُ، واليعسوبُ، والتعميمُ، والبلَقُ.

فالعُرَّةُ -: البياضُ في الوجه؛ وهي أنواع: لَطِيمٌ، وشادخةٌ، وسائلةٌ، وشِمْرَاخٌ، ومُتَقَطَّعةٌ، وشَهْبَاءٌ.

ف «الْأَلَطِيمُ»: الذي يُصِيبُ البياضُ عينيه أو إحداهما أو خديه أو أحدهما، والأنثى أيضاً لَطِيمٌ. فإذا فَشَّتْ في الوجه ولم تُصب العينَ فهي «شادخةٌ». فإذا أعتدلت على قَصْبَةِ الأنف وإن عَرُضَتْ في الجَبْهَةِ فهي «سائلةٌ». وإذا دَقَّتْ وسالت في الجبهة وعلى قَصْبَةِ الأنف ولم تَبْلُغْ الجَحْفَلَةَ فهي «شِمْرَاخٌ»، وكلُّ بياضٍ في جبهة الفرس فُشَاً أو قَلَّ ينحدر حتى يَبْلُغَ المَرْسِينَ<sup>(١)</sup> ثم ينقطع فهي عُرَّةٌ «مُتَقَطَّعةٌ»، وإذا كان البياضُ في مَنْخَرِيهِ ثم ارتفع مُصْعِداً حتى يَبْلُغَ بين عَيْنَيْهِ ما لم يَبْلُغْ جَبْهَتَهُ فهي أيضاً عُرَّةٌ متقطعة.

وإذا كان في العُرَّةِ شعرٌ يخالف البياضَ فهي عُرَّةٌ «شهباء». وقال ابن قتيبة<sup>(٢)</sup>: «إن سألت عُرَّتَهُ ودَقَّتْ فلم تُجاوز العينين فهي «العُصْفُورُ»، وإن أَخَذَتْ جميعَ وجهه غير أنه يَنْظُرُ في سوادٍ فهي «المبرِّقَةُ»، فإن فَشَّتْ حتى تأخذ العينين فتبيضُ أشْفَارُهُما فهو «مُعْرَبٌ». فإن كانت إحدى عَيْنَيْهِ زرقاء والأخرى كحلاء فهو «أَخِيفٌ».

وأما القُرْحَةُ - وهي دُونُ العُرَّةِ؛ فقال ابن قتيبة: العُرَّةُ: ما فوق الدرهم، والقُرْحَةُ: قدرُ الدرهم فما دونه. قالوا: والقُرْحُ: كُلُّ بياضٍ كان في جَبْهَةِ الفرس ثم أُنْقَطِعَ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ المَرْسِينَ. وتُنْسَبُ القُرْحَةُ إلى خِلْقَتِهَا في الاستدارة والتثليث والتربيع والاستطالة والقلَّة؛ فإذا قَلَّتْ قيل: «خَفِيَّةٌ». وإذا كان في القُرْحَةِ شعرٌ يخالف البياضَ فهي «قُرْحَةٌ شهباء».

(١) المرسن: موضع الرسن من أنف الفرس.

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل المروزي، النحوي، اللغوي صاحب كتاب «أدب الكاتب» و«المعارف»: كان ثقة فاضلاً، سكن بغداد، وحدث بها عن إسحاق بن راهويه وغيره... (وفيات الأعيان ٣: ٤٢).

وأما الرُثْمة (بالثاء المثلثة) - فكلُّ بياض أصاب الجَحْفَلَةَ<sup>(١)</sup> العُلْيَا قَلٌّ أو كَثُرَ فهو «رَثَمٌ» إلى أن يبلغَ المَرَسِينَ، وتُنْسَبُ الرُثْمة إذا هي فَشَتْ إلى الشُدُوخ. وإذا لم تُجَاوِزِ المَنْخَرَيْنِ نُسِبَتْ إلى الاعتدال. وإذا قَلَّتْ وأَشْتَدَّ بياضُها نُسِبَتْ إلى الاستنارة. وإذا لم يظهر بياضُها للنّاظر حتى يدنو نُسِبَتْ إلى الخِفية.

واللُّمَظَّة - كلُّ بياض أصاب الجَحْفَلَةَ السُّفْلَى قَلٌّ أو كَثُرَ فهو «لَمَظٌّ» والفرس المظ.

واليعسوب -: كلُّ بياض يكون على قَصَبَةِ الأنف قَلٌّ أو كَثُرَ ما لم يبلغَ العينين. وإذا شاب الناصية بياضٌ فهو «أَسْعَفُ». فإذا خَلَصَ البياضُ في الناصية فهو «أَصْبَغُ»، فإذا أَنَحَدَرَ البياضُ إلى مَنْبِتِ الناصية فهو «المَعَمَّمُ». وإذا كان في عَرْضِ الذَّنْبِ بياضٌ فهو «أَشْعَلُ». والعرب تَكْرَهُ شُغْلَةَ الذَّنْبِ. وإذا كان في قَمْعَةِ<sup>(٢)</sup> الذَّنْبِ، وهي طَرْفُهُ، بياضٌ فهو «أَصْبَغُ». وإذا أَرْتَفَعَ البياضُ حتى يبلغَ البطنَ فهو «أَنْبَطُ». وإذا ظهر البياضُ وزاد فهو «أَبْلَقُ». وقال أَبْنُ قُتَيْبَةَ وَأَبْنُ الأَجْدَابِيِّ<sup>(٣)</sup>: إذا كان الفرس أبيضَ الظَّهْرِ فهو «أَرْحَلُ»، وإن كان أبيضَ البطنِ فهو «أَنْبَطُ». وقال غيرهما: «الأَدْرَعُ» من الخيل والشاة: الذي أسودَ رأسُهُ ولَوْنُ سائرِهِ أبيضُ، والأنثى «دَرْعَاءُ»، من الدَّرْعَةِ<sup>(٤)</sup>. و«الأَخْصَفُ» من الخيل والغنم: الأبيضُ الخاصرتين الذي أَرْتَفَعَ البَلَقُ من بطنه إلى جنبه، ولَوْنُهُ كلون الرَّمَادِ فيه سوادٌ وبياضٌ. وقيل: كلُّ ذي لَوْنَيْنِ مجتمعين فهو خَصِيفٌ وأَخْصَفُ؛ وأكثر ذلك السوادُ والبياضُ. ويقال: فرسٌ «أَزَرُ» إذا كان أبيضَ العَجْزِ.

ومن الشَّيَةِ التَّحْجِيلُ - وهو البياضُ في قوائم الفرس الأربع، أو في ثلاث منها، أو في رجله قَلٌّ أو كَثُرٌ إذا استدار حتى يُطَيَّفَ بها. وأصلُ الحُجْلَةِ من الحَجَلِ (بفتح الحاء وكسرها) وهو القيدُ والخلخالُ. قال أَبْنُ الأَجْدَابِيِّ: فإن كانت قوائمه الأربعُ بيضاء لا يبلغُ البياضُ منها الركبتين فهو «مُحَجَّلٌ»، وطَلِيقُ اليَدِ وطلق اليَدِ (بفتح الطاء وإسكان اللام وبضمهما أيضاً): إذا كانت على لون البدن ولم يكن بها بياضٌ. فإذا أصاب البياضُ القوائمَ كلها فهو «مُحَجَّلُ أَرْبَعٍ». وإن كان في ثلاثِ قوائمٍ فهو «مُحَجَّلُ ثَلَاثٍ»، مُطْلَقٌ يَدٌ أو رجلٌ يُمْنَى أو يُسْرَى. وكلُّ قائمة بها بياضٌ فهي «مُمَسَكَةٌ». وكل قائمة ليس بها وضَحٌ فهي «مُطْلَقَةٌ». فإن كان البياضُ في الرجلين جميعاً فهو «مُحَجَّلُ

(١) الجحفلة لذوات الحافر من الخيل والبغال والحمير، كالشفة للإنسان.

(٢) قمعة الذنب: طرفه.

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن عبد الله المعروف بابن الأجدابي الطرابلسي.

(٤) الدرعة: هو سواد مقدم الفرس أو الشاة وبياض سائرهما.

الرجلين»، وإن كان في إحدهما فهو «الأَرْجَلُ»؛ وقد ذكرناه.

ولا يكون التَّحْجِيلُ واقعاً بيد ما لم يكن معها رجلٌ أو رجلان، ولا بيدين ما لم يكن معهما رجلٌ أو رجلان أو وَضَحَ بالوجه. فإن كان التحجيلُ في يد رجل من شَيْقٍ واحدٍ فهو مُمْسِكُ الأيامن مُطْلَقُ الأيسر، أو مُمْسِكُ الأيسر مُطْلَقُ الأيامن، ويقال: الأيمنين والأيسرين، وإن كان من خلافٍ قُلٌّ أو كثر فهو «مَشْكُولٌ»؛ وهو مكروه في الحديث. وقد تقدّم ذكره.

ومنها الْعَصَمُ - وهو إذا كان البياض بإحدى يديه قُلٌّ أو كثر فهو «أَعَصَمُ» اليمنى أو اليسرى. وأسمُ الْعَصَمَةِ مأخوذٌ من المِعْصَم وهو مَوْضِعُ السَّوَارِ من الساعد. فإن كان البياضُ في يده اليسرى قيل: «مَنْكُوسٌ»؛ وهو مكروه. وإن كان البياضُ بيديه جميعاً فهو أعصمُ اليدين، إلا أن يكون بوجهه وَضَحَ فهو «مُحْجَلٌ» ذهب عنه الْعَصَمُ. فإن كان بوجهه وضَحَ وبإحدى يديه بياضٌ فهو أعصمُ، لا يُوقِعُ عليه وَضَحَ الوجه أَسَمُ التحجيل إذا كان البياضُ بيد واحدة.

وَوَضَحَ القوائم: الخاتم، والإنعال، والتَّخْدِيمُ، والصَّبْعُ، والتَّجْيِيبُ، والمُسْرُولُ والأَخْرَجُ، والتَّسْرِيعُ. فأقلُّ وَضَحِ القوائم «الخاتم» وهو شَعْرَاتٌ بيضٌ. فإذا جاوز ذلك حتى يكون البياضُ واضحاً فهو «إِنْعَالٌ» ما دام في مؤخَّرِ رُسْغِهِ مما يلي الحافر. فإذا جاوز الأرساغَ فهو «تَخْدِيمٌ». وإذا أبيضَّتِ الثَّنَّةُ<sup>(١)</sup> كلها ولم يَتَّصِلْ بياضُها ببياض التحجيل فهو «أَصْبَعٌ»، وإذا ارتفعَ البياضُ في القوائم إلى الجُنبِ<sup>(٢)</sup> فما فوق ذلك ما لم يَبْلُغِ الركبتين والعُرْقوبَيْنِ فهو «التَّجْيِيبُ»، فإذا بلغَ التجيبُ الركبتين والعُرْقوبَيْنِ فهو «مُسْرُولٌ» حتى يَخْرُجَ من الذراعين والساقين. فإذا خرج من الذراعين والساقين فهو «أَخْرَجٌ». وكلُّ بياضٍ في التحجيل مستطيلٌ فهو «تَسْرِيعٌ»، والله أعلم.

وأما ما في الفرس من الدوائر - فمنها: «دَائِرَةُ المَحْيَا» وهي اللَّاصِقَةُ بأسفل الناصية. و«دَائِرَةُ اللَّطْمَةِ» في وَسَطِ الجبهة، فإن كانت دائرتان في الجبهة قيل: فَرَسٌ نَاطِيحٌ. و«دَائِرَةُ اللَّاهِزِ»: التي تكون في اللَّهْزَمَةِ<sup>(٣)</sup>. و«دَائِرَةُ الْعُمُودِ» وتُسَمَّى المَعْوَدُ أيضاً وهي في موضع القلادة. و«دَائِرَةُ السَّمَامَةِ» في وَسَطِ العنق. و«دَائِرَتَا الْبَنَيْقَيْنِ» وهما اللَّتان في نَحْرِ الفرس. و«دَائِرَةُ النَّاجِرِ»<sup>(٤)</sup>: التي في الجران<sup>(٥)</sup> إلى أسفل من

(١) الثَّنَّة: الشعرات التي في مؤخر رسغ الدابة.

(٢) الجنب واحدتها الجبة، وهي مغرز الوظيف في الحافر.

(٣) اللهزمة: عظم ناتئ في اللحى تحت الحنك.

(٤) الناجر: عرق في صدر الفرس.

(٥) الجران: باطن العنق.

ذلك. و«دائرة القاليع»: التي تكون تحت اللبد. و«دائرة الهقعة» في الشقنين، وتُدعى النافذة أيضاً، وقيل: هي التي تكون في غرض زوره. و«دائرة النافذة» وهي دائرة الحزام. و«دائرتا الصقرين» في الحَجَبَتَيْنِ والقُصْرَيْنِ - والحَجَبَةُ: رأس الورك. والقُصْرَى: الضِّلَع التي تلي الشاكلة - و«دائرة الخرب» تكون تحت الصقرين. و«دائرة الناحس» تكون تحت الجاعرتين إلى الفائلين. وهما عِرْقَان في الفخذ. والجاعرتان: حَرْفَا الوركين المُشْرِفَان على الفِخْذَيْنِ، وهما مَضْرِبُ الفرس بذنبه على فِخْذيه، وهما موضع الرَّقْمَتَيْنِ من أسنِ الحمار.

وكانت العرب تَسْتَحِبُّ من هذه الدوائر: المَعْوَذَ، والسَّمَامَةَ، والهَقْعَةَ. وقيل: أَسْتَحَبُّوا الهَقْعَةَ ثم كرهوها. يقال: إن المهقوع لا يَسْبِقُ أبداً. وكانوا يكرهون النَّطِيحَ والأَهِزَّ، والقاليع، وقيل: الناحس أيضاً. وما سوى هذه الدوائر فغير مكروه.

وقال ابن قُتَيْبَةَ: «والدوائر ثمانِي عشرة دائرة، تُكره منها «الهقعة» وهي التي تكون في غرض زوره، ويقال: إنَّ أبقى الخيل المهقوع. و«دائرة القاليع» هي التي تكون تحت اللبد. و«دائرة الناحس» هي التي تكون تحت الجاعرتين إلى الفائلين. و«دائرة اللطاة»، في وسط الجبهة، وليست تُكره إذا كانت واحدة؛ فإذا كانت هناك دائرتان قالوا: فرس نَطِيحٌ؛ وذلك مكروه. وما سوى هذه الدوائر غير مكروهة».

ومن الدوائر التي ذكرتها الهند في البركة والشؤم - قالوا: إذا كان في موضع حَكَمَتِهِ<sup>(١)</sup> دائرة أو على جَحْفَلَتِهِ<sup>(٢)</sup> العليا دائرة كان ممَّا يُرْتَبِطُ. وما كان منها ليس في وجهه ولا في صدره دائرة<sup>(٣)</sup> فمكروه أرتباطه. وما كان في صدره دائرة إلى التربيع، أو كان في رأسه دَارَتَانِ، أو على خاصرته أو على مَذْبَحِهِ دائرة، أو في عنقه أو على خَطْمِهِ<sup>(٤)</sup> أو على أُذُنِهِ شَعَرٌ نابت كزهرة النبات، كان ذلك ممَّا يُرْتَبِطُ وتُقْضَى عليه الحوائجُ، ويكون صاحبه مظفراً في الحروب ولا يرى في أموره إلا خيراً.

وذكروا أيضاً: أنه لا ينبغي أن يُرْتَبِطَ من الدواب ما كان منها في مُقَدَّم يده دائرة، وما كان أسفل من عينيه دائرة، أو في أصل أذنيه من الجانبين دَارَتَانِ، أو على مَأْبِضِهِ<sup>(٥)</sup> دائرة، أو على مَحْجِرِهِ<sup>(٦)</sup> دائرة، أو في خذّه أو في جَحْفَلَتِهِ السُّفْلَى أو على ملتقى لَحْيَيْهِ

(١) الحكمة: حكم اللجام: حديدته التي تكون في فم الفرس ويتصل بها العذاران.

(٢) الجحفلة: لذوات الحافر كالشفة للإنسان.

(٣) المراد بالدائرة: الدائرة.

(٤) الخطم: الأنف أو مقدمه.

(٥) المأبض: باطن الركبة.

(٦) محجر العين: ما يبدو من النقاب.

دارة، أو في بطنه شعر منتشر، أو على سُرته دارة، أو كانت أسنانه طالعة على جحفلته، أو له ستان ناتان بمنزلة أنياب الخنزير، أو في لسانه خُطَط سود لا خُضر، وما كان منها أذْبَس<sup>(١)</sup> أو أبيض أو أصفر أو أشهب تعلوه حمرة ودخل جَحَافِلِه وَلَهَوَاتِه<sup>(٢)</sup> وخارج لَحْيِيَه سواد. وما كان منها أدهم ودخل جحافلِه أبيض، أو في لهواتِه ودخل شِدْقَه نُقْطُ سود وَجَحْفَلْتَه خارجُها مُنْقَط كحَب السمسَم، أو على مِشْجِه دَارَتَان، أو على خُصْيِيَه وَبَرَّ أسود مخالف للونه، أو كان في جَبْهَتِه شَعْرَات مُخَالَفَةً للونه، أو ما كان منها حين يُنْتِج يرى خُصْيَاه ظاهرين - فهذه العلامات زعم حنّة الهندي أنه لا ينبغي لأحد أن يرتبط دابةً بها شيء منها. وزعم أنه يُستحب أن يرتبط ما كان في صدره أربع نُقْط في أربعة مواضع، أو شعر ملتف عِزْضاً وطولاً، أو شعر ملتوٍ.

### وأما ما قيل في طبائعها، وعاداتها، والمحمود من صفاتها، ومحاسنها، والعلامات الدالة على جودة الفرس ونجابتِه

قالت العرب: والخيَل نوعان: عتيق وهو المسمى فرساً، وهجين وهو المسمى برذوناً، والفرق بينهما أنَّ عَظْم البرذون أغلظ من عَظْم الفرس؛ وعظم الفرس أصلب وأثقل من عَظْم البرذون، والبرذون أحمل من الفرس، والفرس أسرع من البرذون؛ والعتيق بمنزلة الغزال، والبرذون بمنزلة الشاة.

وفي طبع الفرس: الرَّهْو، والخَيْلاء، والعُجْب، والسرور بنفسه، والمحبة لصاحبه. وفي طبعه: أنه لا يشرب الماء إلا كِدْراً؛ حتى إنه يرد الماء وهو صاف فيضرب بيده فيه حتى يُكْذِّره ويعكِّره. وربما ورد الماء الصافي وهو عطشان فيرى خياله فيه فيتحاماه ويأباه، وذلك لفزعه من الخيال الذي يراه في الماء. وهو يُوصف بحدة البصر. وفي طبعه: أنه متى وطئ أثر الذنب خدِرت قوائمه حتى لا يكاد يتحرك، ويخرج الدخان من جلده؛ وإذا وطئته الأنثى وهي حامل أزلقت<sup>(٣)</sup>. والأنثى من الخيل تحمِل سنة كاملة؛ هذا هو المعروف من عاداتها. وأخبرني بعض من أثق إلى قوله إنه كان يملك حِجْراً<sup>(٤)</sup> تحمل ثلاثة عشر شهراً. وسمعت أن عند التَّتر جنساً من خيلها تحمِل الفرس منها تسعة أشهر وتَضَع. وقال لي الناقل: إنَّ هذا أمر مشهور عندهم معروف مألوف لا ينكرونه ولا يتعجبون.

(١) الدبسة: حمرة مشربة سواداً.

(٢) اللهوات واحدها اللهاة، وهي لحمة حمراء معلقة على عكدة اللسان.

(٣) يقال: أزلقت الفرس: إذا أسقطت حملها لغير تمامه.

(٤) الحجر: الأنثى من الخيل.

**فصل -** والعلامات الجامعة لنجابة الفرس الدالة على جودته، ما ذكره أيوب ابن القريّة<sup>(١)</sup> وقد سأله الحجاج عن صفة الجواد من الخيل فقال: القصيرُ الثلاث، الطويلُ الثلاث، الرّحْبُ الثلاث، الصافي الثلاث. فقال: صِفْهُنَّ؟ فقال: أمّا الثلاث الطُّوال فالأُذُن والعُنُق والدَّرَاع. وأمّا الثلاث القصار فالظَّهْر والسَّاق والعَسِيب<sup>(٢)</sup>. وأمّا الثلاث الرّحبة فالجبهة والمنخر والجوف. وأمّا الثلاث الصافية فالأديم والعَيْنان والحافر. وقد جمع بعضُ الشعراء ذلك في بيت واحد فقال: [من المتقارب]

وقد أغتدي قبل ضوء الصُّباح      ووزد القَطَا في الغَطَاط الحَثَاث<sup>(٣)</sup>

بصافي الثلاث عريض الثلاث      قصير الثلاث طويل الثلاث

وهذه الحكاية أيضاً نُقلت عن صَغَصَعَة بن صُوحَانَ وقد سأله معاوية: أيّ الخيل أفضل؟ فقال: الطويلُ الثلاث، العريضُ الثلاث، القصيرُ الثلاث، الصافي الثلاث. قال معاوية: فسّر لنا؟ قال: أمّا الطويل الثلاث فالأذن والعنق والجِزَام. وأمّا القصير الثلاث فالصُّلب والعسيب والقضيبي. وأمّا العريض الثلاث فالجبهة والمِنْخَر والوَرِك. وأمّا الصافي الثلاث فالأديم والعين والحافر.

وقال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه لعمرو بن مَعْدٍ يَكْرِب: كيف معرفتك بعَرَاب الخيل؟ قال: معرفة الإنسان بنفسه وأهله وولده؛ فأمر بأفراسٍ فُعْرِضَتْ عليه؛ فقال: قدّموا إليها الماء في التّراس<sup>(٤)</sup>، فمن شرب ولم يَكْتَفِ<sup>(٥)</sup> فهو من العراب، وما نئى سُنْبُكْه فليس منها.

وقيل: أهدى عمرو بن العاص لمعاوية بن أبي سفيان ثلاثين فرساً من خيل مصر؛ فُعْرِضَتْ عليه وعنده عُتْبَة بن سفيان بن يزيد الحارثي؛ فقال له معاوية: كيف ترى هذه يا أبا سفيان؟ فإن عمراً قد أطنب في وصفها؛ فقال: أراها يا أمير المؤمنين كما وصف؛ وإنها لساميةُ العيون، لاحقةُ البطون؛ مُضْغِيَةُ الأذان، قَبَاءُ<sup>(٦)</sup> الأسنان؛ ضِحَامُ الرُّكَبَات، مُشْرِفَات الحَجَبَات؛ رِحَابُ المناخر، صِلَابُ الحوافر؛ وضعُها تحليل، ورفعُها تقليل؛ فهي إن طُلِبَتْ سَبَقَتْ، وإن طُلِبَتْ لَحِقَتْ. فقال معاوية:

(١) هو أيوب بن زيد بن قيس والقرية أمه، وكان خطيباً، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي لاتهامه بالميل لابن الأشعث.

(٢) العسيب: عسيب الذنب: عظمه، أو منبت الشعر منه.

(٣) الغطاط: واحدها غطاطة، وهي ضرب من القطا.

(٤) التراس: جمع ترس، وهو معروف.

(٥) يقال: كتفت الخيل: إذا ارتفعت فروع أكتافها.

(٦) يقال: قبت نابه: إذا صوتت وقعقت.

أضربها إلى دارك، فإن بنا عنها غنى، وبفتيانك إليها حاجة.

وقال أبو عبيدة: يُستدلُّ على عِتقِ الفرسِ برِقةٍ جحافله وأزْبَّتته، وسَعَةٍ مِنْخَرِيه، وعُزِي نواهقه، ودِقَّة حَقْوِيه وما ظهر من أعالي أذنيه، ورقَّة سالفتيه وأديمه، ولين شعره؛ وأبين من ذلك كله لِينُ شَكِير<sup>(١)</sup> ناصيته وعُزْفه.

وكانوا يقولون: إذا اشتدَّ نَفْسُه، ورَحِبَ مُتَنَفِّسُه، وطال عنقه، واشتدَّ جِحْفوه، وأنْهَرَتْ<sup>(٢)</sup> شِدْقُه، وعَظُمَتْ فَخْذَاهُ، وأنشَنَجَتْ<sup>(٣)</sup> أنساؤه<sup>(٤)</sup>، وعَظُمَتْ فِصْصُه، وصَلَبَتْ حوافره ووقحت<sup>(٥)</sup>، لحق بجياد الخيل، والله أعلم.

ومما يستحب من أوصافها في الخلق - الأذن المؤللة، والناصية المعتدلة التي ليست بسفواء ولا غماء، والجبهة الواسعة، والعين الطامحة السامية، والخذ الأسيل، ورُحْب المَنخَرين، وهَرَّت الشَّدقين - قال الشاعر<sup>(٦)</sup>:

هَرِيتُ قَصِيرُ عِذَارِ اللَّجَامِ      أَسِيلٌ طَوِيلُ عِذَارِ الرَّسَنِ<sup>(٧)</sup>

قوله: «قصير عذار اللجام»: لم يُرد به قَصَرَ خَدَه، وإنما أراد طولَ شَقِّ الفمِّ. ويدلُّ على ذلك قوله في البيت:

\* أَسِيلٌ طَوِيلُ عِذَارِ الرَّسَنِ \*

يريد طولَ خَدَه - وَقَوْدُ العنق (لينها حتى لا تكون جاسئة)<sup>(٨)</sup>، ورقَّة الجَحْفَلَتَيْنِ، وارتفاع الكَتِفَيْنِ والحارك والكاهل.

قالوا: ويستحب أن يشتدَّ مُرْكَبُ عنقه في كاهله لأنه يتساند إليه إذا أخْضَرَ<sup>(٩)</sup> وعَرَضُ الصدر، وضيق الزُّور، وارتفاع اللسان، وأن يشتدَّ حَفْوُه لأنه مُعَلَّقٌ وَرَكْبُهُ ورجليه في ضَلْبِه، وعِظَمُ جوفه وجنبه، وأنطواء كَشْحِه، وإشراف القَطَاة، وقصر العَسِيب، وطول الذنب، وشَنَجُ النَّسَا، وأستواء الكَفَلِ حتى لا يكون أقرن، وملاسة

(١) الشكير: ما أطاف بالناصية من قصير الشعر، وهو ما يستدل به على العنق.

(٢) أنهرت: وسعت.

(٣) أنشجعت: تقلصت.

(٤) الأنساء: جمع نساء، وهو اللبن الرقيق الكثير الماء.

(٥) وقحت: صلبت.

(٦) هو تميم بن أبي بن مقل، أحد شعراء الجاهلية، مخضرم.

(٧) الهرث: الواسع الشدقين الطويل شق الفم.

(٨) الجاسئة: الصلبة الخشنة.

(٩) أخضر الفرس: أي وثب في عدوه.



الكَفَل، وقصر الساقين، وطول الفَخَذَيْن، وتوتير الرِّجْلَيْن حتى لا يكون أقسطاً، وتأنيف<sup>(١)</sup> العرقوبين حتى لا يكون أقمع، وغلظ الرُّشغ، وأن تكون الحوافر صلاباً سوداً أو خُضراً.

وحكي أن هارون الرشيد ركب في سنة خمس وثمانين ومائة إلى الميدان لشهود الحَلَبَة، قال الأصمعي: فدخلت الميدانَ لشهودها، فجاء فرسٌ أدهمٌ لهارون الرشيد سابقاً يقال له «الرَّيد»؛ فُسِّر به الرشيد وأبتهج وقال: عليّ بالأصمعي، فتوديتُ من كل جانب، فأقبلتُ سريعاً حتى مَثَلْتُ بين يديه، فقال: يا أصمعي، خذ بناصية «الرَّيد» ثم صِفْهُ من قَوْنِسِهِ إلى سُنْبِكَ، فإنه يقال: إن فيه عشرين اسماً من أسماء الطير؛ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، وأنشدك شعراً جامعاً لها من قول أبي حَزْرَةَ<sup>(٢)</sup>؛ قال: فأنشدنا الله أبوك؛ فأنشدته:

وأقْبَ كَالسَّرْحَانِ تَمَّ لَهُ ما بين هامته إلى التَّنْسِرِ<sup>(٣)</sup>  
الهَامَةُ: أعلى الرأس. والتَّنْسِر: ما أرتفع من بطن الحافر من أعلاه. وهما من أسماء الطير.

رَحَبَتْ نَعَامَتُهُ وَوُفِّرَ فَرْخُهُ وتمكَّن الصُّرْدَانُ فِي التَّحْرِ<sup>(٤)</sup>  
النعام: جلدة الرأس التي تُعْطِي الدَّمَاعَ. والفَرخ: الدَّمَاعُ، والصُّرْدَان: عِرْقَان في أصل اللسان، ويقال: إنهما عرقان يكتنفان باطن اللسان. وفي الظهر أيضاً صُرْد يكون في موضع السَّرج من أثر الدَّبَر. والنعام والفَرخ والصُّرْدَان من أسماء الطير: وأناف بالعصفور في سَعَفٍ هَامِ أَشَمِّ موثَّق الجِذْرِ<sup>(٥)</sup>  
العصفور: أصلُ مَنَّبَتِ شعر الناصية، وهو أيضاً عَظْم ناتئ في كل جبين، وهو أيضاً من الغُرَر. والسَّعَف: يقال: فرس أسعف إذا سالت ناصيته. وهام أي سائل. والشَّمَم: ارتفاع قصبه الأنف. وموثَّق الجذر أي شديد. والجذر: الأصل من كل شيء.

وَأَزْدَانُ بِالذِّكَيْنِ صَلَّصْلُهُ وَنَبَتْ دَجَاجَتُهُ عَنِ الصُّدْرِ  
الديكان: واحدهما ديك وهو العظم الناتئ خلف الأذن، وهو الذي يقال له

(١) تأنيف العرقوبين: تحديد طرفيهما.

(٢) أبو حزره: هي كنية جرير بن عطية الخطفي الشاعر المشهور.

(٣) الأقب: الضامر - والسرحان: الذئب.

(٤) رحب: اتسع - ووفر: تم وكمل.

(٥) أناف: أشرف.

الخُشَاءُ والخُشْشَاءُ. والصلصل: بياض في طَرْفِ الناصية، ويقال: هو أصل الناصية. والدَّجاجة: اللَّحْمُ الذي على رُؤْرِهِ بين يديه. والدَّيْكُ والصلصلُ والدَّجاجةُ من الطير.

وَالنَّاهِضَانِ أَمَرَ جَلَزُهُمَا فَكَأَنَّمَا عُثِمَا عَلَى كَسَرٍ

الناهضان: واحدهما ناهض، وهو لحم المنكبين، ويقال: هو اللحم الذي يلي العَضْدَيْنِ من أعلاههما. والناهض: فرخ العُقَاب. وقوله: «أَمَرَ جَلَزُهُمَا» أي قُتِلَ وأُحْكِمَ، يقال: أمرتُ الحبلَ أي قتلته. والجَلَزُ: الشَّد. وقوله:

\* فَكَأَنَّمَا عُثِمَا عَلَى كَسَرٍ \*

أي كأنهما كُيِّرَا ثم جُبِرَا. والعَثَمُ: الجبر على عُقْدَةٍ وَعَوَجٍ.

مُسَحْنِفِرِ الْجَنْبَيْنِ مُلْتَمِماً مَا بَيْنَ شِيَمَتِهِ إِلَى الْغُرِّ

قوله: «مسحفر الجنبين» أي متنفخهما. ملتئم أي معتدل. والشيمة: من قولك: فرس أشيم: بَيِّنُ الشَّامَةِ. والغَرَّ في الطير الأغلب الذي يسمَّى الرُّخْمَةَ. وهي من الفرس عَضْلَةُ السَّاقِ.

وَصَفَتْ سُمَانَاهُ وَحَافِرُهُ وَأَدِيمُهُ وَمَنَابِتُ الشَّعْرِ

السُّمَائِي: طائر وهو موضع من الفرس ربما أراد به السَّمَامَةَ، وهي دائرة تكون في سَالِفَةِ الفرس. والسَّمَامَةُ أيضاً من الطير. وأديمه: جِلْدُهُ.

وَسَمَا الْغُرَابِ لِمَوْقِعِيهِ مَعاً فَأُبَيِّنُ بَيْنَهُمَا عَلَى قَدَرٍ

الغراب: رأسُ الْوَرَكِ، ويقال للصلَّوَيْنِ الغرابان، وهما مُكْتَنِفَا عَجْمٍ<sup>(١)</sup> الذنب، ويقال: هما ملتقى أعلى الْوَرَكَيْنِ. والموقعان: ما في أعالي الخاصرتين. وقوله:

\* فَأُبَيِّنُ بَيْنَهُمَا عَلَى قَدَرٍ \*

أي فَرَّقَ بَيْنَمَا عَلَى أَسْتَوَاءٍ وَأَعْتَدَالٍ.

وَأَكْتَنَ دُونَ قَبِيحِهِ خُطَافُهُ وَنَأَتْ سَمَامَتُهُ عَلَى الصَّقْرِ

قوله: واكتن أي أستر. والقبيح: ملتقى الساقين، ويقال: إنه مُرَكَّبُ الذراعين في العَضْدَيْنِ. والخطاف: هو حيث أدركتْ عَقِبُ<sup>(٢)</sup> الْفَارِسِ إِذَا حَرَّكَ رَجْلِيهِ؛ ويقال لهذين الموضعين من الفرس الْمَرْكَلَانِ. ونأت أي بَعْدَتْ. والسَّمَامَةُ: دائرة تكون في عنق الفرس. والصقر: دائرة في الرأس. والخطاف والسَّمَامَةُ والصقر من أسماء الطير.

(١) عجم الذنب: أصله، أي العصص.

(٢) العقب: مؤخر القدم.

وتَقَدَّمَتْ عَنْهُ الْقَطَاةُ لَهُ      فَنَأَتْ بِمَوْقِعِهَا عَنِ الْحَرِّ  
الْقَطَاةُ: مَقْعَدُ الرِّدْفِ. وَالْحَرُّ: سَوَادٌ فِي ظَاهِرِ أُذُنِي الْفَرَسِ. وَهُمَا مِنَ الطَّيْرِ.  
يَقَالُ: إِنْ الْحَرَّ ذَكَرَ الْحَمَامِ.

وَسَمَا عَلَى نِقْوِيهِ دُونَ جِدَاتِهِ      خَرَبَانِ بَيْنَهُمَا مَدَى الشُّبْرِ  
النَّقْوَانُ: وَاحِدُهُمَا نِقْوٌ وَالْجَمْعُ أَنْقَاءٌ، وَهُوَ عَظْمٌ ذُو مُخٍّ. وَعَنْى هُنَا عَظَامَ  
الْوَرَكَيْنِ، لِأَنَّ الْخَرَبَ هُوَ الَّذِي تَرَاهُ مِثْلَ الْمُدْهَنِ<sup>(١)</sup> فِي وَرِكِ الْفَرَسِ. وَهُوَ مِنَ الطَّيْرِ  
ذَكَرُ الْحُبَارَى. وَالْجِدَاةُ: سَالِفَةُ الْفَرَسِ. وَهِيَ مِنَ الطَّيْرِ.

يَدْعُ الرُّضِيمَ إِذَا جَرَى فَلَقَا      بَتَوَائِمَ كِمَوَاسِمِ سُمْرِ  
الرُّضِيمِ: الْحَجَارَةُ، يَفْلِقُهَا بَتَوَائِمَ أَيَّ بِحَوَافِرِهِ. وَالْمَوَاسِمُ: جَمْعُ مَيْسَمِ الْحَدِيدِ؛  
أَيَّ أَنَّهَا كِمَوَاسِمِ الْحَدِيدِ فِي صَلَابَتِهَا. وَقَوْلُ: سُمْرُ أَيُّ لَوْنِ الْحَافِرِ. وَالْحَافِرُ الْأَسْمَرُ  
هُوَ الصُّلْبُ.

رُكِّنَ فِي مَخْضِ الشَّوَى سَبِطَ      كَفَّتِ الْوُثُوبُ مُشَدِّدِ الْأَسْرِ  
الشَّوَى هَا هُنَا: الْقَوَائِمُ، يُقَالُ: فَرَسٌ مَخْضُ الشَّوَى إِذَا كَانَتْ قَوَائِمُهُ مَعْصُوبَةً.  
سَبِطَ: سَهْلٌ. كَفَّتِ الْوُثُوبُ أَيُّ مُجْتَمِعٌ. مُشَدِّدِ الْأَسْرِ أَيُّ الْخَلْقِ.  
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: فَأَمْرٌ لِي بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ.

فَهَذِهِ جُمْلٌ مِنْ أَوْصَافِ مُحَاسِنِهَا. وَسَنَذَكُرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مَا وَصَفَهَا بِهِ  
الشُّعْرَاءُ فِي أَشْعَارِهَا وَالْفَضَلَاءُ فِي رِسَائِلِهَا، عَلَى مَا تَقِفُ عَلَى ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ.  
فَلَنَذَكُرْ عِيُوبَ الْخَيْلِ:

وَأَمَّا عِيُوبُهَا الَّتِي تَكُونُ فِي خِلْقَتِهَا، وَفِي جَرِيهَا، وَالَّتِي تَطْرَأُ عَلَيْهَا وَتَحْدُثُ فِيهَا -  
فَهِيَ مِائَةٌ نَذَرُهَا:

فَأَمَّا الَّتِي فِي خِلْقَتِهَا - فَهِيَ أَنْ يَكُونَ الْفَرَسُ «أَخَذَى» وَهُوَ الْمُسْتَرْخِي أَصُولُ  
الْأُذُنَيْنِ. وَ«أَمْعَرُ»، وَهُوَ الَّذِي ذَهَبَ شَعْرُ نَاصِيَتِهِ. وَ«أَسْفَى» وَهُوَ الْخَفِيفُ النَّاصِيَةِ،  
وَهُوَ مَحْمُودٌ فِي الْبِغَالِ. وَ«أَعَمَّ» وَهُوَ الَّذِي غَطَّتْ نَاصِيَتُهُ عَيْنِيهِ. وَ«أَسْعَفَ» وَهُوَ الَّذِي  
فِي نَاصِيَتِهِ بَيَاضٌ. وَ«أَخُولَ» وَهُوَ الَّذِي أَبْيَضَ مُؤَخَّرُ عَيْنِهِ وَغَارَ السَّوَادُ مِنْ قِبَلِ مَاقِيهِ.  
وَ«أَزْرَقَ» وَهُوَ الَّذِي فِي إِحْدَى عَيْنَيْهِ بَيَاضٌ أَوْ زُرْقَةٌ. وَ«أَقْتَى» وَهُوَ الَّذِي فِي أَنْفِهِ  
أَحْدِيدَابٌ. وَ«مُغْرَبًا» وَهُوَ الَّذِي أَشْفَارُ عَيْنَيْهِ بَيَضٌ مَعَ زُرْقَتِهَا. وَ«أَدَنَ» وَهُوَ الَّذِي أَطْمَأَن  
عُنُقُهُ مِنْ أَصْلِهِ. وَ«أَهْنَعَ» وَهُوَ الَّذِي أَطْمَأَنَّتْ عُنُقُهُ مِنْ وَسْطِهَا. وَ«أَوْقَصَ» وَهُوَ الَّذِي فِي

(١) المدهن: ما يجعل فيه الدهن.

عنقه قَصْرٌ وَيُبْسُ مَغْطَفٌ. و«أَكْتَفَ» وهو الذي في أعالي كتفيه أنفراج. و«أَزْوَرَ» وهو الذي تدخل إحدى فَهْدَتَيْ صدره وتخرج الأخرى. و«أَقْعَصَ»، وهو المطمئن الصُّلْبِ من الصهوة المرتفع القُطَاة. و«مُخْطَفًا» وهو الذي لَحِقَ ما خَلْفَ مَخْزِمِهِ من بطنه. و«أَهْضَمَ» وهو المستقيم الضلوع الذي دخلت أعاليه. و«صَقِلًا» وهو الطويل الصُّفْلَةُ<sup>(١)</sup>. و«أُنْجَلَ» وهو الذي خرجت خاصرته ورق صَفَاقُهُ<sup>(٢)</sup>. و«أَفَرَقَ» وهو الذي قد أشرفت إحدى وِرْكَيْهِ على الأخرى. و«أَزْسَحَ»، وهو قليل لحم الصَّلَا<sup>(٣)</sup>. و«أَغَزَلَ» وهو المُلْتَوِي عسيب الذَّنْبِ حتى يَبْرُزَ بعضُ باطنه. و«أَكْشَفَ» وهو الذي أَلْتَوَى عسيب ذنبه. و«أَصْبَغَ» وهو المُبَيِّضُ الذَّنْبِ. و«أَشْعَلَ» وهو الذي في عُرْضِ ذنبه بياض. و«أَشْرَجَ» وهو الذي بَيِّضَةُ واحدة. و«أَفَحَّجَ»، وهو الذي تَبَاعَدَ كَعْبَاهُ. و«أَبَدَّ» وهو الذي تباعدت يَدَاهُ. و«أَصَكَّ» وهو الذي تَصَكَّ كَعْبَاهُ إذا مشى. و«أَحَلَّ» وهو مُتَمَسِّحُ<sup>(٤)</sup> النَّسَا رِخْوُ الكَعْبِ. و«أَقْفَدَ» وهو الْمُتَنَصِّبُ الرُّسْغِ الْمُقْبِلُ على الحافر ويكون في الرَّجُلِ خَاصَّةً. و«أَصْدَفَ» وهو الذي تدانى ذِرَاعَاهُ وتباعد حافِرَاهُ. و«مُوجَّهًا» وهو الذي به صَدَفٌ يسير. و«أَقْسَطَ» وهو الذي رجلاه منتصبتان غير منحيتين. و«أَمْدَشَ» وهو الْمُضْطَكُّ بواطن الرُّسْغَيْنِ. و«أَخْتَفَ» وهو المُلْتَوِي الحافرين يُقْبِلُ كُلُّ منهما على صاحبه. و«مُتَلَفِّقًا»، وهو الذي يَخْطِبُ بيده. و«أَزْجَزَ» وهو المضطرب الرَّجُلِ والكَفْلِ فإذا قام اضطربت فِخْذُهُ. و«شَخْتًا» وهو القليل اللحم الحَمِيشُ<sup>(٥)</sup> العظام. و«رَطِلًا» وهو الضعيف الخفيف. و«مَكْبُونًا» وهو القصير الدَّوَارِجِ<sup>(٦)</sup> القريب من الأرض الرحيب الجوف. و«عَشًا» وهو الضاحي<sup>(٧)</sup> العظام لِقَلَّةِ لحمه. و«سَغِلًا»، وهو الصغير الجِزْمِ. قال الواساني<sup>(٨)</sup> رحمه الله:

ليس بأسْفَى ولا أَحَقَّ ولا أَهْضَمَ طَاوِي الحَشَا ولا سَغِلَ<sup>(٩)</sup>

(١) الصقلة: الخاصة.

(٢) الصفاق: جلد البطن.

(٣) الصلا: جانب الذنب عن يمينه وشماله: أو الفرجة بين الجاعرة والذنب؛ أو وسط الظهر من الإنسان والدواب.

(٤) متمسح النسا: ضعيف النسا.

(٥) الحميش العظام: دقيقها.

(٦) دوارج الدابة: قوائمها.

(٧) الضاحي العظام: الذي برزت عظامه.

(٨) هو أبو القاسم الحسين بن الحسين بن واسانة بن محمد المعروف بالواساني، وهو أحد الفضلاء المجيدين في الهجاء، وكان في زمانه كابن الرومي في أوانه... (يتيمة الدهر للشعالبي).

(٩) الأحق: الذي يصنع حافر رجله موضع يده.

و«جَابَأَ»، وهو القصير الغليظ. و«مِلْوَاحًا»، وهو السريع العَطَش. و«صَلُودًا» وهو البطيء العَرَق. و«ضَاوِيًا» وهو الذي أضواه<sup>(١)</sup> أبواه. و«مُقْرِفًا» وهو الذي أمه عتيقة وأبوه غير عتيق. و«هَجِينًا» وهو الذي أبوه عتيق وأمّه بِرْدَوْتَة. و«مُخْمِقًا» وهو الذي لا يُنتِج منه إلا أحمق. و«كُوسِيًا» وهو الذي إذا جرى نَكَس كالحمار. و«جَاسِنًا» وهو الذي تُرى معاقده وفَقَارُ ظهره وعنقه جَاسِنَةٌ غَيْرَ لَيِّنَةٍ. والله أعلم.

وأما العيوب التي في جريها - فمنها: «الطُمُوحُ» وهو السامي ببصره صُعْدًا. و«المُنْكَسُ» وهو الذي يُطأطأ رأسه إذا جرى. و«المُعْتَرَمُ» وهو الذي يَجْمَحُ أحياناً. و«الجَمُوحُ»: الصُّلْبُ الرأس. و«العَرَبُ»: المَدَادُ المَرَامِي. و«الشُّمُوسُ»: الذي يمنع السرج والمِس. و«الحَرُونُ»: الذي إذا أَدَرَ جَزِيَه قام لا عن كلال<sup>(٢)</sup>. و«البَّالِحُ» إذا قطع جَزِيَه ضَعْفًا. و«الضُّغْنُ» هو الذي يَتَلَكَّأ في الحُضْر ويَقْصُر عن الجِرَان. و«الحَقَاشُ»، هو الذي يَشِيبُ حُضْرًا ثم يرجع القَهْقَرَى. و«الرَّوَاغُ» هو الذي يَحِيد في حُضْره يميناً وشمالاً. و«الْقَبُوشُ» هو الذي يُظَنُّ به الجري وليس عنده شيء منه. و«الحَيُوصُ» وهو الذي يَغْدِل يميناً وشمالاً في استقامة حُضْره. و«المُشْتَقُّ» هو الذي يَدَع طريقه ويعْدِل ثم يمضي على عُدوله لا يَرُوعُ. و«الشُّبُوبُ»: الذي يقوم على رجله ويرفع يديه. و«العَاجِرُ»، و«المُعَاجِرُ»: الذي يَعَجِرُ<sup>(٣)</sup> برجليه كَقَمَاصُ<sup>(٤)</sup> الحمار. و«الْعَدُومُ»، و«الْعَضُوضُ»: الذي يَعْضُ ما سَآيَره. و«الشَّادِخُ»: يَعْدِل عن طريقه ولا يُيَالِي ما رَكِب. و«الجَرُورُ»: البَطِيءُ. و«المُنْعَثِلُ»: الذي يَفْرُق بين قوائمه، فإذا رَفَعها فكأنما يَنْزِعُها من وَحَلٍ يَخْفِق برأسه ولا تتبعه رِجْلَاه. و«المَجْزِبُذُ»: الذي يُقَارِب الخطوَ يَقْرَب سَنَابكه من الأرض ولا يرفعها رفْعاً شديداً. و«المُسَاعِرُ»: الذي يُطِيح قوائمه جميعاً متفرقة ولا ضَبِر<sup>(٥)</sup> له. و«المتراذ»: الذي ينقص حُضْرُه من ابتداء جريه. و«الفَاتِرُ» إذا فُتِر في حُضْره ولم تساعده قوائمه على ما تَطَالِبُه به نفسه. و«المُوَكِّلُ»: الذي لا يسير إلا بسير غيره. و«الحَرُوطُ»: الذي يَخْرِطُ<sup>(٦)</sup> رَسَنَه عن رأسه. و«الرَّمُوحُ»: الذي يَزْمَح<sup>(٧)</sup> بإحدى رجله. و«الضُّرُوحُ»: الذي يَزْمَح بكليتهما. قال: وهذه الزيادة على الأربعة

(١) ضوي: ضعف وهزل، وأضواه أبواه: أي أتيا به ضاواً.

(٢) المراد بقوله قام: أي وقف - والكلال: التعب والإعياء. أي أنه إذا طلب منه الجري وقف عصباناً لا إعياء.

(٣) عجر الفرس: مز سريعاً من خوف أو غيره.

(٤) قمصت الدابة: أي نفرت وضربت برجليها.

(٥) الضبر: الوثب مع جمع القوائم.

(٦) خرطت الدابة: جمعت وجذبت رسنها من يد ممسكها ثم مضت.

(٧) يرمح بإحدى رجله: يضرب بها.

والعشرين إنما هي من سوء العادة وفساد الرياضة.

وأما العيوب التي تَطْرَأُ عليها وتحدث فيها - فمنها: «الانتشار» وهو أنتفاع العَصَب. و«الشَّطْيُ»: تحرك العظم اللاصق بالركبة. و«الفُتُوق»: أنفتاق من العصب على الأرضفة<sup>(١)</sup>. و«الدَّخْسُ»: ورم في أُطْرَةِ<sup>(٢)</sup> الحافر. و«الزوائد»: أطراف عصب تَفْرَقُ عند العُجَايَةِ<sup>(٣)</sup> وتنقطع عندها وتَلْصَقُ بها. و«العَرَنُ»: جُسُوءٌ<sup>(٤)</sup> في رُسْغِ الرَّجْلِ خاصّة لشِقَاقٍ أو مشقة. و«الشَّقَاقُ»: يصيبه في أرساغه وربما أرتفع إلى أوظفته، وهو تشقق يصيبها، وتسمى الحلامة. و«الجَرْدُ»، ما حدث في عُرْضِ عُرْضِيَّتِهِ ظاهراً وباطناً من تزيّد وانتفاخ عَصَبٍ ويكون مع المِفْصَل طويلاً كالمؤزة. و«المَلَحُ»: أنفتاق من العَصَب أسفل العُرْقُوب لمادة تَنْصَبُ إليه كالْبَلُوطَةِ<sup>(٥)</sup>. و«القَمْعُ» هو عِظْمُ قَمْعَةِ العُرْقُوب. و«المَشْشُ»: كل ما شخص في الوظيف وله حَجْمٌ وليست له صلابَةُ العظم. و«الارتهاشُ»: أن يَصُكَّ بعرض حافره عُرْضُ عُجَايَتِهِ من اليَدِ الأخرى. و«الرَّهْصَةُ»<sup>(٦)</sup>: ما يصير في الحافر. و«الوَجَا»: ما يُصِيبُ الحافر من الخشونة. و«الرَّقَقُ»: ضَعْفُ ورقة في الحافر. و«الْتُمْلَةُ»: شق في الحافر من الأشْعَرِ<sup>(٧)</sup> إلى طرف السَّنْبُك. و«السَّرَطَانُ»: داء يأخذ في الرُسْغِ فَيُبَيِّسُ عروقه حتى يقلب حافره. و«العَزَلُ»: أن يعزل ذنبه في شقّ عادة. و«الخَفَاقُ»: صوت من ظبية<sup>(٨)</sup> الأنثى. و«البَجَرُ»: أن تكون الرُّهَابَةُ<sup>(٩)</sup> غير مُلْتَمِةٍ فيعظم ما والاها من جلد السُّرَّة.

وحيث ذكرنا العيوب فلنذكر الخيل النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

### ذكر أسماء خيل رسول الله ﷺ

أول فرس ملكه رسول الله ﷺ، فرسٌ أبتاعه بالمدينة من رجل من بني فزارة بعشر أواق، وكان اسمه عند الأعرابي «الضَّرِسَ»، فسماه النبي ﷺ «السَّكَبَ». فكان أول ما غزا عليه أحدًا، ليس مع المسلمين فرسٌ غيره وفرس لأبي بُزْدَةَ بن نيار يقال له

(١) الأرضفة: جمع رصف أو رضاف، وهو عظم يموج فوق رأس الركبة.

(٢) أطرة الحافر: ما أحاط بها من اللحم.

(٣) العجاية: عصبية باطن الوظيف من الدابة.

(٤) جسا جسوءاً: ييس وصلب وخشن.

(٥) البلوط: ثمر شجر يؤكل ويدبغ بقشره.

(٦) الرهصة: أنه يصيب باطن حافر الدابة شيء يوهنه أو ينزل فيه الماء من الإعياء.

(٧) أشعر الفرس: ما بين حافره إلى منتهى شعر أرساغه.

(٨) الظبية: الحياء من المرأة وغيرها.

(٩) الرهابة: غضروف كاللسان معلق في أسفل الصدر مشرف على البطن.

مُلاوح. وكان السَّكْبُ كُمَيْتاً أَعْرَ مُحَجَّلًا مُطْلَقَ اليمنى، وقيل: إنه أدهم. رواه الطَّبْراني<sup>(١)</sup> في المعجم الكبير.

وعن عُمارة بن خُزَيْمة الأنصاري أن عمه حدّثه - وهو من أصحاب النبي ﷺ -: أن النبي ﷺ أبتاع فرساً من أعرابي، فاستتبعه النبي ﷺ لِيُقْبِضَهُ ثَمَنَ فرسه، فأسرع النبي ﷺ المَشْيَ وأبطأ الأعرابي؛ فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيسأله بالفرس ولا يشعرون أن النبي ﷺ أبتاعه، حتى زاد بعضهم الأعرابي في السَّوْمِ على ثمن الفرس الذي أبتاعه به النبي ﷺ؛ فنادى الأعرابي النبي ﷺ فقال: إن كنت مبتاعاً هذا الفرس فأبتعه وإلا بعته؛ فقال النبي ﷺ: «بلى قد أبتعته»؛ فطفق الناس يُلَوِّذُونَ بالنبي ﷺ وبالأعرابي، وهما يَتَرَاجَعَانِ<sup>(٢)</sup>، وطفق الأعرابي يقول: هَلُمَّ شهيداً يشهد أنني قد بايعتُك. فمن جاء من الناس قال للأعرابي: ويلك! إن النبي ﷺ لم يكن ليقول إلا حقاً! حتى جاء خُزَيْمة بن ثابت فأستمع لِمَرَاجَعَةِ النبي ﷺ ومراجعة الأعرابي؛ فطفق الأعرابي يقول: هَلُمَّ شهيداً يشهد أنني قد بايعتُك؛ فقال خُزَيْمة بن ثابت: أنا أشهد أنك قد بايعته. فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال: «بِمَ تَشْهَدُ؟» فقال: بتصديقك يا رسول الله، فجعل النبي ﷺ يقول: «شهادة خزيمة بن ثابت بشهادة رجلين». وفي لفظ: فقال خزيمة بن ثابت: أنا أشهد أنه قد باعك الفرس يا رسول الله؛ فقال النبي ﷺ: «وهل حَضَرْتَنَا يا خزيمة؟» فقال: لا؛ فقال: «فكيف شهدت بذلك؟»؛ فقال خزيمة: بأبي أنت وأمي! يا رسول الله، أَصَدَّقَكَ على أخبار السماء وما يكون في غَدٍ ولا أَصَدَّقَكَ في أَتْيَاعِكَ هذا الفرس! فقال النبي ﷺ: «إنك لذو الشهادتين يا خزيمة».

وقد أَخْتَلَفَ في أسم هذا الفرس، فقال محمد بن يحيى بن سَهْلٍ بن أبي حُثْمَةَ: هو «الْمُرْتَجِزُ»؛ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه الْمُرْتَجِزُ. قال ابن الأثير<sup>(٣)</sup>: وكان أبيض. وقال ابن قتيبة في المعارف: المرتجز، وفي أخرى: «الطَّرَفُ»، وفي أخرى: «التَّجِيبُ».

ومنها «البحر»، وهو الذي سبق الخيلَ لَمَّا سَابَقَ به رسول الله ﷺ؛ فسَمَّاهُ البحرَ

(١) هو الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني الحافظ، كان ثقة صدوقاً واسع الحفظ بصير بالعلل، كانت وفاته سنة ٣٦٠هـ.

(٢) يتراجعان: أي يتحاوران.

(٣) هو أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، الملقب ضياء الدين كان مولده بجزيرة ابني عمر ونشأ بها... حصل العلوم وحفظ كتاب الله الكريم وكثيراً من الأحاديث النبوية وطرفاً صالحاً من النحو واللغة وعلم البيان... (وفيات الأعيان ٥: ٣٨٩).

في ذلك اليوم. وكان النبي ﷺ قد اشتراه من تَجَرٍ قدموا من اليمن، فسَبَقَ عليه مَرَات. قال أَبُو الْأَثِير: وكان كُمَيْتًا، وقيل: كان أدهم.

ومنها «سَبْحَة»، ذكرها أَبُو بَنِينَ فقال: وكانت فرساً شقراء ابتاعها النبي ﷺ من أعرابيٍّ من جُهينة بعشر من الإبل، وسابق عليها يوم خميس ومدَّ الحبلَ بيده ثم خَلَى عنها وَسِيحَ عليها؛ فأقبلت الشقراء حتى أخذ صاحبها العلمَ وهي تغبر<sup>(١)</sup> في وجوه الخيل؛ فسُمِّيت سبحةً. وسبحة من قولهم: فرس سابح إذا كان حسنَ مَدَّ اليدين في الجري. وسَبَحَ الفرس: جَرَّيْهُ.

ومنها «ذو اللِّمَّة»، ذكره أَبُو حَبِيبٍ في أفراس النبي ﷺ.

ومنها «ذو العُقَال»، قال بعضُ العلماء: كان للنبي ﷺ فرس يقال له ذو العُقَال. وكان له ﷺ فرس يقال له: «اللَّحِيف» وقيل: «اللَّخِيف» بالخاء، وقيل فيه: «النَّحِيف». أهداه له فَرْوَةُ بْنُ عَمْرٍو من أرضِ الْبَلْقَاء، وقيل: أهداه له أَبُو الْبَرَاء<sup>(٢)</sup>، وكان ﷺ يركبه في مَذَاهِبِهِ. وسَمِيَ اللَّحِيفَ لَطُولِ ذَنِبِهِ.

وروى أَبُو مَثْنَدٍ من حديث عبد المهيمن بن عباس بن سهل عن أبيه عن جَدِّهِ قال: كان لرسول الله ﷺ ثلاثة أفراس يسميهن: «اللزَّاز» و«اللَّحِيف» و«الظَّرب». فأما لَزَّازُ فأهداه له الْمُقَوِّقْس. وأما اللَّحِيفُ فأهداه له رَبِيعَةُ بْنُ أَبِي الْبَرَاء، فأثابه عليه فرائض<sup>(٣)</sup> من نَعَمِ بَنِي كَلْب. وأما الظَّربُ فأهداه له فَرْوَةُ بْنُ عَمْرٍو بن النافرة الجُدَامِي. الظَّربُ واحد الظُّرَاب وهي الرُّوَابِي الصغار. سَمِيَ به لكبره وَسِمَنَهُ، وقيل: لقوّته وصلابة حافره.

وأهدى تَمِيمُ الدَّارِيٍّ لرسول الله ﷺ فرساً يقال له «الْوَزْدُ»؛ فأعطاه عَمْرٍو، فحَمَلَ عليه عَمْرٍو رضي الله عنه في سبيل الله.

وذكر عليُّ بن محمد بن حُذَيْنٍ بن عَبْدِوَس الكوفي في أسماء خيل النبي ﷺ قال: وكانت له أربعة أفراس: أحدها يقال له «السَّكْبُ» و«المُزْتَجِزُ» و«السُّجْلُ» و«البحرُ». وقال أَبُو الْأَثِير: وكان له أفراس: «المرتجز» وذو العُقَال و«السَّكْبُ» و«اللَّحِيف»، و«اللزَّاز»، و«الظَّرب» و«سَبْحَة» و«البحرُ» و«الشَّحَاء» (بالشين المعجمة والحاء المهملة).

(١) تغبر في وجوه الخيل: تسبقها.

(٢) أبو البراء: كنية ملاعب الأسنة عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب.

(٣) فرائض: جمع فريضة، وهي ما فرض في السائمة من الصدقة.



وحكى ابنُ بنين عن ابنِ خالويه<sup>(١)</sup> قال: كان للنبي ﷺ من الخيل: «سَبْحَة» و«اللَّحيف» و«لِزَاز» و«الظَّرِب» و«السَّكْب» و«ذو اللَّمَّة» و«السَّرْحَان» و«المُرْتَجِل» و«الأُدْهَم»، و«المُرْتَجِز». وذكر في موضع آخر: و«مَلاوَح» و«الورد» و«اليغسوب».

وذكر قاسم بن ثابت<sup>(٢)</sup> في كتاب الدلائل: «اليغسوب»، و«اليغوب» فرسين لرسول الله ﷺ. وذكر ابن سعد في وفادات العرب عن محمد بن عمر قال: حدَّثني أسامة بن زيد عن زيد بن طلحة التَّيْمِي قال: قدِم خمسة عشر رجلاً من الرُّهاويين (وهم حيٌّ من مَذْحِج) على رسول الله ﷺ، فنزلوا دارَ رَمْلَةَ بنت الحارث؛ فأَتاهم رسول الله ﷺ فتحدَّث عندهم طويلاً؛ فأهدوا لرسول الله ﷺ هدايا، منها فرس يقال له: «المِرْواح»؛ فأمر به فشُور<sup>(٣)</sup> بين يديه فأعجبه؛ فأسلموا وتعلَّموا القرآن والفرائض؛ وأجازهم كما يُجيز الوفد: أرفعهم ثني عشرة أوقية ونشأ<sup>(٤)</sup> وأخفَضهم خمس أواق.

فقد ظهر من مجموع هذه الروايات أن خيل رسول الله ﷺ كانت تسعة عشر فرساً، وهي: «السَّكْب» و«المُرْتَجِز» و«البحر» و«سَبْحَة» و«ذو اللَّمَّة»، و«ذو العُقَال» و«اللَّحيف» - وقيل فيه بالخاء المعجمة، وقيل: «النحيف» بالنون - و«اللزَّاز» و«الظَّرِب» و«الوَزْد» و«السَّنَجِل» و«السَّحَاء» و«السَّرْحَان» و«المُرْتَجِل» و«الأُدْهَم» و«مَلاوَح» و«اليغسوب» و«اليغوب»، و«المِرْواح». وقد يكون الأدهم هو السكب أو البحر، فتكون ثمانية عشر فرساً. والله عز وجل أعلم.

### ذكرُ أسماء كرام الخيل المشهورة عند العرب

من أقدم خيل العرب: «زادُ الرَّاكِب»؛ وكان من خيل سليمان بن داود عليهما السلام. حكى محمد بن السائب الكلبي<sup>(٥)</sup>: أن الصافينات الجياد المعروضة على

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه النحوي اللغوي؛ أصله من همدان ولكنه دخل بغداد وأدرك جلة العلماء بها مثل أبي بكر بن الأنباري وابن مجاهد المقرئ وأبي عمر الزاهد وابن دريد؛ وقرأ على أبي سعيد السيرافي... (وفيات الأعيان ٢: ١٧٨).

(٢) هو قاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بن مطرف سليمان بن يحيى العوفي السرقسطي (أبو محمد) محدث، لغوي، نحوي، رحل من الأندلس إلى مصر، فقدم مصر ومكة وسمع بهما... وكانت وفاته سنة ٣٠٢هـ... (معجم المؤلفين ٨: ٩٦).

(٣) شُور الدابة: أي عرضها أو أجراها ليعرف قوتها.

(٤) النش: نصف أوقية، والأوقية أربعون درهماً.

(٥) هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي، صاحب التفسير وعلم النسب، كان إماماً في هذين العلمين... وكان الكلبي من أصحاب عبد الله بن سبأ الذي يقول: إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يمت وإنه رجع إلى الدنيا... (الوفيات ٤: ٣٠٩).

سليمان بن داود ﷺ كانت ألف فرس ورثها عن أبيه؛ فلما عُرِضَتْ عليه أُلْهَتْهُ عن صلاة العصر حتى توارت الشمس بالحجاب، فردّها وعَزَقَها إلا أفراساً لم تُعَرَضْ عليه؛ فوَفَدَ عليه قوم من الأزد، وكانوا أصهاره، فلما فرغوا من حوائجهم قالوا: يا نبي الله، إنَّ أرضنا شاسعة فزوّدنا زاداً يبلّغنا؛ فأعطاهم فرساً من تلك الخيل وقال: إذا نزلتم منزلاً فأحملوا عليه غلاماً وأحتطبوا، فإنكم لا تُوزُون ناركم حتى يأتيكم بطعام؛ فساروا بالفرس، فكانوا لا ينزلون منزلاً إلا ركبهم أحدهم للقنص، فلا يُفْلِتُ شيء تقع عينه عليه من ظبي أو بقرة أو حمار، إلى أن قديموا بلادهم؛ فقالوا: ما لفرسنا هذا أسم إلا «زاد الراكب» فسَمَوْه به. فأصلُ فحول العرب من نتاجه. ويقال: إن «أعوج» منها. قال امرؤ القيس<sup>(١)</sup>:

إذا ما ركبنا قال ولدانُ أهلنا      تعالوا إلى أن يأتي الصيدُ نخطبُ

وقال عُمارة:

وأرى الوحشَ عن يميني إذا ما      كان يوماً عنائه في شمالي  
ومن خيل العرب المشهورة ما حكاه أبو عليّ الحسن بن رَشِيق الأزدِيّ في كتابه المترجم بالعمدة عن ابن حبيب عن أبي عُبَيْدة قال: «الغُراب» و«الوَجِيه» و«لاحق» و«المُذْهَب» و«مكتوم» كانت كلّها لَغَنِيّ.

وقال أحمد بن سعد<sup>(٢)</sup> الكاتب: كان «أعوج» أولاً لِكِنْدَةَ، ثم أخذته سُلَيْم، وصار لبني عامر ثم لبني هلال. قال ابن حبيب: رَكِبَ رَطْباً فأعوجّت قوائمه، وكان من أجود خيل العرب. وأمه «سَبَل» لَغَنِيّ. وأمّ سبل «سَوَادَة»، وأم سوادَة «القَسَامَة»، وكانت لَجَعْدَة.

وحكى أحمد بن محمد بن عبد ربّه صاحب العقد في كتابه: أنه لما أنتجته أمّه ببعض بيوت الحيّ نظروا إلى طَرْف يضع جَحْفَلَتَه على كاذتها (على الفخذ مما يلي الحياء) فقالوا: أدركوا ذلك الفرس لا يَنزُو فرسكم؛ لعظم «أعوج» وطول قوائمه؛ فقاموا إليه فإذا هم بالمهر؛ فسَمَوْه «أعوج». ولهم أيضاً «الفيّاض».

قال ابن سعد: «الوَجِيه» و«لاحق» لبني أسد، و«وَقِيد» و«حَلّاب» لبني تغلب. و«الصَّرِيح» لبني نَهْشَل - وزعم غيره أنه كان لآل المنذر - و«جَلْوَى» لبني ثعلبة بن

(١) هو امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندي، وهو من أهل نجد من الطبقة الأولى وهذه الديار التي وصفها في شعره كلها ديار بني أسد... شاعر جاهلي مشهور (طبقات الشعراء ص ٣٦).

(٢) هو أحمد بن سعد الكاتب الأصبهاني (أبو الحسين) أديب. له من الكتب كتاب الأخبار عن الرسائل، كتاب آخر في الرسائل، سماه فقر البلغاء، كتاب الحلي والثياب، كتاب المنطق، كتاب الهجاء، وله شعر... كانت وفاته حوالي سنة ٣٥٠هـ. (معجم المؤلفين ١: ٢٣٢).

يَرْبُوع<sup>(١)</sup>، و«ذو العُقَال» لبني رِيَّاح بن يَرْبُوع، وهو أبو «داحس». وكان «داحس»، و«الغبراء» لبني زُهَيْر. والغبراء خالة داحس وأخته من أبيه. و«ذو العُقَال» و«قُرْزُل» و«الخطار» و«الحنفاء» لَحْذِيفَةَ بن بَذْر. والحنفاء هي أخت داحس من أبيه وأمه. و«قُرْزُل» آخَرُ لِلطُّفَيْل بن مالك. و«حَذَفَة» لخالد بن جعفر بن كِلَاب. و«حَذَفَة» أيضاً لصخر بن عمرو بن الشَّرِيد<sup>(٢)</sup>. و«الشَّقْرَاء» لزهير بن جَذِيمة العَبْسِيّ. و«الرَّغْفَرَان» لبِسْطَام<sup>(٣)</sup> بن قَيْس. و«الوَرِيعة»، و«نِصَاب» و«ذو الخِمَار» لمالك بن نُؤيرة<sup>(٤)</sup>. و«الشَّقْرَاء» أخرى لَأَسِيد بن حِثَاء. و«الشَّيْط» لَأَنيف بن جَبلة الضَّبِّيّ. و«الوَحِيف» لعامر بن الطُّفَيْل<sup>(٥)</sup>. و«الْكَلْب» و«المَرْزُوق» و«الْوَزْد» له أيضاً. و«خُنْثَى» لعمر بن عمرو بن عُدَس. و«الهِدَّاج» فرس<sup>(٦)</sup> الرِّبِّب أَبْن شَرِيْق السَّعْدِي و«وَجْزَة» فرس يزيد بن سنان المُرِّي فارس عَطْفَان. و«النَّعَامَة» للحارث بن عُبَاد<sup>(٧)</sup>. و«أَبْن النَّعَامَة» لَعَنْتَرَة. و«الثَّحَام»، فرسٌ لِلسَّيِّك بن السُّلْكََة السَّعْدِي<sup>(٨)</sup>. و«العَصَا» فرس جَذِيمة بن<sup>(٩)</sup> مالك الأَزْدِيّ. و«الهِرَاوَة» لعبد القَيْس بن أَفْصَى. و«الْيَحْمُوم» فرس الثُّعْمَان بن المنذر. و«كامل» فرس زَيْد الخيل<sup>(١٠)</sup>. و«الرَّيْد» فرس الحَوْفَرَان وهو أبو «الرَّغْفَرَان» فرس

- (١) بنو ثعلبة بن يربوع: منهم بنو الكباس. وبنو الحمرة، وبنو جعفر... (الاشتقاق لابن دريد).
- (٢) هو أخو الخنساء، وإخوته عمرو ومعاوية وكلهم فرسان شعراء أشراف... (الاشتقاق لابن دريد).
- (٣) هو فارس من فرسان بني شيبان قتلته بنو ضبّة ورثاه عبد الله بن عثمة الشاعر... (الاشتقاق).
- (٤) مالك وتمام ابنا نؤيرة: هما من ثعلبة بن يربوع، وكان مالك فارس ذي الخمار، وذو الخمار فرسه، قتله خالد بن الوليد في الردة، وتزوج امرأته... (طبقات الشعراء ص ١٥٧).
- (٥) هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري وهو ابن عم لبید الشاعر، فارس قيس، وكان أعور عقيماً لا يولد له ولم يعقب... (الشعر والشعراء لابن قتيبة ١٥٥).
- (٦) هو فارس بني دارم في الجاهلية.
- (٧) وفي النعامة يقول الحارث:

قرباً مربوط النعامة مني وائل أصبحت على بلبال

والحارث بن عباد هو الذي قتل من بني تغلب بابن أخيه، بجير بن عباد وكان الحارث فارساً في الجاهلية... (الاشتقاق لابن دريد).

- (٨) هو منسوب إلى أمه سلكة وكانت سوداء واسم أبيه عمرو بن يثربي، وهو من بني كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وهو أحد أغربة العرب وهجناهم وصعاليكهم، وكان له بأس ونجدة، وكان أدل الناس بالأرض وأجودهم عدداً على رجله... (طبقات الشعراء ١٧٣).

- (٩) هو جذيمة بن مالك الأبرش الملك، الذي قتلته الزباء، وكان أبرص فتهيب العرب أن تقول أبرص فقال: أبرش، ووضح... (الاشتقاق).

- (١٠) هو زيد الخيل بن مهلهل من طيء، جاهلي وأدرك الإسلام ووفد على النبي ﷺ في وفد طيء وأسلم وسماه زيد الخير... (طبقات الشعراء ١٢٩).

بِسْطَام. و«الْحِمَالَة»، فرس الكَلْحَبَة اليزْبُوعِي. هذا ما أورده أحمد بن سعد.  
وقال ابن دُرَيْد<sup>(١)</sup>: «الْقَطِيب» و«البَطِين»، فرسان كانا للعرب. و«اللُعَاب»،  
و«العَبَايَة» فرساً حَرَيَّ بن ضَمْرَة. و«المِدْعَاس» فرس النُّوَاس بن عامر المَجَاشِعِي،  
و«صُهَبَى» فرس النَّجْم بن تَوَلَّب<sup>(٢)</sup>. و«حَافِل» فرس مشهور. و«العَسْجَدِي» لبني أسد.  
و«الشَّمُوس» فرس يزيد بن خَذَاق العَبْدِي<sup>(٣)</sup>. و«الضَّيْف» لبني تَغْلِب. و«هَرَاوَة»  
العُرَاب» فرس الرِّيَّان بن حُوَيْص العَبْدِي، يقال إنها جاءت سابقةً طولَ أربع عشرة سنة،  
فتصدَّق بها على العُرَاب يتكسبون عليها في السَّبَاق والغارات. و«الحَرُون» فرس تنسب  
إليه الخيل، وكان لمسلم بن عمرو بن أسد الباهلي. و«الزائد» فرس مشهور وهو من  
نسل الحرون. و«مُتَاهِب» فرس تُنسب إليه الخيل أيضاً، قال الشَّمَرْدَل<sup>(٤)</sup>:

تَلَقَى الْجِيَادَ الْمُقْرِباتِ فِينَا لَأَفْحَلِ ثَلَاثَةٍ يَنْمِينَا<sup>(٥)</sup>

\* «مُتَاهِبَا» و«الضَّيْف» و«الحَرُونَا» \*

و«العَلْهَان» فرس أَبِي مُلَيْل عبد الله بن الحارث اليزْبُوعِي.

هذا ما اتَّفَق إيرادُه من أسماء كرام الخيل ومشهورها. فلنذكر ما ورد في أوصافها  
وتشبيهها.

### ذكر ما قيل في أوصاف الخيل وتشبيهها نظماً ونثراً

أَوَّلُ من شَبَّه الفرسَ بالطَّيْرِ والسُّرْحَانَ والنَّعَامَةَ، ثم اتَّبَعه الشعراء وَحَذَوْا مِثَالَهُ  
وَأَقْتَدَوْا بِهِ، هو أَمْرُو القَيْس بن حُجْرٍ حَيْث قال: [من الطويل]  
لَهْ أَيْطَلَا ظَنَبِي وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْخَاءَ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَشْفُلٍ<sup>(٦)</sup>

(١) هو محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن خيثم بن حمامي بن جرو بن واسع بن وهب... يعود  
في نسبه إلى يعرب بن قحطان، فهو من الأزْد الذين كان مسكنهم في مَأْرَب في أرض اليمن..

(٢) هو من عَكل وكان شاعراً جَوَاداً ويسمى الكَيْسَ لحسن شعره وهو جاهلي وأدرك الإسلام  
فأسلم... (طبقات الشعراء ١٤١).

(٣) هو أخو سويد، وكلاهما شاعر معروف وهما من بني ربيعة بن نزار.

(٤) هو الشَّمَرْدَل بن شريك يربوعي وكان يقال له ابن الخريطة، وذلك أنه جعل وهو صبي في خريطة.  
(الشعر والشعراء لابن قتيبة).

(٥) المقربات من الخيل: التي ضمرت للركوب.

(٦) الأيطل: الخاصرة، وهي ما بين الأضلاع إلى الورك - والإرخاء: السير دون الخصر الشديد -  
والسرحان: الذئب - والتقريب: ضرب من العدو - والتنفل: ولد الثعلب.

كَأَنَّ عَلَى الْمَثْنَيْنِ مِنْهُ إِذَا أَنْتَحَى  
مَكَرٌّ مَقَرٌّ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَا  
دَرِيرٌ كَخَذُرُوفِ الْوَلِيدِ أَمْرُهُ  
كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالِ مَثْنِهِ  
وقال أيضاً: [من المتقارب]

وَأَزْكَبُ فِي الرَّوْعِ خَيْفَانَةٌ  
لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الْوَلِيدِ  
لَهَا عَجَزٌ كَصَفَاةِ الْمَسِيهِ  
لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذِيلِ الْعُرْوِ  
لَهَا جَبْهَةٌ كَسَرَاةِ الْمِجَنِّ  
إِذَا أَقْبَلَتْ قَلَّتْ دُبَاءَةٌ  
وَإِذَا أَعْرَضَتْ قَلَّتْ سُرْعُوفَةٌ  
وَإِنْ أَدْبَرَتْ قَلَّتْ أَثْفِيَّةٌ  
وقال أبو دُوَادٍ الْإِيَادِي<sup>(١١)</sup> يَصِفُ فَرَسًا:

- (١) المتنان: ما اكتنفا فقار الظهر - والانتحاء: الاعتماد والقصد - والمداك: الحجر الذي يسحق عليه الطيب - والصرابة: الحنظلة الخضراء البراقة.
- (٢) الدرير: الفرس السريع العدو - والخذروف: لعبة يلعب بها الأولاد وتسمى «البلبل» وأمره: قلبه ثم أداره بين كفيه.
- (٣) الحال: وسط الظهر - والصفراء: الصخرة الملساء التي لا ينبت فيها شيء - والمنتزل: الذي ينزل عليها فينزلق عنها.
- (٤) الخيفانة: الجراة - والسعف: يراد به الناصية.
- (٥) القعب: القدح - والوظيف: عظم الساق والرجل - والعجر: الصلب الشديد.
- (٦) صفاة المسيل: الحجارة التي تكون في الماء وهي أصلب من غيرها - وأبرز: كشف. والجحاف: السيل الذي لا يمر بشيء إلا حملته ونشره.
- (٧) السراة: الظهر - والمجن: الترس - وجذفه: أي هياه وصنعه.
- (٨) الدباءة: واحدة الدباء: وهو الفرع - مغموسة في الغدر: أي أنها ريا.
- (٩) السرعوفة: الجراة - والمسبطر: الطويل.
- (١٠) الأثنية: الحجر المدور الصلب الذي يوضع عليه القدر - والململمة: المستديرة الصلبة - والأثر: أي أثر الجرح.
- (١١) هو شاعر من رجالات بني كعب.

له ساقا ظليم خا حديد الطّرف والمَنكِ  
ضِبْ فُوجِيءَ بِالرُّغْبِ<sup>(١)</sup> ب والعُرْقوب والقلب  
وقال آخر:

له صدر طائوس وفخذُ نعامة  
وأعجب من ذا كلما حط حافراً  
وقال البُحرّي وكان وصافاً للخيل: [من الكامل]

وأغرّ في الزمن البهيم مُحجّل كالهنّيكَل المَبْنِيّ إلا أنه  
قد رُحِتْ منه على أغرّ مُحجّل في الحسن جاء كصورة في هيكل  
ذَنَبٌ كما سُحِبَ الرِّدَاءُ يَذُبُّ عَنْ عُرْفٍ وَعُرْفٌ كَالْقِنَاعِ الْمُسْبِلِ  
جَذْلَانِ يَنْقُضُ عُذْرَةً فِي عُرَّةٍ يَفْقِي تَسِيلَ حُجُولُهَا فِي جَنْدَلٍ<sup>(٢)</sup>  
كالرائح النّشوانِ أكثرُ مشيه عرضاً على السّنن البعيد الأطول<sup>(٣)</sup>  
تَتَوَهَّمُ الْجِوَزَاءُ فِي أَرْسَاغِهِ وَالْبَدْرُ غُرَّةٌ وَجْهَهُ الْمُتَهَلِّلُ  
صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا غَنِيَتْ بِهِ لَصَفَاءِ نُقْبَتِهِ مَدَاوِسُ صَيْقَلٍ<sup>(٤)</sup>  
وَكَأَنَّمَا نَفَضَتْ عَلَيْهِ صِبْغَهَا صَهْبَاءُ لِلْبَرْدَانِ أَوْ قُطْرِبَلٍ<sup>(٥)</sup>  
وَتَخَالَهُ كُسَيِّ الْخُدُودِ نَوَاعِمَاءُ مَهْمَا تَوَاصَلَهَا بِلَخْظِ تَخَجَّلِ  
وَتَرَاهُ يَسْطَعُ فِي الْغُبَارِ لَهَيْبِهِ لَوْنًا وَشَدًّا كَالْحَرِيقِ الْمُشْعَلِ<sup>(٦)</sup>  
هَزِجُ الصَّهِيلِ كَأَن فِي نَعْمَاتِهِ نَبْرَاتٍ مَعْبَدٍ فِي الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ<sup>(٧)</sup>  
مَلَكِ الْعِيُونَ فَإِنْ بَدَأَ أُعْطِيَنَّهُ نَظَرَ الْمَحَبِّ إِلَى الْحَبِيبِ الْمُقْبِلِ

وكتب إلى محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسيّ يستهديه فرساً، ووصف له  
أنواعاً من الخيل؛ فقال من أبيات: [من الكامل]

- (١) الخاضب: الظليم الذي اختلم فاحمرت ساقاه.
- (٢) العذرة: عرف الفرس وناصيته - واليقق: المتناحي في البياض.
- (٣) العرض: (بضم أوله): السير في جانب، و(بفتح أوله): هو أن يعدو عارضاً صدره ورأسه مائلاً من النخوة والنشاط.
- (٤) النقبة: اللون - والمدوس: المصقلة - والصيقل: شحاذ السيوف وجلاؤها.
- (٥) البردان: قرية من قرى بغداد - وقطربل: قرية بين بغداد وعكبرا تنسب إليها الخمر.
- (٦) يقال: شدت النار: أي ارتفعت.
- (٧) معبد: اسم مغن عاش في العصر العباسي.

فَأَعْنِ عَلَى غَزْوِ الْعَدُوِّ بِمُنْطَوٍ  
إِمَّا بِأَشْقَرٍ سَاطِعٍ أَغْشَى الْوَعَى  
مُتَسَرِّبِلٍ شَيْئَةً طَلَتْ أَعْطَافَهُ  
أَوْ أَدْهَمٍ صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّهُ  
ضَرَمَ يَهِيحُ السَّوْطُ مِنْ شُؤْبُوهِ  
خَفَّتْ مَوَاقِعُ وَطْئِهِ فَلَوْ أَنَّهُ  
أَوْ أَشْهَبٍ يَقَقِّي يُضِيءُ وَرَاءَهُ  
تَخْفَى الْحُجُولُ وَلَوْ بَلَّغْنَ لَبَانَهُ  
أَوْ قَى بَعُزْفٍ أَسْوَدٍ مُتَفَرِّدٍ  
أَوْ أَبْلَقٍ مَلَأَ الْعَيُونَ إِذَا بَدَا  
جَذْلَانِ تَحْسُدُهُ الْجِيَادُ إِذَا مَشَى  
وَعَرِيضُ أَغْلَى الْمَثْنِ لَوْ عَلِيَّتَهُ  
خَاضَتْ قَوَائِمُهُ الْوَثِيقُ بِنَاؤُهَا  
وَلَأَنْتَ أَبْعَدُ فِي السَّمَاحَةِ هِمَّةً  
وَقَالَ أَيضاً يَصِفُ فَرَساً أَدْهَمَ:  
بَأَدْهَمٍ كَالظَّلَامِ أَغْرَى يَخْلُو  
تَرَى أَحْجَالَه يَضَعْدَن فِيهِ

أَحْشَاؤُهُ طَيِّ الرَّدَاءِ الْمُنْدَرَجِ  
مِنْهُ بِمِثْلِ الْكُوكَبِ الْمُتَأَجِّجِ<sup>(١)</sup>  
بَدَمٍ فَمَا تَلْقَاهُ غَيْرَ مُضْرَجٍ  
تَحْتَ الْكَمِيٍّ مُظْهَرٍّ بِبِرْنَدَجٍ<sup>(٢)</sup>  
هَيْجَ الْجَنَائِبِ مِنْ حَرِيقِ الْعَرْفَجِ<sup>(٣)</sup>  
يَجْرِي بِرَمْلَةٍ عَالِجٍ لَمْ يُزْهِجِ<sup>(٤)</sup>  
مَثْنٌ كَمَثْنِ اللَّجَّةِ الْمُتَرَجِّجِ  
فِي أَبْيَضٍ مُتَالِقٍ كَالْدُمْلُجِ<sup>(٥)</sup>  
فِيَمَا يَلِيهِ وَحَافِرٍ فَيُرْوِزْجِي  
مِنْ كُلِّ لَوْنٍ مُعْجِبٍ بِنَمُودَجٍ  
عَنْقاً بِأَحْسَنِ حُلَّةٍ لَمْ تُنْسَجِ<sup>(٦)</sup>  
بِالزُّنْبِقِ الْمُثْهَالِ لَمْ يَتَدَخَّرِجِ  
أَمْوَاجَ تَحْنِيبٍ بِهِنَ مُدَّرَجِ<sup>(٧)</sup>  
مَنْ أَنْ تَضِنَّ بِمُلْجَمٍ أَوْ مُسْرَجِ<sup>(٨)</sup>  
بَعُزَّتِهِ دَيَاجِيرَ الظَّلَامِ  
صَعُودَ الْبَرْقِ فِي جَوْنِ الْغَمَامِ<sup>(٩)</sup>

(١) المتأجج: الملتهب.

(٢) البرندج: السواد يسود به الخف أو هو الزاج يسود به.

(٣) الشؤبوب: شدة العدو - الخبائب: جميع الجنوب، وهي الرياح التي تهب من الجنوب - والعرفج: ضرب من النبات سهل طيب الرائحة.

(٤) عالج: رمال بين فيد والقريات ينزلها بنو بحتر من طييء - ولم يرجح: أي لم يثر الغبار من خفة وطئه.

(٥) اللبان: الصدر - والدملج: حلي يلبس في المعصم.

(٦) العنق: (بفتح أوله وثانيه) ضرب من السير فسيح سريع.

(٧) التحنيب: احديداب في وظيفي يدي الفرس.

(٨) الموكف: ما وضع عليه الوكاف، وهو البرذعة.

(٩) الجون: الأسود.

وقال أيضاً في أدهم: [من الكامل]

أما الجَوَادُ فقد بَلَّوْنَا يَوْمَهُ  
جَارَى الجِيَادَ فَطَارَ عَنْ أَوْهَامِهَا  
جَذْلَانِ تَلَطَّطَ جَوَانِبُ غُرَّةٍ  
وَأَسْوَدَ ثُمَّ صَفَّتْ لَعَيْنَيَّ نَاطِرٍ  
مَالَتْ نَوَاحِي غُرْفِهِ فَكَأَنَّهَا  
وَمَقْدَمُ الْأَذُنَيْنِ تَحَسَّبَ أَنَّهُ  
وَكَاذُ فَارَسِهِ وَرَاءَ قَدَالِهِ  
لَأَنْتَ مَعَاطِفُهُ فَخَيَّلَ أَنَّهُ  
فِي شُغْلَةٍ كَالشَّيْبِ مَرَّ بِمُفْرِقِي  
وَكَأَنَّ صَهْلَتَهُ إِذَا أَسْتَعْلَى بِهَا  
مِثْلَ الْغُرَابِ عَدَا يُبَارِي صَخْبَهُ  
وَالطَّرْفُ أَجْلَبُ زَائِرٍ لِمُؤُونَةٍ  
وقال علي بن الجهم<sup>(٥)</sup>:

فوق طَرْفٍ كَالطَّرْفِ فِي سُرْعَةِ الطَّرْ  
لَا تَرَاهُ الْعَيُونُ إِلَّا خِيَالاً  
وقال العباس بن مرداس<sup>(٧)</sup>:

جاء كَلَمَعَ الْبَرْقِ سَامَ نَاطِرُهُ  
تَسْبَحُ أَوْلَاهُ وَيَطْفُو آخِرُهُ

(١) لطمت الغرة الفرس: سألت في أحد شقي وجهه فهو لطيم.

(٢) الأثل: شجر من الفصيلة الطرفاوية طويل مستقيم يعمر. جيد الخشب، كثير الأغصان متعدها.

(٣) لها: من اللهو.

(٤) قعق: أحدث صوتاً عند التحريك أو التحرك.

(٥) علي بن الجهم: هو أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كزار بن كعب بن جابر... يعود نسبه إلى لؤي بن غالب القرشي السامي الشاعر؛ أحد الشعراء المجيدين... (وفيات الأعيان ٣: ٣٥٥).

(٦) الطَّرْف: (بكسر أوله): الكريم العتيق من الخيل.

(٧) المرداس: الحصاة التي يرمى بها في البئر ليظهر هل فيها ماء أو لا... (طبقات الشعراء ص ١٣٦).



\* فما يَمَسُّ الأرضَ منه حافِرُهُ \*

وقال أبو الطيب المتنبي: [من الطويل]

وَجُرْداً مَدَدْنَا بَيْنَ آذَانِهَا الْقَنَا      فَبِثْنِ خِفَافاً يَتَّبِعْنَ الْعَوَالِيَا<sup>(١)</sup>  
تَمَاشَى بِأَيْدٍ كُلَّمَا وَافَتِ الصَّفا      نَقَشْنَ بِهِ صَدْرَ الْبُرْزَةِ حَوَافِيَا<sup>(٢)</sup>  
وَيَنْظُرْنَ مِنْ سُودِ صَوَادِقَ فِي الدُّجَى      يَرَيْنَ بَعِيدَاتِ الشُّخُوصِ كَمَا هِيَا<sup>(٣)</sup>  
وَتَنْصِبُ لِلْجَرَسِ الْخَفِيِّ سَوَامِعَا      يَخْلُنُ مُنَاجَاةَ الضَّمِيرِ تَنَادِيَا<sup>(٤)</sup>  
تُجَاذِبُ فُرْسَانَ الصَّبَاحِ أَعْنَةً      كَأَنَّ عَلَى الْأَعْنَاقِ مِنْهَا أَفَاعِيَا<sup>(٥)</sup>  
وقال أيضاً:

وَجِيَادٌ يَدْخُلْنَ فِي الْحَرْبِ أَغْرَا      وَيَخْرُجْنَ فِي دَمٍ فِي جِلَالِ<sup>(٦)</sup>  
وَاسْتِعَارَ الْحَدِيدُ لَوْنًا وَأَلْقَى      لَوْنَهُ فِي ذَوَائِبِ الْأَطْفَالِ<sup>(٧)</sup>  
وقال أبو الطيب أيضاً: [من الطويل]

وَيَوْمٍ كَلِيلِ الْعَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ      أَرَأَيْتَ فِيهِ الشَّمْسُ أَيْآنَ تَغْرُبُ  
وَعَيْنِي عَلَى أَذُنِي أَغْرَ كَأَنَّهُ      مِنَ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوَكْبُ  
لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ فِي إِهَابِهِ      تَجِيءُ عَلَى صَدْرِ رَحِيْبٍ وَتَذْهَبُ<sup>(٨)</sup>  
شَقَقْتُ بِهِ الظُّلُمَاءِ أَذُنِي عِنَانَهُ      فَيَطْفَأُ وَأُرْجِيهِ مِرَاراً فَيَلْعَبُ<sup>(٩)</sup>  
وَأَضْرَعُ أَيَّ الْوَحْشِ قَفْقِيَّتُهُ بِهِ      وَأَنْزِلَ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ<sup>(١٠)</sup>  
وقال أيضاً يصف فرساً:

- (١) الحرد من الخيل: القصار الشعر - والقنا: الرماح - والعوالي: جمع عالية، وهي صدر الرمح مما يلي السنان.
- (٢) الصفا: الصخر - والبرزة: جمع باز.
- (٣) المراد بقوله: من سود: أي من أعين سود.
- (٤) الجرس: الصوت أو الخفي منه، والسوامع: الآذان.
- (٥) يراد بالصباح: القارة، والأعنة: سبور اللجم.
- (٦) الجلال: ما يوضع على الدابة من غطاء.
- (٧) المراد: أنهم يشيرون من شدة ما ينالهم من الفزع.
- (٨) الإهاب: الجلد ما لم يدغ.
- (٩) يطغى: أي ينشط ويمرح.
- (١٠) قفيته: أتبعته.

إن أدبرت قلت لا تلِيلَ لها      أو أقبلت قلت ما لها كَفَلُ<sup>(١)</sup>  
 وقال أبو الفَرَجِ البَيْغَاءُ<sup>(٢)</sup> : [من الكامل]  
 إن لَاحَ قلت أذْمِيَّةٌ أم هيكلُ      أو عَن قلت أسابح أم أَجْدَلُ<sup>(٣)</sup>  
 تَتَخَاذِلُ الأَلْحَاظُ في إدراكه      وَيَحَارُ فيه الناظِرُ المتأملُ  
 فكأنه في اللطف فَهْمٌ ثاقِبٌ      وكأنه في الحسن حَظٌ مُقْبِلُ  
 وقال أيضاً من أبيات : [من الطويل]  
 رماهم بالأحاط الجِيَادِ ولم تكن      لِيَنأى عليها المَنَزِلُ المتباعدُ  
 من اللَّاءِ يَهْجُرْنَ المِياةَ لدى السَّرى      وَيَعْتَظُن شَمَّ الجَوْ والجَوْ راكِدُ  
 مَرَنٌ على لَذَعِ القَنَا فكأنما      عليهن من صبغ الدِّماءِ مَجَاسِدُ<sup>(٤)</sup>  
 نَسَجْنَ مِلاءَ النَّقْعِ ثم خَرَقْنَه      بَكَرُ لها منه إلى النصر قَائِدُ<sup>(٥)</sup>  
 عليهن مِن نَسَجِ العُبار غلائِلُ      رِقَاقٌ ومن نَضَحِ الدِّماءِ قلائِدُ  
 وقال أبو الفَتْحِ كُشَاجِمُ<sup>(٦)</sup> : [من الكامل]  
 ماءٌ تَدْفُقُ طاعةً وسَلِاسَةً      فإذا أَسْتَدِرَّ الحُضْرُ منه فنارُ  
 وإذا عَطَفَتْ به على نَاوِزِهِ      لَتُدِيرَه فكأنه بِرُكَارُ<sup>(٧)</sup>  
 قَصُرَتْ قِلَادَةُ نَحْرِهِ وعِذارُهُ      والرُّسْعُ، وهي من العَتِيقِ قِصارُ  
 يَرِدُ الضُّحَاضِخَ غيرَ ثَانٍ سُنْبُكاً      وَيَرُودُ طَرْفُكَ خَلْفَه فيَحَارُ<sup>(٨)</sup>  
 لو لم تكن للخيل نِسْبَةُ خَلْقِهِ      خَالَتْه من أَشكالِها الأَطْيَارُ

(١) التليل: العنق.

(٢) هو أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي الشاعر المعروف بالبغاء؛ ذكره الثعالبي في «بتيمة الدهر» وقال: هو من أهل نصيبين، وبالع في الشاء عليه... (وفيات الأعيان ٣: ١٩٩).

(٣) الأجدل: الصقر.

(٤) المجاسد: الثياب المصبوغة بالزعفران.

(٥) النقع: الأرض الحرة الطين المستوية ليس فيها حزونة.

(٦) هو محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك المعروف بكشاجم (أبو الفتح، أبو النصر). أديب شاعر، منجم من كتاب الإنشاء من أهل الرملة بفلسطين، فارسي الأصل... كانت وفاته سنة ٣٦٠ هـ (معجم المؤلفين ١٢: ٥٩).

(٧) بركار: آلة ذات ساقين، ترسم بها الدوائر.

(٨) الضحاضح: جمع ضحضح وهو الماء القليل يكون في الغدير وغيره، والسنبك: طرف الحافر وجانباه من قدم.

وقال آخر: [من الكامل]

وأقْبَ تحمُّله رياحُ أربعٍ      لولا اللَّجَامُ لطار في المَيْدانِ<sup>(١)</sup>  
من جُمْلَةِ العُقْبَانِ إلَّا أَنَّهُ      من حُسْنِهِ في طلعة الغِزْلَانِ  
يمشي إلى مَيْدانِهِ متبختراً      من تَيْهِهِ كَتَبَ خُثْرُ النُّشْوَانِ  
وقال ابنُ المعتز:

وخَيْلٍ طواها القَوْدُ حتَّى كأنَّها      أنابيبُ سُمُرٍ مِن قَنَا الحَطِّ ذُبُلُ<sup>(٢)</sup>  
صَبَبْنَا عليها ظالمينَ سياطنا      فطارَتْ بها أَيْدٍ سِراغٍ وأَرْجُلُ  
وقال أبو بكر الصُّنُوبِرِيُّ<sup>(٣)</sup>: [من الرجز]

طَرَفٌ نَأَتْ سَمَاوُهُ عن أرضِهِ      وما نَأَى كاهلُهُ عن الكَفَلِ<sup>(٤)</sup>  
ذو أربعٍ من أربعٍ من القَبُورِ      لِ الدُّبُورِ والجَنُوبِ والشَّمَلِ  
وهو إذا أَعْمَلَهَا أَلْفَى لَهَا      فوق الذي يطلُبُهُ من العَمَلِ  
كالبرقِ إن أومَضَ أو كالرَّعْدِ إن      أَجْلَبَ أو صوبَ الحَيَا إذا أَحْتَمَلَ<sup>(٥)</sup>  
وقال آخر:

يَجْرِي فَيَبْعُدُ من مَدَى متقاربٍ      أبداً ويدنو من مَدَى مُتَبَاعِدٍ  
إن سار فهو غديرٌ ماءٍ مائجٍ      أو قام فهو غديرٌ ماءٍ جامدٍ<sup>(٦)</sup>  
وقال أبو الفضل المِيكَالِيُّ<sup>(٧)</sup>:

خَيْرُ ما أَستطَرَفَ الفِوارِسُ طَرَفٌ      كُلُّ طَرَفٍ بحسنِهِ مَبْهُوتٌ  
هو فوق الجِبَالِ وَغَلَّ وفي السَّهْلِ      لِ نَعَامٍ وفي المَعَابِرِ حُوتٌ

(١) الأقب من الخيل: الدقيق الخصر الضامر البطن.

(٢) القود: نقيض السوق - والأنابيب: الرماح - والخط: موضع باليمامة تنسب إليه الرماح الخطية - وذبل: دقاق.

(٣) هو أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار الضبي، الحلبي، الإنطاكي، المعروف بالصنوبري (أبو بكر) شاعر. سكن حلب ودمشق وتوفي في رجب سنة ٣٣٤هـ... (معجم المؤلفين ٢: ٩١).

(٤) الطرف من الخيل: الكريم العتيق.

(٥) الحيا: المطر. (٦) قام: أي وقف.

(٧) هو عبيد الله بن أحمد بن علي بن إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال الميكالي (أبو الفضل) أديب، شاعر، أمير، من أهل نيسابور. من آثاره: ديوان شعر، ومخزن البلاغة وغيرهما... كانت وفاته سنة ٤٣٦هـ. (معجم المؤلفين ٦: ٢٣٨).

وقال آخر: [من المتقارب]

وِطْرَفٍ إِذَا مَا جَرَى خَلَّتْهُ      عُقَاباً مِنَ الْوَكْرِ يَبْغِي الْمَزَارَا  
تَرَى فِي الْجَبِينِ لَهُ سَوْسَنًا      وَتَلْمَحُ فِي لَوْنِهِ الْجُلُنَارَا<sup>(١)</sup>  
وَيَمْشِي عَلَى الْمَاءِ مِنْ خِفَّةٍ      وَيَقْدَحُ فِي الْجَلْمَدِ الصَّخْرَ نَارَا  
فَلَوْ كَانَ يَبْغِي بِهِ رَاكِبٌ      إِلَى مَطْلَعِ الشَّمْسِ سَيْرًا لَطَارَا

وقال عبد الجبار بن حمديس<sup>(٢)</sup>: [من الكامل]

وَمُجَرَّرٍ فِي الْأَرْضِ ذَيْلَ عَسِيهِ      حَمَلُ الزَّبْرَجَدِ مِنْهُ جِسْمٌ عَقِيقِ  
يَجْرِي وَلَمْعُ الْبَرْقِ فِي آثَارِهِ      مِنْ كَثْرَةِ الْكَبَوَاتِ غَيْرُ مُفِيقِ  
وَيَكَادُ يَخْرُجُ سُزْعَةً مِنْ ظِلِّهِ      لَوْ كَانَ يَرْغَبُ فِي فِرَاقِ رَفِيقِ  
وقال ابن طباطبا<sup>(٣)</sup>: [من الكامل]

عَجَبًا لَشَمْسٍ أَشْرَقَتْ فِي وَجْهِهِ      لَمْ تَمُحْ مِنْهُ دُجَى الظَّلَامِ الْمُطْبِقِ  
وَإِذَا تَمَطَّرَ فِي الرَّهَانِ رَأَيْتَهُ      يَجْرِي أَمَامَ الرِّيحِ مِثْلَ مُطَرِّقِ<sup>(٤)</sup>  
وقال تاج الملوك بن أيوب<sup>(٥)</sup>:

وَخَيْلٌ كَأَمْثَالِ السَّعَالِي شَوَازِبِ      تَكَادُ بَنَا قَبْلَ الْمَجَالِ تَجُولُ<sup>(٦)</sup>  
سَوَابِقُ تَكْبُو الرِّيحُ قَبْلَ لِحَاقِهَا      لَهَا مَرَحٌ مِنْ تَحْتِنَا وَصَهِيلُ<sup>(٧)</sup>  
وقال إبراهيم بن خفاجة<sup>(٨)</sup> يصف فرساً أشهب: [من الخفيف]

- (١) السوسن: نبات طيب الرائحة - والجلنار: زهر الرمان.
- (٢) هو عبد الجبار بن أبي بكر بن حمديس الأزدي الصقلي، السرقوسي (أبو محمد) شاعر، مؤرخ ولد حوالي ٤٧٧هـ، وكانت وفاته سنة ٥٣٧هـ. (معجم المؤلفين ٥: ٧٩).
- (٣) هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا (أبو الحسن) عالم، أديب، شاعر... (معجم المؤلفين ٨: ٣١٢).
- (٤) تمطرت الخيل: ذهبت مسرعة - والمطرق: الذي يمهّد الطريق ليسلك.
- (٥) هو عيسى بن أبي بكر بن أيوب بن شادي الأيوبي (الملك المعظم شرف الدين أبو الغنائم) فقيه، أديب، نحوي، لغوي، شاعر... كانت وفاته سنة ٦٢٤هـ (معجم المؤلفين ٨: ٢٢).
- (٦) السعالي: الغيلان أو سحرة الجن - والشواذب: الضوامر من الخيل.
- (٧) المرح: التبختير والاختيال.
- (٨) هو إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسي (أبو إسحاق) شاعر. ولد وتوفي بجزيرة سقر من أعمال بلنسية. له ديوان شعر، ومصنفات لغوية... كانت وفاته سنة ٥٣٣هـ. (معجم المؤلفين ١: ٧٤).

رُبَّ طَرْفٍ كَالطَّرْفِ سَاعَةً عَذِرَ  
 إن سَرَى في الدُّجَى فبعضُ الدَّرَارِي  
 لَسْتُ أَذْرِي إن قِيدَ لَيْلَةٍ أُسْرِي  
 أَجْنُوبٌ تُقْتَادُ لِي أُمُّ جَنْيَبٍ  
 أَشْهَبُ اللَّوْنِ أَثْقَلْتُهُ حُلِيِّ  
 فَبَدَا الصَّبْحُ مُلْجَمًا بِالثَّرِيَّا  
 وقال أيضاً في أشهب: [من الكامل]  
 وظلام لَيْلٍ لَا شِهَابٍ بِأَفْقِهِ  
 لَا طَمْتُ لُجَّتِهِ بِمَوْجَةِ أَشْهَبٍ  
 قَدْ سَالَ فِي وَجْهِ الدُّجْنَةِ غُرَّةٌ  
 أَطْلَعَتْ مِنْهُ وَمِنْ سِنَانٍ أَزْرَقِ  
 وقال أَبُو الصَّلْتِ (٤) يَصِفُ فَرَسًا أَشْهَبَ: [من مَخْلَعِ البَسيطِ]  
 وَأَشْهَبٍ كَالشُّهَابِ أَضْحَى  
 قَالَ حَسُودِي وَقَدْ رَأَى  
 مِنْ أَلْجَمِ الصَّبْحِ بِالثَّرِيَّا  
 وقال أَبْنُ حَفَاجَةَ وَقَدْ أَهْدَى مُهْرًا بَهِيمًا: [من المَنسَرَحِ]  
 تَقَبَّلِ الْمُهْرَ مِنْ أَخِي ثَقَةٍ  
 مُشْتَمِلًا بِالظَّلَامِ مِنْ شَيْءِ  
 مُنْتَسِبًا لَوْنُهُ وَغُرَّتُهُ  
 تَحْسِبُهُ مِنْ غُلَاكَ مُسْتَرْقَاً  
 حَنٌّ إِلَى رَاحَةٍ تَفِيضُ نَدَى  
 تَرَى بِهِ وَالنَّشَاطُ يَخْفِزُهُ  
 لَيْسَ يَسْرِي سُرَاهُ طَيْفُ الْخِيَالِ  
 أَوْ سَعَى فِي الْفَلَا فإِحْدَى السَّعَالِي  
 أَوْ تَمَطَّيْتُهِ غَدَاةً قِتَالِ  
 أُمُّ شَمَالٍ عِنَانُهَا بِشِمَالِي (١)  
 حَبٌّ فِيهِنَّ وَهُوَ مُلْقَى الْجَلَالِ (٢)  
 وَجَرَى الْبَرْقُ مُسْرَجًا بِالْهَلَالِ  
 إِلَّا لِنَضْلِ مُهَيِّدٍ أَوْ لَهْذَمٍ (٣)  
 يَرْمِي بِهَا بَحَرَ الظَّلَامِ فَيَزْتَمِي  
 فَالْلَيْلُ فِي شِبْنِهِ الْأَغَرَ الْأَذْهَمِ  
 وَمَهَيِّدٌ عَظْبٍ ثَلَاثَةَ أَنْجُمِ  
 يَجُولُ فِي مُذْهَبِ الْجَلَالِ  
 يُجَنَّبُ خَلْفِي إِلَى الْقِتَالِ  
 وَأَسْرَجَ الْبَرْقُ بِالْهَلَالِ

(١) الجنيب: الفرس الذي قاد إلى جنب الراكب.

(٢) الجلال: ما تلبسه الدابة لتضاهي به.

(٣) اللهزم: كل شيء قاطع، من سنان، أو سيف أو ناب.

(٤) هو أبو الصلت بن أبي ربيعة بن عبد عوف بن عقدة بن غيرة بن قسي، وقسي هو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان...

لو حَمَلَ اللَّيْلُ حَسَنُ دُفْمَتِهِ      أَمْتَعَ طَرْفَ الْمَجِيبِ بِالسَّهَرِ  
أَحْمَى مِنَ النِّجَمِ يَوْمَ مَعْرَكَةِ      ظَهَرًا وَأَجْرَى بِهِ مِنَ الْقَدَرِ  
اسْوَدَّ، وَأَبْيَضَ فَعَلُهُ كَرَمًا      فَالْتَفَتَ الْحَسَنُ فِيهِ عَنْ حَوَرِ  
فَازْدَدَ سَنًا بِهِجَةً بِدُفْمَتِهِ      فَالْلَّيْلُ أَذْكَى لِعُزَّةِ الْقَمَرِ  
ومثلُ شكري على تَقَبُّله      يَجْمَعُ بَيْنَ النَّسِيمِ وَالزَّهْرِ  
وقال في فرس أَشَقَرَّ: [من الكامل]  
وَمُطِّهَمَ شَرِقِ الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا      أَلْفَتْ مَعَاطِفُهُ التَّجِيعَ خِضَابًا<sup>(١)</sup>  
طَرِبَ إِذَا غَنَى الْحُسَامُ، مُمَزَّقُ      ثَوْبَ الْعَجَاجَةِ جِيئَةً وَذَهَابًا<sup>(٢)</sup>  
قَدَحَتْ يَدَ الْهَيْجَاءِ مِنْهُ بَارِقًا      مَتْلُهُبًا يُزْجِي الْقَتَامَ سَحَابًا  
ورمى الحِفَاطُ بِهِ شَيَاطِينَ الْعِدَا      فَانْقَضَ فِي لَيْلِ الْغُبَارِ شَهَابًا  
بَسَامُ ثَغْرِ الْحَلِيِّ تَحْسَبُ أَنَّهُ      كَأَنَّ أَثَارَ بِهَا الْمِزَاجَ حَبَابًا

وقال في أدهم أَغَرَّ مُحَجَّلٌ: [من الكامل]

وكأنما لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ      فَأَقْتَصَّ مِنْهُ فَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ  
وقال أَبْنُ نُبَاتَةَ السَّعْدِيِّ<sup>(٣)</sup> فِي أَدَهْمَ:      وَتَطْلُعُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الثَّرِيَا  
وأدهمَ يَسْتَمِدُّ اللَّيْلُ مِنْهُ      وَيَطْوِي خَلْفَهُ الْأَفْلَاكَ طَيًّا  
سَرَى خَلْفَ الصَّبَاحِ يَطِيرُ مَشِيَا      تَعَلَّقَ بِالْقَوَائِمِ وَالْمُحَيَّا  
فَلَمَّا خَافَ وَشَكَ الْقَوْتَ مِنْهُ      وَقَالَ فِي فَرَسِ أَدَهْمَ أَغَرَّ مُحَجَّلٌ أَهْدِي لَهُ: [من الوافر]

قَدْ جَاءَنَا الطَّرْفُ الَّذِي أَهْدَيْتَهُ      هَادِيَهُ يَعْقِدُ أَرْضَهُ بِسَمَائِهِ  
أَوَّلَايَةً وَلَيْتَنَّا فَبَعَثْتَهُ      رُمَحًا سَبِيبُ الْعُرْفِ عَقْدُ لَوَائِهِ<sup>(٤)</sup>  
تَخْتَالُ مِنْهُ عَلَى أَغَرَّ مُحَجَّلٍ      مَاءَ الدِّيَاجِي قَطْرَةٌ مِنْ مَائِهِ

(١) النجيع: الدم.

(٢) العجاجة: الغبار.

(٣) هو أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نباتة بن حميد بن نباتة بن الحجاج بن مطر بن خالد... التيمي السعدي، كان شاعراً مجيداً، جمع بين حسن السبك وجودة المعنى، وله في سيف الدولة بن حمدان غر القصائد ونخب المدائح... (وفيات الأعيان ٣: ١٩٠).

(٤) العرف: شعر عنق الفرس.

وكانما لَطَمَ الصِّباحُ جَبِينَه      فأَقْتَصَرَ مِنْهُ فِخْاضٌ فِي أَحْشائِهِ  
مُتَمَهِّلاً وَالْبَرْقُ مِنْ أَسْمائِهِ      مُتَبَرِّقِعاً وَالْحَسَنُ مِنْ أَكْفَائِهِ<sup>(١)</sup>  
ما كانت النيران يكمن حرها      لو أن للنيران بعض ذكائه  
لا تَغْلَقُ الأَلْحاظُ فِي أعْطافِهِ      إلا إذا كَفَكَفَتْ مِنْ غُلُوائِهِ  
وقال محمد بن الحسين<sup>(٢)</sup> الفارسي النحوي أحد شعراء اليتيمة في فرس أدهم  
أغر: [من الكامل]

ومَطَّهْمَ ما كنت أَحْسِبُ قبله      أن السروجَ على البوارق تُوضَعُ  
وكانما الجوزاء حين تَصَوَّبَتْ      لَبَبٌ عَلَيْهِ والثريا بُرْقُعُ

### طرائف في ذم الخيل بالهزال والعجز عن الحركة

كتب بعضهم إلى صديق له: [من السريع]

ما فعلت حَجْرُكَ تلك التي      أَفْضَلُ مِنْ فارِسهَا الرَّاجِلُ<sup>(٣)</sup>  
عَهْدِي بها تبكي وتشكو الضنى      لِمَا أَحْتِشاهُ الْبَدَنَ النَّاجِلُ<sup>(٤)</sup>  
وهو تَغْنِيَنِي غِنا صَبَّةٍ      غايْتُهَا وَجَدانُ ما تَأْكُلُ  
يا رَبُّ لا أَقْوَى على كلِّ ذا      موْتُ وإلا فَرَجٌ عاجِلُ  
وقال آخر: [من البسيط]

يا نصر حَجْرُكَ أبلَى الجوعَ جَدَّتْها      وَأَصْبَحْتُ شَبَحاً تَشْكُو تَجافِيكا  
إذا رَأَتْ تَبْنَةً قالت مُجَاهِرَةً      يا تَبْنُ لي حَسْرَةً ما تَنْقُضِي فيكا  
ترجوه طَوْرًا وتبكي مِنْه آيسَةً      حَتَّى إذا عَرَضْتُ باتت تَغْنِيكا  
هذي - فديتُكَ - حالي قد علمتَ بها      فليَمْ يَكُونِ الجِفا أَفْديكَ أَفْديكا  
وقال آخر: [من السريع]

أَعْطَيْتَنِي شُهْبَاءَ مَهْلُوبَةٍ      تُذَكِّرُ نُمْرُودَ بْنَ كَنْعَانَ<sup>(٥)</sup>

- (١) تبرقع: غطى وجهه بالبرقع، والبرقع: قناع النساء والدواب.
- (٢) هو أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي؛ كان إماماً في النحو بعد خاله أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي ومنه أخذ وعليه درس... (معجم الأدباء لياقوت ج ٧: ٣).
- (٣) الحجر: الأنثى من الخيل.
- (٤) الناحل: الضعيف الضامر.
- (٥) فرس مهلوب: أي مستأصل شعر الذنب - ونمرود: اسم ملك من الجبابرة.

سفينة الحشر إلى عذوها  
 كأنني منها على زورق  
 فأنظر إلى ججري ترى شهرة  
 وقال آخر: [من المنسرح]

حملتني فوق مفرف زمن  
 جلد على أعظم محللة  
 كأنني إذ علوت صهوتته  
 وكتب زهير بن محمد<sup>(٥)</sup> الكاتب: [من مجزوء الرجز]

وفرس على الممساة  
 راكبها في خجلة  
 مستقبها ركوبها  
 فما مساويها لمن  
 يا قبحها مقللة  
 وقبحها مولية

وقال برهان الدين ابن الفقيه نصر: [من السريع]

لصاحب الديوان برذونة  
 إذا رأت خيلاً على مربط  
 تمشي إلى خلف إذا ما مشت  
 هذا ما أتفق إيراده مما قيل في أوصاف الخيل من النظم. فلندكر ما وصفت به  
 في الرسائل المنشورة، والفقر المسجوعة، والألغاز المزدوجة؛ مع ما يتصل بذلك من  
 الأبيات في ضمنها.

فمن ذلك ما حكى أن المهدي سأل مطر بن دراج عن أي الخيل أفضل؛ فقال:

(١) أشقر مروان: فرس مشهور كان لمروان بن محمد آخر ملوك بني مروان.

(٢) السكان: ذنب السفينة الذي به تعدل.

(٣) جامع سفيان: يراد به كتاب في الفقه لسفيان الثوري.

(٤) الفقعاق: نبات يابس.

(٥) هو أبو الفضل زهير بن محمد بن علي الملقب بهاء الدين الكاتب، من فضلاء عصره وأحسنهم نظاماً  
 ونثراً وخطاً... (وفيات الأعيان ١: ٢٧٢).

(٦) القروط: نبات تألفه الدواب، وهو شبيه بالرطبة، إلا أنه أعظم ورقاً.



الذي إذا استقبلته قلت: نافر، وإذا استدبرته قلت: زاخر، وإذا استعرضته قلت: زافر.  
قال: فأتي هذه أفضل؟ قال: الذي طُرِفَه أَمَامُهُ، وَسَوَّطُهُ عِنائُهُ. ومن هذا أخذ المتنبي  
وعلي بن جبلة<sup>(١)</sup> والعسكري<sup>(٢)</sup>. فقال المتنبي:

\* إن أدبرْتُ قلت لا تَلِيلَ لها \*

وقد تقدّم.

وقال علي بن جبلة:

تَحَسَّبُهُ أَقْعِدَ فِي اسْتِقْبَالِهِ      حَتَّى إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ قُلْتُ أَكْبَ  
وقال أبو هلال العسكري:

طُرِفَ إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ قُلْتُ حَبَا      حَتَّى إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ قُلْتُ كَبَا  
ووصف أعرابي فرساً أجري في حلبة فقال: لما أُرْسِلَت الخيل: جاؤوا بشيطان،  
في أشطان<sup>(٣)</sup>؛ فأرسلوه فلمع لمع البرق، وأستهل استهلال الودق<sup>(٤)</sup>؛ فكان أقرب  
الخيال إليه، تقع عينه من بُعد عليه.

ووصف محمد بن الحسين بن الحرون فرساً فقال: هو حَسَن القميص، جيد  
الفصوص<sup>(٥)</sup>؛ وَثِيقُ الْقَصَبِ، نَقِي الْعَصَبِ، يبصر بأذنيه، ويتبوع<sup>(٦)</sup> يديه، ويداخل رجله.  
ووصف آخر فرساً فقال: الريح أسيرة يديه، والظليم<sup>(٧)</sup> قريسة رجله، إن حرّ  
استعر في آتِهابه، وإن جدّ مرق من إهابه.

وكتب عبد الله بن طاهر إلى المأمون مع فرس أهده إليه: قد بعثت إلى أمير  
المؤمنين فرساً يَلْحَقُ الْأَرْنَبَ فِي الصَّغْدَاءِ، وَيُجَاوِزُ الظُّبَاءَ فِي الاسْتَوَاءِ، وَيَسْبِقُ فِي  
الْحُدُورِ جَرِي الْمَاءِ؛ إِنْ عَطِيفَ حَارٍ، وَإِنْ أُرْسِلَ طَارٍ؛ وَإِنْ حُبِسَ صَفْنٌ<sup>(٨)</sup>، وَإِنْ

(١) كان علي بن جبلة ضريراً وكان يمدح أبا دلف القاسم بن عيسى... وكان يمدح حميد بن عبد الحميد... أورد له ابن قتيبة شعراً كثيراً... (الشعر والشعراء ٤٥٠).

(٢) هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (أبو هلال) لغوي، أديب، شاعر، مفسر... كانت وفاته سنة ٣٩٥ هـ (معجم المؤلفين ٣: ٢٤٠).

(٣) أشطان: جمع شطن، وهو الحبل الطويل الشديد القتل، يستقى به.

(٤) الودق: المطر كله، شديده وهيته.

(٥) الفصوص من الفرس: مفاصل ركبتيه وأرساغه.

(٦) تبوع الفرس في جريه: أبعد الخطو يديه.

(٧) الظليم: الذكر من النعام.

(٨) صفن الفرس: قلب أحد حوافره وقام على ثلاث قوائم.

أَسْتُوقِفَ فَطِينٌ؛ فهو كما قال تَابَّطُ شَرًّا<sup>(١)</sup>:

وَيَسْبِقُ وَقَدْ الرِّيحَ مِنْ حَيْثُ يَنْتَجِي بِمُنْخَرِقٍ مِنْ شَدَّةِ الْمَتَابِعِ  
ووصف آخر فرساً فقال: كأنه إذا علا دعاء، وإذا هبط قضاء. كأنه محلول من  
قول الشاعر في صفة فرس:

مِثْلُ دَعَاءٍ مُسْتَجَابٍ إِنْ عَلَا أَوْ كَقَضَاءٍ نَازِلٍ إِذَا هَبَطَ  
ووصف أيوب ابن القريّة فرساً فقال: أَسِيلُ الْخَدِّ، حَسَنُ الْقَدِّ، يَسْبِقُ الطَّرْفَ،  
وَيَسْتَغْرِقُ الْوَصْفَ.

وقال محمد بن عبد الملك لصديق له: ابغ لي فرساً بِرْدُونًا، وثيق اليدين، قائم  
الأذنين، ذَكَرَ الْعَيْنَيْنِ، يَأْتِفُ مِنْ تَحْرِيكِ الرَّجْلَيْنِ.

ومن الكلام الجيد في وصف الخيل ما أنشأه الشيخ ضياء الدين بن القُرْطُبي من  
رسالته التي كتبها إلى صاحب الوزير شرف الدين الفايّزي، وقد تقدّم ذكرها في باب  
الكتاب في الرسائل، فلا فائدة في إعادتها؛ وإنما أوردنا ذكرَ الخيلِ هناك لأن الرسالة  
تشتمل على أوصاف الخيل والعساكر والسلاح وغير ذلك، فأردنا بإيرادها بجملتها ثم أن  
يكون الكلام فيها سياقاً يتلو بعضه بعضاً. وهذه الرسالة في السُّفر السابع من هذه النسخة.

ومن إنشاء المولى الفاضل العالم الأديب البليغ شهاب الدين أبي الثناء  
محمود<sup>(٢)</sup> بن سليمان الحلبي الكاتب رسالة في الخيل عملها تجربة، ورياضة لخاطره،  
ولم يكتب بها؛ سمعناها من لفظه، ونقلناها من خطّه؛ وهي:

أدام الله إحسان الجناب الفلاني، ولا زالت الآمال في أمواله مُحَكِّمَةً، والأمانى  
كالمحاميد في أبوابه مخيِّمَةً، والمعالي كالعوالي إليه دون غيره مسلَّمة، والمكارم تُغريه في  
الندى حتى يبذل ما حُبَّ إليه من الخيل المسؤِّمة. المملوك يقبل اليد التي ما زالت بَسَطَتْهَا  
في الكرم عَلَيْهِ، وَقَبَضَتْهَا بتصرّف أَعْنَةُ الزَمَنِ مَلِيَّةً؛ ومواهبها تتنوع في النَّدى، ومذاهبها  
في الكرم تَهَبُ الأولياء ما تهابه العدا. وَيُنْهِي وصولاً ما أُنْعَمَ به من الخيل التي وُجِدَ الْخَيْرُ  
في نَوَاصِيهَا، وَأُدْخِرَتْ صَهَوَاتُهَا حصوناً يَعْتَصِمُ فِي الْوَعَى بِصَيَاصِيهَا<sup>(٣)</sup>:

(١) هو ثابت بن عمل، وهو من فهم، وفهم وعدوان، أخوان، وكان شاعراً بئيساً يغزو على رجليه،  
وكانت تؤخذ بوله إذا غزا، فأخذت بوله وقد قتل بحي، فعرفت أنه قد قتل... (الشعر والشعراء  
لابن قتيبة).

(٢) هو محمود بن سليمان بن فهد الحلبي، ثم الدمشقي، الحنبلي، (أبو الثناء شهاب الدين) أديب،  
لغوي، كاتب، ناظم، شاعر... كانت وفاته سنة ٧٢٥هـ. (معجم المؤلفين ١٢: ١٦٧).

(٣) الصياصي: قرون البقرة ونحوها.

فمن أشهبَ غَطَاهُ النهارُ بَحْلَتِهِ وأوطأهُ الليلُ على أهْلَتِهِ كَأَن أذَنَّهُ جِلْفَةٌ<sup>(١)</sup> قَلَمٌ، أو شَقَّةُ جَلَمٍ، يُدْرِكُ بها الوَهْمُ، ويَحْقُقُ في الليلِ البَهِيمِ مواقعَ السهمِ؛ يَتَمَوَّجُ أَدِيمُهُ رِيًّا<sup>(٢)</sup>؛ وَيَتَأَرَّجُ رِيًّا، ويقولُ مَنْ أَسْتَقْبَلَهُ في حَلْيِ لَجَامِهِ: هَذَا الفَجْرُ قد طَلَعَ بالثَرِيًّا؛ إِنْ أَلْتَفَتِ الْمَضَائِقُ أَنْسَابَ أَنْسِيَابِ الْأَيْمِ، وَإِنْ أَنْفَرَجَتِ الْمَسَالِكُ مَرَّ مَرُورِ الْغَيْمِ؛ كَمْ أَبْصَرَ فَارِسُهُ يَوْمًا أبيضَ بَطْلَعَتِهِ، وَكَمْ عَايَنَ طَرْفُ السَّنَانِ مَقَاتِلَ الْعِدَا في ظِلَامِ النَّقْثِ بنورِ أَشْعَتِهِ؛ لَا يَسْتَنْ دَاحِسٌ في مَضْمَارِهِ، وَلَا تَطْمَعُ الْعَبْرَاءُ في شَقِّ غُبَارِهِ، وَلَا يَظْفَرُ لَاحِقٌ<sup>(٣)</sup> مِنْ لَحَاقِهِ بِسِوَى آثَارِهِ، تُسَابِقُ يَدَاهُ مَرَامِي طَرْفِهِ، وَيُدْرِكُ شَوَارِدَ الْبُرُوقِ ثَانِيًّا مِنْ عَطْفِهِ.

وَمَنْ أَدَهَمَ حَالِي الشَّكِيمِ، حَالِكِ الْأَدِيمِ، لَهُ مَقْلَةٌ غَائِيَّةٌ وَسَالِفُهُ رِيمٌ، قَدْ أَلْبَسَهُ اللَّيْلُ بُرْدَهُ، وَأَطْلَعَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ سَعْدَهُ، يَظُنُّ مَنْ نَظَرَ إِلَى سَوَادِ طُرَّتِهِ، وَبَيَاضِ حُجُولِهِ وَغُرَّتِهِ؛ أَنَّهُ تَوَهَّمَ النَّهَارَ نَهْرًا فَخَاضَهُ، وَأَلْقَى بَيْنَ عَيْنِهِ نَقْطَةً مِنْ رَشَاشِ تِلْكَ الْمَخَاضَةِ؛ لَيْنِ الْأَعْطَافِ؛ سَرِيعِ الْإِنْعَاطِ؛ يُقْبِلُ كَاللَّيْلِ، وَيَكْزُرُ كَجُلْمُودِ صَخِرِ حَطِّهِ السَّيْلِ؛ يَكَادُ يَسْبِقُ ظِلَّهُ، وَإِذَا جَارَى السَّهْمُ إِلَى غَرَضٍ بَلَغَهُ قَبْلَهُ.

وَمَنْ أَشَقَرَ عَشَاهُ الْبَرْقُ بَلَهِيهِ، وَوَشَاهُ الْأَصِيلُ بَذَهِيهِ؛ يَتَوَجَّسُ مَا لَدَيْهِ بِرَقِيقَتَيْنِ، وَيَنْفُضُ وَفَرَّتِيهِ عَنْ عَقِيقَتَيْنِ، وَيُنْزِلُ عَذَارَ لَجَامِهِ مِنْ سَالِفَتَيْهِ عَلَى شَقِيقَتَيْنِ؛ لَهُ مِنَ الرِّيحِ لَوْنُهَا، وَمِنَ الرِّيحِ لِينُهَا؛ إِنْ جَرَى فَبَزَقَ خَفَقَ، وَإِنْ أَسْرَعَ فَهَلَّلَ عَلَى شَفَقَ؛ لَوْ أَدْرَكَ أَوَائِلَ حَرْبِ أَبْنِي وَائِلٍ لَمْ يَكُنْ لِلنَّعَامَةِ نَبَاهُهُ<sup>(٤)</sup>، وَلَا لِلوُجِيهِ وَجَاهُهُ، وَلَكِنْ تَرَكُ إِعَارَةَ سَكَابِ<sup>(٥)</sup> لَوْمًا وَتَحْرِيمَ بَيْعِهَا سَفَاهَهُ؛ يَرْكُضُ مَا وَجَدَ أَرْضًا، وَلَوْ أَعْتَرَضَ بِهِ رَاكِبُهُ بِحَرًّا وَثَبَهُ غَرَضًا.

وَمَنْ كُمِنَتْ نَهْدٌ، كَأَن رَاكِبَهُ فِي مَهْدٍ؛ عِنْدَمِي<sup>(٦)</sup> الْإِهَابِ، شَمَالِي الذَّهَابِ؛ «يَنْزِلُ الْغَلَامُ الْخَفُّ عَنْ صَهْوَاتِهِ»<sup>(٧)</sup>، وَكَأَن نَعَمَ الْغَرِيضِ وَمَعْبَدٍ فِي لَهَوَاتِهِ؛ قَصِيرِ الْمَطَا<sup>(٨)</sup>،

(١) الجلفة من العلم: من مبراه إلى سنه.

(٢) الريا: الريح الطيبة.

(٣) لاحق: اسم فرس.

(٤) النعامة: فرس الحارث بن عباد.

(٥) سكاب: فرس عبدة بين ربيعة.

(٦) العندم: دم الأخوين، وقيل: هو صبيغ الداربرنيان، وقيل: العندم: شجر أحمر، وقيل: هو دم

الغزال... وقيل: هو صبيغ زعم أهل البحرين أن جواريههم يختضبن به.

(٧) إشارة إلى بيت من معلقة امرئ القيس.

(٨) المطا: الظهر.

فَسِيحَ الْخُطَا؛ إِنْ رُكِبَ لَصِيدٌ قَيْدَ الْأَوَايدِ، وَأَعْجَلَ عَنِ الْوُثُوبِ الْوَحْشَ اللَّوَايدِ؛ وَإِنْ جُنِبَ إِلَى حَرْبٍ لَمْ يَزُورْ مِنْ وَقَعِ الْقَنَا بَلْبَانِهِ<sup>(١)</sup>، وَلَمْ يَشْكُ لَوْ عَلِمَ الْكَلَامَ بِلِسَانِهِ<sup>(٢)</sup>، وَلَمْ يُرْ دُونَ بُلُوغِ الْغَايَةِ - وَهِيَ ظَفَرُ رَاكِبِهِ - ثَانِيًا مِنْ عِنَانِهِ؛ وَإِنْ سَارَ فِي سَهْلٍ اخْتَلَّ بَرَاقِهِ كَالثَّمَلِ، وَإِنْ أَضْعَدَ فِي جَبَلٍ طَارَ فِي عَقَابِهِ كَالْعُقَابِ وَأَنْحَطَ فِي مَجَارِيهِ كَالْوَعِلِ؛ مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِ تَسَهَّلَ، وَمَتَى أَرَادَ الْبَرْقُ مَجَارَاتَهُ قَالَ لَهُ الْوَقُوفُ عِنْدَ قَدْرِهِ: مَا أَنْتَ هُنَاكَ فَتَمَهَّلْ.

وَمِنْ حَبِشِي أَصْفَرَ يَرُوقُ الْعَيْنُ، وَيَشُوقُ الْقَلْبَ بِمِشَابِهِتِهِ الْعَيْنِ<sup>(٣)</sup>؛ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَشْعَتِهَا جَلَالًا، وَكَأَنَّهُ نَفَرَ مِنَ الدُّجَى فَاعْتَنَقَ مِنْهُ عُزْفًا وَأَعْتَلَقَ أَخْجَالًا؛ ذِي كَفَلٍ يَزِينُ سَرْجَهُ، وَذَيْلٍ يَسُدُّ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ مِنْهُ فَرْجَهُ؛ قَدْ أَطْلَعَتْهُ الرِّيَاضَةُ عَلَى مُرَادِ فَارِسِهِ، وَأَغْنَاهُ نَضَارُ لَوْنِهِ وَنَضَارَتُهُ عَنْ تَرْصِيعِ فَلَائِدِهِ وَتَوْشِيعِ مَلَابِسِهِ؛ لَهُ مِنَ الْبَرْقِ خَفَّةٌ وَطَنَةٌ وَخَطْفَةٌ؛ وَمِنْ النَّسِيمِ لَيْنٌ طُرُوقُهُ وَلَطْفُهُ، وَمِنْ الرِّيحِ هَزِيرُهَا<sup>(٤)</sup> إِذَا مَا جَرَى شَاوِينَ وَأَبْتَلَ عِطْفُهُ؛ يَطِيرُ بِالْعَمَزِ، وَيَذَرُكَ بِالرِّيَاضَةِ مَوَاقِعَ الرَّمَزِ، وَيَغْدُو كَأَلْفِ الْوَصْلِ فِي اسْتِغْنَائِهِ مِثْلَهَا عَنِ الْهَمْزِ.

وَمِنْ أَخْضَرَ لَهُ مِنَ الرُّوضِ تَفْوِيفُهُ، وَمِنْ الْوَشْيِ تَقْسِيمُهُ وَتَأْلِيفُهُ؛ قَدْ كَسَاهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حُلَّتِي وَفَارَ وَسَنًا، وَأَجْتَمَعَ فِيهِ مِنَ الْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ ضِدَانٍ لَمَّا اسْتَجْمَعَا حَسَنًا، وَمَنَحَهُ الْبَازِي حُلَّةً وَشِيهَ، وَأَعْطَتْهُ نُفُوحُ الرِّيَاحِ وَنَسَمَاتُهَا قُوَّةَ رَكْضِهِ وَخِفَّةَ مَشْيِهِ، يُعْطِيكَ أَفَانِينَ الْجَرِيِّ قَبْلَ سُؤَالِهِ، وَلَمَّا لَمْ يُسَابِقْهُ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْلِ أَغْرَاهُ حُبُّ الظَّفَرِ بِمَسَابَقَةِ خَيْالِهِ؛ كَأَنَّهُ تَفَارِقُ شَيْبٍ فِي سَوَادٍ عِذَارٍ، أَوْ طَلَانُغٍ فَجَرَ خَالِطَ بَيَاضِهِ الدُّجَى، فَمَا سَجَى<sup>(٥)</sup> وَمَازَجَ ظِلَامُهُ النَّهَارَ، فَمَا أَنَارَ، يَخْتَالُ لِمَشَارَكَةِ أَسْمِ الْجَرِيِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ فِي شِدَّةِ السَّيْرِ كَالسَّيْلِ، وَيَدُلُّ بِسَبْقِهِ عَلَى الْمَعْنَى الْمَشْتَرَكِ بَيْنَ الْبُرُوقِ اللَّوَامِيعِ وَبَيْنَ الْبَرْقِيَّةِ مِنَ الْخَيْلِ، وَيُكَذِّبُ الْمَانَوِيَّةَ<sup>(٦)</sup> لَتَوَلَّدَ الْيُمْنُ فِيهِ بَيْنَ إِضَاءَةِ النَّهَارِ وَظُلْمَةِ اللَّيْلِ.

وَمِنْ أَبْلَقَ ظَهْرُهُ حَرَمَ، وَجَزِيَهُ ضَرَمَ<sup>(٧)</sup>؛ إِنْ قَصَدَ غَايَةَ فَوْجُودِ الْقَضَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا

(١) اللبان: الصدر.

(٢) إشارة إلى بيت من معلقة عترة بن شداد العبسي.

(٣) العين: الذهب المضروب.

(٤) هزير الريح: ودويها عند هزها الشجر.

(٥) سجي: سكن.

(٦) المانوية: قوم ينسبون إلى ماني، وهو من الثنويين الذين يقولون بالنور والظلمة...

(٧) ضرم: جد في سيره وأسرع.

عَدَم، وإن صُرِفَ في حربٍ فَعَمَلُهُ ما يشاء البَنَانُ والعِنَانُ وَفِعْلُهُ ما تريد الكَفُّ والقَدَمُ؛ قد طابَقَ الحسنُ البَدِيعُ بينَ ضِدِّي لَوْنِهِ، ودَلَّتْ على أَجْتِمَاعِ النَّقِیْضِیْنِ عِلَّةٌ كَوْنِهِ؛ وَأَشْبَهَ زَمَنَ الرَّبِيعِ بِاعْتِدَالِ اللَّیْلِ فيه والنَّهَارِ، وأَخَذَ وَصَفَ حُلَّتِي الدُّجَى في حَالَتِي الإِبْدَارِ<sup>(١)</sup> والسَّرَارِ<sup>(٢)</sup>؛ لَا تَكِلُ مَنَاقِبُهُ، وَلَا يَضِلُّ في حَجَرَاتِ<sup>(٣)</sup> الجِیُوشِ رَاكِبُهُ، وَلَا یَحْتَاجُ لَيْلُهُ المَشْرِقُ بِمَجَاوِرَةِ نَهَارِهِ إِلَى أَنْ تُسْتَرْشَدَ فِيهِ كَوَاكِبُهُ؛ وَلَا یُجَارِيهِ الخِیَالُ فَضْلاً عَنْ الخِیْلِ، وَلَا یَمَلُّ السَّرَى إِلَّا إِذَا مَلَ مُشْبِهَاهُ: النَّهَارُ وَاللَّیْلُ، وَلَا تَتَمَسَّكُ البروقُ اللوامعُ مِنْ لَحَاقِهِ بِسَوَى الأَثَرِ فَإِنْ جَهِدْتَ فَبِالذَّلِيلِ، فَهُوَ الأَبْلَقُ الفَرْدُ، والجِوَادُ الَّذِي لِمُجَارِيهِ العَكْسُ وَلَهُ الطَّرْدُ؛ قَدْ أَغْنَتْهُ شَهْرَةٌ نَوْعِهِ فِي جِنْسِهِ عَنِ الأَوْصَافِ، وَعَدَلَ بِالرِّیَاحِ عَنْ مَبَارَاتِهِ سَلُوكُهَا لَهُ فِي الاعْتِرَافِ جَادَّةُ الإِنصَافِ.

فَتَرَقَّى المَمْلُوكُ إِلَى رُتَبِ العِزِّ مِنْ ظُهُورِهَا، وَأَعَدَّهَا لِخِطْبَةِ الجِنَانِ إِذِ الجِّهَادُ عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَنْفَسِ مُهُورِهَا، وَكَلَّفَ بِرُكُوبِهَا فَكَلِمَا أَكْمَلَهُ عَادَ، وَكَلِمَا أَمَلَهُ شَرَّهَ إِلَيْهِ فَلَوْ أَنَّهُ زَيْدُ الخِیْلِ لَمَّا زَادَ؛ وَرَأَى مِنْ آدَابِهَا مَا دَلَّ عَلَى أَنَّهَا مِنْ أَكْرَمِ الْأَصْنَافِ، وَعَلِمَ أَنَّهَا لِيَوْمِنِي سِلْمِهِ وَحَرْبِهِ حَنِیَّةٌ<sup>(٤)</sup> الصَّائِدِ وَجُنَّةٌ<sup>(٥)</sup> الصَّائِلِ؛ وَقَابَلَ إِحْسَانًا مُهْدِيَهَا بِشَنَائِهِ وَدُعَائِهِ، وَأَعَدَّهَا فِي الجِّهَادِ لِمُقَارَعَةِ أَعْدَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهَا وَأَعْدَائِهِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى یَشْكُرُ بَرَّهُ الَّذِي أَفْرَدَهُ فِي النَّدَى بِمَذَاهِبِهِ، وَجَعَلَ الصَّافِنَاتِ الْجِيَادَ مِنْ بَعْضِ مَوَاهِبِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ المَوْلَى الفَاضِلِ تَاجِ الدِّینِ عَبْدِ البَاقِي<sup>(٦)</sup> بِنِ عَبْدِ المَجِیدِ الیَمَانِي رِسَالَةً فِي مِثْلِ ذَلِكَ أَنْشَأَهَا فِي سَنَةِ سِتٍّ أَوْ خَمْسٍ وَسَبْعِمِائَةٍ. وَسَمِعْتُهَا مِنْ لَفْظِهِ، وَنَقَلْتُهَا مِنْ إِمْلَائِهِ؛ وَهِيَ:

یَقْبَلُ الْبَیْدَ الْعَالِیَةَ الْفَلَائِیَّةَ، لَا زَالَتْ تُرْسِلُ إِلَى الْأَوَّلِیَاءِ سَحَابٌ كَرَمِهَا، وَتَقْلُدُ الْأَوْدَاءَ قَلَانِدَ نَعِیمِهَا، وَلَا بَرَحَ الْمُزْهَفَانِ طِرَازِي حَاشِیَّتِهَا وَخَدَمِهَا، حَتَّى یَنْوِبَ الْقَلَمُ عَنْ صَلِیلِ مُزْهَفِهَا وَالصَّمْصَامُ عَنْ صَرِيرِ قَلَمِهَا، لِتَتَسَاوَى فِي الْإِنْفَازِ مَوَاقِعُ كَلَمِهَا وَمَرَاسِمُ كَلِمِهَا؛ وَلَا فِتْنَاءَ ظَاهِرُهَا قِبْلَةَ الْقَبْلِ وَغَايَةَ الْأَمَالِ، وَبَاطِنُهَا مَوْزِدُ الْكَرَمِ وَمَصْدَرُ الْأَمْوَالِ.

(١) الإبدار: امتلاء القمر وكماله.

(٢) السرار: الليلة التي يستسر فيها القمر، أي يغيب.

(٣) الحجرة: الناحية.

(٤) الحنية: القوس.

(٥) الجنة: كل ما وقى من سلاح وغيره.

(٦) هو تاج الدين أبو المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله، ولد بمكة المشرفة سنة ٦٨٠هـ، وكان إماماً فاضلاً أديباً بليغاً...

ويُنهي أنه لما كانت العزائم الفلانية طامحةً إلى أَسَى المَعَالِي، مُطْلَعَةً من مناقبها أهْلَةً تُخَجِّلُ بدور الليالي؛ مَتِيْمَةً باكتساب المَفَاخر، عَمِيْدَةً بتشييد المآثر، مائِلَةً إلى ما يَزِيْنُ المَقَانِبِ<sup>(١)</sup>، ويطرُزُ الكتائب، مُضْغِيَةً إلى ما يرد جانبها من جنائتها لا غير، وكيف لا تكون كذلك وحبُّ الخيل من الخير؛ ناظرةً إلى ما يصل من كرائمها، مهتديةً بنجوم غُرُرها مشغوفةً بتحجيل قوائمها؛ عاشقةً لاتساع صدورها، ورِقَّةً نحورها.

خَدَمَ المملوكُ الرُّكَّابَ العاليي بِإِنْفَاذِ خيلٍ أَتَحَدَّثُ في الصفات، وتباينت في الشَّيَاتِ؛ وَصَدَرَتْ كروضةٌ تَفْتَحُ أَزْهَارُهَا، وَزَهَا نُوَاوُهَا، وَأَشْرَقَتْ أَنْوَارُهَا؛ بَلْ كَمَرَأَسٌ تَخْتَالُ فِي بُرُودِهَا<sup>(٢)</sup>، أَوْ كَجَوَاهِرٍ تَنَافَسَتْ فِي عَقُودِهَا؛ مَلَكْتَهَا يَمِينُ المملوكِ فَكَانَتْ كَعَدَدِ أَصَابِعِهَا، وَأَحْرَزَتْهَا هِمَّتُهُ فَزَعَتْ فِي الْحَزْمِ إِلَى مَنَازِعِهَا؛ لَهَا مِنَ الطَّبَاءِ أَعْنَاقُهَا، وَمِنَ النِّعَامِ أَسْوَاقُهَا<sup>(٣)</sup>؛ وَمِنَ الْبَاسِ قُوَّةُ جَنَائِهَا، وَمِنَ الظَّفَرِ مَثْنَى عِنَانِهَا، وَمِنَ الْإِقْبَالِ غُرَرُ نَوَاصِيهَا، وَمِنَ إِدْرَاكِ الْغَرَضِ جُلُّ أَمَانِيهَا، ذَوَاتُ ضَبْحٍ<sup>(٤)</sup>، وَمُورِيَاتُ<sup>(٥)</sup> قَذَحٍ؛ تَكْبُو الرِّيحُ فِي غَايَاتِهَا، وَيَقِرُّ الْبَرَقُ بِمُعْجَزَاتِهَا، مَدَاخِلُ الْخَلْقِ رَحْبَةُ اللَّبَانِ<sup>(٦)</sup>، مُسْتَغْنِيَةٌ عَنِ الْهَمْزِ بِتَحْرِيكِ الْعِنَانِ، تَقَارِبُ مَا بَيْنَ قَطَاهَا<sup>(٧)</sup> وَمَطَاهَا<sup>(٨)</sup>، وَتَبَاعَدُ مَا بَيْنَ قَذَالِهَا<sup>(٩)</sup> وَصَلَاهَا<sup>(١٠)</sup>؛ سَمَا عُنُقُهَا وَأَطْرَقَ جَبِينُهَا، وَتَنَزَّهَتْ عَنِ الْمَعَايِبِ فَلَا صَكَكَ<sup>(١١)</sup> يَشِيْنُهَا؛ يَا حَبْدًا أَشْهَبَهَا، وَقَدْ تَجَلَّلَتْ بِالشُّهْبِ ذَاتُهُ، وَأَذْرَعَتْ أَشْهَبَ الصَّبْحِ شِيَاتُهُ؛ رَزَبَزَجِدِي الْحَافِرِ لَوْلَوِي الْأَدِيمِ، لَهُ أَيُّطَلَا ظَبِي وَسَاقَا ظَلِيمٍ؛ كَعِمَامَةٍ بَارِقُهَا قَذَحٌ سَنَابِكُهُ، أَوْ كَسِيلٍ طَمَّ مُفْعَمُهُ وَاسِعَ مَسَالِكِهِ؛ اسْتَغْنَى بِجَوْهَرِ شِيَاتِهِ عَنِ كُلِّ مَذْهَبٍ، فَمَا لِمُذْهَبٍ فِي الْإِتْسَابِ عَنْهُ مَذْهَبٌ؛ إِنْ أَمْتَطَى الْفَارِسُ قَطَاتَهُ طَارَ بِنَسْرِ حَافِرِهِ، وَإِنْ أَشَارَ إِلَى غَرَضٍ أَدْرَكَهُ بِمَجْرَدِ الْوَهْمِ لَا بِالنَّظَرِ إِلَى نَازِرِهِ؛ أُمْيَالُ الْبَيْدَاءِ كَمِيلٍ بَيْنَ عَيْنِيهِ، وَتَرَادُفُ رَمَالِهَا كَذُرُورٍ بَيْنَ جَفْنِيهِ؛ اسْتَوَلَى عَلَى السَّبْقِ<sup>(١٢)</sup> وَأَخْرَزَ خَصْلَةً، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ حَازَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَصْلَةً.

يَتْلُوهَا أَشْقَرُهَا وَقَدْ نُجِدَ عَقِيْقًا، أَوْ أَلْتَحَفَ شَقِيْقًا<sup>(١٣)</sup>؛ أَوْ كَوَجَنَةً قَدْ أَحْمَرَتْ مِنْ

(١) المقانِب: جمع مقنب، وهو من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين.

(٢) البرود: واحدها البرد، وهو كساء مخطط يلتحف به.

(٣) أسواق النعام: سيقانها. (٤) الضبح: صوت الفرس.

(٥) الموريات: التي تخرج النار، والقذح: الضرب.

(٦) اللبان: الصدر. (٧) القطا: العجز.

(٨) المطا: الظهر. (٩) القذال: جماع مؤخر الرأس.

(١٠) الصلا: وسط الظهر. (١١) الصكك: اضطراب الركبتين والعرقوين.

(١٢) السبق: هو ما يتراهن عليه أهل السباق.

(١٣) الشقيق: نور أحمر.

الخجل، أو كوردة ناظرت بخفَرها نَرْجَسَ المُقَل، تناسبت أجزاؤه في المَلَاحة،  
وتساوت مراتبه في الصَّبَاحة؛ وجاهةُ الوجيه ناطقة من المُحَيَا، ومَسِيلُ غُرَّتِه كتصويب  
الثريا، وحُجَلُ الجُوزاء وأُسْرِجُ بالهِلال، وأَلْجَمَ بالمَجَرَّة فما لابن ذُكَاء<sup>(١)</sup> في الإِشراق  
عليه مَجَال؛ إن أُطْلِقَ والريخ في سَنَن مِيدَان، رأيتَ الريخَ كَكُمَيْتٍ خَلَفْتِه الجيادُ يومَ  
الرَّهَان؛ تَنْهَبُ الفَلَاةُ حوافره، وتُخْرِزُ قَصَبَ السَّبَقِ بَوَادِرُه. يَتَّبِعُه كُمَيْتٌ كَقِطْعَةٍ جَمَر،  
أو ككأس خمر، اسودَّ ذَنْبُه وغُرْفُه، وأختال كاللُّشُون فكأنما أسكره وصفه، حَكَثَ  
أُذُنَاه قَادِمَتَي حِمَامَةٍ، أو المحرَّف من أقلام قُدَامَةٍ؛ قصرت عن سعيه الخيول فسأبت  
الظُّلال، ونشأ مع النُّعَام فلا يَأْلَفُ غيرَ الرِّثَال<sup>(٢)</sup>؛ كَأَنَّ الصَّبَا أَلْقَتْ إِلَيْهِ عَنَائَهَا قَسْرًا،  
فَتَحَبَّتْ بِسَرْجِه مَرَّةً وتناقل أخرى. مقرونًا بأصفرَ كالدينار، قد أَفْرَغَتْ عليه حُلَّةٌ نُورٌ لا  
نار؛ طال منه الذيلُ واتسع اللَّبَان، فكأنما هو نارٌ على يَفَاع<sup>(٣)</sup> شَبَّتْ لِلضَّيْفَان؛ جَلَّتْهُ  
الشمس بأنوارها، وأهدت إليه الرِّيَاضُ أَصْفَرَارَ أَزْهَارِهَا؛ تُشْهَدُكَ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ يَوْمَ  
العَرَض، فروجُ قوائمه سماءَ على أرض؛ إن هَمَلَجَ<sup>(٤)</sup> لاذتِ الريخُ بالشَّجَر، وإن عدا  
قَصُرَ عن إدراكه رُؤْيَا البَصَر، نَجَاشِي النَّجَار<sup>(٥)</sup>، وحليف الوِجَار<sup>(٦)</sup>؛ كأنما خُلِقَ من  
الحَزْمِ شَطْرُه، ومن العِزِّ ظَهْرُه؛ ومن الإقبال غُرَّتُه، ومن كنوزِ المَفَاخِرِ سُرَّتُه؛ يُقَرَّرُ  
أَعْوَجُ بني هِلَالٍ بفضله، وَيَقْفُو حُرُونُ<sup>(٧)</sup> مُسْلِمٍ أَثَرُ ظِلِّهِ. مختومًا بأدهم كَصَخْرَةٍ سَيْلٍ،  
أو كَقِطْعَةٍ لَيْلٍ؛ خاض في أحشاء الصُّبَاحِ فَلَطَمَ جَبِينَه، وسأبتَ الفلَكُ فقيدَ الجُوزاء  
رَجُلِيَه ويساره وأطلقَ يَمِينَه؛ عَرِيضُ الكَفَلِ والمُنْخَرَيْنِ، دَقِيقُ القَوَائِمِ والسَّاقَيْنِ؛ كأنما  
أَشْرَبَ لَوْنُه سَوَادَ القَلْبِ والبَصَر، وكأنما النَصْرُ قَيْسٌ وهو لَيْلِي<sup>(٨)</sup> يَخْضُرُه حيثَ حَضَرَ؛  
لو كُتِبَ أَسْمُه على رَايَةٍ لم تَزَلْ تَقْدُمُ فتوحاً، أو لَمَعَتْ بَوَارِقُ سَنَابِكِه رَأَيْتَ زَنْجِيًّا  
جَرِيحًا؛ طابقتْ أَخْبَارُه لِمَخْبِرِه، وسبقتْ رِجْلَاهُ فِي العَدُوِّ مَوَاقِعَ نَظَرِه؛ لا يَغْلُقُ  
غُرَابٌ<sup>(٩)</sup> بَغْبَارِه، ولا تَسْتَنُ النُّعَامَةُ<sup>(١٠)</sup> فِي مَضْمَارِه.

(١) ابن ذكاء: يراد به الصبح.

(٢) الرثال: جمع الرأل، وهو فرخ النعام.

(٣) اليفاع: المرتفع من كل شيء، يكون في المشرف من الأرض والجبل والرمل وغيرها.

(٤) هملجت الدابة: إذا سارت سيراً حسناً في سرعة.

(٥) النجار: اللون، ويطلق على الأصل والحسب.

(٦) الوجار: الجحر للضبع والأسد ونحوهما من الوحوش.

(٧) حرون: هو فرس مسلم بن عمرو الباهلي.

(٨) هي ليلي صاحبة قيس بن الملوح.

(٩) غراب: اسم فرس لغني.

(١٠) تستن النعامة في مضمارة: أي تجري في نشاط.

ولنختم هذا الباب بذكر فائدة، وهي دواء للخُلْد<sup>(١)</sup>: يؤخذ خمسون طائراً من الدَّرَارِيح تُسَخَّق بحجر ولا تُمَسَّ باليد، وتجعل في قَدْر صغيرة جديدة، ويَصَب عليها من الماء والزيت ما يغمُرُه، ويُغَلَى عليه حتى ينعقد، ويُضَاف إليه يسيرٌ من القَطْران الأسود، ويوضع على النار، فإذا فَرَّ قُتِلَتْ مُشَاقَّة<sup>(٢)</sup> على عُود ويُذَهَن به أُمُّ الخُلْد قبل قطعه بالنار، ثم يدهن بعد ثلاثة أيام بالشَّيْرَج<sup>(٣)</sup> والصَّيْلَقُون وماء الورد؛ فإنه مجرَّب.

## الباب الثاني

### من القسم الثالث من الفن الثالث في البغال والحَمِير

#### ذكر ما قيل في البغال

قال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان: إنَّ البغل لا يعيش له ولد، وليس بعَقِيم؛ ولا يبقى للبغلة ولد، وليست بعاقِر، وهو أطول عمراً من أبويه وأصبر. ويقال: إنَّ أوَّل من نَجَّ البغال «قارون»، وقيل: «أفريدون»<sup>(٤)</sup> أحد ملوك الفرس الأوَّل. والبغل يوصفُ برداءة الأخلاق والتلون. ومن أخلاق البغال الإنف لكلِّ دابة. ويقال: إنَّ أبوال إناث تنقية لأجسادها. والإناث أجملُ من الذكور. قال بعض الشعراء: [من الرجز]

عليك بالبغلة دون البغلِ      فإنها جامعةٌ للشَّمَلِ  
مَرْكَبُ قاضٍ وإمامٍ عدلٍ      وعالمٍ وسيِّدٍ وكَهْلٍ  
\* تصلحُ للرَّحْلِ وغيرِ الرحلِ \*

والبغال من مراكب الرؤساء، والسادة النجباء، والقضاة والعلماء. وهم يُرَجَّحون إنائها على ذكورها؛ حتى إن المغاربة لا يركبون البغال الذكور ألبتة وإنَّما يجعلونها برسم حمل الزَّبل. أخبرني قاضي القضاة جمال الدين أبو محمد بن سليمان بذلك، وقال: وإذا طلب وليُّ الأمر البغل لأحدٍ كان ذلك دلالةً على إشهاره<sup>(٥)</sup>. وتجريسه<sup>(٦)</sup> عليه. قال: فلا يركب البغل الذكر عندنا إلا زَبَالٌ أو مُجَرَّس. وأعظم ما تُفَضَّل به إناث

(١) الخلد: داء في الفرس بمنزلة الجدام في الإنسان.

(٢) المشاقة: ما سقط من الشعر ونحوهما عند المشط.

(٣) الشيرج: زيت السمسم.

(٤) هو سادس ملوك الطبقة الأولى من الفرس.

(٥) إشهاره: إعلانه وإذاعته.

(٦) التجريس بالقوم: التسميع بهم والشهير.



البغال على ذكورها أنّ رسول الله ﷺ ركبها وملكها؛ وما ورد أنه ملك بغلاً ولا ركبها. ولندكر بَغَلَاتِ رسول الله ﷺ تفضيلاً لهذا الحيوان وتشريفاً؛ وتنويعاً بذكره وتعريفاً؛ والله أعلم.

### ذكر بَغَلَاتِ رسول الله ﷺ

كان لرسول الله ﷺ بغلة شهباء يقال لها «دُلْدُل»، أهداها له الْمُقَوْس. ذكر ذلك ابن قُتَيْبَةَ وأبن سعد<sup>(١)</sup>؛ فقال ابن سعد ما هذا نصه: «وبعث رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بَلْتَعَةَ اللَّخْمِي، وهو أحد الستة، إلى الْمُقَوْس صاحب الإسكندرية عظيم القبط يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً، فأوصل إليه كتاب رسول الله ﷺ، فقرأه وقال له خيراً؛ وأخذ الكتاب فجعله في حَقٍّ<sup>(٢)</sup> من عاج وختم عليه ودفعه إلى جاريته؛ وكتب إلى النبي ﷺ: قد علمت أن نبياً قد بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وقد أهديت إليك كُسوة وبغلة تركبها». ولم يَزِدْ على هذا ولم يُسَلِّمْ. فقبل رسول الله ﷺ هديته، وأخذ الجاريتين: مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وأختها سيرين. وبغلة بيضاء لم يكن في العرب يومئذ غيرها وهي «دُلْدُل». وقال رسول الله ﷺ: «ضَنّ الخبيث بمُلْكِهِ ولا بقاء لمُلْكِهِ».

وذكر ابن سعد أيضاً قال: «دُلْدُل» بغلة رسول الله ﷺ أول بغلة رُئِيت في الإسلام، أهداها له الْمُقَوْس وأهدى معها حميراً يقال له: «عُقَيْر»؛ فكانت البغلة قد بقيت حتى كان زمن معاوية. وفي لفظ: وكانت شهباء، وكانت يَبْتُج حتى ماتت ثم. وفي لفظ: وكانت قد كَبُرَتْ حتى زالت أسنانها، وكان يُجَشَّ<sup>(٣)</sup> لها الشعر.

وروى ابن سعد أيضاً عن محمد بن عمر الأسلمي قال: حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن زامل بن عمرو قال: أهدى قَزْوَة بن عمرو إلى النبي ﷺ بغلة يقال لها: «فِضَّة» فوهبها لأبي بكر. وكذلك قال البلاذري<sup>(٤)</sup>. وقد يقال: إن «دُلْدُل» من هدية قَزْوَة، وإن «فِضَّة»، من هدية الْمُقَوْس.

(١) هو محمد بن سعد كاتب الواقدي وصاحب الطبقات.

(٢) الحق: وعاء صغير ذو عطاء يتخذ من عاج أو زجاج أو غيرهما.

(٣) جَشَّ الحب: جرشه.

(٤) هو أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي البلاذري، أديب، شاعر، مؤرخ من أهل بغداد. سمع بدمشق وبإنطاكية، وكان أحد النقلة من الفارسية إلى العربية... كانت وفاته سنة ٢٧٩ هجرية... (معجم المؤلفين ٢: ٢٠١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أهدى للنبي ﷺ بغلة أهداها له كسرى؛ فركبها بجُلٍّ<sup>(١)</sup> من شعر ثم أَرَدَفَنِي خَلْفَهُ. رواه الثعالبي. في تفسيره في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضْرِبْ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]. قال الشيخ شرف الدين عبد المؤمن الدمياطي رحمه الله: قوله: «أهداها له كسرى» بعيد؛ لأنه مزق كتاب النبي ﷺ وأمر عامله باليمن بقتله وبعث رأسه إليه؛ فأهلكه الله بكفره وطغيانه.

وروى مسلم بن الحجاج<sup>(٢)</sup> رحمه الله من حديث أبي حميد الساعدي قال: غزونا مع رسول الله ﷺ تبوك؛ فذكر الحديث؛ وقال فيه: وجاء رسول ابن العلماء صاحب أيلة إلى رسول الله ﷺ بكتاب وأهدى له بغلة بيضاء؛ فكتب إليه رسول الله ﷺ وأهدى له بُزْدًا. رواه البخاري في كتاب الجزية والمُؤَادعة بعد الجهاد؛ ورواه أبو نعيم في المستخرج. ولفظهما: «وأهدى ملك أيلة إلى رسول الله ﷺ بغلة بيضاء فكساه بُزْدًا»؛ وقال أبو نعيم: بُزْدَةٌ.

وقال ابن سعد: وبعث صاحب<sup>(٣)</sup> دومة الجندل<sup>(٤)</sup> لرسول الله ﷺ ببغلة وجبة من سُندس.

وروى إبراهيم<sup>(٥)</sup> الحزبي في كتاب الهدايا عن علي رضي الله عنه قال: وأهدى يُحَنَّةُ بْنُ رُوَبَةَ إلى رسول الله ﷺ بغلته البيضاء.

وروى يوسف بن ضهيب عن ابن بُريدة<sup>(٦)</sup> عن أبيه قال: انكشف الناس عن النبي ﷺ يوم حُتَيْنَ ورسول الله ﷺ على بغلته الشهباء التي أهداها له النَّجَاشِي وَزَيْدٌ أَخَذَ بِرِكَابِ بَغْلَتِهِ، وذكر علي بن محمد بن حُتَيْنَ بن عَبْدِوَس الكوفي في أسماء خيله وسلاحه وأثائه: وكان اسم بغلته «دُلْدُل» أهداها إليه الْمُقَوِّس صاحب الإسكندرية وكانت شهباء؛ وهي التي قال لها يوم حنين: «ارْبِضِي» فَرَبَضَتْ. ويقال: إن علياً ركبها بعد النبي ﷺ ثم ركبها الحسن ثم ركبها الحسين ثم ركبها محمد ابن الحنفية رضي الله عنهم، ثم كبرث وعميث، فوقع في مَبْطَخَةٍ<sup>(٧)</sup> لبعض بني مُذَلِّج فخبطت

(١) الجُلّ: ما تلبسه الدابة لتصان به.

(٢) أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري، صاحب الصحيح (الوفيات ٥: ١٩٤).

(٣) هو أكيدر بن عبد الملك.

(٤) موضع على سبع مراحل من دمشق، وسميت دومة الجندل لأن حصنها مبني بالجندل.

(٥) هو إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله الحربي (أبو إسحاق)، محدث، فقيه، أديب، أصله من مرو، ومات ببغداد، لتسع ليال بقين من ذي الحجة سنة ٢٨٥هـ... (معجم المؤلفين ١: ١٢).

(٦) هو عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي.

(٧) المبطخة: منبت البطيخ.

فيها<sup>(١)</sup>، فرماها بسهم فقتلها.

وكانت له بغلة يقال لها: «الأَيْلِيَّة»؛ أهداها إليه ملكُ أَيْلَة، وكانت طويلة مُخَنَّدَةً<sup>(٢)</sup> كأنما تقوم على رِمالِ حسنة السير، فأعجبته ووقعت منه. وهي التي قال له فيها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه حين خرج عليها: كأنّ هذه البغلة قد أعجبتك يا رسول الله؟ قال: «نعم» قال: لو شئنا لكان لك مثلها؛ قال: «وكيف»؛ قال: هذه أمها فرس عريّة وأبوها حمار، ولو أنزينا حماراً على فرس لجاءت بمثل هذه؛ فقال: «إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون».

وعن دُخِيَة بن خَلِيفَة<sup>(٣)</sup> الكلبي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ألا أحمل لك حماراً على فرس فتشجّ لك بغلة؟ فقال: «إنما يفعل ذلك الذين لا يعقلون». رواه ابن منّده في كتاب الصحابة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ عبداً مأموراً، ما اختصنا دون الناس بشيء إلا بثلاث: أمرنا أن نُسبغ الوضوء، وألا نأكل الصدقة، وألا نُنزّي حماراً على فرس. رواه الترمذي في الجهاد. وفي لفظ آخر عنه رضي الله عنه: كان عبداً مأموراً بلغ ما أُرسل به، وما اختصنا دون الناس بشيء إلا بثلاث خصال: أمرنا أن نُسبغ الوضوء، وألا نأكل الصدقة، وإلا نُنزّي الحمارَ على الفرس. وهذا على هذين الحديثين يختصّ بآل النبي ﷺ دون غيرهم.

والذي يظهر من مجموع هذه الأحاديث المروية التي أوردناها أن بغلات رسول الله ﷺ كانت سبعاً، وهي: «الدُّلدُل» التي أهداها له المَقْوُوس، و«فِضَّة» التي أهداها له فَرْوَة بن عمرو، وبغلة أهداها له كَسْرَى، وبغلته الأَيْلِيَّة التي أهداها له ابن العَلَماء صاحب أيلة، وبغلة بعثها له صاحب دومة الجندل، وبغلة أهداها له يَحْنَةُ بن رُوبَة، وبغلة أهداها له النَّجَاشِي صاحب الحَبْشَة. والله تعالى أعلم بالصواب.

### ذكرُ شيءٍ ممّا وُصِفَتْ بِهِ الْبِغَالُ

قد ألّف الجاحظ كتاباً في البغال مفرداً عن كتاب الحيوان، قال فيه ما نصه: «نبداً إن شاء الله بما وُصِفَ الأشرافُ من شأن البغلة في حسن سيرتها، وتمام خلقتها، والأمور الدالة على السز في جوهرها، وعلى وجوه الارتفاق بها، وعلى تصرفها في

(١) خبطت الدابة: أي مشت على غير هدى.

(٢) المخنفّة: مشي كالهرولة.

(٣) هو صحابي مشهور شهد أحد والخندق واليرموك وكان رجلاً جميلاً. . . وعاش إلى خلافة معاوية. وقد جاء جبريل على صورته في غزوة بني قريظة. . .

منافعها، وعلى خِفَّةِ مؤونتها في التنقُّل في أمكنتها وأزمنتها، ولمَّ كَلِفَ الأشرافُ بارتباطها مع كثرة ما يزعمون من عيوبها، ولمَّ أثروها على ما هو أدومُّ طهارةً خَلَقَ منها، وكيف ظهر فضلها مع النقص الذي هو فيها، وكيف آتفروا مكروه ما فيها لِمَا وجدوا من خصال المحبوبِ فيها».

قال: ولقد كَلِفَ بارتباطها الأشرافُ حتى لُقِّب بعضهم من أجل أشتهاه بها بِـ «رَوَّاضِ البغال»، ولَقَّبوا آخر بـ «عاشقِ البغل». فبَسَطَ القول في الترجمة ثم لم يأت من أخبار البغال بطائل، بل أقتصر على حكاياتٍ وأستطرد منها إلى غيرها، على عادته في مصنَّفاتِه. فكان مما حكاه من ذلك:

قال مَسْلَمَةُ بن عبد الملك: ما ركبَ الناسُ مثلَ بغلةٍ طويلةٍ العِئانِ، قصيرةِ العِذارِ، سَفَواءٍ<sup>(١)</sup> العُزفِ، حَصَاءٍ<sup>(٢)</sup> الذَّنْبِ.

قال: وكتب رَوْحُ بن عبد الملك إلى وكيل له: ابغني بغلةً حَصَاءَ الذَّنْبِ، عظيمةَ المَحْزَمِ، طويلةَ العُنُقِ، سَوْطُها عِئانُها، وهواها إمامُها.

قال: وعاتب صَفْوان بن عبد الله بن الأَهْثَمِ عبدَ الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب في ركوبِ البغال، وكان رَكَّاباً للبغلة، فقال له: ما لك ولهذا المَرْكَبِ الذي لا يُدْرِكُ عليه الثَّار، ولا يُنْجِيكَ يَوْمَ الْفِرَار؟! فقال: إنها نَزَلَتْ عن خِيَلِ الخيل، وارتفعت عن ذِلَّةِ الْعَيْرِ، وخيرُ الأمور أوساطُها. فقال صَفْوان: إنا نَعْلَمُكم، فإذا عَلِمْتُمْ تَعْلَمُنَا منكم. وهو الذي يَلْقَبُ «رَوَّاضَ البغال»، لِحَذَقِهِ بِرُكُوبِها، وَلِسَعْفِهِ بها، وَحُسْنِ قِيامِهِ عليها. وكان يقول: أريدُها واسعةَ الجُفْرَةِ<sup>(٣)</sup>، مُنْدَحَةً<sup>(٤)</sup> السُّرَّةِ، شديدةَ الغَلْوَةِ<sup>(٥)</sup> بعيدةَ الخَطْوَةِ، لِيَنَّةَ الظَّهْرِ، مَلَوِيَّةَ الرُّسْغِ، سَفَواءَ جَرْدَاءَ عَنَقَاءَ، طويلةَ الْأَنْقَاءِ<sup>(٦)</sup>.

قال: وقال ابن كُثَّامَةَ: سمعتُ رجلاً يقول: إذا أَشْتَرَيْتَ بغلةً، فاشترِها طويلةَ العُنُقِ، تجده في نجاتها، مُشْرِفَةً الهادي، تجده في طباعها؛ ضَخْمَةَ الجوفِ، تجده في صَبْرِها.

قال: ولما خرج قَطْرِي بن الفُجَاءَةِ<sup>(٧)</sup> أحبَّ أن يجمع إلى رأيه رأيَ غيره؛ فَدَسَّ

(١) السفواء: الخفيفة شهر الناصية.

(٢) حَصَاءُ الذَّنْبِ: قليلة شعره.

(٣) الجفرة: وسط الفرس.

(٤) مندحة: متسعة.

(٥) الغلوة: أمد جري الفرس وسوطه.

(٦) الأنقاء: العظام ذوات المنخ.

(٧) قطري بن الفجاءة من رجالات بني كابية، كان رئيساً للأزارقة، ودعي أمير المؤمنين عشرين سنة وقتل بالري في آخر أيام الحجاج... (الاشتقاق).

إلى الأحنف بن قيس<sup>(١)</sup> رجلاً يُجري ذكره في مجلسه ويحفظ عنه ما يقول؛ فلما قد قال الأحنف: أما إنهم إن جنبوا بنات الصَّهال<sup>(٢)</sup>، وركبوا بنات النِّهاق<sup>(٣)</sup>، وأمَسُوا بأرض وأصبحوا بأرض، طال أمرهم.

قال الجاحظ: فلا ترى صاحب الحرب يستغني عن البغال، كما لا ترى صاحب السلم يستغني عنها، وترى صاحب السفر كصاحب الحَضَر. انتهى كلام الجاحظ.

وحكي أن عبد الحميد الكاتب سائر مَزَوَانَ بن محمد الجَعْدِي على بغلة؛ فقال له: لقد طالت صحبة هذه الدابة لك!؛ فقال: يا أمير المؤمنين، من بركة الدابة طول صحبتها. فقال: صفها؛ فقال: همها إمامها، وسوطها زمامها، وما ضربت قط إلا ظلماً.

وقال بعض الكتاب من رسالة: «قد اخترت لسَيِّدي بغلة وثيقة الخلق، لطيفة الخَظْط<sup>(٤)</sup>، رشيقة القد، موصوفة السير، ميمونة الطير، مُشْرِفة العُنُق، كريمة النِّجَار، حميدة الآثار.

إن أدبرت قلت لا تليل لها أو أقبلت قلت ما لها كفل<sup>(٥)</sup> قد جمعت إلى حسن القميص، سلامة الفُصُوص<sup>(٦)</sup>؛ فسميت قَيْدَ الأَوَابِد، وقرة عين الساهد؛ تُزْري في أنظلاقها، بالبروق في أثلافها».

قال البُخْتَرِي يصف بغلاً:

وَأَقْبَ نَهْدٍ لِلصَّوَاهِلِ شَطْرُهُ      يَوْمَ الْفَخَّارِ وَشَطْرُهُ لِلشَّحْجِ<sup>(٧)</sup>  
خَرِقَ يَتِيهِ عَلَى أَبِيهِ وَيَدْعِي      عَصْبِيَّةً لِبْنِي الضُّبَيْبِ وَأَغْوَجَ<sup>(٨)</sup>  
مِثْلَ الْمُدْرَعِ جَاءَ بَيْنَ عُمُومَةٍ      فِي غَافِقٍ وَخُؤُولَةٍ لِلخَزَرْجِ<sup>(٩)</sup>

(١) هو أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن التزال بن مرة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن زيد مناة بن تميم التميمي المعروف بالأحنف، وقيل: اسمه صخر، وهو الذي يضرب به المثل في الحلم... (الوفيات ٢: ٤٩٩).

(٢) ثبات الصهال: الخيل.

(٣) ثبات النِّهاق: الحمير.

(٤) خرطت الدابة: سلحت.

(٥) التليل: العنق.

(٦) الفصوص في الفرس: مفاصل ركبتيه وأرساغه.

(٧) الصواهل: الخيل - والشحج، أو نبات الشحاج: البغال.

(٨) الضبيب: فرس حسان بن حنظلة الطائي.

(٩) المدرع: الذي أمه أشرف من أبيه - وغافق: قبيلة من الأزد.

وقال أبو الفرج الوأواء من قصيدة يشكر بعض أصحابه وقد أهدى له بغلة: [من

البسيط]

قد جاءت البغلة السّفواء يَجْنُبُها      للبرق غيثٌ بدا ينهلُ ماطرُهُ  
عَرِيقَةً ناسبتُ أخوالها فلها      بالعنق من أكرم الجنسين فاخرُهُ  
ملءُ الحِزامِ وملءُ العينِ مُسْفِرَةٌ      يُريك غائبها في الحسن حاضِرُهُ  
أهدى لها الرّوضُ من أوصافه شَيْءٌ      خَضراءِ ناضرةٌ إن زال ناضِرُهُ  
ليست بأولِ حُمَلائٍ شَرِيتَ به      حمدي ولا هي يا ذا الجودِ آخِرُهُ<sup>(١)</sup>  
كما قد تقدّمها من سابح بيدي      عنائه وعلى الجَوْزا حوافِرُهُ  
وقال أبو المكارم بن عبد السلام: [من البسيط]

كانها النارُ في الحلفاء إن ركضت      كأنها السيلُ إن وافثك من جبلٍ  
كانها الأرضُ إن قامت لمُغتَلِفٍ      كأنها الريحُ إن مرّت على القلَلِ  
ما يعرف الفكرُ منها منتهى خُضرٍ      ما صوّر الوهمُ فيها وضمةَ الكَسَلِ  
إذا اقتعدت مَطَهاها وهي ماشيةٌ      ثهلانٌ تُبصره في زِيٍّ مُنتَقِلِ

هذا ما اتّفق إيرادُه من صفات البغال التي تقتضي المدح .

فأما ما جاء في ذمها فالمثل المضروب في بغلة أبي دلامة . وقال أبو دلامة<sup>(٢)</sup> في

بغلته: [من الوافر]

أبعدَ الحَئِيلِ أركبُها وراداً      وشُقراً في الرّعيلِ إلى القتالِ<sup>(٣)</sup>  
رُزِقْتُ بُغيلةً فيها وكالٌ      وخيرُ خِصالِها فَرَطُ الوِكالِ<sup>(٤)</sup>  
رأيتُ عيوبها كثرَتْ وعالت      ولو أَقْنيتُ مجتهداً مقالي  
تقومُ فما تَريمُ إذا اسْتَحِجَّتْ      وتَزْمَحُ باليمينِ والشُّمالِ<sup>(٥)</sup>  
رياضةَ جاهلٍ وعُليجٍ سوءٍ      من الأكرادِ أحنَ ذِي سُعالِ<sup>(٦)</sup>

(١) الحملان: ما يحمل على الدواب في الهبة خاصة .

(٢) أبو دلامة: هو زيد بن الجون مولى بني أسد، وكان منقطعاً إلى أبي العباس السفاح . . . (الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٤٠٠) .

(٣) الرعيل: القطعة المتقدمة من الخيل .

(٤) الوكال: البطء والبلادة .

(٥) فما تريم: أي فما تبرح مكانها .

(٦) الأحين: العظيم البطن .

شَتِيمِ الْوَجْهِ هَلْبَاجٍ هَذَانِ	نَعُوسٍ يَوْمَ حُلٍّ وَأَرْتَحَالٍ <sup>(١)</sup>
فَأَدَبَهَا بِأَخْلَاقِ سِمَاجٍ	جَزَاهُ اللَّهُ شَرًّا عَنْ عِيَالِي
فَلَمَّا هَدَنِي وَنَفَى رُقَادِي	وَطَالَ لَذَاكَ هَمِّي وَاشْتَغَالِي
أَتَيْتُ بِهَا الْكُنَاسَةَ مُسْتَغِيثًا	أَفَكَّرُ دَائِبًا كَيْفَ أَحْتِيَالِي <sup>(٢)</sup>
بِعَهْدَةِ سِلْعَةٍ رُدَّتْ قَدِيمًا	أَطُمُّ بِهَا عَلَى الدَّاءِ الْعُضَالِي <sup>(٣)</sup>
فَبَيْنَمَا فِكْرَتِي فِي الْقَوْمِ تُسْدِي	إِذَا مَا سُمْتُ أَزْخِصُ أَمْ أَعَالِي
أَتَانِي خَائِبٌ حَمِيقٌ شَقِيٌّ	قَدِيمٌ فِي الْخَسَارَةِ وَالضَّلَالِ
وَرَاوَعَنِي لِيَخْلُوَ بِي خِدَاعًا	وَلَا يَذِرِي الشَّقِيَّ بَمَنْ يُحَالِي
فَقُلْتُ بِأَرْبَعِينَ فَقَالَ أَحْسِنِ	فَإِنْ الْبَيْعَ مَرْتَخِصٌ وَغَالِي
فَلَمَّا أَبْتَاعَهَا مِنِّي وَبُتَّتْ	لَهُ فِي الْبَيْعِ غَيْرُ الْمُسْتَقَالِ
أَخَذْتُ بِثَوْبِهِ وَبَرِئْتُ مِمَّا	أَعُدُّ عَلَيْكَ مِنْ شَنِيعِ الْخِصَالِ
بَرِئْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَشْشٍ قَدِيمٍ	وَمِنْ جَرَدٍ وَتَخْرِيقِ الْجِلَالِ <sup>(٤)</sup>
وَمِنْ قَرْطِ الْحِرَانِ وَمِنْ جِمَاحٍ	وَمِنْ ضَعْفِ الْأَسَافِلِ وَالْأَعَالِي <sup>(٥)</sup>
وَمِنْ عَقْرِ اللِّسَانِ وَمِنْ بِيَاضٍ	بِنَازِرِهَا وَمِنْ حُلِّ الْجِبَالِ
وَعُقَالٍ يُلَازِمُهَا شَدِيدٍ	وَمِنْ هَذْمِ الْمَعَالِفِ وَالرُّكَالِ <sup>(٦)</sup>
تُقَطِّعُ جِلْدَهَا جَرَبًا وَحَكَاً	إِذَا هُزِلَتْ وَفِي غَيْرِ الْهُزَالِ
وَمِنْ شَدِّ الْعِضَاضِ وَمِنْ شَبَابٍ	إِذَا مَا هَمَّ صَحْبُكَ بِالرَّقَالِ <sup>(٧)</sup>
وَأَقْطَفُ مِنْ دَبِيبِ الذَّرِّ مَشِيًّا	وَتَنْحَطُّ مِنْ مُتَابَعَةِ السُّعَالِ <sup>(٨)</sup>

(١) الهلباج: الوخم الأكل الشروب - والهدان: الوخم الثقيل في الحرب.

(٢) الكناسة: اسم موضع بالكوفة.

(٣) العهدة: الرجعة.

(٤) المشش: ورم يأخذ في مقدم عظم الوظيف أو باطن الساق في أنسيه - والجرد في الدواب: ورم في مؤخرة عرقوب الفرس.

(٥) الحران: وقوف الدابة حين يطلب جريها ورجوعها القهقري.

(٦) العقال: داء يأخذ في قوائم الدابة - والركال: أن يضرب برجله الأرض.

(٧) الشباب: رفع الفرس يديه جميعاً من الأرض.

(٨) القطوف من الدواب: البطيء السير - وتنحط: تصوت من الثقل والإعياء.

وتكسِر سرجَها أبدأ شِماساً  
ويَهزُلُها الجَمَام إذا خَصِبْنَا  
تَظَلُّ لِرُكْبَةٍ مِنْهَا وَقِيداً  
وتَضْطَرُّ أربَعين إذا وَقَفْنَا  
فَتُخْرِسُ مَنْطِقِي وتُحَوِّلُ بَيْنِي  
وقد أَعْيَتْ سِياسَتُها المُكَارِي  
حُرُونٌ حينَ تَرَكِبُها الحُضْرُ  
وذئِبٌ حينَ تُدْزِنِيها لِسَرْجٍ  
وفيلٌ إنْ أَرَدَتْ بِها بُكُوراً  
وَألفُ عَصاً وَسَوِطٌ أَضْبَاجِي  
وتُضَعِّقُ مِنْ صِيَّاحِ الدِّيكِ شَهْراً  
إذا اسْتَعْجَلَتْها رَائِثٌ وبَالِثٌ  
ومِثْفَارٌ تَقْدُمُ كُلَّ سَرْجٍ  
وتُخَفِّي فِي الوُقُوفِ إذا أَقْمَنَّا  
ولو جَمَعْتَ مِنْ هَنا وَهَنا  
فإنَّكَ لَسْتَ عَالِفاً ثَلاثاً  
وكانت قارِحاً أَيَّامَ كِسْرَى  
وقد قَرَحَتْ وَلُفْمانَ فَطِيمٍ  
وقد أُبْلِي بِها قَزَنٌ وَقَزَنٌ  
فأَبْدَلْنِي بِها يا رَبِّ بَغْلاً

وتسقط في الوُحُولِ وفي الرمالِ<sup>(١)</sup>  
ويُذِيرُ ظَهْرَها مَسُّ الجَلالِ<sup>(٢)</sup>  
يُخافُ عَلَيْكَ مِنْ وَرَمِ الطُّحَالِ<sup>(٣)</sup>  
على أَهْلِ المِجالِسِ لِلسُّؤالِ  
وبينَ كَلامِهِم مِمَّا تُوالِي  
وَبَيْطاراً يُعْقِلُ بِالشُّكالِ<sup>(٤)</sup>  
جَمُوحٌ حينَ تَغْزِمُ لِلنِّزالِ  
ولَيْثٌ عِندَ خَشْخَشَةِ المَحالِي  
خَذُولٌ عِندَ حاجاتِ الرُّجالِ  
أَلْذُلُها مِنَ الشُّرْبِ الزُّلالِ<sup>(٥)</sup>  
وتُذَعِّرُ لِلصَّفِيرِ وَلِلخِيالِ  
وقامت ساعَةً عِندَ المَبالِ  
تَصيِّرُ دَفْئِيهَ عَلى القَذالِ<sup>(٦)</sup>  
كما تَخَفِّي البِغالُ مِنَ الكَلالِ  
ومِنَ الأَثبانِ أُمثالَ الجِبالِ  
وعِندَكَ مِنْهُ عُوذٌ لِلخِلالِ  
وتَذَكَّرُ تَبْعاً قَبْلَ الفِصالِ<sup>(٧)</sup>  
وذو الأَكْتافِ فِي الحِجَجِ الحَواليِ<sup>(٨)</sup>  
وآخِرُ يَومِها لِهَلالِكَ مالِي  
يَزيِنُ جَمالَ مَرَكِبِهِ جَمالي

(١) شماس الدابة: شرودها وجماعها.

(٢) الجمام: الراحه.

(٣) الوقيد: الشديد المرض.

(٤) الشكال: القيد.

(٥) السوط الأصبحي: نسبة إلى ذي أصبح، ملك من ملوك حمير.

(٦) المِثْفَار: الدابة ترمي بسرجها إلى الوراء والقذال: جماع مؤخر الرأس.

(٧) القارح: الذي شق نابه وطلع. والفصال: الفطام من الرضاع.

(٨) ذو الأكتاف: ملك من ملوك فارس واسمه سابور بن هرمز.



كريم حين يُنسب والداه إلى كرم المناسيب في البغال  
وقال القاضي بهاء الدين<sup>(١)</sup> زهير الكاتب: [من مجزوء الكامل]

لك يا صديقي بغلة ليست تُساوي خردلَه  
مقدار خُطوتها الطوي لة حين تُسرع أئملَه  
وخال مُذبرة إذا ما أقبلت مستعجلَه  
تمشي فتحسبها العيو ن على الطريق مشكلَه  
تهتز وهي مكائها فكأنما هي زلزله

### ذكر ما قيل في الحمر الأهلية

قال المتكلمون في طبائع الحيوان: إن الحمار لا يولد له قبل أن تتم له ثلاث سنين ونصف. قالوا: والحمار إذا شم رائحة الأسد رمى بنفسه عليه لشدة خوفه منه. ولذلك قال أبو تمام يخاطب عبد الصمد بن المعدل<sup>(٢)</sup> وقد هجاه:

أقدمت وملك من هجوي على خطر العير يُقْدِم من خوف على الأسد  
والحمار يُوصف بحدة حاسة السمع. وهو إذا نهق أضرب بالكلب؛ قالوا: حتى إنه يُحدث له مغساً؛ فلذلك يطول بُاحه. والبرد يضرب الحمار ويُؤذيه؛ ولهذا لا يوجد في بلاد الصقالية. وقال الجاحظ: وحلف أحمد بن عبد العزيز أن الحمار ما ينাম. فقيل له: ولم ذلك؟ قال: لأني أجد صياحه ليس بصياح من نام وأنتبه في تلك الساعة، ولا هو صياح من يريد أن ينام بعد أنقضاء صياحه.

وأجود الحمير المصرية، وأهل مصر يعتنون بتربيتها، ويحتفلون بأمرها ويسابقون عليها، ويسمون مكان سباقها «الطابق»، والجيد منها يُباع بالثمن الكثير. نقل صاحب كتاب مباحج الفكر ومناهج العبر في كتابه قال: لقد بيع منها حمار بمائة دينار وعشرة دنانير. وأما الذي رأيناه نحن منها فأبيع بألف درهم، وربما زاد بعضها على ألف. وكثير من أهل مصر يركبونها ويتركون الخيل والبغال. فمن ركبها من الأعيان مع وجود

(١) هو أبو الفضل، زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن منصور بن عاصم المهلي العتكي المقلب بهاء الدين الكاتب، من فضلاء عصره، وأحسنهم نظماً ونثراً وخطاً، ومن أكبرهم مروءة... (وفيات الأعيان ٢: ٣٣٢).

(٢) هو عبد الصمد بن المعدل، من شعراء الدولة العباسية. ولد بالبصرة ونشأ بها. له شعر المائة وخمسين ورقة. ذكره ابن شاعر في التواريخ، وابن النديم في الفهرست... كانت وفاته سنة ٢٤٠ هجرية... (معجم المؤلفين ٥: ٢٣٧).

القدرة والإمكان على ركوب الخيل والبغال، يَقْصِدُ بذلك التواضع وعدم الكبرياء، وَمَنْ ركبها من ذوي الأموال وترك الخيل والبغال ربما يفعل ذلك توفيراً لماله وِضْئاً به. وَمَنْ ركبها من الشباب والسُّوقَة يقصِدُ بذلك التزّه عليها لفراحتها وسرعة مشيتها.

وقد كان لرسول الله ﷺ حمارٌ من حمير مصر اسمه «يَغْفُور» وقيل: «عُفَيْر»؛ أهداه له الْمُقَوْس صاحب الإسكندرية مع ما أهدى. وقد ورد أيضاً في الحديث أنه كان لرسول الله ﷺ حماران: «يَغْفُور» و«عُفَيْر». فأما «عُفَيْر» فأهداه له المقوقس. وأما «يَغْفُور» فأهداه له فزوة بن عمرو الجُدَامِي. ويقال: إِنَّ حمار المقوقس «يَغْفُور» وحمار فزوة «عُفَيْر».

قال الواقدي<sup>(١)</sup>: مات «يعفور» عند مُنْصَرَفِ النَّبِيِّ ﷺ من حِجَّةِ الْوَدَاع. وذكر السَّهْلِيُّ<sup>(٢)</sup>: أن «يعفوراً» طرح نفسه في بئر يوم مات النبي ﷺ فمات. وذكر ابن فُورَك<sup>(٣)</sup> في كتاب الفصول أنه كان في مَعَانِمِ خَيْبَر، وأنه كَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ وقال: يا رسول الله، أنا زياد بن شهاب، وقد كان في آبائي ستون حماراً كلهم ركبهم نبيٌّ، فأرْكَبْنِي أنت. وزاد الجُؤِنِيُّ<sup>(٤)</sup> في كتاب الشامل: أن النبي ﷺ كان إذا أراد أحداً من أصحابه أرسل هذا الحمارَ إليه، فذهب حتى يضرب برأسه الباب؛ فيخرج ذلك الرجل، فيعلم أنه أرسل إليه، فيأتي النبي ﷺ.

وفي الحمار منافع طيبة ذكرها الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا، قال: رمادُ كَبِدِ الحمال بالزيت ينفع من الخنازير<sup>(٥)</sup>، قال: ويُبْرِئُ من الجُدَام. وهذا دواءٌ رخيص إن صحَّ. قال: وكَبِدُهُ مَشْوِيَةٌ على الرِّيقِ تَنْفَعُ من عِلَّةِ الصَّرْع. قال: والمَكْرُوز<sup>(٦)</sup> من اليَبُوسَة يجلس في مرقعة لحمه. وقيل: إِنَّ بوله نافع من وَجَعِ الْكُلَى. قال: وبول الحمار الوحشي يَفْتَتُ الحَصَاةَ في المَثَانَة.

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني مولى بني هاشم، وقيل مولى بني سهم بن أسلم، كان إماماً عالماً له التصانيف في المغازي وغيرها، وله كتاب «الردة»... (الوفيات ٤: ٣٤٨).

(٢) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن الخطيب الخثعمي السهلي.

(٣) هو الأستاذ أبو بكر محمد بن الحسن فورك المتكلم الأصلي النحوي الواعظ الأصهباني، كانت وفاته سنة ٤٠٦هـ...

(٤) هو محمد بن المؤيد بن محمد بن حمويه الحموي الجويني (سعد الدين) صوفي. سكن سنج قاسيون بدمشق، وعاد إلى خراسان وتوفي بها سنة ٥٦٠ هجرية... (معجم المؤلفين ١٢: ٧٠).

(٥) الخنازير: علة معروفة، وهي قروح صلبة تحدث في الرقبة.

(٦) المكروز: الذي أصابه الكزاز، وهو تشنج يصيب الإنسان من البرد الشديد أو من خروج دم كثير.

## ذَكَرُ مَا يَتَمَثَّلُ بِهِ مِمَّا فِيهِ ذَكَرُ الْحِمَارِ

تقول العرب: «الْعَيْرُ أَوْقَى لَدِمِهِ»<sup>(١)</sup>. وقالوا: «نَجَى عَيْراً سَمْنُهُ»<sup>(٢)</sup>. وقالوا: «الجَحْشُ إِذَا فَاتَكَ الْأَعْيَارُ»<sup>(٣)</sup>، وقالوا: «أَصَحَّ مِنْ عَيْرِ أَبِي سَيَّارَةَ»<sup>(٤)</sup>؛ لأنه كان دفع بأهل المَوْسِمِ على ذلك العَيْرِ أربعين عاماً. وقالوا: «إِنْ ذَهَبَ عَيْرٌ فَعَيْرٌ فِي الرِّبَاطِ»<sup>(٥)</sup>. وقالوا: «الْعَيْرُ يَضْرِبُ وَالْمَكْوَةُ فِي النَّارِ»، وقالوا: «حِمَارٌ يَحْمِلُ سِفْراً». ومن أنصاف الأبيات:

\* وقد حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزَّوَانِ \*<sup>(٦)</sup>

## ذَكَرُ شَيْءٍ مِمَّا وُصِفَتْ بِهِ الْحَمِيرُ عَلَى طَرِيقِي الْمُدْحِ وَالذَّمِّ

قال أبو العِينَاءُ<sup>(٧)</sup> لبعض سماسرة الحمير: اشْتَرِ لِي حِمَاراً لَا بِالطَوِيلِ اللَّاحِقِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ اللَّاصِقِ، إِنْ خَلَا الطَّرِيقُ تَدَفَّقَ، وَإِنْ كَثُرَ الزُّحَامُ تَرَفَّقَ؛ لَا يُصَادِمُ بِي السَّوَّارِي، وَلَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْبَوَّارِي<sup>(٨)</sup>، إِنْ كَثُرَتْ عِلْفُهُ شَكَرَ، وَإِنْ قَلَّتْهُ صَبَرَ، وَإِنْ رَكِبْتَهُ هَامَ، وَإِنْ رَكِبَهُ غَيْرِي قَامَ<sup>(٩)</sup>. فقال له السمسار: إِنْ مَسَخَ اللَّهُ بَعْضَ قُضَاتِنَا حِمَاراً أَصَبْتُ حَاجَتَكَ، وَإِلَّا فَلَيْسَتْ مَوْجُودَةً.

قيل للفضَّل الرِّقَاشِي<sup>(١٠)</sup>: إِنَّكَ لَتُؤَثِّرُ الْحَمِيرَ عَلَى جَمِيعِ الدَّوَابِّ؛ قَالَ: لَأَنْهَا أَرْفُقُ وَأَوْفُقُ؛ قِيلَ: وَلَمْ ذَاكَ؟ قَالَ: لَأَنْهَا لَا تَسْتَبْدِلُ بِالْمَكَانِ، عَلَى طَوْلِ الزَّمَانِ؛ ثُمَّ قَالَ: هِيَ أَقْلُ دَاءٍ، وَأَيْسَرُ دَوَاءٍ، وَأَخْفَضُ مَهْوًى، وَأَسْلَمُ صَرْعاً؛ وَأَقْلُ جَمَاعاً، وَأَشْهَرُ فَرْهاً، وَأَقْلُ بَطْراً، يُزْهَى رَاكِبُهُ وَقَدْ تَوَاضَعَ بِرُكُوبِهِ، وَيُعَدُّ مُقْتَصِداً وَقَدْ أَسْرَفَ فِي ثَمَنِهِ.

(١) هذا المثل يضرب للموصوف بالحذر.

(٢) مثل يضرب لمن خلصه ماله من مكروه.

(٣) مثل يضرب في قناعة الرجل ببعض حاجته دون بعض.

(٤) أبو سيارة: هو رجل من بني عدوان.

(٥) الرِّبَاط: يراد بها حبال الصائد.

(٦) عجز بيت من قصيدة لصخر بن عمرو وأخو الخنساء.

(٧) هو أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خالد الضرير مولى أبي جعفر المنصور. كان ظريفاً ماجناً... (الوفيات ١: ٧١٩).

(٨) البواري: جمع بارية؛ وهي الحصير المنسوج من القصب.

(٩) قام: أي وقف.

(١٠) هو الفضل بن عبد الصمد الرقاشي، وهو شاعر أديب، وليس من الرقاشيين بل من مواليتهم... (الأغاني ١٥: ٣٤).

وقال أحمد بن طاهر<sup>(١)</sup> يصف حماراً: [من الكامل]

شِيَّةٌ كَأَنَّ الشَّمْسَ فِيهَا أَشْرَقَتْ      وَأَضَاءَ فِيهَا الْبَدْرُ عِنْدَ تَمَامِهِ  
وَكَأَنَّهُ مِنْ تَحْتِ رَاكِبِهِ إِذَا      مَا لَاحَ بَزَقَ لَاحَ تَحْتَ غَمَامِهِ  
ظَهَرَ كَجَزِي الْمَاءِ لَيْنُ رُكُوبِهِ      فِي حَالَتِي إِتْعَابِهِ وَجَمَامِهِ  
سَفِهَتْ يَدَاهُ عَلَى الثَّرَى فَتَلَاعَبَتْ      فِي جَزِيهِ بِسُهُولِهِ وَإِكَامِهِ  
عَنْ حَافِرٍ كَالصُّخْرِ إِلَّا أَنَّهُ      أَقْوَى وَأَصْلَبُ مِنْهُ فِي أَسْتِحْكَامِهِ  
مَا الْخَيْرُ زَانٌ إِذَا أَنْشَنَتْ أَعْطَافُهُ      فِي لَيْنِ مَغْطِفِهِ وَلَيْنِ عِظَامِهِ  
عُنُقٌ يَطْوُلُ بِهَا فَضُولُ عِنَانِهِ      وَمُحَزَّمٌ يَغْتَالُ فَضْلَ حِزَامِهِ  
وَكَأَنَّهُ بِالزَّيْحِ مُنْتَعِلٌ، وَمَا      جَزِي الرِّيحَ كَجَزِيهِ وَدَوَامِهِ  
أَخَذَ الْمَحَاسِنَ آمِنًا مِنْ عَيْنِهِ      وَحَوَى الْكَمَالَ مُبَرَّأً مِنْ دَامِهِ<sup>(٢)</sup>

وقال آخر: [من الكامل]

لَا تَنْظُرَنَّ هُزَالَ حِمَارِي      وَأَنْظُرْ إِلَى مَجْرَاهُ فِي الْأَخْطَارِ<sup>(٣)</sup>  
مُتَوَقِّدٌ جَعَلَ الذِّكَاءَ إِمَامَهُ      فَكَأَنَّمَا هُوَ شُعْلَةٌ مِنْ نَارِ  
عَادَتْ عَلَيْهِ الرِّيحُ عِنْدَ هُبُوبِهَا      فَكَأَنَّهُ رِيحَ الدُّبُورِ يُبَارِي<sup>(٤)</sup>

هذا ما ورد في مدحها.

وأما مَا جَاءَ فِيهَا عَلَى سَبِيلِ الذَّمِّ - فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: «أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ». وقولهم: أَخْزَى اللَّهِ الْحِمَارَ مَالاً، لَا يُزَكَّى وَلَا يُدَكَّى. ومنه قول جرير بن عبد الله: لَا تَرْكَبْ حِمَاراً، فَإِنْ كَانَ كَانَ حديداً أتعِبَ يَدَيْكَ، وَإِنْ كَانَ بليداً أتعِبَ رِجْلَيْكَ. والمثلُ مضروبٌ في الحمير المهزولة بحمار طَيَّابٍ<sup>(٥)</sup>، كما يُضْرَبُ المثلُ ببغلة أبي دُلَامَةَ.

قال شاعر: [من الخفيف]

وحمارٍ بكث عليه الحَمِيرُ      دَقَّ حَتَّى بِهِ الرِّيحُ تَطِيرُ

(١) هو أحمد بن محمد بن الطاهر الأزدي المراكشي...

(٢) الذام: العيب والذم.

(٣) الأخطار: جمع خطر، وهو ما يتراهن عليه.

(٤) الدبور: ريح تهب من المغرب، وتقابل القبول، وهي ريح الصبا.

(٥) هو الشاعر طيَّاب السقاء.

كَانَ فِيمَا مَضَى يَسِيرُ بضعفٍ      وَهُوَ الْيَوْمَ واقِفٌ لَا يَسِيرُ  
كَيْفَ يَمْشِي وَلَيْسَ شَيْءٌ يَرَاهُ      وَهُوَ شَيْخٌ مِنَ الْحَمِيرِ كَبِيرُ  
لَمَحَ الْقَتُّ مِرَّةً فَتَغَنَّى      بَحْنِينَ فِي الْفَوَادِ زَفِيرُ<sup>(١)</sup>  
لَيْسَ لِي مِنْكَ يَا ظَلُومٌ نَصِيبُ      أَنَا عَبْدُ الْهَوَى وَأَنْتَ أَمِيرُ  
وَقَالَ خَالِدُ الْكَاتِبِ<sup>(٢)</sup>: [من السريع]  
وَقَائِلٍ إِنَّ حِمَارِي غَدًا      يَمْشِي إِذَا صَوَّبَ أَوْ أَضْعَدَا  
فَقُلْتُ لَكِنْ حِمَارِي إِذَا      أَخْشَتْهُ لَا يَلْحَقُ الْمُقْعَدَا  
يَسْتَعِذُّ الضَّرْبَ فَإِنْ زُدُّهُ      كَادَ مِنَ اللَّذَّةِ أَنْ يَرْقُدَا  
وَقَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْجَزَارِ<sup>(٣)</sup>:

هَذَا حِمَارِي فِي الْحَمِيرِ حِمَارُ      فِي كُلِّ خَطْوٍ كَبُوءٌ وَعِثَارُ  
قِنْطَارُ تَبْنٍ فِي حَشَاهُ شَعِيرَةٌ      وَشَعِيرَةٌ فِي ظَهْرِهِ قِنْطَارُ  
وَلَمَّا مَاتَ حِمَارُ هَذَا الشَّاعِرِ دَاعِبُهُ شِعْرَاءُ عَصْرُهُ بِمَرَاثٍ وَهَزْلِيَّاتٍ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ:  
مَاتَ حِمَارُ الْأَدِيبِ قُلْتُ قَضَى      وَفَاتَ مِنْ أَمْرِهِ الَّذِي فَاتَا  
مَاتَ وَقَدْ خَلَّفَ الْأَدِيبَ وَمَنْ      خَلَّفَ مِثْلَ الْأَدِيبِ مَا مَاتَا  
وَنَحْنُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ قَوْلُ الْآخَرِ:

قَالَ حِمَارُ الْحَكِيمِ ثَوْمًا      لَوْ أَنَّنِي جَاهِلٌ لَكُنْتُ أَرْكَبُ  
لَأَنْنِي جَاهِلٌ بِسَيْطُ      وَصَاحِبِي جَاهِلٌ مُرْكَبُ

وكتب أبو الحسن بن نصر الكاتب إلى صديق له اشترى حماراً، يداعبه. قال من رسالة: «قد عرفت - أبقاك الله - حين وجدت من سكرة الأيام إفاقة، وأنست من وجهها العيوس طلاقة كيف أجبت داعي همتك، وأطعت أمر مروعك؛ فسررت بكُمون هذه المنقبة التي أضمرها الإعدام، وثم على كريم سيرها الإمكان؛ وأستدلت منها على خبايا فضل، وتنبهت منها على مزايا ثبل؛ كانت مأسورة في قبضة الإعراس، وكاسفة

(١) القت: علف الدواب.

(٢) هو خالد بن يزيد ويكنى أبا الهيثم، من أهل بغداد، وأصله من خراسان، وكان أحد كتاب الجيش. ووسوس في آخر عمره... (الأغاني ٢١: ٤٥).

(٣) هو أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزار المصري، ختمت به دولة شعراء الفسطاط. كان في أول أمره قصاباً مثل أبيه وقومه، ثم اشتغل بالأدب والشعر ففاق أهل عصره...

عن سُدفَةٍ<sup>(١)</sup> الاقتار؛ وقلت: أَيُّ قَدَمٍ أَحَقُّ بولُوج الرُّكْب من قَدَمَيْهِ، وحاذٍ<sup>(٢)</sup> أَوَّلَى ببطُون القُبِّ<sup>(٣)</sup> من حاذِيهِ؛ وأَيُّ أَناملٍ أَبْهَى من أَناملِهِ إِذَا تَصَرَّفَتْ فِي الأَعْيَةِ يسراها، وتَحْتَمَّتْ بِالْمَخَاصِرِ يُمْنَاهَا؛ وكيف يكون ذلك الخلق العظيم، والوجه الوسيم، وقد بهَرَ جالساً، إِذَا طَلَعَ فارساً! ثم اتَّهَمْتَ آمالي بِالْغُلُوِّ فَيْكَ، وَأَسْتَبَعْدْتُ مَنَاقِضَةَ الزَّمانِ بِإِنصافٍ معاليك؛ فَقَبِضْتُ ما أَنبَسَطَ من عَنانِها، وَأَخْمَدْتُ ما أَشْتَعَلَ من نيرانِها؛ حتَّى وَقَفْتُ على صَحيحة الشك. أَرْجُو عُلوَّ هِمَّتِكَ بِحَسَنِ اخْتِيَارِكَ، وَأَخْشَى مَنَافِصَةَ الأَيَّامِ فِي ذَرَكٍ أوطارِكَ؛ فإنَّها كَالظَّلَاةِ فِي ولدها، والمَجَادِبَةِ بالسَّوءِ فِي واحدها، يُدْنِي الأَمَلَ مَسارَّها، وَيُرْجِي القَلْقُ حَذارَها؛ حتَّى أَتَنَّا الأَنْبَاءَ تَنَعَّى رَأْيِكَ القائل<sup>(٤)</sup>، وَتَقَلَّ عَزَمَكَ الأَفْلَ، بِوقوعِ اخْتِيَارِكَ على فَاضِحِ صَاحِبِهِ، وَمُسْلِمِ رَاكِبِهِ؛ الجامِدِ فِي حَلْبَةِ الجِيادِ، والحاذِقِ بِالْحِرانِ<sup>(٥)</sup> والكيادِ<sup>(٦)</sup>؛ السُّومِ دِيئُهُ ودأْبُهُ، والبِلادَةِ طَبِيعَتُهُ وشأنُهُ؛ لا يُصْلِحُهُ التَّأْدِيبُ، ولا تُقَرِّعُ لَهُ الظَّنَّابِيبُ<sup>(٧)</sup>؛ إِنْ لَحِظَ عَيْراً نَهَقَ، أَوْ لَمَحَ أَتَاناً شَبِقَ، أَوْ وَجَدَ رَوْثاً شَمَ وَأَنْتَشَقَ؛ فَكَمْ هَشَمَ سَيْناً لَصاحِبِهِ، وَكَمْ سَعَطَ أَنْفَ رَاكِبِهِ؛ وَكَمْ أَسْتَرَدَّه خائِفاً فَلَمْ يَزُدْهُ، وَكَمْ رَامَهُ خاطِباً فَلَمْ يُسْعِدْهُ؛ يَعْجَلُ إِنْ أَحَبَّ الأَناءَ والإِبْطاءَ، وَيَرْسُخُ<sup>(٨)</sup> إِنْ حَاوَلَ الحِثَّ والتَّجَبَّاءَ، مَطْبُوعٌ على الكَيْدِ والخِلافِ، مَوْضُوعٌ لِلضَّعَةِ والاستِخفافِ، عَزِيزٌ حتَّى تُهَيِّنَهُ السَّياطُ، كَسُولٌ وَلَوْ أَبْطَرَهُ النَّشاطُ؛ ما عَرَفَ فِي التَّجَابَةِ أبا، ولا أَفادَ مِنَ الوَعْيِ أَدْبا، الطَّالِبُ بِهِ مُحْصُورٌ، وَالْهَارِبُ عَلَيْهِ مَأْسُورٌ؛ وَالْمَمْتَطِي لَهُ راجِلٌ، وَالْمَسْتَعْلِي بِذُرْوَتِهِ نازِلٌ؛ لَهُ مِنَ الأَخلاقِ أَسْوَها، وَمِنَ الأَسْماءِ أَشْنُها<sup>(٩)</sup>، وَمِنَ الأَذْهانِ أَصْدُها، وَمِنَ القُدودِ أَحْقَرُها؛ تَجَحَّده المَرَاكِبُ، وَتَجْهله المَوَاقِبُ؛ وَتَعْرِفه ظُهُورُ السَّوابِكِ، وَتَأْلِفُه سَباطاتُ<sup>(١٠)</sup> المَبَارِكِ. وَاللهُ المَوْفِقُ.

(١) السدفة: الظلمة (في لغة تميم)؛ وفي لغة قيس: الضوء، والمعنى الأول هو المراد.

(٢) الحاذ: لحمه في ظاهر الفخذ تكون في الإنسان وغيره.

(٣) الأقب: هو الدقيق الخضر الضامر البطن من الخيل.

(٤) الرأي القائل: الرأي الضعيف.

(٥) الحران: المصدر من حرنت الدابة.

(٦) الكياد: المكر والخبث.

(٧) الظنابيب: جمع ظنبوب، وهو حرف الساق من قدم.

(٨) رسخ: ثبت في موضعه متمكناً.

(٩) أشنوها: أبغضها.

(١٠) السباطات: واحدها السباطة، وهي الموضع الذي يرمى فيه التراب والأوساخ وما يكنس من المنازل.

## الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثالث في الإبل والبقر والغنم ذكر ما قيل في الإبل

الإبل جمع لا واحد لها من لفظها. والذكر منها جمل، والأنثى ناقة. والبعير يقع عليهما. ودليل ذلك قول بعض الشعراء:

لا نُسْتَهِي لَبَنَ البعير وعندنا عَرَقُ الزُّجاجة واكفُ المعصار<sup>(١)</sup>

والإبل من منن الله الجسيمة على خلقه، ومما منحهم به من إرفاقه ورزقه. قال الله تعالى: ﴿وَالْأَنْثَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوُوفٌ رَحِيمٌ (٧) [النحل: ٥ - ٧]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مِنْفَعٌ وَمَسَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٧٣)﴾ [يس: ٧١ - ٧٣].

ولنذكر ما جاء من لغة العرب في الإبل من تسميتها من حين تولد إلى أن تنتهى سنّها، وأسماء ما يُركب منها ويُحمل عليه، وما أختصت به النوق من الأسماء والصفات؛ ونذكر ألوان الإبل وما قالوه في ترتيب سيرها، وفي المسير عليها والنزول؛ ثم نذكر بعد ذلك أصناف الإبل وما قيل في عاداتها وطبائعها. فإذا أوردنا ذلك، ذكرنا ما ملكه رسول الله ﷺ منها، وما جاء في أوصاف الإبل من الشعر؛ فنقول وبالله التوفيق.

أما تسميتها من حين تولد إلى أن تنتهى سنّها - فقد قالت العرب: ولدها حين يُسَلّ من أمّه «سَلِيلٌ» ثم «سَقَبٌ»، و«حُورار» إلى سنة، وجمعه أخورة وحيران. وهو «فصيل» إذا فُصِلَ عن أمّه. وهو في السنة الثانية «أَبْنُ مَخَاضٍ» - لأن أمّه تَلْقَحُ فَتَلْحَقُ بِالْمَخَاضِ وهي الحوامل، وواحدتها من غير لفظها «خَلِيفَة» - والأنثى «بنت مخاض». فإذا دخل في الثالثة فهو «أَبْنُ لَبُونٍ»، والأنثى «بنت لبون»؛ لأن أمّه صارت ذات لبن. وهو في الرابعة «حِقٌّ»؛ لأنه استحق أن يُحمل عليه. وهو في السنة الخامسة «جَذَعٌ». وفي السادسة «ثَنِيّ» لأنه يُلْقِي ثَنِيَّتَهُ؛ والأنثى «ثَنِيَّةٌ»، وهو في السابعة «رَبَاعٌ». وفي

(١) عرق الزجاجة: ما نتج من الشراب وغيره مما فيها، والمراد هنا الخمر.

السنة الثامنة «سَدِيس» و«سَدَس» للذكر والأنثى. وهو في التاسعة «بازل» إذا فَطَرَ نابه، أي طَلَعَ. قال الشاعر<sup>(١)</sup>:

وَأَبْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لَزَّ فِي قَرْنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ الْقَنَاعِيسِ<sup>(٢)</sup>

ثم هو بعدها بسنة «مُخْلِفُ عام»، و«بازلُ عام»، ثم «مُخْلِفُ عامين»، و«بازلُ عامين»؛ ثم يُعَوِّد، أي يصير عَوْدًا وَهَرَمًا وَمَاجًا<sup>(٣)</sup>.

قالوا: والقُلُوصُ<sup>(٤)</sup> منها كالجارية من الناس، والقَعُود كالغلام، والجمع قلائص وقعدان. والبَكَر: الْفَتِيُّ، والبِكَارَةُ جمع، والأنثى بَكَرَةٌ. ويقال: جملٌ رَاشٌ وناقة راشَةٌ إذا كَثُرَ الشَّعر في آذانها.

وأما أسماء ما يُرَكَّبُ منها ويُحْمَلُ عليه - فقد قالوا: المِطْيَةُ اسمٌ جامع لكل ما يُمْتَطَى من الإبل. فإذا اختارها الرجلُ لِمَرْكَبِهِ لتمام خُلُقَتِها ونجابتها فهي راحلة.

وفي الحديث النبويَّ صلوات الله تعالى وسلامه على قائله: «الناسُ كإبلٍ مائةٍ لا يكاد يوجد فيها راحلة»، فإذا اسْتَظْهَرَ<sup>(٥)</sup> صاحبُها بها وَحْمَلُ عليها فهي «زاملة» - والناس يقولون في الرجل العاقل الثابت في أموره: رجل زاملة، يريدون بذلك مدحه. ووصف ابنُ بشير رجل فقال: ليس ذلك من الرِّواحل إنما هو من الرِّوَامِل - فإذا وَجَّهها مع قوم لِيَمْتَارُوا<sup>(٦)</sup> عليها فهي «عَلِيقَةٌ».

وأما ما اخْتُصَّتْ به النوقُ من الأسماء والصفات - فإنهم يقولون فيها: «كَهَاء»، و«جَلَالَةٌ» وهي العظيمة، و«عُظْمُوس» و«دِغْبِلَة» وهي الحسنة الخلقة التامة الجسم، و«كُومَاء» وهي الطويلة السنام، و«وَجْنَاء» وهي الشديدة القوَّة اللحم. وأشتقاقه من الوَجِين، وهي الحجارة: فإنَّ أزدادات شدَّتْها فهي «عَرْمِيس» و«عَيْرَانَةٌ». فإذا كانت شديدة كثيرة اللحم فهي «عَتْرَيْس» و«عَرْنَدَس» و«مُتْلَاحِكَةٌ». فإذا كانت ضخمة شديدة فهي «دُوسَرَةٌ» و«عُذَافِرَةٌ»، فإذا كانت حسنة جميلة فهي «شَمَزْدَلَةٌ». فإذا كانت عظيمة الجوف فهي «مُجْفِرَةٌ»، فإذا كانت قليلة اللحم فهي «خُرْجُوجٌ» و«خَرْفٌ» و«رَهْبٌ».

ومن أوصافها في السَّير - إذا كانت لَيِّنَةً اليدين في سيرها فهي «خَنُوفٌ»، فإذا كان

(١) هو جرير بن عطية الخطفي الشاعر الإسلامي المشهور.

(٢) لَزَّ: قرن وسُدَّ - والقرن: الجبل يجمع بين البعيران - والقنعاس: الناقة العظيمة الطويلة السنمة.

(٣) المَاج: الذي سال لعبابه من الكبير.

(٤) القلوص: أول ما يركب من إناث الإبل إلى أن تنثى.

(٥) استظهر: استعان.

(٦) امتار: جمع الميرة.



بها هَوَجٌ من سرعتها فهي «هوجاء» و«هوجل». فإذا كانت تُقارب الخطو فهي «حاتكة». فإذا كانت تمشي وكأنها مقبدة الرجل وهي تضرب بيديها فهي «رايكة»، فإذا كانت سريعة فهي «عصوف» و«مشمعلة» و«عينهل» و«شملال» و«يغملة»، و«همرجلة»، و«شمذر» و«شيملة»، و«شمزدلة». فإذا كانت تجر رجلينها في المشي فهي «مِرْحاف» و«زُخوف»، فإذا كانت لا تقصد في سيرها من نشاطها فهي «عجرفية». قال الأعشى:

وفيهما إذا ما هَجَرْتُ عَجْرَفِيَّةً إِذَا خِلْتُ حِرْبَاءَ الظَّهِيْرَةِ أَصِيْدًا<sup>(١)</sup>

وأما ألوان الإبل - فإنهم قالوا: إذا لم يُخالط حمرة البعير شيء فهو «أحمر». فإن خالطها السواد فهو «أزْمَكُ»، فإذا كان أسود يخالط سواده بياض كدخان الرُمث<sup>(٢)</sup> فهو «أزرق». فإذا اشتد سواده فهو «جَوْنٌ». فإن كان أبيض فهو «آدم»، فإن خالط بياضه حمرة فهو «أضهب». فإن خالطته شفرة فهو «أغيس». فإن خالطت خضرته صفرة وسواد فهو «أخوى». فإذا كان أحمر يخالط حمرة سواد فهو «أكلف».

وأما ترتيب سيرها - «فالعنق» وهو السير المُسْبِطُ<sup>(٣)</sup>. فإذا ارتفع عنه قليلاً فهو «التَزِيدُ». فإذا ارتفع عن ذلك فهو «الدَّمِيلُ». فإذا ارتفع فهو «الرَّسِيمُ»، فإذا دارك المشي وفيه قَرْمَطَةٌ<sup>(٤)</sup> فهو «الحفد»، فإذا ارتفع عن ذلك وضرب بقوائمه كلها فذاك «الازتياع» و«الليثاط». فإذا لم يدع جهداً فذاك «الاذرئفاق».

وأما ما قيل في المسير عليها والنزول للراحة والإراحة - فقد قالوا: إذا سار القوم نهراً ونزلوا ليلاً فذاك «التأويب». فإذا ساروا ليلاً ونهاراً فذاك «الإسأد»، فإذا ساروا من أول الليل فهو «الإذلاج»، فإذا ساروا من آخر الليل فهو «الإذلاج»، فإذا ساروا مع الصبح فهو «التغليس». فإذا نزلوا للاستراحة في نصف النهار فهو «التغوير». فإذا نزلوا في نصف الليل فهو «التغريس».

## ذكر أصناف الإبل وعاداتها وما قيل في طبائعها

والإبل ثلاثة أصناف: يمانِي، وعرايِي، وبُخْتِي<sup>(٥)</sup>. فاليماني هو التَّجِيبُ، ويُتَزَلُّ

(١) هجرت: سارت في الهجرة - والعجرفية: لفظ يطلق على الناقة التي لا تقصد في سيرها من نشاطها -

والحرباء: دوية أكبر من العطاء شيئاً، ويتلون ألواناً بحر الشمس والأصيد: الذي لا يستطيع الالتفات.

(٢) الرمث: شجر يشبه الغصن لا يطول ولكنه ينبسط ورقه، وله هذب طوال دقاق، وله خشب وحطب، ويتنع بدخانه من الزكام.

(٣) المسبطر: السريع؛ واسبطرت: إذا أسرع.

(٤) القرامطة: مقارنة الخطو.

(٥) البختي: واحد البخت، وهي الإبل الخراسانية.

بمنزلة العتيق من الخيل . والعَرَابِيُّ كالْبِرْذَوْنَ . والبُخْتِيُّ كالْبُغْل . ويقال : البُخْتُ ضَأْنُ الإِبِلِ . وهي متولدة عن فساد مني العراب . وحكى الجاحظ أنَّ منهم من يزعم أنَّ في الإبل ما هو وَخْشِيٌّ وأنها تسكن أرضَ وَبَارٍ<sup>(١)</sup> ، وهي غير مسكونة بالناس . وقالوا : ربما نَدَّ الجملُ منها في الهياج<sup>(٢)</sup> فيحملُه ما يَغْرِضُ له منه على أن يأتي أرضَ عُمانَ ، فيَضْرِبُ في أدنى هَجْمَةٍ<sup>(٣)</sup> من الإبل ، فالإبل المَهْرِيَّةُ من ذلك النَّتَاج . وتُسمَّى الإبلُ الوحشيَّةُ «الحَوْشَ» ، ويقولون : إنها بقايا إبلِ عادٍ وثمودٍ ومَنْ أهلكه الله من العرب . والمَهْرِيَّةُ منسوبة إلى مَهْرَةٍ (قبيلة باليمن) ، وهي سريعة العدو ، ويعلِفونها من قديد سملكٍ يُصَاد من بحر عُمان .

وأما البُخْتُ - فمنها ما يُرْهَوِكُ<sup>(٤)</sup> مثلَ البراذين ، ومنها ما يَجْمِرُ<sup>(٥)</sup> جَمْرًا وَيُرْقِلُ<sup>(٦)</sup> إزْقَالًا . وفي البُخْتُ ما له سَنَامانٌ في طول ظهره كالسَّرج ، ولبعضها سَنَامانٌ في العَرْضِ عن اليمين وعن الشمال ، وتُسمَّى «الخُرَاسَانِيَّةُ» .

قالوا : والجملُ لا يَنْزُو إلا مرةً واحدةً يُقيم فيها النهار أجمع ويُنْزِلُ فيها مراراً كثيرة ، فيجئ منها ولدٌ واحدٌ . وهو يخلو في البراري حالة النَّزْو ، ولا يدنو منه أحدٌ من الناس إلا راعيه المُلازم له . وذكره صُلْبٌ جدًّا ؛ لأنه من عَصَبٍ . والأنثى تحمل سنة كاملة ؛ وتَلْفَحُ لِمُضِيِّ ثلاث سنين ، وكذلك الذكر يَنْزُو في هذه المدة ، ولا ينزو عليها إلا بعد سنة من يوم وضعها . وفيه من كرم الطُّبَاع أنه لا ينزو على أمهاته ولا أخواته . ومتى حُمِلَ على أن يفعل حَقْدَ على من أَلْزَمه ؛ وربما قتله . وليس في الحيوان من يحقِّد حَقْدَه . وقد قالوا : إنَّ العرب إنما اكتسبت الأحقادَ لأكلها لحوم الجمال ومدامتها .

وفي طبع الجمل الاهتداء بالنَّجم ، ومعرفة الطُّرُق ، والغَيْرَةُ ، والصَّوْلَةُ ، والصَّبْرُ على الحمل الثقيل وعلى العطش . والإبلُ تَميلُ إلى شُرب المياه الكدرة الغليظة ؛ وهي إذا وردت ماء الأنهار حرَّكته بأرجلها حتى يتكدر . وهي من عشاق الشمس . وهي تتعرَّف النبات المسمومَ بالشَّم من مرة واحدة فتتجنَّبُه عند رَغِيهِ ولا تَغْلَطُ إلا في اليَبِيسِ<sup>(٧)</sup> خاصَّةً . وزعم أرسطو : أنها تعيش ثلاثين سنة في الغالب . وقال صاحب

(١) وبار : أرض ما بين الشعر إلى صنعاء .

(٢) يقال : هاج الفحل : إذا هدر وأراد الضراب .

(٣) الهجمة من الإبل : أولها أربعون ما زادت .

(٤) الرهوكة : مشي الذي كأنه يمشي في مشيته .

(٥) يحجز : يعدو ويسرع . (٦) يرقل : يسرع .

(٧) اليبس : ما ييس من العشب .

كتاب مباهج الفكر ومناهج العبر ينقل عن غيره: وقد رُئي منها ما عاش مائة سنة. وكان للعرب عوائد في إبلها أنها إذا أصاب إبلهم العُر<sup>(١)</sup> كَوُوا السليم ليذهب العُر عن السقيم. وكانوا إذا كثرت إبلهم فبلغت الألف فقَوُوا عين الفحل؛ فإذا زادت على الألف فقَوُوا عينه الأخرى. وقد ذكرنا ذلك في أوابد العرب، وهو في الباب الثاني من الفن الثاني من هذا الكتاب في السفر الثالث من هذه النسخة. والله أعلم بالصواب.

## ذِكْرُ مَا مَلَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْإِبِلِ

كانت ناقة رسول الله ﷺ يقال لها: «القَصْواء». ذكر ابن سعد عن محمد بن عمر قال: حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: كانت القصواء من نَعَم بني الحريش، ابتاعها أبو بكر رضي الله عنه وأخرى معها بثمانمائة درهم فأخذها رسول الله ﷺ بأربعمائة؛ فكانت عنده حتى نَفَقَتْ<sup>(٢)</sup>. وهي التي هاجر عليها ﷺ. وكانت حين قديم المدينة رِبَاعِيَّةً، وكان اسمها «القَصْواء» و«الجذعاء»، و«العَصْبَاء»، وكان في طَرْفِ أُذُنِهَا جَذَع<sup>(٣)</sup>، وكانت لا تُسَبِّقُ كلما دُفِعَتْ في سباق. فلما كان في سنة ست من الهجرة سابق رسول الله ﷺ بين الرّواحل، فسبق قَعُودٌ لأعرابي «القَصْواء»، ولم تكن تُسَبِّقُ قبلها؛ فشق ذلك على المسلمين؛ فقال رسول الله ﷺ: «حق على الله ألا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه». وعن قدامة بن عبد الله قال: رأيت رسول الله ﷺ في حِجَّتِهِ يرمي على ناقة صُهْبَاء. وعن سلمة بن بُبَيْط عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ في حِجَّتِهِ بعرفة على جمل أحمر. وذكر أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي في تفسيره: أن النبي ﷺ بعث يوم الحديبية خِرَاشُ بنُ أُمَيَّةَ الخُزَاعِيَّ قَبْلَ عَثْمَانَ إلى قريش بمكة، وحمله على جمل له يقال له «الثَّغْلَب»؛ ليبلِّغَ أشرافهم عنه ما جاء له؛ فَعَقَرُوا جملَ رسول الله ﷺ وأرادوا قتله؛ فمَنَعَتْهُ الْأَحَابِيْشُ<sup>(٤)</sup>، فَحَلَّوْا سَبِيلَهُ. وكان للنبي ﷺ عشرون لَفْحَةً<sup>(٥)</sup> بالغابة (وهي على بريد من المدينة من طريق الشام) وكان فيها أبو ذَرٍّ وكان فيها لقائحُ غُزُرٍ<sup>(٦)</sup>: «الحَنَاء» و«السَّمْرَاء» و«العُرَيْسُ» و«السَّغْدِيَّةُ» و«البَغُوم» و«الْيَسِيرَةُ» و«الرَّيَّا». وكان رسول الله ﷺ فرَّقها على نسائه؛ فكانت «السَّمْرَاء» لَفْحَةً

(١) العر: الجرب.

(٢) نفقت: هلكت.

(٣) الجدع: القطع البائن في الأنف أو الأذن أو الشفة أو اليد.

(٤) الأحابيش: هم بنو الهون بن خزيمه وبنو الحارث بن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة.

(٥) اللقحة: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن.

(٦) الغزُر: وهي الكثيرة الدر من الإبل وغيرها من ذوات اللبن.

غزيرة لعائشة؛ وكانت العُرَيْس لَأَمَّ «سَلَمَة»؛ فأغار عليها عَيْنَةُ بَنُ حِصْنٍ فِي أَرْبَعِينَ فَارِسًا فَاسْتَاقَوْهَا وَقَتَلُوا أَبْنَ أَبِي دَرٍّ، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى أَتَتْهُوَ إِلَى ذِي قَرْدٍ<sup>(١)</sup> فَاسْتَنْقَذُوا مِنْهَا عَشْرًا وَأَقْلَتِ الْقَوْمُ بِمَا بَقِيَ، وَقِيلَ: بَلْ اسْتَنْقَذَهَا كُلُّهَا مِنْهُمْ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ<sup>(٢)</sup> حِينَ يَقُولُ: مَا خَلَقَ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ ظَهْرِ<sup>(٣)</sup> النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا خَلَفْتُهُ وَرَاءَ ظَهْرِي، وَأَسْتَنْقَذْتُهُ مِنْهُمْ؛ وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سِتٍّ.

وَكَانَتْ لِقَاحُهُ ﷺ، الَّتِي كَانَ يَرَعَاهَا يَسَارُ مَوْلَاهُ بَذِي الْجَدْرِ نَاحِيَةً قُبَاءً قَرِيبًا مِنْ غَيْرِ عَلَى سِتَّةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، خَمْسَ عَشْرَةَ لَفْحَةً غِزَارًا اسْتَاقَهَا الْعُرَيْتُونَ<sup>(٤)</sup> وَقَتَلُوا يَسَارًا وَقَطَعُوا يَدَهُ وَرَجَلَهُ وَغَرَزُوا الشَّوْكَ فِي لِسَانِهِ وَعَيْنَيْهِ حَتَّى مَاتَ. فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي إِثْرِهِمْ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ الْفِهْرِي فِي عَشْرِينَ فَارِسًا؛ فَأَدْرَكُوهُمْ وَرَبَطُوهُمْ وَأَرْذَفُوهُمْ عَلَى الْخَيْلِ حَتَّى قَدِمُوا بِهِمُ الْمَدِينَةَ، فَقَطَّعَتْ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمِلَتْ أَعْيُنُهُمْ وَصَلَبُوا. وَفِيهِمْ نَزَلُ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: ٣٣] الْآيَةُ؛ وَذَلِكَ فِي شَوَّالِ سَنَةِ سِتٍّ. وَفَقَدَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهَا لَفْحَةً تُدْعَى «الْحَنَاءُ»؛ فَسَأَلَ عَنْهَا فَقِيلَ: نَحَرُوهَا.

وَقِيلَ: كَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَبْعَ لِقَاحٍ تَكُونُ بَذِي الْجَدْرِ؛ وَتَكُونُ بِالْجَمَاءِ<sup>(٥)</sup>: لَفْحَةً تُدْعَى «مُهْرَةً» وَكَانَ غَزِيرَةً، أُرْسِلَ بِهَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مِنْ نَعَمِ بَنِي عُقَيْلٍ، وَلَفْحَةً تُدْعَى «بُرْدَةً» تُحَلَبُ كَمَا تُحَلَبُ لِفُحْتَانِ غَزِيرَتَانِ، أَهْدَاهَا لَهُ الضُّحَّاكُ بْنُ سُفْيَانَ الْكِلَابِيِّ، «وَالشُّقْرَاءُ»، وَ«الرَّيَّا» وَ«السَّمْرَاءُ» وَ«الْعُرَيْسُ» وَ«الْيُسَيْرَةُ» وَ«الْحَنَاءُ» يُحَلَبْنَ وَيُرَاحُ إِلَيْهِ بَلْبَنَهُنَّ كُلَّ لَيْلَةٍ.

وَفِي غَزَاةِ بَدْرٍ غَنِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَمَلَ أَبِي جَهْلٍ وَكَانَ مَهْرِيًّا يَغْزُو عَلَيْهِ وَيَضْرِبُ فِي لِقَاحِهِ. ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ.

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَهْدَى عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ فِي هَدَايَاهُ جَمَلًا<sup>(٦)</sup> لِأَبِي جَهْلٍ فِي رَأْسِهِ بُرَّةً<sup>(٧)</sup> مِنْ فُضَّةٍ؛ لِيَغِيْظَ بِذَلِكَ الْمُشْرِكِينَ. ذَكَرَهُ أَبُو إِسْحَاقَ.

(١) ذُو قَرْدٍ: مَاءٌ عَلَى لَيْتَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ خَيْبَرَ.

(٢) هُوَ سَلَمَةُ بْنُ عَمْرٍو، وَالْأَكْوَعُ لَقَبُ جَدِّهِ وَاسْمُهُ سَنَّانٌ.

(٣) الظَّهْرُ: الْإِبِلُ وَالْغَنَمُ.

(٤) الْعُرَيْتُونَ: قَوْمٌ ارْتَدَوْا، يَنْسُبُونَ إِلَى عَرْنِيَّةٍ، قَبِيلَةٌ مِنَ الْعَرَبِ فِي بَجِيلَةَ.

(٥) الْجَمَاءُ: اسْمٌ لِمَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ بِجَوَارِ الْمَدِينَةِ.

(٦) الْهَدَايَا: يَرَادُ بِهَا مَا يَقْدَمُ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ مِنَ النِّعَمِ لِتَنْحَرُ.

(٧) الْبُرَّةُ: حَلَقَةٌ تَكُونُ فِي أَنْفِ الْبَعِيرِ.

وقيل: كانت للنبي ﷺ لفحة اسمها «مَرْوَة».

وقال ابن الكلبي: إن عِيَاض بن حَمَاد أهدى لرسول الله ﷺ نَجِيية، وكان صديقاً له إذا قَدِم عليه مَكَة لا يطوف إلا في ثيابه، فقال له: «أَسْلَمْتُ؟» قال: لا؛ قال: «إن الله نهاني عن رُبْد<sup>(١)</sup> المشركين». فأسلم؛ فقبلها.

### ذِكْرُ شَيْءٍ مِمَّا وُصِفَتْ بِهِ الْإِبِلُ نَظْماً وَنَثْراً

قال بعض من عَظَم شأنَ الإِبِل: إن الله تعالى لم يخلق نَعْماً خيراً من الإِبِل؛ إن حَمَلْتَ أَثْقَلَ، وإن سارت أَبْعَدَتْ، وإن حَلَبْتَ أَزَوَّتْ، وإن نُجِرَتْ أَشْبَعَتْ. وقال بَشَامَة<sup>(٢)</sup> يصف ناقَة:

كَأَنَّ يَدَيْهَا إِذَا أَزْقَلْتُ      وَقَدْ حَزَنَ ثُمَّ أَهْتَدَيْنِ السَّبِيلَا<sup>(٣)</sup>  
يَدَا سَابِحٍ خَرَفِي غَمْرَةٍ      وَقَدْ شَارَفَ الْمَوْتَ إِلَّا قَلِيلَا  
إِذَا أَقْبَلْتُ قَلْتَ مَشْحُونَةً      أَطَاعَتْ لَهَا الرِّيحُ قَلْعاً جَفُولَا  
وإنْ أَذْبَرْتُ قَلْتَ مَذْعُورَةً      مِنَ الرُّيْدِ تَتَّبِعُ هَيْقاً دُمُولَا<sup>(٤)</sup>  
وقال أَبُو تَمَّام:

وَيَذَلُّهَا السُّرَى بِالْجَهْلِ حِلْماً      وَقَدْ أَدِيمَهَا قَدْ الْأَدِيمِ  
بَدَتْ كَالْبَدْرِ فِي لَيْلٍ بِهِيمٍ      وَآبَتْ مِثْلَ عُرْجُونٍ قَدِيمِ<sup>(٥)</sup>  
وقال الْخَطِيمُ الْخَزْرَجِيُّ:  
وقَدْ ضَمُرْتُ حَتَّى كَأَنَّ وَضِيئَهَا      وَشَاحَ عَرُوسٍ جَالَ مِنْهَا عَلَى خَضِرِ<sup>(٦)</sup>  
وقال أَبُو دُرَيْد:

خُوصٌ كَأَشْبَاحِ الْحَنَائِيَا ضُمُرٌ      يَزْعُفْنَ بِالْأَمْشَاجِ مِنْ جَذْبِ الْبُرَى<sup>(٧)</sup>

(١) الزيد: أي الرقد والعطاء.

(٢) هو بشامة بن القدير.

(٣) ارقل في سيره: أسرع.

(٤) الريد: النعام - والهيق: الظليم، وهو ذكر النعام - والذمول: السريع.

(٥) العرجون: أصل العذق الذي يعوج وتقطع منه الشماريخ.

(٦) الوضين: بطان عريض منسوج من شعر، وهو بمنزلة الحزام للسر.

(٧) الخوصاء: التي غارت عيناها - والحنايا: جمع حنية، وهي القوس - ويرعفن: أي ينبعث الدم من الأنف - والأمشاج: ما يسيل من أنوفها من المخاط المتغير اللون - والبرى: جمع برة، وهي حلقة تكون في أنف البعير.

يَرْسُبْنَ فِي بَحْرِ الدُّجَى، وَفِي الضُّحَى يَطْفُونَ فِي الْآلِ إِذَا الْآلُ طَفَا<sup>(١)</sup>  
وَقَالَ عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنِ حَمْدِيسٍ<sup>(٢)</sup>: [مِنَ الْمُتَقَارِبِ]

وَمِنْ سُفْنِ الْبَرِّ سَبَّاحَةٌ مِنْ الْآلِ بَحْرًا إِذَا مَا أَعْتَرَضَ  
لَهَا شِرَّةٌ لَا تُبَالِي بِهَا أَطَالَ بِهَا سَبَسَبٌ أَمْ عَرَضَ<sup>(٣)</sup>  
إِذَا خَفَقَ الْبُرْذُ بِي خِلْتَنِي عَلَى كُورِهَا طَائِرًا يَنْتَفِضُ  
وَأِنْ يَغْرِضُ الْبَعْضُ مِنْ سَيْرِهَا تَرَى الْعَيْسَ مِنْ خَلْفِهَا تَنْقَرِضُ  
هِيَ الْقَوْسُ إِنِّي لَسَهُمْ لَهَا أُصِيبُ بِكُلِّ فَلَاةٍ عَرَضُ  
وَقَالَ الشَّرِيفُ الْبِياضِيُّ<sup>(٤)</sup>: [مِنَ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ]

نُوقَ تَرَاهَا كَالسَّفِيءِ نَ إِذَا رَأَيْتَ الْآلَ بَخْرًا  
كَتَبَ الْوَجَا بِدُمَائِهَا فِي مُهْرِقِ الْبَيْدَاءِ سَطْرًا<sup>(٥)</sup>  
لَا تَسْتَكِينُ مِنَ اللَّغْوِ بَ إِذَا وَلَا يَغْرِفْنَ زَجْرًا<sup>(٦)</sup>  
وَكَأَنَّ أَزْجُلَهُنَّ تَطَلَّبُ عِنْدَ أَيْدِيهِنَّ وَثْرًا  
وَقَالَ أَبُو عَبَادَةَ الْبُخْتَرِيُّ: [مِنَ الْخَفِيفِ]

وَحَدَانِ الْقِلَاصِ حَوْلًا إِذَا قَا بَلَنْ حَوْلًا مِنْ أَنْجُمِ الْأَسْحَارِ<sup>(٧)</sup>  
يَتَرَقَّرَقْنَ كَالسَّرَابِ وَقَدْ خَضَ نَ غِمَارًا مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي  
كَالْقَيْسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْأَسْ هُمْ مَبْرِيَّةٌ بِلِ الْأَوْتَارِ  
وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ<sup>(٨)</sup> يَصِفُ نَاقَةً:

- 
- (١) الْآلُ: السَّرَابُ.  
(٢) هُوَ عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنُ حَمْدِيسِ الْأَزْدِيِّ الصَّقْلِيِّ، السَّرْقُوسِيِّ، (أَبُو مُحَمَّدٍ) . . كَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٥٣٧ هَجْرِيَّةً. (مَعْجَمُ الْمُؤَلِّفِينَ ٥ : ٧٩).  
(٣) السَّبَسَبُ: الْقَفَرُ وَالْمَفَازَةُ.  
(٤) هُوَ مَسْعُودُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمُحَسِّنِ الْهَاشِمِيِّ، الْعَبَّاسِيِّ (أَبُو جَعْفَرٍ) شَاعِرٌ. تَوَفَّى فِي بَغْدَادَ سَنَةَ ٤٦٨ هَجْرِيَّةً . . . مِنْ آثَارِهِ دِيْوَانُ شَعْرِ صَغِيرٍ. (مَعْجَمُ الْمُؤَلِّفِينَ ١٢ : ٢٢٧).  
(٥) الْوَجَا: هُوَ أَنْ يَشْتَكِيَ الْبَعِيرُ بَاطِنَ خَفِهِ - وَالْمَهْرِقُ: الصَّحِيفَةُ الْبَيْضَاءُ يَكْتُبُ فِيهَا.  
(٦) اللَّغْوُ: الضَّعِيفُ الْأَحْمَقُ.  
(٧) وَخَدَ الْبَعِيرِ: أَسْرَعَ وَوَسَعَ الْخَطْوُ.  
(٨) هُوَ غِيلَانُ بْنُ عَقْبَةَ بْنِ بَهِيْشٍ وَيَكْنَى أَبَا الْحَارِثِ وَهُوَ مِنْ بَنِي صَعْبٍ بْنِ مَلِكَانَ بْنِ عَدِيِّ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ . . . (الشَّعْرُ وَالشَّعْرَاءُ لِابْنِ قَتِيْبَةَ ٢٦٥).

رَجِيْعَةُ أَسْفَارٍ كَأَنَّ زِمَامَهَا شُجَاعٌ عَلَى يُسْرَى الذَّرَاعَيْنِ مُطْرِقٌ<sup>(١)</sup>  
ومنه أخذ المتنبي فقال:

\* كَأَنَّ عَلَى الْأَعْنَاقِ مِنْهَا الْأَفَاعِيَا \*

وقال أبو نُوَاسٍ يصفها بالسرعة:

وَتَجَشَّمْتُ بِي هَوْلٌ كُلُّ تَنْوِفَةٍ هَوَجَاءٍ فِيهَا جُرْأَةٌ إِقْدَامٌ<sup>(٢)</sup>  
تَذُرُ الْمَطْيَى وَرَاءَهَا وَكَأَنَّهَا صَفٌّ تَقَدَّمُ هُنَّ وَهِيَ إِمَامٌ  
وقال الفرزدقُ منشداً:

تَنْفِي يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ نَفْيِ الذَّرَاهِيمِ تَنْقَادُ الصَّيَارِفِ<sup>(٣)</sup>  
وقال آخر:

تَطِيرُ مَنَاسِمُهَا بِالْحَصَى كَمَا نَقَدَ الدَّرْهَمَ الصَّيْرَفُ  
وقال العَطَّاشُ<sup>(٤)</sup>:

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ جَدَّ نَجَاؤُهَا يَدَا سَابِحٍ فِي غَمْرَةٍ يَتَّبِعُ<sup>(٥)</sup>  
وقال آخر في نُوقِي:

خُوضٌ نَوَاجٍ إِذَا حَثَّ الْحُدَاةُ بِهَا حَسِبَتْ أَرْجُلَهَا قُدَامَ أَيْدِيهَا  
وقال القَطَامِيُّ<sup>(٦)</sup>:

يَمْشِينَ رَهْوَاً فَلَا الْأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ وَلَا الصَّدُورُ عَلَى الْأَعْجَازِ تَتَكَلَّمُ<sup>(٧)</sup>  
فَهِنَّ مُعْتَرِضَاتٌ وَالْحَصَى رَمِضٌ وَالرَّيْحُ سَاكِنَةٌ وَالظَّلُّ مُعْتَدِلٌ<sup>(٨)</sup>  
وقال أبو نُوَاسٍ:

وَلَقَدْ تَجُوبُ بَيْ الْفَلَاةِ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَقَالَتِ الْعُفْرُ<sup>(٩)</sup>

(١) رجيعة أسفار: معاودة أسفار.

(٢) التنوفة: الأرض القفر، وقيل: البعيدة الماء.

(٣) الصياريف: الصيارفة، وقد جيء بهذا الجمع للضرورة الشعرية.

(٤) هو العطاش بن عمرو بن عطية من بني شقرة بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضبة.

(٥) يتبوع: يمد باعه.

(٦) هو عمير بن شسيم من بني تغلب وكان حسن التشيب رقيقه.

(٧) الرهو: السير السهل المستقيم.

(٨) الاعتراض: الأرن والنشاط - والرمض: حر الحجارة من شدة حر الشمس.

(٩) صام النهار: اعتدل وقام قائم الظهيرة، وقالت: سكنت - والعفر من الظباء: ما يعلو بياضها حمرة.

شَدْنِيَّة رَعَتِ الْجِمَى فَاتَتْ      مثلَ الجبال كأنها قصرٌ<sup>(١)</sup>  
وقال الأحمر:

حمراء من نسل المهارِي نسلُها      إذا ترامت يَدُها ورجلُها  
حسبَتها غَيْرِي أَسْتَفِزَّ عَقْلُها      أتى التي كانت تخاف بعْلُها

### ذَكَرُ مَا قِيلَ فِي الْبَقَرِ الْأَهْلِيَّةِ

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بيننا رجل يسوق بقرةً إذ ركبها فضرَبَها فقالت: إنا لم نخلق لهذا إنما خُلِقْنَا للحَرْث»؛ فقال الناس: سبحان الله بقرةٌ تَكَلِّمُ! قال: «إني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر»، وما هما ثم<sup>(٢)</sup>.

وقال أصحابُ الكلام في طبائع الحيوان: إنَّ الفحل من البقر ينزو إذا تَمَّتْ له سنة من عمره، وقد ينزو لعشرة أشهر. والبقرة إذا وَلَدَتْ تَحْدَرُ لبنُها من يومها، ولا يوجد لها لبنٌ قبل أن تضع. وهي تحمل تسعة أشهر وتَضَعُ في العاشر؛ فإن وضعت قبل ذلك لا يعيش ولدها. وربما وضعت اثنين، وهو نادر. وهم يتشاءمون بها إذا وضعت اثنين. وإذا مات ولدها أو ذُبِحَ لا يَسْكُنُ خَوازِها ولا يَدْرُ لبنُها؛ ولذلك الرُعَاء يسْلُخون جلدَ ولدها ويحشونه لتَدْرَ له وتسكُنَ، ويسمون «البَوَّ». والبقرة يحب الماء الصافي، بضد الخيل والجمال. وقال المسعودي في كتابه المترجم بمروج الذهب: رأيت بالرِّي نوعاً من البقر تَبْرُكُ كما تَبْرُكُ الإبلُ وتحمل فتور بحملها، والغالب عليها حمرةُ الحَدَقِ. وحكى أسامةُ بن مُنْقِذٍ<sup>(٣)</sup> في كتابه أن في بعض البلدان بقرأ لها أعراف كالخيل. ولعلها الأبقار التي توجد فيها البراجم. والبراجم في أطراف أذنانها وفي أكتافها. ويقال: إنَّ أبقار البراجم تخرج من بحر الصّين وهي تَلْدُ وتُرْضِعُ؛ ولذلك يقال البراجم البحريّة. وبأرض مصر بناحيّتي دُمياط وتَنيس<sup>(٤)</sup> بقر تُسمى بقر الخيس، ضخام حسان الصُّور والشّيات، ولها قرون كالأهْلَة، وفيها نفورٌ وتوحشٌ، لا ينتفع بها في العمل وإنما يُنتفع بالبنانها. وهي لا تُغْلَفُ الحَبُّ، ومأواها حيث يكون العُشْبُ والماء الدائم؛ ولها أسماء يدعونها بها إذا أرادوا حَلْبَها، فتتقدّم إليهم.

وقد وصف الشعراء البقر في أشعارها؛ فمن ذلك قولُ أحمد بن عُلوية

(١) الشدنية: نوق تنسب إلى شدن، وشدن: موضع باليمن.

(٢) المراد بقوله: وما هما ثم، أي: أنهما لم يكونا حاضرين هناك.

(٣) هو أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني، كان من مشهوري الكتاب والشعراء. . . وكان وفاته سنة ٥٨٤ هجرية في دمشق.

(٤) تنيس: جزيرة في بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودُمياط. . (معجم البلدان).



الأضْبَهَانِي<sup>(١)</sup>: [من المنسرح]

يا حَبْذا مَخْضُها ورائِبُها      وحبّذا في الرّجال صاحبُها<sup>(٢)</sup>  
عَجْولةٌ سَمَحَةٌ مبارَكَةٌ      ميمونةٌ طَفَّحَ محالِبُها<sup>(٣)</sup>  
ثَقِيلٌ للحَلَبِ كلما دُعِيَتْ      ورامها للحِلابِ حالِبُها  
فَتِيَّةٌ سِيْئُها، مَهْذَبَةٌ      مُعَتَّفٌ في الثِّدي عائِبُها  
كَأَنَّها لُغْبَةٌ مُزَيَّنَةٌ      يَطِيرُ عَجْباً بها مُلاعِبُها  
كَأَنَّ البائِها جَنَى عَسَلٍ      يَلْدُها في الإناء شارِبُها  
عَرُوسٌ بأقْوَرةٍ إذا بَسَرَزَتْ      من بين أحبالها ترائِبُها<sup>(٤)</sup>  
كَأَنَّها هَضْبَةٌ إذا أَنْتَسَبَتْ      أو بَكَرَةٌ قد أناف غارِبُها<sup>(٥)</sup>  
تُزْهِى برَوْقَيْنِ كاللُّجَيْنِ إذا      مَسَّهما بالبنان طالِبُها  
لو أَنَّها مُهْرَةٌ لما عَدِمَتْ      من أن يَضُمَّ السُرورَ راكِبُها  
وأُشْدِنِي شمس الدين بن دانيال<sup>(٦)</sup> لنفسه: [من المجث]

لَلَّهِ عِجْلَةٌ خَنِيسٍ      صَفراءُ ذاتُ دِلالٍ  
ثُرَيْكٌ عَيْنِي مَهْأَةٍ      من تحت قَرْنَي غِزالٍ  
قد سُرِبِلْتُ بأَصِيلٍ      وتُوجِبُ بهلالٍ

وقال شاعر يصف صوت الحَلَبِ: [من الرجز]

كَأَنَّ صوتَ شَخِبِها المُرْقَضُ      كَشِيشُ أَقْعَى أَجْمَعَتْ لَعَضُ<sup>(٧)</sup>  
\* وَهي تَحْكُ بَعْضُها ببَعْضِ \*

وقال:

كَأَنَّ صوتَ شَخِبِها عُديَّة      هَفِيفُ رِيحٍ أو كَشِيشُ حَيْه

(١) كان من شعراء أصبهان في القرن الثالث للهجرة، وكان يقول الشعر الجيد..

(٢) المحض: اللبن الخالص بلا رغو.

(٣) العجولة: أنثى العجول، وهو ولد البقرة.

(٤) الباقورة: جماعة البقر.

(٥) أناف: ارتفع وأشرف.

(٦) هو محمد بن دانيال بن يوسف الموصلِي (شمس الدين، أبو عبد الله)، حكيم، كحال، أديب،

شاعر ولد بالموصل وأقام بالقاهرة. كانت وفاته سنة ٧١٠ هجرية. (معجم المؤلفين ٩: ٢٩٥).

(٧) الشخب: ما يخرج من الضرع من اللبن إذا احتلب - واللشيش: صوت جلد الأفعى.

## ذكر ما قيل في الجاموس

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:

والجواميسُ هي ضأنُ البقرِ. والجاموسُ أجزعُ الحيوان من البعوض وأشدُّها هرباً منه إلى الماء؛ وهو يمشي إلى الأسدِ رَجِيَّ البال، رابطُ الجأش، ثابتُ الجنان. وقد حُكي عن المعتصم بالله العباسي أنه أبرز للأسدِ جاموسين فَعَلَبَتاه، ثم أبرز له جاموسةً ومعها ولدها فَعَلَبَتَه وَحَمَت ولدها، ثم أبرز له جاموساً مفرداً فواثبه ثم أدبر عنه. هذا على ما في الأسد من القوة في فمه وكَفِّه والجرأة العظيمة والوثبة وشدة البطش والصبر والحُضرِ والطلب والهَرَب؛ وليس ذلك في الجاموس، ولا يستطيع بغير قرنه، وليس في قرنه حِدَّة قرن بقر الوحش؛ فإذا قوي الجاموسُ مع ذلك حتى يقاوم الأسدَ دَلَّ على قوة عظيمة. ولذلك قدَّم الجاحظُ الجاموسَ على الأسد، وعَلَّلَ تقديمه عليه بهذه العلة. وليس ما حُكي عن المعتصم في أمر الجاموس وعَلَبَتَه للأسد بعجيب؛ فإن الجواميس بالأغوار تُقاتِلُ الأسدَ وتُمانعه وتَدْفَعُه فلا يقدِر على قهرها. وأصحاب الجواميس هناك منهم مَنْ يَغْلَفُ قُرُونَهَا بالنُجاس ويحدِّدون أطرافه، يقصدون بذلك إعانتَه على حرب الأسد وقتاله.

والجاموسُ عندنا بالديار المصرية يقاتل التمساح الذي هو أسد البحر ويتمكن منه ويُقَهِّره في الماء؛ فهو قد جمع بين قتال أسد البرِّ وأسد البحر. وله قُدرة عظيمة على طول المُكث في قعر البحر. والتماسيح لا تكاد تأوي موارد الجواميس من بحر النيل وتجنُّبُ أماكنها.

والجواميسُ في أرض الشام من الأغوار والسواحل والأماكن الحارة الكثيرة المياه يُنتفع بها في الحرث والحُمولة وجَرِّ العَجَلِ وحَلْبِ ألبانها. وأما في الديار المصرية فلا يستعملونها ألبنة ولا ينتفعون بها إلا بما يتحصَّل من ألبانها ونتاجها.

وفحول الجواميس يكون بينها قتالٌ شديدٌ ومحاربةٌ، فأثما فحل غلب وقهَّره خَصَّمُه، لا يأوي ذلك المَراح، بل ينفرد بنفسه في الجزائر الكثيرة العُشبِ شهوراً وهو يأكل من تلك الأعشاب ويشرب من ماء النيل، وينفرد خصمُه بالإناث؛ فإذا علم الهاربُ من نفسه القوة والجلَدَ، رجع إلى المَراح وقد توخَّش وأستطال، ويكون خَصَّمُه قد ضَعُفَتْ قواه فلا يقوم بمحاربته؛ ولكنه لا يُؤَلِّي عنه إلا بعد محاربته، فإذا قَهَّره ترك الآخرُ المَراح وتوجَّه إلى جزيرة وفعل كما فعل الأول وعاد إلى خَصَّمِه.

ولبنُ الجاموس من اللَّذِّ الألبان وأدسمها. والرَّعاء يُسمُّون كلَّ جاموسة بأسم تعرفه إذا دُعيت به إلى الحَلْب، فتجيب وتأتيه وتقف حتى يَحْلُبها.

## ذَكَرُ مَا قِيلَ فِي الْغَنَمِ الضَّأْنِ وَالْمَعَزِ

رُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَعَطَاءٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْغَنَمُ بَرَكَةٌ مَوْضُوعَةٌ». وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمًا يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفُ<sup>(١)</sup> الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفْرُ بَدِينَهُ مِنَ الْفِتَنِ». وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوُ الْمَشْرِقِ وَالْفَخْرُ وَالْخِيَلَاءُ فِي أَهْلِ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ وَالْقُدَادِينِ<sup>(٢)</sup> أَهْلُ الْوَبْرِ وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ».

وَمِنْ فَضْلِ الْغَنَمِ مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا وَرَعَى الْغَنَمَ». فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطٍ لِأَهْلِ مَكَّةَ». وَكَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْغَنَمِ مِائَةٌ شَاةٍ لَا يَرِيدُ أَنْ تَزِيدَ كَلِّمَا وَلَدَ الرَّاعِي بِهَمَّةٍ ذَبَحَ مَكَانَهَا شَاةً. وَقَالَ أَبُو الْأَثِيرِ فِي تَارِيخِهِ: وَكَانَ لَهُ شَاةٌ تُسَمَّى «عَوْنَةً»، وَقِيلَ: «غَنِيَّةٌ»، وَعَنْهُ تَسْمَى «الْيَمَنَ». وَذَكَرَ بَعْضُ الْمَتَأَخِّرِينَ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ أَنَّ مَكْحُولًا سُئِلَ عَنْ جِلْدِ الْمَيْتَةِ، فَقَالَ: كَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَاةٌ تُسَمَّى «قَمَرٌ»؛ فَفَقَدَهَا فَقَالَ: «مَا فَعَلْتُ قَمَرٌ؟» فَقَالُوا: مَاتَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا فَعَلْتُمْ بِهَا بِهَا»<sup>(٣)</sup>؟ قَالُوا: مَيْتَةٌ؛ قَالَ: «دَبَاغُهَا طَهُرُهَا».

قَالَ الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ خَلْفِ الدِّمِيَاطِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِ فَضْلِ الْخَيْلِ: وَكَانَتْ مَنَاقِحُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْغَنَمِ سَبْعًا: «عَجْرَةٌ» وَ«زَمْزَمٌ» وَ«سُقْيَا» وَ«بَرْكَةٌ» وَ«وَرَشَّةٌ» وَ«أَطْلَالٌ» وَ«أَطْرَافٌ». وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَبْعُ أَعْتُرَ مَنَاقِحَ تَرَعَاهُنَّ أُمُّ أَيْمَنَ. قَالَ: وَالْمَنِحَةُ: النَّاقَةُ وَالشَّاةُ تُعْطِيهَا غَيْرُكَ فَيُخْلِبُهَا ثُمَّ يَرُدُّهَا عَلَيْكَ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: لِلْعَرَبِ أَرْبَعَةُ أَسْمَاءَ تَضَعُهَا مَوَاضِعَ الْعَارِيَةِ، وَهِيَ: الْمَنِحَةُ، وَالْعَرِيَّةُ، وَالْإِفْقَارُ<sup>(٤)</sup>، وَالْإِخْبَالُ<sup>(٥)</sup>.

## ذَكَرُ تَرْتِيبِ سِنِّ الْغَنَمِ

وَلَدَ الشَّاةُ حِينَ تَضَعُهُ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى «سَخْلَةً» وَ«بَهْمَةً». فَإِذَا فَصِلَ عَنْ أُمِّهِ فَهُوَ

(١) شَعَفُ الْجِبَالِ: رُؤُوسُهَا.

(٢) الْقُدَادُون: أَصْحَابُ الْوَبْرِ لَغَلَطَ أَصْوَاتُهُمْ وَجَفَانَهُمْ؛ وَأَصْحَابُ الْوَبْرِ: هُمُ أَهْلُ الْبَادِيَةِ.

(٣) الْإِهَابُ: الْجِلْدُ الْمَغْلَفُ لَجَسْمِ الْحَيَوَانِ قَبْلَ أَنْ يَدْبِغَ.

(٤) الْإِفْقَارُ: هُوَ أَنْ يَعْبِرَ الرَّجُلُ بَعِيرَهُ غَيْرَهُ لِلْحَمْلِ أَوْ لِلرُّكُوبِ حَتَّى إِذَا مَا انْتَهَى مِنْهُ رَدَهُ.

(٥) الْإِخْبَالُ: أَنْ تُعْطِيَ الرَّجُلُ الْبَعِيرَ أَوْ النَّاقَةَ لِيَرْكَبَهَا وَيَجْتَزَّ وَبِهَا ثُمَّ يَرُدُّهَا.

«حَمَلٌ» و«خَرُوفٌ». فإذا أكل وأَجْتَرَهُ فهو «بَذَجٌ» و«فَرْفُورٌ». فإذا بلغ النَّزْوَ فهو «عُمُرُوسٌ»، وكلُّ أولاد الضَّأْنِ والمعز في السنة الثانية «جَذَعٌ»؛ وفي الثالثة «ثَنِيٌّ»؛ وفي الرابعة «رَبَاعٌ»؛ وفي الخامسة «سَدِيسٌ»؛ وفي السادسة «سَالِغٌ». وليس له بعد هذا اسم. ويقال لولد المعز: «جَفَرٌ» ثم «عَرِيضٌ» و«عَثُودٌ» و«عَنَاقٌ»، والغنم، الضَّأْنِ والمَعَزُ، تضع حملها في خمسة أشهر. وتِلِدُ النعجة رأساً إلى ثلاثة، والعنز من الرأس إلى أربعة. وينزو الذكر بعد مضي ستة شهور من ميلاده. وتحمل الأنثى بعد مضي خمسة أشهر من يوم وُلِدَتْ. ويُجَزَّ صوف الضَّأْنِ عنها في كل سنة. ولحوم الضَّأْنِ من أطيب اللُّحْمَانِ؛ وكذلك ألبانها. وقد أطنب الجاحظ في المفارقة بين الضَّأْنِ والمعز وأطال وأتى بالغث والسمين.

وكتب أبو الخطَّاب الصَّايي إلى الحسين بن صَبْرَةَ جواباً عن رقعة أرسلها إليه في وصف حَمَلٍ أهداه إليه، جاء منها:

«وصلتُ رقعتك؛ ففضضتها عن خَطِّ مشرق، ولفظ مؤنق؛ وعبارة مُصِيبَة، ومعانٍ غريبة، وآساع في البلاغة يَعَجِزُ عنه عبد الحميد في كتابته، وسُخْبَانٌ في خطابته. وذكرت فيها حَمَلًا، جعلته بصفتك جَمَلًا؛ وكان كالمُعِيدِي أسمع به ولا أراه. وحضر، فرأيتُ كبشاً مُتَقَادِمَ المِيلَادِ، من نِتَاجِ قوم عاد؛ قد أَفَنَّتْهُ الدهور، وتعاقبت عليه العصور؛ فظننتُ أحدَ الزوجين اللذين حملهما نوح في سفينته، وحفظ بهما جنسَ الغنم لذريته. صَغَرَ عن الكبر، وَلُطِفَ في القدر، فبانت دَمَامَتُهُ، وتقاصرت قامته؛ وعاد نحيفاً ضئيلاً، بالياً هزيلًا؛ بادِي السَّقَامِ، عَارِي العِظَامِ؛ جامِعاً للمعائب، مُشْتَمِلًا على المثالب، يَغْجَبُ العاقلُ من حلول الروح فيه، لأنه عظم مُجَلَّد، وصوف مُلَبَّد، لا تجد فوق عظامه سَلْبًا<sup>(١)</sup>، ولا تَلْقَى اليَدُ منه إلا حَشَبًا؛ لو أَلْقَى للسَّيِّحِ لَأَبَاهُ، أو طَرَحَ للذئب لعافه وقلاه؛ وقد طال للكلأ فَقْدُهُ، وَبَعُدَ بالمرعى عَهْدُهُ؛ لم يَرِ القَتَّ<sup>(٢)</sup> إلا نائمًا، ولا الشعيرَ إلا حالمًا. وقد خَيرتني بين أن أَقْتَنِيَهُ فيكون فيه غنى الدهر، أو أَذْبَحَهُ فيكون فيه خِضْبُ الشَّهْرِ؛ فمِلْتُ إلى أَسْتَبْقَائِهِ؛ لِمَا تَعَلَّمَهُ من محبتي في التوفير، ورغبتني في التَّؤْمِيرِ؛ وَجَمَعِي للولد، وأدْخَارِي لَعْدٍ؛ فلم أجد فيه مُسْتَمْتَعًا للبقاء، ولا مَدْفَعًا للفناء؛ لأنه ليس بأنثى فَيَحْمِلُ، ولا بِقَتِيٍّ فَيَنْسُلُ، ولا بصحيح فَيَزَعَى، ولا بسليم فَيَبْقَى، فمِلْتُ إلى الثاني من رأيك، وعملت بالأخر من قوليك؛ وقلتُ: أذبحه فيكون وظيفة للعِيَالِ، وأقيمهُ رَطْبًا مَقَامَ قَدِيدِ الغزال؛ فأنشدني وقد أَصْرَمْتُ النارَ وَحُدَّدْتُ الشُّفَارَ، وشَمَّرَ الجَزَارَ:

(١) السلب: ما على الرجل من اللباس، ويراد به هنا اللحم لأنه يكسو العظم ويستره.

(٢) القَت: نبات رطب تغلفه الدواب.

أَعِيْذُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَخْسَبَ الشَّحْمَ فَيَمْنِ شَحْمُهُ وَرَمَ  
وما الفائدة لك في ذبحي! وإنما أنا كما قيل:

لَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفْسٌ خَافَتْ وَمُقْلَةٌ إِنْسَانُهَا بَاهَتْ<sup>(١)</sup>

ليس لي لحم يصلح للأكل، فإن الدهر أكل لحمي؛ ولا جلد يصلح للدبغ، فإن الأيام مزقت أديمي، ولا صوف يصلح للغزل، فإن الحوادث خصت<sup>(٢)</sup> وبري. وإن أردتني للوقود فكف بعر أدفا من ناري، ولم تنف حرارة جفري برائحة قتاري<sup>(٣)</sup> ولم يبق إلا أن تطالبني بدخل<sup>(٤)</sup> أو بيني وبينك دم. فوجدته صادقاً في مقالته، ناصحاً في مشورته. ولم أعلم من أي أموره أعجب: أم من ماطلته الدهر على البقاء، أم من صبره على الضر والبلاء، أم من قذرتك عليه مع عوز مثله، أم من اتحافك الصديق به على خسارة قدره. ويا ليت شعري إذا كنت والي سوق الأغنام، وأمرك ينفذ في المعز والضأن؛ وكل حمل سمين، وكبش بطين؛ مجلوب إليك، وموقوف عليك، تقول فيه فلا ترد، وتريد فلا تصد؛ وكانت هديتك هذا الذي كأنه انشر من القبور، أو أقيم عند التفخ في الصور؛ فما كنت مهدياً لو أنك رجل من غرض الكتاب، كأبي علي وأبي الخطاب! ما تهدي إلا كلباً أجرب، أو قرداً أخدب.

وقال شاعر في هذا المعنى: [من الخفيف]

ليت شِعْري عن الخروف الهزيل      ألك الذئب فيه أم للوكيل  
لم أجذ فيه غير جلدٍ وعظم      وذئبٍ له دقيقٍ طويل  
ما أراني أراه يصلح إذ أص      بح رسماً على رسوم الطلول  
لا لشي ولا لطبخ ولا بي      ع ولا ير صاحب خليل  
أعجف لو مُطْفَل نال منه      لغدا تائباً عن التطفيل<sup>(٥)</sup>  
وقال شرف الدين بن عَيْن وقد أهدى له بعض أصدقائه خروفاً بعد ما مطله به:

[من الطويل]

أتاني خروف ما شككت أنه      حليف جوى قد شفه الهجر والمطل

(١) إنسان العين: ناظرها.

(٢) حصت وبري: حلقت وأذبت.

(٣) القتار: الدخان من المطبوخ.

(٤) الذحل: النار.

(٥) الأعجف: المهزول - والتطفيل: التطفل.

إذا قام في شمس الظهيرة خلته  
فناشدته: ما تشتهي؟ قال: قتة  
فأحضرتها خضراء مجاجة الثرى  
وظل يُراعيها بعينٍ ضعيفة  
«أنت وحياض الموت بيني وبينها»

وقال الحمدوني في المغزى: [من البسيط]

أبا سعيد لنا في شاتك العبر  
وكيف تبعر شاة عندكم مكثت  
لو أنها أبصرت في نومها علفاً  
«يا مانعي لذة الدنيا بما رُحبت»  
وقال أيضاً:

ما أرى إن ذبحت شاة سعيد  
ليس إلا عظامها، لو تراها  
وقال فيها: [من مجزوء الخفيف]

لسعيد شوئهة  
قد تغثت وأبصرت  
بأبي من بكفه  
فأتاهام طمعاً  
فتولى وأقبلت  
ليته لم يكن وقف  
سألها الضر والعجف  
رجلاً حاملاً علف  
برء دائي من الدنف<sup>(٣)</sup>  
فأثته لتغثلف  
تغثي من الأسف  
عذب القلب وأنصرف

(١) قاسمته: أحلفته.

(٢) الأرزان: شجر صلب تتخذ منه عصي صلبة.

(٣) الدنف: المريض الذي لزمه المرض الشديد.

## القسم الرابع

### من القرن الثالث في ذوات السموم

وفيه بابان

#### الباب الأول

من هذا القسم في ذوات السموم القَوَاتِل . ويشتمل هذا الباب على ما قيل في الحيات والعقارب .

#### ذكر ما قيل في الحيات

الحياتُ مختلفاتُ الجهاتِ جدًّا . وهي من الأمم التي يكثرُ اختلافُ أجناسها في الصُّورِ والشَّيَمِ ، والصَّغَرِ والعَظَمِ ، وفي التعرُّضِ للناسِ وفي الهربِ منهم . فمنها ما لا يؤذي إلا أن تَطَّأَهَا . ومنها ما يؤذي إذا وُطِئَتْ في جِماها . ومنها ما لا يؤذي في تلك الحال إلا أن تكون على بَيْضِها أو فراخِها . ومنها ما لا يؤذي إلا أن يكون الناسُ قد آذَوْها مرَّةً . فأما «الأسودُ» فإنه يَحْقِدُ وَيُطَالِبُ وَيَكْمُنُ في المتاعِ حتى يُدْرِكَ ؛ وله زمانٌ يقتلُ فيه كلَّ شيءٍ نَهَشَهُ . وأما «الأفعى» فليس ذلك عندها ، ولكنها تظهر في الصيف مع أوائل الليل إذا سَكَنَ وَهَجُ الرَّمْلِ أو ظاهرُ الأرضِ ، فتأتي قارعةً الطريقِ حتى تَسْتَدِيرَ كالرَّحَى<sup>(١)</sup> وتُشَخِّصَ رأسُها ؛ فَمَنْ وَطِئَ عليها أو مَسَّها نَهَشَتْهُ . وهي من الحيات التي تَرُصِدُ ؛ وهي تقتلُ في كلِّ زمانٍ وعلى كلِّ حال . و«الشُّجاع» يُوَايِبُ ويقوم على ذنبه . والحياتُ أصنافٌ كثيرةٌ سنذكر ما أمكن ذكره منها إن شاء الله .

والعربُ تضربُ المثلَ في الظلمِ بالحيَّةِ فيقولون : «أَظْلَمُ من حَيَّةٍ» ، لأنها لا تتخذ لنفسها بيتاً ، وكل بيت قُصِدَتْ نحوهُ هربُ أهله منه وأخلوه لها .

---

(١) الرحي : الأداة التي يطحن بها ، وهي حجران مستديران يوضع أحدهما على الآخر ويدار الأعلى على قطب .

والحيّة مشقوقة اللسان، ولسانها أسود، وزعم بعض المفسرين لكتاب الله عز وجل أن الله تعالى عاقب الحيّة، حين أدخلت إبليس في فمها حتى خاطب آدم وحواء وخدعهما، بعشرة أشياء: منها شقّ لسانها؛ فلذلك ترى الحيّة إذا ضربت لِتُقْتَلَ كيف تُخْرِجُ لسانها لِتُري الضارب لها عقوبة الله تعالى، كأنها تَسْتَرْجِمُ. ويقال: إن من خصائص الحيّة أنّ عينها إذا قُلِعَتْ عادت، وكذلك نابها إذا قُلِعَ أو قُطِع بالكاز<sup>(١)</sup> عاد بعد ثلاث ليالٍ؛ وكذلك ذنبها إذا قُطِع عاد. وفي طباعها أنها تهرب من الرجل العُريان، وتَفْرَحُ بالنار وتطلبها وتُعْجِبُ بها، وباللبن والبطيخ واللُّفاح<sup>(٢)</sup> والخُزْدَل. وهي لا تَضَيِّطُ نفسها عن الشراب إذا شمتها، وإذا وجدته شربت منه حتى تسكر؛ فربما كان السُّكْر سبب حَتْفها؛ لأنها إذا سَكِرَتْ حَذِرَتْ، وتكره رِيح السَّدَاب<sup>(٣)</sup> ولا تملك نفسها معه، وربما أَضْطَيْدَتْ به؛ وتكره رِيح الشَّيْخ<sup>(٤)</sup>. والحيّة تُذْبَح حتى تُفَرَى أوداجها فتبقى أياماً لا تموت. ومتى ضُربت بالقَصْب الفارسي ماتت، وإن ضُربت بسوط قد مسّه عَرَقُ الخيل ماتت. ويقال: إنها لا تموت حَتْفَ أنفها إلا أن تُقْتَلَ.

ومن أعجب ما شاهدته أنا من الأفاعي أنها قُطِعَتْ بحضوري بالبيمارستان<sup>(٥)</sup> المنصوري بالقاهرة المُعْزِيّة في شهور سنة ستّ وسبعمائة بسبب عمل الدُّرْيَاق<sup>(٦)</sup> الفَارُوق وقُطِعَ من رأسها وذنبها ما جرت العادة بقطعه، وسُلِخَتْ وشُقُّ بطنها ونُظِّمَتْ وهي تختلج، ثم سُلِّقَتْ وجُزِدَ لحمها عن العظم، فنظرت إليه فإذا هو يختلج، فعَجِبْتُ لذلك؛ وذكرته لرئيس الأطباء عَلَم الدِّين المعروف<sup>(٧)</sup> بابن أبي خَلِيقَة وهو حاضر في المجلس، فقال: ليس هذا بأعجب مما تراه الآن، وقال لي: استَدْعُ أقراص الأفاعي التي عُمِلَتْ من أكثر من سنة؛ فاستدعيتهما، فأحضرها الخازن وهي في العسل وقد دُقَّ

(١) الكاز: المغص (فارسي معرب).

(٢) اللفاح: خو المعروف في مصر بالشمام.

(٣) السذاب: وهو نوعان: بري وبستاني، فالبستاني يفرع فروعاً تطلع من ساق له قصيرة تتشعب عليه مثل الأغصان ويحمل أطراف أغصانه رؤوساً تتفتح عن ورد صغار الورق أصفر، وإذا انتشر سقط منه الحب، وأما البري فهو أصغر ورقاً.

(٤) الشَّيْخ: أنواعه كثيرة، أهمها النوع الأصفر وهو يحكي السذاب في ورقه وهو الأرمني وأحمر عريض الورق وهو التركي وكل طيب الرائحة إلى ثقل وحدة، لا يختص وجوده بزمان... (تذكرة داود الأنطاكي ص ٢٢٠).

(٥) البيمارسان: المستشفى.

(٦) الدرياق: أي الترياق.

(٧) هو علم الدين إبراهيم بن الرشيد بن أبي الوحش المعروف بابن أبي حليفة... كان بارعاً في الطب محفوظاً عند الملوك والأمراء... كانت وفاته سنة ٧٠٨ هجرية.



لحم الأفاعي بعد سَلْقِهِ وعُجِنَ بالسَّمِيدِ وجُعِلَ أقراصاً ووُضِعَ في العسل من أكثر من سنة؛ فقال لي: تأمل الأقراصَ، فتأملتها فإذا هي تضطرب اضطراباً خفيفاً.

وقال الجاحظ: وزعم صاحب المَنَظِقِ أَنَّ الحَيَاتِ تَنسَلِخُ عن جلودها في كل عام في أول الربيع أو الخريف؛ وتبتدىء بالسَّلْخِ من عيونها ويتم سَلْخُهَا في يوم وليلة، ويصير داخل الجلد هو الخارج. وإذا هَرِمَتْ وَعَجَزَتْ عن السَّلْخِ وأرَتْخَى جَسْمُهَا أدجلت جَسْمَهَا بين عودين أو في صَدْعٍ ضيقٍ حتى تنسلخ، ثم تأتي إلى عين ماء فتغمس فيها فيشتد لحمها ويعود إلى قوتِه وشِدَّتِه.

قال الجاحظ: وليس في الأرض مثل جسم الحية إلا والحية أقوى بدنأ منه أضعافاً. ومن قوتها أنها إذا أدخلت صدرها في حُجْرٍ أو صَدْعٍ لم يستطع أقوى الناس وقد قبض على ذَنَبِهَا بكلتا يديه أن يخرجها، لشدّة أَعْتِمَادِهَا وتعاون أجزائها؛ وربما أُنْقَطِعَتْ في يد الجاذب لها. فإذا أراد أن يُخْرِجَهَا أرسلها بعض إرسالٍ ثم يجذبها كالمُخْتَطَفِ لها. قال: ومن أصناف الحيات ما هو أَزْعَرُ<sup>(١)</sup>، وما هو أَرْبَ (ذو شعر) ومنها ذوات قرون. ومنها ما يسمى الأسود وهو ما إذا كان مع الأفاعي في جُؤنة<sup>(٢)</sup> وجاع أبتلعها من قِبَلِ رؤوسها، ومتى رام ذلك من غير جهة الرأس عَضَّتْه فقتلته. ومن أصنافها ما يسمى «الأَصْلَةُ»، وهو ثعبان عظيم جداً، وله وجه كوجه الإنسان؛ ويقال: إنه يصير كذلك إذا مرّت عليه ألوف من السنين. وهو يقتل بالنظر وبالنفخ. ومنهم من يسمي هذا النوع الصِّلَ، ويقول: إنَّ أصل خَلَقْتَهُ على هذه الصفة. قال: وفي البادية حية يقال لها «الحُقَات» تأكل الفأرَ وأشباهه. وهي عظيمة، ولها وعيدٌ مُنْكَرٌ ونفخٌ وإظهار للصولة، وليس وراء ذلك شيء؛ والجاهل ربما مات من الفزع منها.

قالوا: والثعبان والأفعى فإنه يقتل بما يُحدثه من الفزع؛ لأن الرجل إذا فَرِعَ تَفَتَّحت مَسَامُهُ ومنافِسُهُ، فيتوغَّل السُّمُّ في موضع الصميم<sup>(٣)</sup> وأعماق البدن. فإن نهَشَتْ النائم والمُعْمَى عليه والمجنونَ والطفلَ الصغير لم تقتله أَلْبَتَةً. وزعم صاحب المنطق أنَّ بالحبيشة حَيَاتٍ لها أجنحة. وأخبرني المولى شرف الدين أحمد بن البَزْدِيِّ قال: كنت بمدينة الرَّمْلَةِ<sup>(٤)</sup> في شهور سنة اثنتين وسبعمئة صحبة الصاحب شرف الدين بن الخليل ومعه القاضي الحاكم وجماعة كثيرة من الناس وفيهم عَدَوَلَى<sup>(٥)</sup> وغيرهم؛ فنظرنا نحو

(١) الأزعر: الذي ساء خلقه وقلَّ خيره.

(٢) الجؤنة: سلية مستديرة مغطاة أدماً.

(٣) الصميم: العظم الذي به قوام العضو.

(٤) الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين.

(٥) العدولي: الملاح.

السماء فإذا نحن بحيتين عظيمتين طائرتين في الهواء قاصدتين صوبَ البحر، كلّ منهما في غِلْظِ الثيابة<sup>(١)</sup>، وإن إحداهما مستقيمة في طيرانها والأخرى تَتَعَوّج من قِبَل رأسها ووسطها وذَنبها، وكانتا من الأرض بحيث لا يبلغهما السهم، قال: فسَطَرْنَا بذلك محضراً على عِدّة نسخ.

وحكى بعضُ المؤرخين: أنه وُجِدَ في خزائن المستنصر بالله<sup>(٢)</sup> العُبَيْدي أحدِ خلفاء مصر بَيْضَةً محلّاةً بالذهب ظلّوا أنها بيضةُ نعامة، فجعل الناس يتعجبون من تحليتها بالذهب؛ فذكروا ذلك للمُستكفي، فقال: إنها بيضةُ حيّة كان بعض الملوك أهداها لجَدِّي القائم بأمر الله.

ومن كتاب نُسُور المحاضرة قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن الوراق قال: حدّثني عمي أبو الحسين: أن الحُصَيْنِي حدّثه عن أبي العباس بن الفُرات قال: حدّثني أبي قال: قال لي جعفر الحَيَّاط<sup>(٣)</sup>: أمرني المأمون ونحن بالروم أن أَقْتَصَّ<sup>(٤)</sup> الطريقَ لثلاثين يكون به جواسيس للعدوّ؛ فأخذتُ معي جماعةً من أصحابي فُرساناً ورجالةً وسلكْتُ الطريقَ، فعَنَ لي شُغْب فقصدته لثلاثين يكون فيه كمينٌ من الجواسيس، وتقدّمني الرّجالة فرأيتهم قد وقفوا؛ فأسرعت إليهم وسألتهم عن خبرهم، فقالوا: انظر، فنظرتُ فإذا رجلٌ من الرّجالة قد قعد لقضاء حاجته، ومشى أصحابه، فقصدته حيّةً من وراء ظهره فابتلعت من رجله إلى صدره وهو يستغيث ويصيح، فلم يكن لنا فيه حيلةٌ وخفتُ أن أُمَرَ الرّجالة برمي الحيّة بالنُّشاب فيصيب الرجلَ فأكون أنا قتلته. فبسط الرجلُ يديه وأنتهى بَلْعُ الحيّة إلى إِنْطِنِ، فرأيتها وقد أنضّمت على ما أبتلعت منه ضِمّةً سمعنا تكسيرَ عظامه في جوفها، فمات وسقطت يدها فابتلعت حينئذٍ بأسره. فقلت: الآن أَقْصِدُوها بالنُّشاب؛ فرشقناها جميعاً فأثبّتناها في موضعها حتى قتلناها، فأمرتُ بشق بطنها لأُعاينَ جِسْمَ الرّجل، فلم نجد في بطنها من جِلْد ولا عَظْمٍ ولا غيرهما إلا شيئاً كالخيط الأسود، فإذا هي قد أحرقت في لحظةٍ واحدةٍ.

ويقال: إن بجزائر الصين حياتٌ تبتلع الإبلَ والبقرَ وشبهها.

قال الجاحظ: حدّثني أبو جعفر المكفوف النحويّ العُتْبَرِيّ وأخوه رُوح الكاتب

(١) الثيابة: يراد بها عقال البعير ونحوه من كل حبل مثني.

(٢) هو أبو تميم معدّ بن الظاهر لإعزاز دين الله... كانت وفاته سنة ٤٨٧ هجرية بعد أن بُويع له بالخلافة وأقام فيها ستين سنة وأشهرًا... (الوفيات ٢: ١٥١).

(٣) هو جعفر بن دينار بن عبد الله الخياط، كان من كبار القواد في عصر المأمون وابنه المعتصم... وكان مع الأفشين في حرب بابك الخرمي وأبلى معه بلاءً حسناً.

(٤) الاقتصاص: تتبع الأثر.

ورجالٌ من بني العنبر: أنَّ عندهم في رمال بَلْعَنَبَر<sup>(١)</sup> حَيَّة تصيد العصافيرَ وصغارَ الطير بأعجب حيلة؛ وزعموا أنها إذا أنتصفَ النهارَ وأشدَّ الحرِّ في رمال بَلْعَنَبَر وأمتنعت الأرضُ على الحافي والمُنْتَعِل، غمست هذه الحَيَّة ذَنبها في الأرض ثم أنتصبت كأنها عودٌ مركزٌ، أو عود نابت، فَيَجِيء الطائرُ الصغيرُ والجرادةُ، فإذا رأى عوداً قائماً وكره الوقوع على الرَّمْل لشدة حرِّه وقع على رأس الحَيَّة على أنها عود، فإذا وقع على رأسها قَبِضَتْ عليه. فإذا كان جرادةً أو جُعلاً<sup>(٢)</sup> أو بعض ما لا يُشبعها أبتلعتنه وبقيت على أنتصابها؛ وإن كان طائراً يُشبعها أكلته وأنصرفت؛ وإن ذلك دأبها ما منع الرَّمْلُ جانبَه في الصيف والقيظ.

قال: وزعم لي رجالٌ من الصَّقَالِبَةِ خُضَيَّانٌ وفحولٌ أنَّ الحَيَّة في بلادهم تأتي البقرة المَحْفَلَة<sup>(٣)</sup> فتَنْطَلِي على فَخْذَيْها وركبتيها إلى عَراقيبها ثم تُشَخِصُ صدرها نحو أخلافِ ضَرْعها حتى تلتقِمَ الخِلْفَ، فلا تستطيع البقرة مع قوتها أن تترمَّم<sup>(٤)</sup>؛ فلا تزال الحَيَّة تَمُصُّ اللَّبَنَ، وكلما مضت أَسْتَرَحَتْ؛ فإذا كادت تَتَلَفُ أرساتها. وزعموا أنَّ تلك البقرة إذا أن تَتَلَفَ، وإما أن يُصيها داءً في ضرعها وفسادٌ شديد يعسر دواؤه.

وهذا الباب طويل؛ وقد أوردنا منه ما فيه غُنْيَةٌ. فلنذكر ما قيل في أصناف الحيات وأوصافها.

ذَكَرَ أسماء الحيات وأوصافها - يقال: «الجان» و«الشيطان» هي الحَيَّة الخبيثة. و«الحَشَش»: ما يصاد من الحيات. و«الْحَيُوثُ»: الذكر منها. و«الحَقَّاتُ» و«الحِضْبُ»: الضخم منها. و«الأسود»: العظيم وفيه سواد؛ ويقال: الأسود هو الداهية؛ وله خُصيتان كخُصيتي الجَدِي، وشعر أسود وعُرفٌ طويل، وُصْنَانٌ كُصْنَانِ<sup>(٥)</sup> التَّيْسِ، و«الشُّجَاعُ»: أسود أملس يضرب إلى البياض، خبيث؛ ويقال: إنه دقيق لطيف. و«الأُعِيرُجُ»: حَيَّة صَمَاءٌ لا تَقْبَلُ الرُّقَى وتَطْفِرُ كما تَطْفِرُ الأفعى. ويقال: الأُعِيرُجُ: حَيَّة أُرَيْقُط<sup>(٦)</sup> نحو من ذراع، وهو أخبث من الأسود. وقال ابن الأعرابي: الأُعِيرُجُ أخبث الحيات، يقفز على الفارس حتى يصير معه في سَرَجِه. وقال الليث عن الخليل:

(١) بلعنبر: ويقال لهم بنو العنبر، وهم من تميم من العدنانية.

(٢) الجعل: حيوان كالخنفساء يكثر في المواضع الندية.

(٣) المحفلة: المثلثة الضرع التي تركت أياماً من غير حلب ليتجمع لبنها.

(٤) تترمم: تتحرك.

(٥) الصنان: التن، أو الريح الكريهة.

(٦) الأريقط: تصغير الأرقط، وهو ما كان لونه الرقطة من الحيوان، والرقطة: لون مؤلف من بياض وسواد، أو من حمرة وصفرة وغيرهما.

الأفعى التي لا تنفع معها رُقِيَّةٌ ولا دِرْبَاقٌ، وهي دقيقة العنق عريضة الرأس. وقال غيره: هي التي إذا مشت مُتَنِيَّةً جَرَشَتْ<sup>(١)</sup> بعض أسنانها ببعض. وقال غيره: هي التي لها رأس عريض ولها قَرْنَان. و«الأفْعَوَان»: الذكر من الأفاعي. و«العزْبُدُ» و«العَسَوْدُ» حية تَنْفُخ ولا تُؤْذِي. و«الأَرْقَمُ»: الذي فيه سواد وبياض، و«الأَرْقَشُ»، نحوه. و«ذو الطُفَيْتَيْنِ»: الذي له خَطَّان أسودان. و«الأَبْتُرُ»: القصير الذنب. و«الخَشْخَاشُ»: الحية الخفيفة. و«الثعبان»: العظيم منها، وكذلك «الْأَيْمُ» و«الْأَيْنُ»، و«أَبْنُ قِثْرَةٍ»: حية شبيهة بالقضيب من الفضة في قَدْر الشُّبْر والفِر، وهي أخبث الحيات، فإذا قَرَّب من الإنسان تَرَأَى في الهواء فوقَ عليه من أعلاه. و«أَبْنُ طَبَقٍ»: حية صفراء، ومن طبعها أن تنام ستة أيام ثم تنتبه في اليوم السابع. ولا تَنْفُخ شيئاً إلا أهلكته قبل أن يتحرك. وربما مر بها الرجل وهي نائمة فيأخذها كأنها سوار من ذهب، فإن أستيقتت وهي في كفِّه خر ميتاً. ومن أمثال العرب «أصابته إحدى بنات طَبَقٍ». قال الليث: «السَّفُّ»: الحية التي تطير في الهواء، وأنشد:

وحتى لو أن السَّفَّ ذا الريش عَضْنِي لما ضرَّني من فيه نابٌ ولا تُغَرُّ<sup>(٢)</sup>  
و«النُّضَاضُ»: الذي لا يسكن في مكان.  
ومن أسمائها «القُرَّة»، و«الهلال» و«الرَّعَاصَةُ».

### ذَكَرُ مَا فِي لُحُومِ الْحَيَاتِ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْأَدْوِيَةِ

قال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا: والحية يُسْتَعْمَلُ مطبوخُها بالماء والملح والشُّبْتُ<sup>(٣)</sup>، وقد يَزَاد عليها الزَّيْتُ. قال: وأجودُ لحمه لحمُ الأَنْثَى؛ وأجودُ سِلْخِهِ سِلْخُ<sup>(٤)</sup> الذَّكَرِ. وطبع الحية إلى التجفيف في لحمها قوي؛ وأما التسخين فليس بشديد؛ وسِلْخُهِ شديد التجفيف أيضاً. وخاصية لحمه أنه يُنْفَذ الفضول إلى الجلد، سيما إذا كان الإنسان غير نَقِيٍّ، قال: ولحمه إذا أُسْتُعْمِلَ أطال العمرَ، وقوى القوة، وحفظ الحواس والشباب. أما قوله: «أطال العمر» فَيَرَدُّ هذا القول ما ورد في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «فرغ ربك من أربع خَلَقٍ وخُلِقَ ورزق وأجل». وأما ما عدا ذلك فغير مردود عليه. قال وأكله ينفع من الجذام نفعاً عظيماً، وإذا أُسْتُعْمِلَ على داء الثعلب<sup>(٥)</sup> نفع نفعاً عظيماً. ولحمها ومرفقها بعد إسقاط طرفها

(١) جرجش الشيء: حكّه. (٢) الشعر: السم.

(٣) الشبث: نوع من العناكب يسميه العامة أبو شبت.

(٤) السِّلْخُ: الجلد.

(٥) داء الثعلب: علة معروفة يتأثر منها الشعر. وسمي داء الثعلب لأن الثعلب يتساقط شعره كل سنة.

(تذكرة دواء الأنطاكي).

يمنع تزئيد الخنازير<sup>(١)</sup>، وكذلك سِلْخها. ومرقتها إذا تُحْسِيت وأُكِل لحمها نفع من أوجاع العصب، وكذلك سِلْخها. قال: وسِلْخها إذا طُبِخ في شراب وقُطِر منه في الأذن سَكَن وجعها؛ وَيَتَمَضَّمُ بخلُ طُبِخ فيه السِّلْخ لوجع السن. قال: وزعم جالينوس أنه إذا أُخِذت خيوط كثيرة، وخصوصاً المصبوغة بالأزجوان، وخُنِقَ بها أفعى وَلَفَّ واحدٌ منها على عنق صاحب أورام اللِّهامة والحَلَق ظهر نفعٌ عجيبٌ، ومرقته ولحمه يقويان البصر. قال: وأتفقوا على أنَّ شحم الأفعى يمنع نزول الماء إلى العين، ولكن الإنسان لا يجسر على ذلك. وإذا شُقَّت الحية ووضعت على نهش الأفاعي سَكَن الوجع.

### ذَكَرَ شَيْءٌ مِمَّا وَصِفَتْ بِهِ الْأَفَاعِي

قال بعضُ الشعراء يصف حيَّةً: [من البسيط]

لا يَنْبُتُ العُشْبُ فِي وَادٍ تَكُونُ بِهِ      وَلَا يُجَاوِرُهَا وَخَشٌ وَلَا شَجَرُ  
جَزْدَاءُ شَابِكَةُ الْأَنْيَابِ ذَابِلَةٌ      يَنْبُو مِنَ الْيُبْسِ عَنْ يَافُوخِهَا الْحَجَرُ<sup>(٢)</sup>  
لَوْ شَرَحْتُ بِالْمُدَى مَا مَسَّهَا بَلَلٌ      وَلَوْ تَكَنَّفَهَا الْحَاوُونَ مَا قَدَرُوا<sup>(٣)</sup>  
قَدْ جَاهَدُوهَا فَمَا قَامَ الرُّقَاءُ لَهَا      وَخَاتَلُوهَا فَمَا نَالُوا وَلَا ظَفَرُوا<sup>(٤)</sup>  
يَكْبُو لَهَا الْوَزَلُ الْعَادِي إِذَا نَفَحَتْ      جُبْنًا وَيَهْرُبُ مِنْهَا الْحَيَّةُ الذُّكْرُ<sup>(٥)</sup>  
وَقَالَ خَلْفُ الْأَحْمَرِ<sup>(٦)</sup>:

وَكَأَنَّمَا لَبِسَتْ بِأَعْلَى جِسْمِهَا      بُزْدًا مِنَ الْأَثْوَابِ أَنَّهُجَهَ الْبِلَى<sup>(٧)</sup>  
فِي عَيْنِهَا قَبْلَ وَفِي خَيْشُومِهَا      قَطَسٌ وَفِي أَنْيَابِهَا مِثْلُ الْمُدَى<sup>(٨)</sup>  
وَقَالَ آخَرُ: [من مخَلَع البسيط]

أَزَقَمُ كَالدَّرْعِ فِيهِ وَشَمٌ      مُنَمَّمُ الظَّهْرِ وَاللِّبَانِ<sup>(٩)</sup>

- (١) الخنازير: قروح صلبة تحدث في الرقبة وأكثر ما تصيب الخنازير.
- (٢) اليافوخ: الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل.
- (٣) الحاوون: جمع الحاوي، وهو الذي يرقى الحيات ويجمعها.
- (٤) الرقاة: جمع الرقي، وهو الذي يرقى الحيات.
- (٥) الوزل: دابة على خلة الضب إلا أنه أعظم منه.
- (٦) هو خلف بن حيان أبو محرز وكان عالماً بالغريب والنحو والنسب والأخبار، كثير الشعر جيدة ولم يكن في نظرائه من أهل العلم أكثر شعراً منه . . . (الشعر والشعراء لابن قتيبة ٤٠٨).
- (٧) أنهجه: أخلقه وأبلاه.
- (٨) القبل في العين: إقبال السواد على الأنف؛ وقيل: هو إقبال إحدى الحدقتين على الأخرى.
- (٩) اللبان: الصدر.

يَزْحَفُ كَالسَّيْلِ مِنْ تِلَاعٍ      كَانَ عَيْنِيهِ كَوُكْبَانِ  
يَهْشِمُ مَا مَسَّ مِنْ نَبَاتٍ      وَيَجْذِبُ النَّفْسَ بِالْعِنَانِ  
وقال ابن المعتز:

أَنْعَتْ رَقَشَاءَ لَا تَخِيَا لِدَيْغَتِهَا      لَوْ قَدَّهَا السَّيْفُ لَمْ يَغْلُقْ بِهِ بَلَلُ  
تُلْقِي إِذَا أَنْسَلَخْتَ فِي الْأَرْضِ جِلْدَتَهَا      كَأَنَّهَا كُمْ دَزَعٌ قَدَّهُ بَطْلُ  
وقال الظاهر البصري<sup>(١)</sup> شاعر اليتيمة: [من الرجز]

سِرْتُ وَصَحْبِي وَسَطَ قَاعٍ صَفْصَفٍ      إِذْ أَشْرَفْتُ مِنْ فَوْقِ طَوْدٍ مُشْرِفٍ  
رَقَشَاءَ تَرْنُو مِنْ قَلْبِ أَجُوفٍ      تُومِي بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ الْمَجْرِفِ<sup>(٢)</sup>  
وَذَنْبٍ مُنْدَمِجٍ مُعَقَّفٍ      حَتَّى إِذَا أَبْصَرْتُهَا لَا تَنْكَفِي<sup>(٣)</sup>  
عَلَوْتُهَا بِحَدِّ سَيْفٍ مُزْهَفٍ      فَظَلَّ يَجْرِي دَمُهَا كَالْقَرْقَفِ<sup>(٤)</sup>  
\* أَتْلَفْتُهَا لَمَّا أَرَادَتْ تَلْفِي \*

وقال خَلْفُ الْأَخْمَرِ:

لَهُ عُنُقٌ مَخْضَرَةٌ مَدَّ ظَهْرَهُ      وَشُومٌ كَتَحْبِيرِ الْيَمَانِيِّ الْمُرْقَمِ<sup>(٥)</sup>  
إِلَى هَامَةِ مِثْلِ الرَّحَى مُسْتَدِيرَةٍ      بِهَا نُقْطُ سُوْدٍ وَعَيْنَانِ كَالدَّمِ  
وقال آخر:

وَحَنْشٍ كَحَلَقَةِ السُّوَارِ      غَايَتُهُ شِبْرٌ مِنَ الْأَشْبَارِ  
كَأَنَّهُ قَضِيبُ مَاءٍ جَارِي      يَفْتَرَّ عَنْ مِثْلِ تَلْطِي النَّارِ  
وقال خلف الأحمر:

صَلُّ صَفَا لَا تَنْطَوِي مِنَ الْقَصْرِ      طَوِيلَةُ الْأَطْرَافِ مِنْ غَيْرِ حَسَرٍ  
دَاهِيَةٌ قَدْ صَغُرَتْ مِنَ الْكِبَرِ      مَهْرُوتَةُ الشُّدْقَيْنِ حَوْلَاءُ النَّظَرِ<sup>(٦)</sup>  
\* تَفْتَرَّ عَنْ عُوجِ حَدَادٍ كَالْإِبَرِ \*

(١) هو الظاهر البصري المكنى بأبي الحسين كما في يتيمة الدهر للثعالبي، ص ٣٦٩.

(٢) ترنو: تديم النظر في سكون طرف.

(٣) لا تنكفي: لا ترجع.

(٤) القرقف: الخمر.

(٥) رقم الكتاب: كتبه.

(٦) مهروثة الشدقين: التي اتسع شدقاها.

وقال أبو هلال العسكري: [من الكامل]

وخفيفة الحركات تَفْتَرِغُ الرُّبَى      كالبرق يلمع في الغمام الرّائِح  
منقوطة تحكي صدورَ صحائفٍ      إِيَّانَ تبدو من بطون صفائح  
تَرْضَى من الدنيا بَظِلِّ صُخَيْرَةٍ      ومن المعيشة بأشتمامٍ روائِح  
وقال ابن المعتز:

كَأَنِّي سَاوَرْتُنِي يَوْمَ بَيْنَهُمُ      رِقْشَاءَ مَجْدُولَةٍ فِي لَوْنِهَا بَرْقُ  
كَأَنهَا حِينَ تَبْدُو مِنْ مَكَامِنِهَا      غَصْنٌ تَفْتَحُ فِيهِ الثَّوْرُ وَالْوَرَقُ  
يَنْسَلُ مِنْهَا لِسَانٌ تَسْتَغِيثُ بِهِ      كَمَا تَعُوذُ بِالسَّبَابَةِ الْفَرِيقُ<sup>(١)</sup>  
وقال الهذلي<sup>(٢)</sup> فِي مَزَاحِفِ الْحَيَاتِ:  
كَأَنَّ مَزَاحِفَ الْحَيَاتِ وَهْنًا      قُبَيْلَ الصَّبْحِ أَثَارُ السَّيَاطِ<sup>(٣)</sup>  
وقال آخر:

كَأَنَّ مَزَاحِفَهُ أُنْسَعُ      جُرِرْنَ قُرَادَى وَمِنْهَا ثُنَى<sup>(٤)</sup>

### ذَكَرَ مَا قِيلَ فِي الْعَقَارِبِ

قال الجاحظ: والعقارب أصناف: منها الجرّارة، والطيارّة، وما له ذنب كالحرية، وما له ذنب معقّف، وفيها السُّودُ، والخُضْرُ، والصُّفْرُ. وهي من ذوات الدُّرُو<sup>(٥)</sup>. ويقال: إِنَّ الْأُنْثَى مِنْ هَذَا النُّوعِ إِذَا حَمَلَتْ يَكُونُ حَتْفُهَا فِي وَلَادَتِهَا؛ لِأَنَّ أَوْلَادَهَا إِذَا أَسْتَوَى خَلَقُهَا أَكَلَتْ بَطُونَ الْأُمّهَاتِ حَتَّى تَنْقُبَهَا، وَتَكُونُ الْوِلَادَةُ مِنْ ذَلِكَ الثَّقَبِ، فَتَخْرُجُ وَالْأُمّهَاتُ مَيِّتَةً. وفي ذلك يقول الشاعر:

وَحَامِلَةٌ لَا تَحْمِلُ الدَّهْرَ حَمْلَهَا      تَمُوتُ وَيَحْيَا حَمْلُهَا حِينَ تَعَطَّبُ  
وقال أيضاً: إِنَّهَا تَلِدُ مِنْ فِيهَا مَرَّتَيْنِ، وَتَحْمِلُ أَوْلَادَهَا عَلَى ظَهْرِهَا وَهِيَ فِي قَدْرِ

(١) الفرق: الفزع، وقد يراد بها المصلي الخاشع.

(٢) هو المتنخل، واسمه مالك بن عويمر بن عثمان بن سويد بن حنيس بن ضباعة بن غادية بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر. وقد ورد هذا البيت في الصفحة ١٢٧٣ من شرح أشعار الهذليين لأبي سعيد السكري م ٣.

(٣) الوهن: جزء من الليل.

(٤) الأنسع: جمع نسع، وهو سير مضفور يجعل زماماً للبعير وغيره.

(٥) الدُّرو: أي الذرية، أو هي بعدد الذرية.

القمل كثيرة العدد. قال: والعقرب شرُّ ما تكون إذا كانت حبلً؛ ولها ثمان أرجل لها أظلافٌ مثل أظلاف الثور، وعيناها في ظهرها، ومن عجيب أمرها أنها لا تضرب الميت ولا المغشي عليه ولا النائم، إلا أن يتحرك شيء من بدنه؛ فإنها عند ذلك تضربه؛ وضربها له إنما هو من خوفها منه. وهي تأوي إلى الخنافس وتُسالِمها، وتُصادق من الحيات كل أسودٍ صالح. وربما لسعت الأفعى فتموت. وفيها ما يلسع بعضه بعضاً فيموت الملسوع. ويقال: إنها تُستخرج من بيوتها بالجراد؛ لأنها تحرص على أكله. ومتى أدخل الكراث<sup>(١)</sup> في جحرها وأخرج تبعته وما معها من نوعها. وهي إذا خرجت من جحرها تضرب كل ما لقيته من حيوانٍ أو نباتٍ أو جمادٍ.

وقيل لبعض الأطباء: إن فلاناً يقول: إنما أنا مثل العقرب أضرب ولا أنفع؛ فقال: ما أقل علمه بها إنها تنفع إذا شق بطنها ووُضعت على مكان اللسعة. وقد تُجعل في جوف فخارٍ مسدود الرأس مطيّن الجوانب، ثم توضع الفخارة في ثورٍ، فإذا صارت العقرب رماداً سقي من ذلك الرماد من به حصاة نصف دائق<sup>(٢)</sup> فتقتتها من غير أن تضرب شيئاً من الأعضاء. وقد تلسع من به حمى عتيقة فتقلع عنه. وقد تلسع المفلوج فيذهب عنه الفالج. وقد تلقى العقرب في الدهن وترك فيه حتى يأخذ منها ويجذب قواها، فيكون ذلك الدهن مضرراً للأورام الغليظة. وقال الشيخ الرئيس: ريت العقارب نافعة من أوجاع الأذن. فهذه منافعها.

وقال الجاحظ: ومن أعاجيب العقرب أنها لا تسبح ولا تتحرك إذا أُلقيت في الماء، كان الماء جارياً أو ساكناً. قال: وهي تطلب الإنسان وتقصده؛ فإذا قصدها فرث منه. وهي إذا ضربت الإنسان هربت هرب من قد أساء. قال: ومن أعاجيب ما في العقرب أنا وجدنا عقارب القاطول<sup>(٣)</sup> يموت بعضها من لسع بعض، ثم لا يموت عن لسعتها شيء غير العقارب، ونجد العقرب تلسع إنساناً فيموت وتلسع آخرَ فتموت هي؛ فدل ذلك على أنها كما تعطي تأخذ. ويقال: إن الذي تموت هي إذا لسعته تكون أمه قد لسعت وهي حامل به. قال: ومن أعاجيبها أنها تضرب الطست والطست النحاس فتخرقه، وربما ضربته فتبث إبرتها فيه. قال: والعقارب القاتلة تكون في موضعين: بشهرزور<sup>(٤)</sup> من

(١) الكراث: عشب معمر من الفصيلة الزنبقية، ذو بصلة أرضية، تخرج منها أوراق مفلطحة ليست جوفاء، وفي وسطها شمراخ يحمل أزهاراً كثيرة، وله رائحة قوية.

(٢) الدائق: سدس الدرهم.

(٣) القاطول: اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة.

(٤) شهرزور: هي كورة واسعة في الجبال بين إربل همذان أحدها زور بن الضحاك (معجم البلدان لياقوت).



بلاد الجبل، وعَسْكَرٍ مُكْرَمٍ<sup>(١)</sup> من بلاد الأهواز، وهي جرارات؛ وإذا لَسَعَتْ قَتَلَتْ؛ وربما تنائر لحْمٍ من لسعته أو تعقن ويسترخي حتى لا يدنو منه أحدٌ إلا وهو يُمسِكُ أنفه مخافة إعدائه. وهي في غاية الصغر؛ فإن أكبر ما يوجد منها تكون زنته دايقاً واحداً؛ والذي يوجد منها كبيراً تكون زنته ثلاث حَبَاتِ أرزٍ؛ فإن وُزِنَتْ بشعيرة رَجَحَتْ الشعيرة عنها. وهي مع نزارتها تقتل الفيلَ والبعيرَ بلسعتها. قال: وَبَنَصِييْنِ<sup>(٢)</sup> عقاربُ قتالةٍ يقال: إن أصلها من شَهْرُزُورَ، وإن بعضُ الملوك حاصر نَصِييْنِ فأتى بالعقارب من شهرزور ورمى بها في كيزانٍ بالمجانيق إلى البلد، فأعطى القومُ بأيديهم<sup>(٣)</sup>.

وقد وصف الشعراء العقرب وشبهوها في أشعارهم، فمن ذلك قول السري الرفاء<sup>(٤)</sup>:

سارية في الظلام مُهْدِيَةٌ      إلى النفوس الرّدى بلا حَرَجِ  
شائِلَةٌ، في دُنْيِيهَا حُمَةٌ      كأنها سَبْجَةٌ من السَّبَجِ<sup>(٥)</sup>  
وقال آخر: [من الرجز]

ونضوة تُعرَفُ بِأَسْمٍ وَلَقَبٍ      ما بين عينيها هلالٌ مُنْتَصِبٌ<sup>(٦)</sup>  
موجودةٌ معدومةٌ عند الطلب      تَطْعَنُ من لاقته من غير سَبَبِ  
يَخْنَجِرُ تَسْلُهُ عند الغضب      كأنه شُعْلَةٌ نارٍ تَلْتَهِبُ  
وقال آخر:

تحملُ رمحاً ذات كُعُوبٍ مُشْتَهَرٍ      فيه سِنَانٌ بالحريق مُسْتَعْرِزُ  
أُنْفٍ تَأْنِيْفاً على حينٍ قُدِرَ      تَأْنِيْفَ أُنْفِ القوسِ شُدَّتْ بالوثرِ<sup>(٧)</sup>

(١) عسكر مكرم: بلد مشهور بنواحي خوزستان.

(٢) نصيبين: هي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام وفيها وفي قراها أربعون ألف بستان. (معجم البلدان لياقوت).

(٣) أعطى القوم بأيديهم: أي ذلوا وخفضوا.

(٤) هو السري بن أحمد بن السري الكندي، الموصل، المعروف بالسري الرفاء (أبو الحسن) شاعر، أديب، مدح سيف الدولة ثم المهلب، وتوفي ببغداد سنة ٣١٢ هجرية. (معجم المؤلفين ٤: ٢٠٨).

(٥) السبج: خرز أسود - وشائلة: رافعة ذنبها.

(٦) نضوة: مهزولة ضعيفة.

(٧) أنف: حدد وسوى؛ وأنف القوس حدها الذي في باطن سيتها.

وقال عبد الصمد بن المعدّل<sup>(١)</sup>: يدعو بها على عدوّ له: [من الرجز]  
يا رَبِّ ذِي إِفْكٍ كَثِيرٍ خُدْعَةٍ مُسْتَجْهَلِ الْحِلْمِ خَبِيثِ مَرْتَعَةٍ  
يَسْرِي إِلَى عِرْضِ الصَّدِيقِ قَذَعَهُ صُبَّتْ عَلَيْهِ حِينَ جَمَّتْ بِدْعُهُ  
ذَاثُ دُنَابَى مُثْلِفٍ مَنْ يَلْسَعُهُ تَخْفِضُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرْفَعُهُ  
أَسْوَدُ كَالسَّبْجَةِ فِيهِ مِبْضَعُهُ يَنْطَفِ مِنْهُ سُمُّهُ وَسَلْمَعُهُ<sup>(٢)</sup>  
تُسْرِعُ فِيهِ الْحَتَفَ حِينَ تَشْرَعُهُ يَبْرُزُ كَالْقَرْنَيْنِ حِينَ تُطْلِعُهُ  
فِي مِثْلِ صَدْرِ السَّبْتِ حِينَ تَقْطَعُهُ لَا تَصْنَعُ الرَقِشَاءَ مَا قَدْ تَصْنَعُهُ<sup>(٣)</sup>  
وقال أَبُو حَمْدٍ: [من الطويل]  
وَمُشْرِعَةً بِالْمَوْتِ لِلطَّعْنِ صَعْدَةً فَلَاقِرْنَ إِنْ نَادَتْهُ يَوْمًا يَجِيبُهَا<sup>(٤)</sup>  
تُذِيقُكَ حَرَّ السَّمِّ مَنْ وَخَزَ إِبْرَةً إِذَا لَسَبَتْ مَاذَا يَلَاقِي لَسِيبُهَا<sup>(٥)</sup>  
إِذَا لَمْ يَكُنْ لَوْنُ الْبَهَارَةِ لَوْنُهَا فَمَنْ يَرَقَانِ دَبَّ فِيهَا شُحُوبُهَا  
لَهَا سَوْرَةٌ خُصَّتْ بِمُنْكَرِ صَوْرَةٍ تَرَى الْعَيْنُ فِيهَا كُلَّ شَيْءٍ يَرِيبُهَا  
لَهَا طَعْنَةٌ لَا تَسْتَبِينُ لِنَاضِرٍ وَلَا يَرْسِلُ الْمِسْبَارُ فِيهَا طَبِيبُهَا<sup>(٦)</sup>  
نَسِيتُ بِهَا قَيْسًا وَذَكَرَى طَعِينُهُ وَقَدْ دَقَّ مَعْنَاهَا وَجَلَّ نُدُوبُهَا<sup>(٧)</sup>  
تَجِيءُ كَأُمِّ الشُّبْلِ عَضْبَى تَوَقَّدَتْ وَقَدْ تَوَجَّ الْيَأْفُوخُ مِنْهَا عَسِيبُهَا<sup>(٨)</sup>  
عَدُوٌّ مَعَ الْإِنْسَانِ يَعْمُرُ بَيْتَهُ فَكَيْفَ يُوَالِي رَقْدَةً يَسْتَطِيبُهَا  
وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ عَنَّا بِلُطْفِهِ لَصَبَّتْ مِنَ الدُّنْيَا عَلَيْنَا خَطُوبُهَا

(١) تقدمت ترجمة ابن المعدّل.

(٢) السلمع: ضرب من السم.

(٣) السبت: الجلد المدبوغ.

(٤) الصلعة: الرمح.

(٥) لسبت: لدغت.

(٦) المسبار: ما يسبر به الجرح.

(٧) الندوب: آثار الجرح.

(٨) العسيب: عظم الذنب، وقيل: هو منبت الشعر منه.

## البَابُ الثَّانِي

### مِنَ الْقِسْمِ الرَّابِعِ مِنَ الْقَنْ الثَّالِثِ

### فِيمَا هُوَ لَيْسَ قَاتِلًا بِفَعْلِهِ مِنْ دَوَابِّ السُّمُومِ

ويشتمل هذا الباب على ما قيل في الخنافس، والورَّغ، والضَّب، وابن عِرْس، والحِزْباء، والقَفَّاذ، والفِثْران، والفَرَّاد، والنمل، والذَّر، والقَمَل، والصُّوَاب.

فأما الخنافس وما قيل فيها - قالوا: والخنافس تتولَّد من عفونة الأرض. وهي أصناف، منها الخُنْفُس المعروف؛ ومنها «الجُعَل» ويسمى «الكَبْرَتَل». وهو يتولَّد من أَخْنَاء<sup>(١)</sup> البقر، وهو يموت إذا شَم رائحة الطَّيِّب، وإذا دُفِن في الورد مات، وإذا أُخرج منه ودُفِن في الرُّوث عاش. والغالبُ أنه لا يموت حقيقةً وإنما يَخْدَرُ وتَبْطُلُ حركته؛ فإذا غُولجَ بما نشأ منه قُوِيَ. والله أعلم. وله سِتُّ أرجل، وسَنَامٌ مرتفع. وهو لا يصير كَبْرَتَلًا حتى يصير له جناحان. وجناحاه يظهران إذا أَرَادَ الطَّيْران وَيَخْفَيَان إذا مشى. ومن عادة الجُعَل أن يحْرُسَ النَّيَامَ؛ فمن قام منهم لقضاء الحاجة تَبِعَهُ طمعاً أنه إنما يُريد الغائط، والغائط قوت الجُعَل.

وقال أبو عثمان عمرو بن بحر: وزعم الأعراب أن بين ذُكُور الخنافس وإناث الجِغْلان تَسَافُداً، وأنهما يُنتِجان خَلْقاً يَنْزِعُ إِلَيْهِمَا جَمِيعاً. قال: وأنشد سيبويه لبعض الأعراب يهجو عدوًّا له:

عَادَيْتَنَا يَا خُنْفُسا أَمَ الْجُعَلِ      عداوة الأوعالِ حَيَاتِ الْجَبَلِ

ويقال: إنَّ الجُعَل يظلُّ دهرًا لا جَنَاحَ له، ثم يَنْبُتُ له جناحان، والعرب تقول في أمثالها: «أَلَجَّ من خنفساء» و«أَفْحَشَ من فاسِيَّة» وهي الخنفساء. وفي لجاجة الخنفساء يقول الأحمر:

لَنَا صَاحِبٌ مُوَلَّغٌ بِالْخِلَافِ      كَثِيرُ الْخَطَايَا قَلِيلُ الصَّوَابِ

أَلَجَّ لَجَاجًا مِنَ الْخَنْفَسَاءِ      وَأَزْهَى إِذَا مَا مَشَى مِنْ غُرَابٍ

ومن أصناف الخَنَافِسِ صَنْفٌ يُقَالُ لَهُ: «حَمَارٌ قَبَان». وهو يتولَّد في الأماكن النديَّة على ظهره شَبُه المَجَنِّ<sup>(٢)</sup>. ومنها صَنْفٌ يُسَمَّى «بَنَاتٍ وَرْدَان»، وهي أيضًا تتولَّد

(١) أَخْنَاءُ البقر: واحداً منها الخنثي: وهو من البقر مارس بذى بطنه. وخص به أبو عبيد الثور وحده دون البقر. وخنثي البقر: روثها. (اللسان مادة خثا).

(٢) المَجَن: الترس.

في الأماكن الندية، وأكثر ما تكون في الحمامات والسَّقَايات. وفيها من الألوان الأسود، والأصهب، والأبيض. قال بعض الشعراء يصف بناتِ وَرْدَانِ:

بناتُ وَرْدَانٍ جنسٌ ليس يَنْعَتَهُ      خَلَقَ كنعيتي في وصفي وتشبيهي  
كمثل أنصافِ بُسرٍ أحمرٍ تُركتُ      من بعد تشقيقه أقماعه فيه<sup>(١)</sup>

ومنها «الصَّرَاصِرُ والجَنَادِبُ». ولها صوتٌ لا يفترُّ بالليل، فإذا طلعَ الفجرُ فُقدَ. وفيه من الألوان الأسود وهو جُنْدَبُ الجبال والآكام السود؛ والأبرق وهو جندب الطلح<sup>(٢)</sup> والسَّمُرُ والغضا؛ والأبيض وهو جندب الصحاري، قال السَّريُّ الرِّفَاءُ يصف جُنْدَبَةً:

وجُنْدَبَةٌ تمشي بساقٍ كأنها      على فخذٍ كالعودٍ منشارٌ عَزَعَرِ<sup>(٣)</sup>  
مُمسَّكَةٌ تجلو الجَنَاحَ كأنها      عَرُوسٌ تَجَلَّتْ في عِطَافٍ مُعْتَبِرِ<sup>(٤)</sup>

وأما الوَزْغُ وما قيل فيه - والوَزْغُ يسمَّى «سَامَ أَبْرَصَ». وزعموا أنه أصمٌّ، وأنَّ السبب في صَمَمِهِ وَبَرَصِهِ أن الدوابَّ كُلَّها حين أُلقي إبراهيم عليه السلام في نار التُّمْرود كانت تُطْفِئُ عنه، وأنَّ هذا كان يُنفخ عليه، فصَمَّ وَبَرَصَ. وروى عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وفي يدي عُكَّاز فيه رُجٌّ<sup>(٥)</sup> فقال: «يا عائشة ما تصنعين بهذا؟» قلتُ: أقتل به الوَزْغَ في بيتي قال: «إن تَفْعَلِي فَإِنَّ الدوابَّ كُلَّها حين أُلقي إبراهيم في النار كانت تُطْفِئُ عنه وإنَّ هذا كان يُنفخ عليه فصَمَّ وَبَرَصَ». وفي حديث آخر عنها رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال للوَزْغِ الْفَوَيْسِقُ.

قالوا: وفي طبع الوَزْغِ أنه لا يدخل إلى بيتٍ فيه رَغْفَران. والحيات تألف الوَزْغَ، كما تألف العقاربُ الخنافسَ. وهو يُطَاعِمُ الحياتَ ويُرَاقُها. وهو يَقْبَلُ اللَّقَاحَ بفيه، ويبيض كما تبيض الحية، وقيل: إن نصيبه من السمِّ نصيبٌ متوسط، لا يكمل أن يقتل، ومتى دَبِرَ جاء<sup>(٦)</sup> منه سمٌّ قاتل. ومتى قُتل وُضِعَ على حُجَرٍ حيةً هَرَبَتْ منه، وهو يُقِيمُ في جُحْرِهِ أربعةَ أشهرٍ الشتاء.

(١) البسر: تمر النخل قبل أن يربط.

(٢) الطلح: شجر عظام من شجر الغضا ترعاه الإبل. والطلح: الموز.

(٣) العرعر: جنس أشجار وجنات من الصنوبريات، فيه أنواع تصلح للأحراج والتزين.

(٤) الممسكة: المطية بالمسك.

(٥) الزج: الحديدية في أسفل الرمح.

(٦) دبر: شاخ وولى.

وقال الشيخ الرئيس: إذا ضُمد به على الشوك والسَّلاء<sup>(١)</sup> جذبُه، وعلى الثَّالِيل<sup>(٢)</sup> يقلِّعها. قال: وقيل: إنَّ المجفَّف منه إذا خلط بالزيت أنبت الشعرَ على الفَرْع. وبولُه ودمه عجيب النفع من فُتق الصُّبيان إذا جلسوا في طبيخه. وقد يُجعل في بولِه أو دمه شيء من المسك ويُجعل في إخليل الصبي فيكون بالغ النفع في الفتق. وقيل إنَّ كبده تُسكَّن وجع الضُّرس، وتُشَق وتوضع على لسع العقرب فيسكن.

وأما الضبُّ وما قيل فيه - قال الجاحظ في كتاب الحيوان: إنَّ من أعاجيب الضبِّ أنَّ له أيرين وللضبة جرين؛ قال: وهذا شيء لا يُعرف إلَّا لهما. هذا قول الأعراب في تخصيصهما بذلك. وقالت الحكماء: إنَّ السَّقَنْقُور<sup>(٣)</sup> له أيران، والجرذون<sup>(٤)</sup> كذلك. قال: وقال جالينوس: الضب الذي له لسانان يصلح لحمه لكذا وكذا. ومما يستدلُّ به على أنَّ للضبِّ أيرين قولُ الفَرَّاري:

سَبَخْلُ له نَزْكَانِ كَانَا فَضِيلَةً على كل حافٍ في البلاد وناعل<sup>(٥)</sup>  
وَأَسْم أير الضبِّ: النَّزْكُ. وسئل أبو حَيَّة التَّمِيمِي<sup>(٦)</sup> عن ذلك، فزعم أن أير الضبِّ كلسان الحية، الأصل واحد والفرع اثنان. وللأثنى مدخلان. وعلى ذلك أنشد الكِسائي<sup>(٧)</sup> رحمه الله تعالى:

تَفَرَّقْتُمْ لا زِلْتُمْ قِرْنَ واحدٍ تَفَرَّقَ أير الضبِّ والأصل واحدٌ  
ويقال: إنَّ الضبة إذا أرادت أن تبيض حَفَرَتْ في الأرض حفرةً ثم رمَتْ بالبيض فيها وطمته بالتراب، وتتعاذه كل يوم حتى يخرج، وذلك في أربعين يوماً. وهي تبيض سبعين بيضةً وأكثر. وبيضها يُشبه بيض الحمام. ويخرجُ الجِسلُ وهو مُطِيقٌ للكسب.

قالوا: والضبُّ يخرج من جُحره كَلِيلَ البصر، فيجلوه بالتحديق في الشمس. وهو يغتذي بالنسيم، ويعيش ببرد الهواء، وذلك عند الهَرَم. قال الجاحظ: وزعم عمرو بن مُسافر: أنَّ الضبة تبيض ستين بيضةً وتَسُدُّ عليهنَّ

(١) السلاء: شوك النخل.

(٢) الثاليل: واحدها ثُلُول، وهو خراج يكون بجسم الإنسان ناتيء صلب.

(٣) السقنقور: حيوان في الماء شديد الشبه بالورل وهو مما يسعى في البر ويدخل في الماء.

(٤) الحرذون: دوية تشبه الضب.

(٥) السجل: الضخم من الضب والبعير والسقاء.

(٦) هو الهيثم بن الربيع وكان يروي عن الفرزدق وكان كذاباً. (الشعر والشعراء لابن قتيبة ٣٩٩).

(٧) هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي الكوفي، المعروف بالكسائي (أبو الحسن) مقرئ، موجود، نحوي. شاعر، توفي سنة ١٨٠ هجرية (معجم المؤلفين ٧: ٨٤).

باب الجُحر ثم تَدَعِهِنَّ أربعين يوماً، فيتفقص<sup>(١)</sup> البيضُ ويظهر ما فيه، فتخفر عنهن عند ذلك. فإذا كشفت عنهن أخضرن وأخضرت<sup>(٢)</sup> في أثرهن، فتأكل ما أدركت منهن. ويحفر المنفلت منها لنفسه جُحراً، ويرعى من البقل فلذلك توصف بالعقوق. ويضرب به المثل في أكل حُسُولِهِ. وفي ذلك يقول الشاعر:

أكلت بَنِيكَ أَكْلَ الضَّبِّ حَتَّى تَرَكْتَ بَنِيكَ لَيْسَ لَهُمْ عَدِيدُ

قالوا: في ذَنبِ الضَّبِّ من القوة ما يضرب به الحية فربما قطعها. والضَّبُّ طويل العمر. وفي طبعه أنه يرجع في قِيَتِهِ. وهو شديد الإعجاب بالتمر. ويقال: إنه يمكث ليلة بعد الذبح ثم يقرب إلى النار فيتحرّك.

قال الجاحظ: وزعمت العرب أن الضبَّ يُعَذِّدُ العقربَ في جُحره؛ فإذا سمع صوتَ الحَرَشِ<sup>(٣)</sup> أَسْتَفْرَهَا<sup>(٤)</sup> فألزقها بأصل عَجَبٍ<sup>(٥)</sup> ذنبه وضَمَّهُ عليها، فإذا أدخل الحارِشَ يَدَهُ ليقبض على أصل ذنبه لسعته. وقيل: بل العقارب تألف الضباب وتُسالمها وتأوي إليها. قال التميمي:

أَتَأْنَسُ بِي وَنَجْرُكَ غَيْرُ نَجْرِي كَمَا أُنَسَ الْعَقَّارُبُ وَالضُّبَابُ<sup>(٦)</sup>

والضبُّ من الحيوان المأكول، إلا أن العرب تعير بني تميم بأكل لحم الضبِّ. والدليل على إباحته ما جاء في الحديث الصحيح: أن رسول الله ﷺ كان في بيت ميمونة رضي الله عنها، فقدمت له مائدة وعليها ضبٌّ مشويٌّ، فأهوى بيده ليأكل منه؛ فقبل له: يا رسول الله، إنه ضبٌّ؛ فرفع يده. فقال له خالد بن الوليد: يا رسول الله، أحرامٌ هو؟ قال: «لا ولكنه ليس في بلاد قومي فأنا لا أكله»؛ فأكله خالد بن الوليد بحضرة رسول الله ﷺ فلم ينهه؛ ولو كان حراماً لنهاه ﷺ عن أكله ولأخبر بتحريمه لما سُئِلَ عنه.

وقال أبو نُوَاسٍ يعير بأكل الضبِّ:

إِذَا مَا تَمِيمِي أَتَاكَ مُفَاخِرًا فَقُلْ عَدٌّ عَنْ ذَا كَيْفٍ أَكَلْتُكَ لِلضَّبِّ

(١) يقال: تفقصت البيضة عن الفرخ: إذا انفلقت عنه.

(٢) أحضرت: عدت.

(٣) حرش الضب: صيده.

(٤) ألزقه بالشيء: جعله يلزق به - وألزقها: اتصل بها دون أن يترك بينهما فجوة.

(٥) العجب: أصل الذنب وعظمه، وهو العصعص.

(٦) النجر: الأصل.

وقال عمرو بن الأهتم<sup>(١)</sup> من أبيات:

ورَدَدْنَاهُمْ إِلَى حَرَّتِيهِمْ      حيث لا يأكلون غير الضَّبَابِ<sup>(٢)</sup>

وقال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا: زَبَلُ الضَّبِّ نافع لبياض العين، وينفع من نزول الماء.

وقد وصفه الجَمَانِي فقال وذكر أرضاً: [من المتقارب]

تَرَى ضَبَّهَا مُطْلِعاً رَأْسَهُ      كما مَدَّ سَاعِدَهُ الْأَقْطَعُ

له ظاهرٌ مثلُ بُزْدِ مُوشَى      ويطنُ كما حَسَرَ الْأَصْلَحُ

هو الضَّبُّ ما مَدَّ سُكَّانَهُ      وإن ضَمَّهُ فهو الضُّفْدِعُ<sup>(٣)</sup>

وأما الحِرْبَاءُ وما قيلَ فيها - والحِرْبَاءُ لها أصابع، وأظنها لنبش التراب. ولونها أسود وأصفر ومختلط الألوان كالشهد. وهذه التسمية تقع على ذكورها وإناثها. والحرباء إذا كان في الشمس كان كثير التلون، فإذا انتقل إلى الظل كان أقل تلوناً. وإذا قارب الموت أو مات أصفر. وهو أبداً يطلبُ الشمس، فإذا طلعت وجهه ونحوها. فمتى غاب عنه جزمها فلا يراها أصابه نوع من الجنون. وإذا غابت الشمس ذهب ليطلب معاشه ليله كله حتى يُصبح. ولسانه طويل جداً، يقال: إنه مقدار ذراع، فهو يبلغ به ما بعد عنه من الدُّباب. والأنثى منه تُكنى أُم حُبَيْن. وهو يُوصف بالحزم لأنه حيث ينظر إلى الشمس يَقْبِض بيده على خُوط<sup>(٤)</sup>، فإذا تقلب نحو الشمس حيث ما مالت لا يرسل ذلك الخُوط من يده حتى يَقْبِض بيده الأخرى خُوطاً آخر. وفيه يقول الشاعر:

أَتَى أُتِيحَ لَهُ حِرْبَاءٌ تَنْضَبَةٌ      لا يُرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مُمَسِكَاً سَاقاً<sup>(٥)</sup>

وكتب بعض الفضلاء إلى بعض أصدقائه يلومه على مُقامه بوطنه حين نبا<sup>(٦)</sup> به؛

فقال من رسالة:

«أَعَجَزْتَ فِي الْإِبَاءِ، عَنِ خُلُقِ الْحِرْبَاءِ؛ أَذَلَّى لِسَاناً كَالرِّشَاءِ، يَبْلُغُ بِهِ مَا يَشَاءُ؛

(١) هو عمرو بن سنان بن سمي من بني هاشم. وهو جاهلي إسلامي، وكان في الجاهلية يدعى

المكحل لجماله. (الشعر والشعراء ص ٣١٨).

(٢) الحرة: أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار.

(٣) السكان: الذنب.

(٤) الخوط: الغصن الناعم.

(٥) التنضب: شجر له شوك قصار.

(٦) نبا: لم يستوفي في مكانه المناسب له.

وناطَ همتَه بالشمس، مع بُعدها عن اللمس، وأنف من ضيق الوجار، ففرَّخ في الأشجار؛ وسئم العيش المسخوط، فاستبدل خوطاً بخوط؛ فهو كالخطيب، على الغصن الرطيب.

وإن صواب الرأي والحزم لا مرى إذا بلغته الشمس أن يتحوّلا  
وقال ذو الرمة:

كأن يدي حزباؤها متشمّساً يدا مُذنبٍ يستغفرُ الله تائب  
وقال فيه أيضاً:

وقد جعل الحزباء يصفّر لونه وتخصّر من لفح الهجير غباغبه<sup>(١)</sup>  
ويشبح بالكفّين شبحاً كأنه أخو فجرة عالى به الجذع صالبه<sup>(٢)</sup>  
وقال فيه أيضاً:

يُصلّي بها الحرباء للشمس مائلاً على الجذع إلا أنه لا يكبر  
إذا حوّل الظل العشيّ رأيتَه خفيفاً وفي وقت الضحى يتنصر<sup>(٣)</sup>

وأما ابن عرس وما قيل فيه - وأبن عرس من حيوان البيوت، وهو حديد النفس شجاع قطن. وأكثر ما يكون بمصر في المنازل، وله صوت قوي يدل على شجاعته. وقيل: إنه الحيوان المسمى «بالدلق»، وإنما يختلف وِبره ولونه بحسب البلاد. وفي طبعه أنه يسرق ما يظفر به من الذهب والفضة، وإنه متى وجد حبواً متفرقة خلطها، وهو عدو الفأر يصيده ويقتله، والفأر يخافه.

وقال الجاحظ: وأبن عرس يُقاتل الحية؛ وإذا قاتلها بدأ بأكل السذاب؛ لأن الحية تؤلمها رائحة السذاب؛ كما قدمنا. وأبن عرس يفعل في الطير ما يفعل الذئب في الغنم في الذبح. وهو إذا عجز عن الوصول إليها استدار بعجزه وفسا إلى جهتها، فربما قتل الفراريج رائحة فسائه.

ومن ذكائه وفطنته ما حكى: أن رجلاً صاد فرخاً منها فجعله في قفص؛ فرأته أمه فذهبت وعادت بدينار في فيها فألقته بين يدي الرجل كأنها تريد فداء ولدها منه به، فتركه ولم يتناولوه، فذهبت وأتت بدينار آخر فلم يأخذه، فلم تزل تذهب وتعود في كل

(١) الغباغب: جمع غبغب، وهو ما تغضن من جلد منبت العثون الأسفل. والعثون: الذقن.

(٢) تشبح الحرباء على العود: امتد.

(٣) أي يتوجه الحرباء للقبلة عند العشي فهو خفيف، ويتوجه للشرق أول النهار، والنصارى تتوجه في صلاتها جهة المشرق.



مرةً بدینار إلى خمسة دنانير وهو لا يُمسك الذهب، فذهبت وعادت بُصّر فارغةً وألقتهَا بين يديه كأنها تقول: إنه لم يبق شيء؛ فلم يُطلق ولدها ولا ضَمَّ الدنانير. فلَمَّا رَأته على ذلك عَمَدَتْ إلى دينار منها فأخذه وعادت به إلى جحرها؛ فخشِي أن تفعل ذلك ببقية الدنانير، فأخذها وأطلق فرَحَهَا؛ فأعادت إليه الدينار.

وقالت الحكماء: لحُمُ أبْنِ عرس نافعٌ من الصُّرع. والله أعلم.

وأما القنَافِذُ وما قِيلَ فيها - وواحدُها قُنْفَذٌ - وهي صِنْفان: قنْفَذٌ ودُلْدُلٌ. فالقنْفَذُ يكون بأرض مصر في قَدْر الفأر. والدلدل يكون بالشَّام والعراق وخُرَّاسان في قَدْر الكلب القَلْطِي<sup>(١)</sup>. ويقال: إنه يَسْفِدُ قائماً وبطنُ الأنثى لا يَصِقُّ ببطن الذكر. والأنثى تَبْيِضُ خمسَ بيضات؛ وليس هو كالبيض الذي له قِشْر يابسٌ بل هو شبيه باللحم. وتَصْرَفُ القنَافِذُ بالليل أكثر من تصرفها بالنهار. قال أَيْمَنُ بنُ حُرَيْمٍ<sup>(٢)</sup>:

كَقُنْفَذِ الرَّمْلِ لَا تَخْفَى مَدَارِجُهُ حَتَّى إِذَا نَامَ عَنْهُ النَّاسُ لَمْ يَنْمِ

والقُنْفَذُ يَسْتَأْنِسُ فِي الْبُيُوتِ، وَيَخْتْفِي أَيَّاماً ثُمَّ يَظْهَرُ. وهو إذا جاع صَعِدَ إِلَى الْكُرُومِ وَقَطَعَ الْعِنَاقِيدَ وَرَمَى بِهَا ثُمَّ يَنْزِلُ فَيَأْكُلُ مِنْهَا مَا أَطَاق؛ فَإِنْ كَانَ لَهُ فَرَاخٌ تَمَرَّغَ عَلَى مَا بَقِيَ فَيَسْتَبْكُ فِي شَوْكِهِ، وَذَلِكَ بَعْدَ تَفْرِيطِهِ مِنْ عُمُوشِهِ<sup>(٣)</sup>، وَيَذْهَبُ بِهِ إِلَى فَرَاخِهِ، وَهُوَ مَوْلَعٌ بِأَكْلِ الْأَفَاعِي، وَلَا يُبَالِي قَبْضَ عَلَى رَأْسِهَا أَوْ غَيْرِهِ مِنْ بَدَنِهَا، فَإِنَّهُ إِنْ قَبْضَ عَلَى رَأْسِهَا أَكَلَهَا بِغَيْرِ كُلْفَةٍ عَلَيْهِ وَلَا مَشَقَّةٍ؛ وَإِنْ قَبْضَ عَلَى وَسْطِهَا أَوْ ذَنْبِهَا أَسْتَدَارَ وَتَجَمَّعَ وَنَفَخَ بَدَنَهُ، فَمَتَى ضَرَبَتْهُ أَصَابَهَا شَوْكُهُ، فَهِيَ تَهْرُبُ مِنْهُ؛ وَطَلَبُهُ لَهَا بِقَدْرِ هَرَبِهَا مِنْهُ.

وَالدُّلْدُلُ إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُهُ أَنْقَبَضَ فَيَخْرُجُ مِنْهُ شَوْكٌ كَالْمَدَارِي فِي طُولِ الشَّيْرِ، فَيَجْرَحُ مَا يُصِيبُهُ مِنَ الْحَيَوَانِ. وَيَقَالُ: إِنْ شَوْكُهُ شَعْرٌ، وَإِنَّمَا لَمَّا غَلِظَ وَغَلَبَ عَلَيْهِ الْيَبَسُ صَارَ شَوْكاً.

وَقَالَ أَبُو سَيْنَا: فِي رَمَادِ الْقُنْفَذِ جِلَاءٌ وَتَحْلِيلٌ. وَمِلْحُهُ يَنْفَعُ مِنْ دَاءِ الْفِيلِ<sup>(٤)</sup> وَلَحْمُهُ يَنْفَعُ مِنَ الْجُذَامِ؛ لَشِدَّةِ تَحْلِيلِهِ وَتَجْفِيفِهِ. وَلَحْمُهُ الْمُمْلَحُ يَنْفَعُ مِنَ الْفَالَجِ وَالتَّشْنُجِ وَأَمْرَاضِ الْعَصَبِ كُلِّهَا وَدَاءِ الْفِيلِ، وَيَنْفَعُ مِنَ السَّلِّ وَمِنْ سُوءِ الْمِزَاجِ. وَمَمْلُوحُهُ مَعَ

(١) القلطي: القصير.

(٢) هو أَيْمَنُ بنُ حُرَيْمٍ بنِ فَاتِكٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ وَكَانَ قَدْ صَحَبَ النَّبِيَّ ﷺ وَرَوَى عَنْهُ الْحَدِيثَ وَكَانَ بِهِ بَرَصٌ وَكَانَ أَثِيراً عِنْدَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بنِ مَرْوَانَ (الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٧٣).

(٣) العمشوش: العنقود يؤكل ما عليه ويترك بعضه.

(٤) داء الفيل: وقد سمي بذلك لاعتراضه الفيل أو يشبه الرجل فيه برجله وحقيقته انصباب أحد الباردتين في الرجل متغلظ في مجاريها من لدن الركبة إلى نهايتها. (تذكرة داود الأنطاكي ص ٩٣).

السَّكِينِجُ<sup>(١)</sup> جَيْدٌ لِلانْتِشَاءِ وَوَجَعَ الْكُلَى، وَنَفَعَ مَنْ يَبُولُ مِنَ الصَّبِيَّانِ فِي الْفَرَّاشِ؛ حَتَّى إِنَّ إِدْمَانَ أَكَلِهِ رُبَمَا عَسَرَ الْبَوْلَ. وَلَحْمُهُ يَنْفَعُ مِنَ الْحُمَمِيَّاتِ الْمَزْمَنَةِ وَمَنْ نَهَشَ الْهُوَامَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقد وصفهُ البلغاءُ والشعراءُ في رسائلها وأشعارها - فمن ذلك ما قاله الأميرُ شمس<sup>(٢)</sup> المعالي من رسالة كتبها إلى بعض أصدقائه وقد أهدى له دُلْدَلًا: «قد أتُحَفَّتُك يا سيدي بِعَلْقٍ نَفِيسٍ، وَتُحَفَةٍ رَئِيسٍ؛ يَتَعَجَّبُ الْمُتَأَمِّلُ مِنْ أَحْوَالِهِ، وَيَحَارُ النَّاعَتُ فِي أَوْصَافِهِ وَأَعْمَالِهِ؛ وَيَتَبَلَّدُ الْمُعْتَبِرُ فِي آيَاتِهِ، وَيَكِلُّ النَّاظِرُ فِي مَعْجَزَاتِهِ؛ فَمَا يَدْرِي بِبِدْيَةِ النَّظَرِ وَالْفَوَادِ، أَمِنْ الْحَيَوَانِ هُوَ أَمْ مِنَ الْجَمَادِ؛ حَتَّى إِذَا أُعْطِيَ مُتَدَبِّرُهُ النَّظَرَ أَوْفَى حَقْوَقِهِ، وَالْفَحْصَ أَكْمَلَ شُرُوطِهِ عَلِمَ أَنَّهُ كَمِيٌّ<sup>(٣)</sup> سَلَاخُهُ فِي حِضْنِهِ، وَرَامَ سَهَامُهُ فِي ضِمْنِهِ؛ وَمُقَاتِلُ رِمَاحِهِ عَلَى ظَهْرِهِ، وَمَخَاتِلُ سِرِّهِ خِلَافَ جَهْرِهِ، وَمُحَارِبُ حُصْنِهِ مِنْ نَفْسِهِ، يَلْقَاكَ بِأَخْشَنَ مِنْ حَدِّ السَّيْفِ، وَيَسْتَتِرُ بِأَلْيَنَ مِنْ وَبَرِ الْحَيْفِ<sup>(٤)</sup>، مَتَى جَمَعَ أَطْرَافَهُ، وَضَمَّ إِلَيْهِ أَطْرَافَهُ؛ حَسْبَتْهُ رَابِئَةٌ نَاتِيَةٌ، أَوْ تَلَعَّتْ بَادِيَةً، وَهُوَ أَمْضَى مِنَ الْأَجَلِ، وَأَزْمَى مِنْ بَنِي ثَعْلٍ<sup>(٥)</sup>. إِنْ رَأَتْهُ الْأَرَاقِمُ رَأَتْ حَتَفَ نَفْسِهَا، أَوْ عَايَنْتَهُ الْأَسَاوِدُ أَيْقَنْتْ بِفَنَاءِ جَنْسِهَا؛ صَعْلُوكُ لَيْلٍ لَا يُحْجِمُ عَنْ دَامِسِهِ، وَفَارَسُ ظِلَامٍ لَا يَخَافُ مِنْ حَنَادِسِهِ<sup>(٦)</sup>؛ فِيهِ مِنَ الضَّبِّ مِثْلٌ، وَمِنْ الْفَأْرِ شَكْلٌ؛ وَمِنْ الْوَرَلِ نَسَبٌ، وَمِنْ الدُّلْدُلِ سَبَبٌ، وَمَنْ أَوَابَدَهُ أَنَّهُ يَسْوَدُ إِذَا هَرِمَ وَشَابَ، وَيَصِيرُ كَأَكْبَرَ مَا يَكُونُ مِنَ الْكِلَابِ». وقال أبو محمد<sup>(٧)</sup> اليزيدي يَذْكُرُ قَنْفَذًا رَأَاهُ، فَأَطْعَمَهُ وَسَقَاهُ: [مِنْ الطَّوِيلِ]

وَطَارِقَ لَيْلٍ جَاءَنَا بَعْدَ هَجْعَةٍ      مِنْ أَلْيَلٍ إِلَّا مَا تَحَدَّثَ سَامِرُ  
قَرْنَاهُ صَفْوُ الزَادِ حِينَ رَأَيْتُهُ      وَقَدْ جَاءَ خَفَاقُ الْحَسَى وَهُوَ سَادِرُ<sup>(٨)</sup>  
جَمِيلُ الْمُحَيَّا فِي الرِّضَا فَإِذَا أَبَى      حَمَتَهُ مِنَ الضَّيْمِ الرَّمَاخُ الشَّوَاجِرُ<sup>(٩)</sup>

(١) السكبينج: صمغ شجرة بقارس لا نفع فيها سوى هذا الصمغ ويخرج منها في حزيران عند الورق وقيل بالشرط وأجوده الأبيض الطاهر الأحمر الباطن. (تذكرة داود الأنطاكي ص ١٩٥).

(٢) هو الأمير شمس المعالي أبو الحسن قابوس بن أبي ظاهر بن ورداه شاه الجبلي.

(٣) الكمي: الفارس.

(٤) الخيف: جلد الضرع.

(٥) بنو ثعل: حي من طيء.

(٦) الحندس: الليل الشديد الظلمة.

(٧) هو يحيى بن المبارك بن المغيرة أبو محمد مولى بني عدي بن عبد مناة. وكان من أكابر القراء وأديباً شاعراً مجيداً. (الوفيات ٢: ٣٤١).

(٨) السادر: المتحير.

(٩) رماح شواجر: مختلفة متداخلة.

ولست تراه واضعاً لسلاحه مَدَى الدَّهْرِ موتوراً ولا هو واترُ  
وقال آخر من أبيات يرثيه فيها ويصفه:

عجبتُ له من شَنِهِمِ مُتَحَضِّنٍ بَنِيْلٍ من السَّرْدِ الْمُضَاعَفِ تَبْرُقُ<sup>(١)</sup>  
وأنى أَهْتَدَى سَهْمُ المَنِيَةِ نحوَه وفي كُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ سَهْمٌ مُفَوَّقُ  
ولو كان كَفُّ الدَّهْرِ تَسْتَخْشِنُ الرَّدَى لكان بكفِّ الدَّهْرِ لا يتعلَّقُ  
وقال أبو بكر الخُوَارِزْمِيُّ<sup>(٢)</sup> يصفه:

ومُدَجَّجٌ وسلاحه من نفسه شاكِي الدَّوَابِرِ أَغْرَلَ الأَقْبَالَ  
يُمِيسِي وَيُصْبِحُ لم يُفَارِقْ بيته ولقد سَرَى عدداً من الأُمِيَالِ  
وتراه يَكْمُنُ بعضُه في بعضه فَتَطِيْشُ عنه أسهُمُ الأَهْوَالِ  
عيناه مثل النقطتين وَخَطْمُهُ يَحْكِي نُدْيَ رِضَاعَةِ الأَطْفَالِ<sup>(٣)</sup>  
وكانَ أَقْلَماً غُرِزَ بظهره مَسَّ المِداذُ رُؤُوسَهَا بِبِلَالِ  
تَتَهَارَبُ الحَيَاثُ حينَ يَرِيْنُهُ هَرَبَ اللُصُوصِ رَأَتْ سِوَادَ الوَالِي  
وكانه الخنزيرُ إِلا جلدَه وصياحه وتقاربُ الأوصالِ

وأما الفِئْرَانُ وما قيلَ فيها - قد سَمَّاها رسولُ الله ﷺ الفَوَيْسَقَةَ. والفأرُ ضروب  
تقع على جميعها هذه التَّسْمِيَةُ وهي «الجُرْدُ» و«الفأرُ» معروفان - وهما كالجواميس  
والبقر - و«الزَّبَابُ»، و«الخُلْدُ» و«الزَّبُوعُ» و«فأرةُ البَيْشِ»<sup>(٤)</sup> و«فأرةُ المِسْكِ» و«فأرةُ  
الإبلِ».

فأما الجُرْدُ والفأرُ - وهما من حيوان البيوت والبر. قال المتكلمون في طبائع  
الحيوان: إِنَّ الفأرَ مما جُمِعَ له بين حاسة السمع والبصر. وليس في الحيوان أفسدُ منه.  
ومن فساده أنه يجد قارورةَ الدُّهْنِ وهي ضَيْقَةُ الفَمِ فيُدْخِلُ ذَنْبَهُ فيها وَيَمْتَصُّه، فإن قَصُرَ  
ذَنْبُهُ عن بلوغِ الدُّهْنِ عَمَدَ إلى النَّوَى والأحجار الصَّغَارِ فيُلْقِيهِما فيها، فيطفو ما فيها  
فيَمْتَصُّه بِذَنْبِهِ، ولا يزال يتعاهد ذلك حتى يَنْفَدَ جميعُ ما فيها. وهو إذا سَرَقَ البَيْضَ  
يَعْجِزُ عن كَسْرِهِ بِسِنِّه، فيُدْحِجُ البَيْضَةَ إلى أن تَسْقُطَ من مكان مرتفع إلى مُسْتَقَلٍ

(١) الشيهم: ذكر القنفذ.

(٢) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي أحد العشراء المجيدين، كتب في اللغة والنحو والشعر، ويتكلم بكل نادرة.

(٣) الخطم: الأنف.

(٤) البيش: نبات سام.

فتتكسر؛ فإن عَجَزَه ذلك استعان بفأر آخر فيدفعها أحدهما بيديه ورجليه ويتقلب على قفاه؛ وَيَقْبِضُ الآخرُ على ذَنِبِهِ ويتسلق به في حائط؛ فإذا ارتفع به عن الأرض ألقاها الحاملُ لها فتتكسر فيأكلانها جميعاً. أخبرني بذلك من شاهده. والمثل يُضرب به في الفساد والسَّرِقَة والنسيان والحدَر. وفي طبع الجُرَذِ البرِّي وعادته أنه لا يحفر بيته على قارعة الطريق خوفاً من الحافر أن يهدم عليه بيته. ويقال: إنه يُخْلَقُ من الطَّين، وإنه يتولد بأرض مصر إذا نُضِبَ ماء النيل عنها. وقال صاحب كتاب مباحج الفكر: إنه رأى ذلك عياناً في سَفْط<sup>(١)</sup> مَيْدُومٍ من جيزة مصر.

وقال الجاحظ: لعمرى إن جِرْذَاناً إِنطَاكِتَةً لُتْسَاجِل<sup>(٢)</sup> السَّنَانِيرَ في الحرب، ولا تقوم لها ولا تَقْوَى عليها إلا الواحدُ بعد الواحد. قال: وهي بخراسان قوية جداً، وربما قطعت أذن النائم. قال: ومن الفأر ما إذا عَضَّ قتل. قال: ومن الأعاجيب في قرض الفأر أن قوماً من أهل الفِرَاسَة ينظرون إلى قَرْضِهِ ويتفرسون منه أحوالاً. ويزعمون أن أبا جعفر المنصور نزل في بعض القَرَى فقرض الفأرُ مِسْحاً<sup>(٣)</sup> له كان يجلس عليه، فبعث به ليرفأ<sup>(٤)</sup>؛ فقال لهم الرِّقَاء: إن ها هنا أهل بيت يَعْرِفُون بقرض الفأر ما ينال صاحب المتاع من خير وشر، فما عليكم أن تعرضوه عليهم قبل إصلاحه؟ فبعث المنصور إلى شيخهم؛ فلما نظر إلى موضع القَرْض وثب قائماً ثم قال: من صاحب هذا المِسْح؟ فقال المنصور: أنا؛ فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته؛ والله لَتَلِيَنَّ الخلافة أو أكون جاهلاً أو كذاباً.

وفي الفأر منافع ذكرها الشيخ الرئيس ابن سينا؛ فقال: دَمُ الفأر يقطع الثَّالِيلَ، وَزَيْلُهُ نافع على داء الثعلب وخصوصاً لَطَخاً بالعسل، وخصوصاً المُخْرَق. قال: وإذا شَوِيَ الفأرُ وَجِفَّ وَأَطْعِمَ الصَّبِيَّ انقطع سَيْلَانُ اللَّعَابِ من فمه. قال: وآتَقَ النَّاسُ أَنَّ الفأر إذا شُقَّ ووضع على لَدَغِ العقرب نفع. والله أعلم.

وقد وصف الشعراء الفأر وشبهوه في أشعارهم وذكروا سوء فعله. فمن ذلك قول أعرابي، وقد دخل البصرة فأشترى خبزاً فأكله الفأر: [من الرجز]

عَجَّلَ رَبُّ النَّاسِ بِالْعِقَابِ لِعَامِرَاتِ الْبَيْتِ بِالْخَرَابِ

(١) سَفْط مَيْدُوم: قرية من مديرية بني سويف بقسم الزواية، واقعة غربي النيل بالقرب من الجبل الغربي.

(٢) تساجل: تباري وتفاخر.

(٣) المسح: الكساء من شعر.

(٤) رَفَأَ الثوب: لأم خرقة بالخياطة وضم بعضه إلى بعض وأصلح ما يلي منه.

حتى يُعَجِّلْنَ إِلَى الثَّيَابِ      كُحِّلَ الْعَيُونُ وَفُصِّلَ الرُّقَابُ<sup>(١)</sup>  
 مُجَرَّرَاتٍ فُضِّلَ الْأَذْنَابُ      مِثْلَ مَدَارِي الطُّفْلِ الْكَعَابُ<sup>(٢)</sup>  
 كَيْفَ لَهَا بِأَنْمَرٍ وَثَّابُ      مُنْهَرَّتِ الشُّذُقُ حَدِيدِ الثَّابِ  
 كَأَنَّمَا يَكْشُرُ عَنْ حِرَابِ      يَفْرِسُهَا كَالْأَسَدِ الْوُثَّابِ  
 وقال أبو بكر الصَّنَوَيْرِيُّ: [من الخفيف]

بِالْحُذْبِ الظُّهُورِ فُغِّسَ الرُّقَابُ      لِدِقَاقِ الْخُرْطُومِ وَالْأَذْنَابِ<sup>(٣)</sup>  
 لِلطَّافِ آذَانُهَا وَالْخِرَاطِي      مِثْلَ حَدَادِ الْأَطْفَارِ وَالْأَنْيَابِ  
 خُلِقَتْ لِلْفَسَادِ مِثْلُ خُلُقِ الْخُلْدِ      نَقَابِ الْأَذَى وَالْخِرَابِ  
 نَاقِبَاتٍ فِي الْأَرْضِ وَالسَّقْفِ وَالْحَا      يُطِ نَقَباً أَعْيَا عَلَى الثُّقَابِ  
 أَكَلَاتِ كُلِّ الْمَآكِلِ لَا تَسْ      لَأُمِّهَا شَارِبَاتِ كُلِّ الشُّرَابِ  
 أَلْفَاتِ قَرَضَ الثِّيَابِ وَقَدْ يَغْ      يَلِ قَرَضَ الْقُلُوبِ قَرَضَ الثِّيَابِ  
 وقال في فَاةٍ بِيضَاءَ:

وفاةٍ بِيضَاءَ لَمْ تُبَيِّدْ      يَوْمًا لِإِطْعَامِ السَّنَانِيرِ  
 إِذْ فَاةُ الْمَسْكِ سَمِعْنَا بِهَا      وَهَذِهِ فَاةُ كَافُورِ

وَأَمَّا الزَّبَابُ - فَإِنَّهُ فَأَرٌ أَصْمٌ، يَكُونُ فِي الرَّمْلِ، وَالْعَرَبُ تَضْرِبُ بِهِ الْمِثْلَ فِي السَّرْقَةِ. يَقُولُونَ: «أَسْرَقَ مِنْ رَبَابَةٍ».

وَأَمَّا الْخُلْدُ - فَهُوَ أَعْمَى لَا يُدْرِكُ شَيْئًا إِلَّا بِالشَّمِّ، إِلَّا أَنْ عَيْنَيْهِ كَامِلَتَانِ، لَكِنْ الْجَفْنُ مُلْتَجِمٌ عَلَى النَّازِرِ لَا يَنْشَقُّ. وَهُوَ تُرَابِيٌّ مُسْتَقِرٌّ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ؛ وَهِيَ لَهُ كَالْمَاءِ لِلْمَسْكِ. وَلَيْسَ لَهُ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ قُوَّةٌ وَلَا نَشَاطٌ، بَلْ يَبْقَى مَطْرُوحًا كَالْمَيْتِ فَتَخَطِّفُهُ الْجَوَارِحُ أَوْ يَمُوتُ، وَهُوَ حَدِيدٌ حَاسَّةُ الشَّمِّ. وَمَتَى شَمَّ رَائِحَةَ طَيِّبَةٍ هَرَبَ. وَهُوَ يَحِبُّ رَائِحَةَ الْكُرَاثِ وَالْبَصْلِ، وَرَبَّمَا صَيَّدَ بِهِمَا. وَمَنْ دَابَّهُ طَوْلُ الْكَدِّ وَدَوَامُ الْحَفْرِ. وَفِي تَرْكِيهِ أَنَّهُ لَا يُفْرِطُ فِي الطَّلَبِ وَلَا يَقْصُرُ عَنْهُ. وَلَهُ وَقْتُ يَظْهَرُ فِيهِ لَا يُخْطِئُهُ وَلَا يَغْلُظُ فِي الْمَقْدَارِ. وَيُضْرَبُ بِهِ الْمِثْلُ فِي حَذَّةِ السَّمْعِ؛ فَيَقَالُ: «أَسْمِعْ مِنْ خُلْدٍ».

وَأَمَّا الْيَزْبُوعُ - فَهُوَ حَيَوَانٌ طَوِيلُ الرُّجُلَيْنِ، قَصِيرُ الْيَدَيْنِ جَدًّا. وَلَهُ ذَنْبٌ كَذَنْبِ

(١) الوقص: قصر العنق.

(٢) المداري: جمع مدرأة، وهي شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه، يشرح به الشعر المتلبد.

(٣) قعس الرقاب: مائلتها نحو الظهر.

الجُرَذ، يرفعه صُعداً، في طَرَفه شبه الثَّوارة<sup>(١)</sup>. ولونه لونُ الغزال. ويقال لولده: «دِرْصٌ»، والجمع أَدْرَاص. قال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان: كلُّ دابة حشاها الله خُبناً فهي قصيرة اليدين. وهو يسكن بطن الأرض لتقوم رطوبتها له مقام الماء. وهو يؤثر النسيم ويكره البخار. وهو يتخذ جُحره على نَشْرِ<sup>(٢)</sup> من الأرض ويحفره، ويفتح له أبواباً على مَهَبِ الرياح وتُسمى «الثَّافِقَاء»، و«القَاصِعَاء» و«الدَّامَاء»، و«الرَّاهِطَاء». فإذا طُلب من أحد هذه الأبواب خرج من الآخر. وهو يَجْتَرُ وَيَبْعَر. وله كَرِشٌ وأسنان وأضراس. وهو من الحيوان الذي يتقاد إلى رئيس منه. والرئيس منها إذا كان فيها يرتفع عنها فيكون في مكان مُشْرِفٍ أو على صخرة ينظر منه إلى الطريق، فإن رأى ما يخافه عليها صَرَ بأسنانه وصَوَّت، فتسمعه فتصرف إلى جِحْرَتِها؛ وإن أغفل ذلك ورأت ما تخافه قبل أن يراه قتلته، لتضييعه الحزمَ وعَفَلته، ونصبت غيره لرياستها. وإذا أرادت اليرابيع الخروج من جِحْرَتِها لطلب المعاش خرج الرئيس قبلها وأشرف؛ فإذا لم ير ما يخافه عليها صَرَ لها وصَوَّت فتخرج. قالوا: ويتولد من اليربوع والفأرة ولدٌ يسمى «الْقَرْنَب».

وأما فأرة المسك - فقال الجاحظ: إنها دُويِّبةٌ تكون في بلاد تُبَّت<sup>(٣)</sup> تصاد لِتَوَافِجِها<sup>(٤)</sup> وسُرِّرها. فإذا أَصْطِيدَتْ عُصِبَتْ سُرَّتُها بِعَصَابٍ وهي مُدْلَاةٌ فيجتمع فيها دَمُها؛ فإذا أَجْتَمَعَ دُبِحَتْ، ثم تُقَوَّرُ السُّرَّةُ المعصوبة وتدفن في الشَّعِيرِ حيناً فيستحيلُ ذلك الدَّمُ المختنقُ الجامدُ مِسْكَاً ذِكِيّاً بعد أن كان مُثْنِئاً. ويقال: إن هذه الفأرة توجد في بلاد الزَّابِج<sup>(٥)</sup> وتحمل إلى السُّند، وإن المسك يخرج من خُصِيَّتَيْ ذكورها بالعصر، ومن ضُرُوعِ إناثها بالحلب. ويقال: إن الفأرة الفارسية أطيْبُ رِيحاً من كل طيب، وربما ضاهى رِيحَ المسك. وهو أَجْرَدُ أَشَقَرُ، شَعْرُهُ إلى الصُّفْرة، شديد كَحَلِّ العينين، طويل الأذنين، قصير الدَّنْب.

وأما فأرة الإبل - فليست بحيوان، وإنما هي رائحةٌ تسطع من الإبل عند صدورها من الوزْدِ يَنْتَهِجُها طيبُ الرُّغْي. قال الشاعر:

لَهَا فَأَرَةٌ ذَفْرَاءُ كُلِّ عَشِيَّةٍ      كَمَا فَتَقَّ الْكَافُورَ بِالْمَسْكِ فَاتِقَةٌ<sup>(٦)</sup>

(١) الثَّوارة: جمع النوار، أي الزهر، ونور الشجر: أزهر.

(٢) النَشْر: ما ارتفع وظهر من الأرض.

(٣) بُت: إقليم ضمن الجمهورية الصينية متاخم للهند. وهي هضبة تخترقها الجبال تعتبر أعلى صقع في العالم.

(٤) التوافج: جمع التافجة، وهو وعاء المسك في جسم الحيوان.

(٥) الزابج: جزيرة في أقصى بلاد الهند وراء بحر هركند في حدود الصين.

(٦) ذفر الشيء: ظهرت رائحته واشتدت، طيبة كانت أو خبيثة.

وأما القُراد وما قيل فيه - فقد قالوا: أول ما يكون «قَمَقَمَةً» وهو الذي لا يكاد يُرى من صِغَرِهِ، ثم يصير «حَمَنَانَةً»، ثم يصير «قُرَاداً»، ثم يصير «حَلَمًا»، ويقال للقُراد: «العلُّ» و«الطلح» و«القَتِين» و«البَرَام» و«القرشَام».

والقُراد يُخلَق من عَرَقِ البعير ومن الوَسَخ والتَّلَطُّخ بالثَّلَطُ<sup>(١)</sup> والأبوال، كما يُخلق القمل من عَرَقِ الإنسان. وفي طبع القُراد أنه يسمع رُغَاءَ الإبل من فراسخ فيقصدُها؛ حتى إن أصحاب الإبل يبعثون إلى الماء من يضلح لإبلهم الأَرَشِيَّة<sup>(٢)</sup> وآلات السَّقِي، فتَبِيْتُ الرجالُ عند البئر تنتظر مجيء الإبل، فيعرفون قُربَهَا من القُودِ بأنْبِعَاثِهِ في جوف الليل وسُرعة حركته ومروِّره، فإذا رأوا ذلك منه تهيَّؤوا للعمل.

ويقول من أعتنى بالحيوان وتكلَّم في طبائعه: إن لكل حيوانٍ قُرَاداً يناسب مزاجه.

وهم يَضْرِبُونَ المثل بالقُراد في أشياء فيقولون: «أسمعُ من قُرَادٍ»، و«ألزقُ من قُرَادٍ»، وما هو إلا قُرَادٌ تُفَرِّ. وأنشد الجاحظُ لبعض الشعراء في القُراد<sup>(٣)</sup>:

أَلَا يَا عِبَادَ اللَّهِ هَلْ لِقَبِيلَةٍ إِذَا ظَهَرَتْ فِي الْأَرْضِ مُغِيرُهَا  
فَلَا الدِّينُ يَنْهَاهَا وَلَا هِيَ تَنْتَهِي وَلَا ذُو سِلَاحٍ مِنْ مَعَدٍّ يَضِيرُهَا

وأما النملُ والدُّرُّ وما قيلَ فيهما - قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ بِأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمُ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝﴾ [النمل: ١٧ - ١٨]. وجاء في الحديث أن رسول الله ﷺ نزل منزلاً فأنطلق لحاجة فجاء من حاجته وقد أوقد رجلٌ على قرية نمل إما في شجرة، وإما في الأرض؛ فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ فَعَلَ هَذَا أَطْفَنُهَا أَطْفَنُهَا أَطْفَنُهَا». وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «نزل نبيٌّ من الأنبياء تحت شجرة فعَضَّتْهُ نَمْلَةٌ فقام إلى نملٍ كثيرٍ تحت الشجرة فقتلهنَّ فليلَ له: أَفَلَا نَمْلَةٌ واحدة». وعنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نزل نبيٌّ من الأنبياء تحت شجرة فقرَضَتْهُ نَمْلَةٌ فأمرَ بجهازه فأخرجَ من تحتها ثم أمرَ بقرية النمل فأخرِقت فأوحى الله إليه أن قرَضَتْكَ نَمْلَةٌ أَهَلَكْتَ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ يُسَبِّحُنَ اللَّهَ فَهَلَا نَمْلَةٌ واحدة. وجاء في الأثر: أن سليمان بن دود عليهما السلام خرج يَسْتَسْقِي، فرأى نَمْلَةً مُسْتَلْقِيَةً على ظهرها رافعةً قوائمها إلى السماء وهي تقول: اللَّهُمَّ إِنَّا خَلَقْنَا مِنْ خَلْقِكَ،

(١) الثَّلَطُ: الرقيق من الرجيع.

(٢) الأَرَشِيَّة: واحدها رشاء، وهو حبل الدلو.

(٣) القُراد: دويبة متطفلة ذات أرجل كثيرة، تعيش على الدواب والطيور.

ليس لنا غنى على سقيك؛ فإما أن تسقنا وترزقنا، وإما أن تُميتنا وتُهْلِكنا. فقال للناس: ارجعوا، فقد سقيتم بدعاء غيركم.

وقال الجاحظ: وكان ثَمَامَةُ يزعم أن النمل ضأن<sup>(١)</sup> الدَّر. قال: والذي عندي أن النمل والدَّر مثل الفأر والجُرَذ، والبقر والجواميس. قال: والدَّر أجودُ فهُمَا وأصغرُ جثَّة.

وزعم ابن أبي الأشعث أن النمل لا يتزاوج ولا يتوالد ولا يتلاقح، وإنما يسقط منه شيء حقيق في الأرض فينمو حتى يصير بَيْظًا<sup>(٢)</sup> فيتكوّن منه.

والنمل من الحيوان المحتال في طلب المعاش يتفرق لذلك؛ فإذا وجد شيئاً أُنذر الباقيين فيأتين إليه ويأخذن منه. وكل واحد مجتهد في إصلاح شأن العامة غير مختلسٍ لشيء من الرزق دون صاحبه. ويقال: إنما يفعل ذلك منها رؤساؤها ومن تحيله في طلب الرزق أنه ربما وُضع بينه وبين ما يُخاف عليه منه ما يمنعه من الوصول إليه من ماءٍ أو شَعَرٍ، فيتسلّق في الحائط ويمشي على جذع من السَّقْف حتى يُسامِت<sup>(٣)</sup> ما حُفِظَ منه ثم يُلقي نفسه عليه. وفي طبعه وعادته أن يحتكر في زمن الصيف لزمن الشتاء، وهو إذا خاف على ما يدخره من الحبوب من العَفْن والسُّوس أو التَّنَدِّي من مجاوره بطن الأرض، أخرجها إلى ظاهر الأرض حتى تَبَيَس ثم يُعيدها، وإن خاف على الحب أن يَنْبُت من نَدَاوَةِ الأرض نَقَر في موضع القُطْمير من وَسَطِ الحبّة (وهو الموضع الذي يبتدىء منه النَّبَات)؛ وَيَقْلِقُ جميعَ الحبِّ أنصافاً؛ فإن كان من حبِّ الكُزْبَرَةِ فَلَقَّه أَرْباعاً، لأن أنصاف حبِّ الكُزْبَرَةِ تَنْبُت، فالنملُ من هذا الوجه في غاية الحزم. فسبحان المُلْهِم لا إله غيره.

وليس شيء من الحيوان يَفْوَى على حمل ما يكون ضِعْفَ وزنه مراراً غير النملة. والنملُ يَشْم ما ليس له ريحٌ ممّا لو وضعه الإنسانُ عند أنفه لما وجد له ريحاً. ومن أسباب هلاك النملة نباتُ الأجنحة لها؛ فإذا صار النمل كذلك صادته العَصافيرُ وأكلته. وفي ذلك يقول أبو العتاهية<sup>(٤)</sup>:

وإذا أَسْتَوَتْ لِلنَّمْلِ أجنحةٌ حتى يطيرَ فقد دنا عَطْبُهُ

(١) الضأن: ذو الصوف من الغنم.

(٢) البيظ: (بالطاء): بيض النمل.

(٣) يسامت: يقابل ويوازي ويواجه.

(٤) هو إسماعيل بن القاسم مولى لعنزة، ويكنى أبا إسحاق، وأبو العتاهية لقب، وكان جراراً ويرمى بالزندقة. (طبقات الشعراء لابن قتيبة ص ٤٠٩).



ومن أصناف النمل صِنْفٌ يسمّى «نمل الأسد»؛ سَمِيَ بذلك لأن مُقَدِّمَ النملة يُشبه وجهَ الأسد ومؤخرها كالنمل. وزعم بعضُ من تكَلَّم في طبائع الحيوان أنه متولّد، وأن أباه أكل لحمًا، وأمّه أكلت نباتًا، فَنُتِجَ بينهما على هذه الصفة.

وقد وصفه الشعراء، فمن ذلك قول شاعر: [من الطويل]

غَزَاةٌ يُولِّي الليثَ عنهنَّ هارباً      وليست لها نَبْلٌ حدادٌ ولا عَمَدٌ  
قِصَارُ الخُطَا حُمُشُ القوائمِ ضُمُرٌ      مُشْمَرَةٌ لا تَشْتَكِي الأَيْنَ والْحَرْدُ<sup>(١)</sup>  
وتعدو على الأقران في حَوْمَةِ الوَعَى      نِشَاطاً كما يعدو على صِنْدِهِ الأسدُ  
إذا ذَكَرَتْ طِيبَ الهِياجِ تنفَسَتْ      تَنفَسُ ثُكْلَى قد أُصِيبَ لها وَلَدٌ  
كأكرادٍ زنجانٍ تريدُ قِضاضةً      وتلك الصَّعَالِكُ الغرائبُ في البلدِ<sup>(٢)</sup>  
وفيهنَّ أجناسٌ تشابهنَّ صورةً      وبأينٍ في الهِمَّاتِ واللونِ والجسَدِ  
فَمِنْهِنَّ كُفَّتْ كالعناكبِ أَرْجُلًا      وساعُ الخُطَا قد زانَ أجيادها الغَيْدُ  
إذا أَنتَهَرَتْ طارثٌ وإنَّ هِيَ خَلَدَتْ      رأتِ وَرَدَ أحواضِ المنيا من الرُّشْدِ  
وسودَّ خِفَافُ الجسمِ ولو عَضَّتِ الصِّفاً      رأيتِ الصِّفاً من وقعِ أسنانها قِدْدُ<sup>(٣)</sup>  
يَفِدْنَ عَلَيْنَا مُفْسِدَاتٍ جِفَانَنَا      وأزوادنا أبغضَ إلينا بما وَقَدَ

وقال أبو هلال العسكري: [من الطويل]

وحَيٌّ أناخوا في المنازلِ باللَّوى      فصاروا به بعد القطّين قَطِينًا<sup>(٤)</sup>  
إذا اختلفوا في الدارَ ظَلَّتْ كأنها      تُبَدَّدُ فيها الرِّيحُ بِزَرَ قَطُونًا<sup>(٥)</sup>  
إذا طرَقوا قَدْرِي مع الليلِ أصبَحَتْ      بواطئُها مثلَ الظواهرِ جُونا  
لهم نظرةٌ يُسْرَى ويُمْنَى إذا مَشَوْا      كما مرَّ مرعوبٌ يَخافُ كَمِينًا  
وَيَمشونَ صَفًّا في الديارِ كأنما      يَجُرُّونَ خيطاً في الترابِ مَينًا<sup>(٦)</sup>  
وفي كل بيتٍ من بيوتِي قَرْيَةٌ      تَضُمُّ صنوفاً منهم وفنونًا

(١) حمش القوائم: دقاقها - والحد: داء يصيب عصب يدي الدابة.

(٢) زنجان: بلد كبير قريب من أبهر وقزوين.

(٣) القدد: جمع قدرة، وهي القطعة من الشيء.

(٤) القطّين: الخدم والأتباع - وقطين الدار: أهلها.

(٥) القطون: قد يراد بها القطن.

(٦) المنين: الضعيف من الحبال.

فيا مَنْ رأى بيتاً يَضِيقُ بخمسةٍ وفيه قُرَيَّاتٌ يَسْفَنُ مِثِينا  
وأما القملُ والصُّوَابُ وَمَا قِيلَ فِيهِمَا - قال الجاحظ : ذكروا عن إياس بن معاوية  
أنه يزعمُ أَنَّ الصُّبَّانَ ذُكُورَةُ القمل، وأن القمل من الشكل الذي تكون إنانته أعظم من  
ذُكُورته .

قال الجاحظ : والقملُ يَغْتَرِي من العرقِ والوسخِ إذا علاهما ثوبٌ أو ريشٌ أو  
شعرٌ، حتى يكون لذلك المكان عَفَنٌ وَخُمُومٌ . والقملة يكون لونها بحسب لون الشعر  
في السَّوَادِ والبياضِ والشَّمَطِ<sup>(١)</sup> وفي لون الخضابِ، وَيَنْصُلُ إذا نَصَلَ . قال : والقمل  
يَعْرِضُ لثياب كل إنسانٍ إذا عَرَضَ لها الوسخُ أو العرقُ أو الخُمُومُ، إلا ثيابَ الْمُجَدِّمِينَ  
فإنهم لا يَمْلُونَ . وإذا قِيلَ إنسانٌ وأفرط عليه القملُ زَأَبَقَ<sup>(٢)</sup> رأسه فيتناثر القملُ . قال :  
وربما كان الإنسانُ قَمِلَ الطَّبَاعُ، وإن تنظفَ وتعطرَ وبذلَ أثوابه، كما عَرَضَ لعبد  
الرحمن بن عوف والزُّبَيْر بن العَوَّام رضي الله عنهما، حتى استأذنا رسولَ الله ﷺ في  
لباس الحرير، فأذن لهما فيه لهذه الضرورةِ ولدَفَعَ هذا الضررَ .

وقد وصف الشعراءُ القملَ في أشعارهم، فمن ذلك قولُ بعضِ العُقَيْلِيِّينَ وقد مرَّ  
بأبي العَلَاءِ العُقَيْلِيِّ وهو يَتَقَلَّى، فقال :

وإذا مررتَ به مررتَ بقانِصٍ مُتَصَيِّدٍ فِي شَرْقَةٍ مَقْرُورٍ<sup>(٣)</sup>  
للقمل حولَ أبي العَلَاءِ مَصَارِعُ ما بين مَقْتُولٍ وبين عَقِيرٍ<sup>(٤)</sup>  
فكَأَنَّهُنَّ إِذَا عَلَوْنَ قَمِيصَهُ قَدْ وَثَأُمُ سِمَسِمٍ مَقْشُورٍ  
ضَرَجَ الْأَنَامِلَ مِنْ دَمَاءٍ قَتِيلِهَا حَنِقَ عَلَى أُخْرَى بَعْدُو مُغِيرٍ

وقال الحسن بن هانئ<sup>(٥)</sup> في رجل أسمه أيوب : [من مجزوء الكامل]

مَنْ يَنْأَى عَنْهُ مَصَادُهُ فَمَصَادُ أَيُوبَ ثِيَابُهُ  
يَكْفِيهِ مِنْهَا نَظْرَةٌ فُتِعِلَ مِنْ عَلَقٍ حِرَابُهُ<sup>(٦)</sup>  
يَا رَبَّ مُحْتَرِزٍ بِخِيَابِ سَبِ الرُّذَنِ تَكْنُفُهُ صُؤَابُهُ  
فَاشِيِ التُّكَايَةِ غَيْرَ مَعْدُومٍ إِذَا دَبَّ أَنْسِيَابُهُ

(١) الشَّمَطُ : اختلاط بياض الشعر بسواده .

(٢) زَأَبَقَ الشَّيْءُ : طلاه بالزُّبُق .

(٣) الشَّرْقَةُ : الشمس - والمَقْرُورُ : من أصابه القر، وهو البرد .

(٤) العَقِيرُ : الذي بقي مكانه لم يتقدم، أو يتأخر، لفزع أصابه .

(٥) هو مولى الحكم بن سعد العشيرة في اليمن وعرف بأبي نواس .

(٦) العلق : الدم .

أَوْ طَاهِرِيٍّ وَائْتِبِ      لَمْ يُنْجِهْ عَنْهُ وَثَابُهُ<sup>(١)</sup>  
 أَهْوَى لَهُ بِمُزْلَقِ الْـ      عِرْنَيْنِ إِصْبَعِهِ نِصَابُهُ<sup>(٢)</sup>  
 اللَّهُ دَرَكٌ مِّنْ أَخِي      قَنَصِ أَصَابِعِهِ كِلَابُهُ

(١) طاهر بن طاهر: هو البرغوث.

(٢) مزلق محدد: والعرنين: الأنف وعرنين كل شيء أوله. والنصاب: المقبض.

## القِسْمُ الْخَامِسُ

### مِنَ الْفَنِّ الثَّالِثِ فِي أَجْنَاسِ الطَّيْرِ وَأَنْوَاعِ السَّمَكِ

وفيه سبعة أبواب: ستة منها في الطير، وباب في السمك، وذُيِّلَتْ عليه بباب ثامنٍ أوردت فيه ذكر شيء مما قيل في آلات صيد البر والبحر.

قال الجاحظ في كتاب الحيوان: إِنَّ الحيوان على أربعة أقسام: شيء يطير، وشيء يعموم، وشيء يَنْسَاح<sup>(١)</sup>، وشيء يَمْشِي، إلَّا أَنَّ كل طائر يَمْشِي، وليس كل شيء يَمْشِي طائراً. قال: وأسم طائر يقع على ثلاثة أشياء: صورة، وطبيعة، وجناح؛ وليس بالريش والقوادم والأباهر<sup>(٢)</sup> والخوافي يسمى طائراً ولا بَعْدَمِهِ يسقط ذلك عنه. أَلَا تَرَى أَنَّ الْخَفَاشَ وَالْوَطُوطَ مِنَ الطَّيْرِ وَإِنْ كَانَا أَمْرَطَيْنِ لَسَ لَهُمَا رِيشٌ وَلَا زَعْبٌ وَلَا شَكِير.

قال: والطير كله سَبْعٌ وَبَهِيمَةٌ وَهَمَجٌ<sup>(٣)</sup>. والسباع من الطير على ضربين: فمنها العتاق، والأحرار والجوارح. ومنها البُغَاثُ، وهو كل ما عَظُمَ من الطير سَبْعاً كان أو بهيمة إذا لم يكن من ذوات السِّلَاحِ والمخالب الْمُعَقَّفَةِ كالنَّسُورِ والرَّخَمِ والغُرْبَانِ وما أَشَبَّهَا من لثام السباع، ثم الْخَشَّاشُ وهو ما لَطُفَ جِرْمُهُ وصَغُرَ شَخْصُهُ وكان عديم السلاح.

وقال: إذا باض الطائرُ بيضاً لم تخرج البيضة من حَدِّ التحديد والتلطيف بل يكون الجانب الذي يبدأ بالخروج الجانب الأعظم. وما كان من البيض مستطيلاً محدَّدَ الأطراف فهو للإناث، وما كان مستديراً عريض الأطراف فهو للذكور. والبيضة عند خروجها تكون لِيُنَّةَ القشر غير جاسئة<sup>(٤)</sup> ولا يابسة ولا جامدة. قال: والبيض الذي

(١) انساح: سار في الأرض ويطنه تدنو منها لسمته.

(٢) الأباهر: ما يلي الكلى من ريش الطائر. والكلى: آخر ما ينبت من الريش.

(٣) الهمج: ذباب صغير كالبعوض يقع على وجوه والحمير.

(٤) الجاسئة: الخشنة الصلبة.

يتولد من الريح والتراب أصغرُ وألطفُ، وهو في الطَّيْب دون الآخر، ويكون بيضُ الريح من الدَّجاج والقَبِج<sup>(١)</sup> والحمام والطاوس والإوز. قال: وَحَضَنُ الطائر وَجْثومَه على البيض يكون صلاحاً لبدن الطائر كما يكون صلاحاً لبدن البيض. قال: وزعم ناسٌ أنَّ بيض الرِّيح إنما يكون عن سِفَادٍ مُتَقَدِّمٍ. وذلك خطأ من وجهين: أمَّا أحدهما، فإن ذلك قد عُرِفَ من فراريج لم تَرَ ديكاً قط. والآخرُ أن بيض الرِّيح لم يكن منه فُرُوخٌ قط. وبيضُ الصَّيْفِ المحضونُ أُسرُعُ خروجاً منه في الشتاء.

فهذه جملٌ من أحوال الطير فرَّقها الجاحظ في كتابه في عدة مواضع جمعناها وألفنا بعضها إلى بعض. فلنذكر كلَّ جنسٍ من الطير، ونشرح ما يخصُّه من الكلام وما قيل فيه. وغيرُ الجاحظ قَسَمَ الطيرَ إلى أقسام، فجعل منها سِبَاعاً، وكلاباً، وبهائمً، وُبُغَاثاً، وَلَيْلِيَّاتٍ، وَهَمَجاً؛ وعلى ذلك بَوَيْنَا هذا القسم؛ على ما تقف عليه إن شاء الله تعالى.

## البَابُ الْأَوَّلُ مِنَ الْقُسْمِ الْخَامِسِ مِنَ الْفَنِّ الثَّالِثِ فِي سِبَاعِ الطَّيْرِ

ويشتمل هذا البابُ على ما قيل في العُقَابِ والبُرْزَةِ والصقور والشَّوَاهِين، وأصناف ذلك، وما يتَّصف به كلُّ طير منها وما فيه من الطبائع والعادة، وما يَصِيدُ، وما فيه من الأمارات الدَّالَّة على نجابته وفراسته، وغير ذلك مما تقف عليه إن شاء الله تعالى.

### ذَكَرُ مَا قِيلَ فِي الْعُقَابِ

يقال: إِنَّ الْعُقَابَ جميعه أنثى وليس فيه ذكر. ويُسمى عند أهل اللغة «العَنْقَاء». وهي «عُقَابٌ» و«رُمُجٌ». فأما العُقَاب فيقال: إِنَّ ذُكُورَهَا من طيرٍ آخر لطيف الجِزْم. وهي تبيض في الغالب ثلاث بيضاتٍ فيخرج لها فرخان. قال الجاحظ: ثم اختلفوا، فقال بعضهم: لأنها لا تحضن إلا بيضتين؛ وقال آخرون: قد تحضن ويخرج لها ثلاثة أفراخ ولكنها ترمي بالواحد أستثقلاً للتكليف على ثلاثة؛ وقال آخرون: ليس ذلك إلا لما يعترىها من الضعف عند الصيد، كما يعترى النُّفَسَاءُ<sup>(٢)</sup> من الوهن والضعف. وهي

(١) القبيج: طائر كالحجل يغير أصوانه بأنواع شتى، ويعمر خمس عشرة سنة.

(٢) النفساء: المرأة التي ولدت. جمع نفساوات ونفاس.

تحضن ثلاثين يوماً. وما عداها من الجوارح تبيض بيضتين في كل سنة وتحضن عشرين يوماً.

قالوا: وفي طبع الذكر أنه يمتحن أثناءه هل هي محافظة له أو مؤاتية لغيره من غير جنسه، بأن يصوب نظر فرخيه إلى شعاع الشمس، فإن ثبت عليه تحقق أنها فراخه وأمسكها، وإن نبا بصره عن شعاع الشمس ضرب الأنثى كما يضرب الرجل المرأة الزانية وطردها من وكرة ورمى بالفرخين.

والعقاب خفيفة الجناح، سريعة الطيران، فهي إن شاءت أرتفعت على كل شيء وإن شاءت كانت بقره. يقال: إنها تتغذى بالعراق وتتعضى باليمن. وربما صادت حُمُر الوحش، وذلك أنها إذا نظرت الحمار رمث نفسها في الماء حتى يبتل جناحها، ثم تتمرغ في التراب وتطير حتى تقع على هامة الحمار، ثم تصفق على عينيه بجناحيها فتملؤها تراباً، فلا يرى الحمار أن يذهب فيؤخذ. وهي مولة بصيد الحيات. وفي طبعها قبل أن تندرب أنها لا تراوغ صيداً ولا تغنى في طلبه، ولا تزال موفية على شرف عال؛ فإذا رأت سباع الطير قد صادت شيئاً أنقضت عليه، فتتركه لها وتنجو بنفسها. ومتى جاعت لم يمتنع عليها الذئب. وهي شديدة الخوف من الإنسان. ويقال: إنها إذا هربت وثقل جناحها وأظلم بصرها التمسّت غديراً، فإذا وجدته خلقت طائفة في الهواء ثم تقع من حاليق<sup>(١)</sup> في ذلك الغدير فتتغمس فيه مراراً، فيصّح جسمها ويقوى بصرها ويعود ريشها ناشئاً إلى حالته الأولى. وهي متى ثقلت عن النهوض أو غميت حملتها الفراخ على ظهورها ونقلتها من مكان إلى آخر لطلب الصيد وتعوّلها إلى أن تموت. ومن عجيب ما ألهمت أنها إذا أشتكت كبدها رفعت الأرناب والشعالب في الهواء وأكلت أكبادها فتبرأ. وهي تأكل الحيات إلا رؤوسها، والطير إلا قلوبها. قال امرؤ القيس:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَيَابِساً لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي<sup>(٢)</sup>

ومُسْرِها<sup>(٣)</sup> الأعلى يعظم ويتعفّف حتى يكون ذلك سبب هلاكها؛ لأنها لا تنال به الطعم إذا كان كذلك. وأوّل مَنْ صاد بها أهل المغرب، وحكي أنّ قيصراً أهذى إلى كسرى عقاباً، وكتب إليه: علمها فإنها تعمل عملاً أكثر من الصقور التي أعجبتك. فأمر

(١) الحاليق: المكان المرتفع المنيف.

(٢) الحشف من التمر: أردؤه، وهو الذي يجف ويصلب ويتقبض قبل نضجه فلا يكون له نوى ولا

حلاوة ولا لحم.

(٣) المنسر: هو للطائر كالمقار لغير الجارح.

بها فأرسلت على ظني عرض لها فقتلته، فأعجبه ما رأى منها؛ ثم جوعها ليصيدها، فوثبت على صبي من حاشيته فقتلته؛ فقال كسرى: غزانا قيصر في بلادنا بغير جيش. ثم أهدي له نمرأ وكتب إليه: قد بعثت إليك بما تقتل به الطباء وما قرب منها من الوحش؛ وكتب عنه ما صنعت العقاب. فأعجب به قيصر. ففعل عنه يوماً فأفترس بعض فتيانه؛ فقال: صادنا كسرى؛ فإن كنا صيدناه فلا بأس. فلما اتصل ذلك بكسرى قال: أنا أبو ساسان.

وأجود العقاب ما جلب من سرت<sup>(١)</sup> وبلاد المغرب.

وقد وصفها الشعراء فمن ذلك ما قاله أبو الفرج البيهقي<sup>(٢)</sup>: [من الرجز]

ما كل ذات مخلب وناب	من سائر الجارح والكلاب
بمذكرك في الجذ والطلاب	أيسر ما يذكرك بالعقاب
شريفه الصبغة والأنساب	تطير من جناحها في غاب
وتستتر الأرض عن السحاب	وتحجب الشمس بلا حجاب
يظل منها الجو في اغتراب	مستوحشاً للطير كالمزتاب
ذكية تنظر من شهاب	ذات جران واسع الجلباب <sup>(٣)</sup>
ومنكب ضخم أثيث رابي	ومنسر موثق النصاب <sup>(٤)</sup>
وراحتني ليث شري غلاب	نيطت إلى برائني صلاب
مرهفة أمضى من الجراب	وكل ما خلق في الضباب

\* لملكها خاضعة الرقاب \*

وأما الزمج - فهو الصنف الثاني من العقاب، ويعد من خفاف الجوارح. وهو سريع الحركة شديد الوثبة. ويوصف بالصدر. ومن عادته أنه يتلقف الطائر كما يتلقفه البازي، ويصيد على وجه الأرض كما تصيد العقاب، ويحمد من خلقه أن يكون أحمر اللون ولا يحمد ما قرئص<sup>(٥)</sup> منه وخشياً.

(١) سرت: مدينة على ساحل بحر الروم.

(٢) هو عبد الواحد بن نصر بن محمد البيهقي المخزومي الشامي (أبو الفرج) شاعر، نائر، تنقل في البلاد ومدح سيف الدولة والكبار. كانت وفاته سنة ٣٩٨ هجرية (معجم المؤلفين ٦: ٢١٤).

(٣) الجران: باطن العنق، أو مقدمه.

(٤) الأثيث: الكثير والعظيم من كل شيء.

(٥) المقرئص: المقتنى للاصطياد.

وقد وصفه أبو الفرج البيهقي فقال: [من الرجز]

يا ربَّ سَرْبٍ آمِنٍ لَمْ يُزْعَجِ      غَادِيَتُهُ قَبْلَ الصَّبَاحِ الْأَبْلَجِ  
بَزْمَجٍ أَذْلَقَ حُوشٍ أَهْوَجِ      مُضْبِرِّ الْمَنَكِبِ صُلْبِ الْمَنَسِجِ<sup>(١)</sup>  
ذِي قَصَبٍ عَبَلٍ أَصَمٍّ مُدْمَجِ      وَجُؤْجُؤٍ كَالْجَوْشَنِ الْمُدْرَجِ<sup>(٢)</sup>  
وَعُنُقٍ سَامٍ طَوِيلٍ أَعْوَجِ      وَمَنْسِرٍ أَقْنَى فَسِيحٍ مُسْرَجِ<sup>(٣)</sup>  
مُنْخَرِقِ الْمَدْخَلِ رَخْبِ الْمَخْرَجِ      وَمَقْلَةٍ تَشِفُّ عَنْ فَيْرُورَجِ  
نَاطِرَةٍ مِنْ لَهَبٍ مُؤَجَّجِ      وَهَامَةٍ كَالْحَجَرِ الْمُدْمَلَجِ  
\* وَمِخْلَبٍ كَالْمَغُولِ الْمُعَوَّجِ \*

### ذَكَرَ مَا قِيلَ فِي الْبَازِي

قالوا: والبازي خمسة أصناف، وهي البازي، والزُرْقُ والبَاشِقُ، والعَفْصِيُّ، واليَنْدَقُ.

فأما البازي - فهو الثاني من الجوارح، وهو أحرّ هذه الأصناف الخمسة ميزاجاً، لأنه قليل الصبر على العطش. ومأواه مَسَاقِطُ الشجر العادية الملتفة والظلُّ الظليل ومُطَرَّدُ المياه. وهو لا يتخذ وَكْراً إلا في شجرة لها شوك. وإذا أراد أن يُفْرَخَ بَنَى لنفسه بيتاً وسقفه تسقيفاً جيداً يقيه من المطر ويدفع عنه وَهَجَ الْحَرِّ. وسيله في البرد أن يذفا بالنار ويُجْعَلَ تحت كَفَّيْهِ وَبَرُّ الثعالب واللُّبُودِ<sup>(٤)</sup>؛ وفي الصيف أن يجعل في بيت كَنِينٍ باردٍ التَّسِيمِ ويُفَرِّشَ له الرِّيحَانُ والخَلَافَ<sup>(٥)</sup>. وهو خفيف الجناح، سريع الطيران، يَلْفُ طيرانه كالتفافِ الفَوَاحِشِ<sup>(٦)</sup>؛ وَيَسْهَلُ عليه أن يَزُجَّ بنفسه صاعداً وهابطاً وينقلب على ظهره حتى يَلْتَقِفَ فريسته. والإناث منه أحرأ على عظام الطير من الذكور. ويقال: إن الإناث إذا كان وقت سِفَادِهَا يَغْشَاهَا جميعُ أنواعِ الصُّواري: الزُرْقُ والشاهين والصُّقْرُ،

(١) الدلق: خروج الشيء من مخرجه سريعاً - الحوش: القوي - المضبر: الذي اكتنز لحمه - ومنسج

الدابة: ما بين العرف وموضع اللبد.

(٢) الجؤجؤ: الصدر - والجوشن: الدرع.

(٣) المنسر: هو للطائر كالمقار لغير الجارح.

(٤) اللبود: جمع اللبد، وهو كل شعر أو صوف متلبد؛ أو هو ما يوضع تحت السرج؛ أو هو ضرب من البسط.

(٥) الخلاف: صنف من شجر الصفصاف.

(٦) الفواخت: جمع فاختة، وهي من ذوات الأطواق.



وإنها تبيض من كل طائر يغشاها؛ ولهذا تجيء مختلفة الأخلاق. والبازي يصيد ما بين العصفور والكركي<sup>(١)</sup>. ومن عادته أنه إذا أخطأ صيده وفاته وكان في برية لا شجر فيها ولّى مُمِعناً حتى يجد كهفاً أو جداراً يأوي إليه؛ ولهذا علّق عليه الجرس ليدلّ على مكانه إذا خفي.

وصفة الجيد منه المحمود في فعله أن يكون قليل الريش، أحمر العينين حادّهما وأن تكونا مُقْبِلَتَيْنِ على منسره وحجاجاهما<sup>(٢)</sup> مُطْلَيْنِ عليهما، ولا يكون وضعهما في جنبني رأسه كوضع عيني الحمام. والأزرق منه دون الأحمر العين؛ والأصفر دونهما. وسعة أشدّاه تدلّ على قوة الافتراس. ومن صفاته المحمود أن يكون طويل العنق، عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، شديد الانخراط إلى ذنبه، وأن تكون فخذه طويلتين مُسْرُولَتَيْنِ بريش، وذراعه قصيرتين غليظتين، وأشاجع<sup>(٣)</sup> كفّيه عارية، وأصابعه متفرقة، ولا تكون مجتمعة ككفّ الغراب، ومخلبه أسود، ويكون طويل المنسر دقيقه. وأفخر ألوانه الأبيض ثم الأشهب، وهما لوانان يدلّان على الفراهة والكرم. وأما الأسود الظهر المُنْقَش الصدر بالبياض والسواد فهو يدلّ على الشدة والصلابة. وإن اتفق أن يكون هذا أحمر العين كان نهاية. وهذا اللون في البُزاة كالكميت في الخيل. والأحمر في البُزاة أخبثها وبعض الناس يقول: أشرف البُزاة الطُغْرُل، ثم البازي التام وهو الذي وصفناه آنفاً. والطُغْرُل: طائر عزيز نادر الوقوع لا يعرفه غير الترك، لأنه يكون في بلاد الخزر وما والاها وما بين خوارزم إلى أرمينية، وهو يجمع صيد البازي والشاهين. وقيل: إنه لا يعقر شيئاً بمخلبه إلا سمّه.

وأول من صاد البازي «لذريق» أحد ملوك الروم الأول؛ وذلك أنه رأى بازياً إذا علا كَفَّ<sup>(٤)</sup> وإذا سفل خَفَق<sup>(٥)</sup>، وإذا أراد أن يسمو درق<sup>(٦)</sup>؛ فأتبعه حتى أقتحم شجرة ملتفة كثيرة الدغل؛ فأعجبه صورته، فقال: هذا طائر له سلاح تتزيّن بمثله الملوك؛ فأمر بجمع عده من البُزاة فجمعت وجعلت في مجلسه. فعرض لبعضها أيم<sup>(٧)</sup> فوثب عليه؛ فقال: ملك يغضب كما تغضب الملوك. ثم أمر به فنصب على كُنْدَرَةٍ<sup>(٨)</sup> بين

(١) الكركي: طائر يقرب من الوز أتر الذنب رمادي اللون.

(٢) الحجاج: العظم المستدير حول العين.

(٣) الأشاجع: رؤوس الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف.

(٤) الكتف: ضرب من الطيران.

(٥) خفق الطائر: طار.

(٦) درق: أسرع.

(٧) الأيم: الحية.

(٨) كندرة البازي: مجثمه الذي يهيا له من خشب أو مدر.

يديه، وكان هناك ثعلبٌ فمرَّ به مجتازاً، فوثب عليه فما أفلت منه إلا جريحاً؛ فقال لُدْرِيقُ: هذا جَبَّارٌ يمنع حِمَاه. ثم أمر به فضرَّي<sup>(١)</sup> على الصيد؛ وأتخذته الملوكة بعده.

وقد وصفته الشعراء والأدباء، فمن ذلك قولُ الناشيء: [من الرجز]

لما تَعَرَّى الليلُ عن أنساجِه	وأرتاح ضوءُ الصبح لانبلاجِه
عَدَوْتُ أبغي الصيدَ من منهاجِه	بأقمرٍ أبديعٍ في نتاجِه
ألْبَسَه الخالقُ من ديباجِه	ثوباً كفى الصانع من نساجِه
حالٍ من الساقِ إلى أوداجِه	وشياً يحار الطُرفُ في أندراجِه
في نَسَقٍ منه وفي أنعراجِه	وزانَ فَوْدِيَه إلى حجّاجِه <sup>(٢)</sup>
بزينَةٍ كَفَثَه عزّ تاجِه	منسِرُه يُثني على خلّاجِه
وظُفَرُه يُخبر عن علاجِه	لو أستضاء المرء في إدلاجِه

\* بعينه كفّثه عن سِراجِه \*

وقال ابنُ المعتزِّ يصف عَيْنَ البازي:

ومقلّة تَضُدُّه إذا رَمَقَ      كأنها نَرْجَسَةٌ بلا وَرَقِ

وقال أيضاً فيه:

وفتيانٍ غَدَوْا والليلُ داجٍ      وضوءُ الصبحِ مُتَّهَمُ الطلوعِ

كأن بُزائِهِم أمراءُ جيشٍ      على أكتافها صدأُ الدُرُوعِ

وقال أيضاً: [من الرجز]

ومنسِرٍ عَضِبَ الشبابةُ دامي      كَعَقْدِكَ الخمسين بالإبهام<sup>(٣)</sup>

وخافقٍ للصيدِ ذي أضطلامٍ      ينشُرُه للنُّهْض والإقدام<sup>(٤)</sup>

\* كَنَشَرَكَ البُرْدَ على المُسْتَم \*

ووصفه أبو إسحاق إبراهيم بن خَفَاجَة الأندلسي فقال من رسالة:

«طائرٌ يُستدلُّ بظاهرِ صفاته، على كرم ذاته؛ طوراً ينظر نظراً الخِيلاء في عِظْفِه كأنما يُزْهِى جَبَّار، وتارةً يَرمي نحوَ السماء بِطَرْفه كأنما له هناك أَعْتَبَار. وأخْلِقَ به أن

(١) ضري على الصيد: أكره وعود عليه.

(٢) الحجاج: العظم المستدير حول العين.

(٣) طريقة حسابية كانت معهودة عند العرب وتعرف بحساب عقود الأصابع.

(٤) نشر: بسط.

ينقض على قنيصه شهاباً، ويلوي به ذهاباً، ويخرقه توقداً والتهاباً. وقد أقيم له سابغ الذنابي والجناح، كفيّلين في مطالبه بالتجّاح. جيد العين والأثر حديد السمع والبصر. يكاد يحسّ بما يجري ببال، ويسري من خيال. قد جمع بين عزة ملك، وطاعة مملوك، فهو بما يشتمل عليه من علو الهمة، ويرجع إليه بمقتضى الخدمة؛ مؤهل لإحراز ما تقتضيه شمائله، وإنجاز ما تعدّ به مخايله. وخليق بمحكم تأديبه، وجودة تركيبه؛ أن لو مثل له النجم قنصاً، أو جرى بذكره البرق قنصاً؛ لا اختطفه أسرع من لحظه، وأطوع من لفظه؛ وأنتسفه<sup>(١)</sup> أمضى من سهم، وأجرى من وهم. وقد أقسم بشرف جوهره، وكريم عنصره، لا يوجه مسقراً، إلا غادر قنيصه معقراً<sup>(٢)</sup>، وآب إلى يد من أرسله مظفراً؛ مورد المخلب والمنقار، كأنما أختضب بحناء أو كرع في عقار<sup>(٣)</sup>.

وله من أبيات يمدح بها: [من الكامل]

طرّد القنيص بكلّ قيدٍ طريدةٍ      رَجَلِ الجَنَاحِ مَوْرَدَ الأظْفَارِ<sup>(٤)</sup>

مُلْتَفَّةً أعطافه بحَيِّرةٍ      مكحولة أجفائه بضَارِ<sup>(٥)</sup>

يرمي به الأمد البعيد فيثثني      مخضوب راء الظفر والمنقار

وأما الزُرْق - وهو الصنف الثاني من البازي، هو باز لطيف، إلا أن مزاجه أحرّ وأيبس، وهو لذلك أشدّ جناحاً وأسرع طيراناً وأقوى إقداماً. وفيه ختلٌ وخُبثٌ؛ وذلك أنه إذا أرسل على طائر طار في غير مطّاره ثم عطف عليه وأظهر الشدة بعد اللين. وخير ألوانه الأسود الظهر الأبيض الصدر الأحمر العين. ووصفه المحمود منه أن يكون أعدلها خلقاً، وأقلها ريشاً، وأثقلها مَحْمِلاً، وأملأها فخذاً، وأرجبها شدقاً، وأوسعها عيناً، وأصغرها رأساً وأصفاها حدقةً، وأطولها عنقاً، وأقصرها خافيةً، وأشدّها لحمًا، وأن يكون أخضر الرجلين، وسيع المخالب، متعرياً من اللحم. والله أعلم.

وأما الباشق - وهو الصنف الثالث من البازي. وهو أحرّ وأيبس من الزُرْق، وهو هَلِيعٌ قَلِيقٌ دَعِرٌ، يأنس وقتاً ويستوحش وقتاً. ونفسه قوية جافية. فإذا أنس منه الصغير بلغ منه كلُّ المراد. وأجود الباشق ما أخذ فرخاً لم يُلَقِ من قوادمه ريشة. وهو متى تم

(١) انتسف الطائر الشيء عن وجه الأرض: قلعه.

(٢) المعفر: الذي مسح بالتراب.

(٣) العقار: الخمر.

(٤) الزجل: رفع الصوت والجلبة.

(٥) الحبر في البرود: الموشى المخطط.

تَأْنِيسُهُ وَجِدَ مِنْهُ بَارِزٌ خَفِيفُ الْمَحْمَلِ ظَرِيفُ الشَّمَائِلِ .  
ومن صفاته المحمودية أن يكون صغير المنظر، ثقیل المحمل، طويل الساقين  
والفخزين، عظیم السلاح بالنسبة إلى جسمه .

وقال بعض الشعراء يصفه : [من المتقارب]

إذا بَارَكَ اللَّهُ فِي طَائِرٍ      فَخَصَّ مِنَ الطَّيْرِ اسْبَهْرَقِي  
لَهُ هَامَةٌ كُلَّتْ بِاللُّجَيْنِ      فَسَالَ اللَّجَيْنُ عَلَى الْمَفْرِقِ  
يُقَلِّبُ عَيْنَيْنِ فِي رَأْسِهِ      كَأَنَّهُمَا نَقَطَتَا زَيْبَقِ  
وَاشْرَبَ لَوْنًا لَهُ مُذْهَبًا      كَلَوْنَ الْعَزَالَةَ فِي الْمَشْرِقِ  
حِمَامُ الْحَمَامِ وَخُتْفُ الْقَطَا      وَصَاعِقَةُ الْقَبْجِ وَالْعَقَعَقِ<sup>(١)</sup>  
وَأَحْنَى عَلَيْكَ إِلَى أَنْ يَعُودَ      إِلَيْكَ مِنَ الْوَالِدِ الْمُشْفِقِ  
فَأَكْرِمْ بِهِ وَبَكْفِ الْأَمِيرِ      وَبِالدُّسْتَبَانِ إِذَا يَلْتَقِي<sup>(٢)</sup>

وقال أبو الفتح كُشَاجِمُ : [من الطويل]

يَسْمُو فَيَخْفَى فِي الْهَوَاءِ وَيَنْكَفِي      عَجَلًا فَيَنْقُضُ أَنْقِضَاضَ الطَّارِقِ  
وَكَأَنَّ جُؤْجُؤَهُ وَرِيشَ جَنَاحِهِ      خُضِبًا بِنَقْشِ يَدِ الْفَتَاةِ الْعَاتِقِ<sup>(٣)</sup>  
وَكَأَنَّمَا سَكَنَ الْهَوَى أَعْضَاءَهُ      فَأَعَارَهُنَّ نَحْوَلَ جِسْمِ الْعَاشِقِ  
ذَا مَقْلَةٍ ذَهَبِيَّةٍ فِي هَامَةٍ      مُحْفُوفَةٍ مِنْ رِيشِهَا بِحَدَائِقِ  
وَمَخَالِبٍ مِثْلِ الْأَهْلَةِ طَالَمَا      أَذْمَيْنَ كَفَّ الْبَازِيَارِ الْحَاقِظِ  
وَإِذَا أَنْبَرَى نَحْوَ الطَّرِيدَةِ خِلَّتَهُ      كَالرَّيْحِ فِي الْأَسْمَاعِ أَوْ كَالْبَارِقِ  
وَإِذَا دَعَاهُ الْبَازِيَارُ رَأَيْتَهُ      أَذْنَى وَأَطْوَعَ مِنْ مُحِبٍّ وَامِقٍ<sup>(٤)</sup>  
وَإِذَا الْقَطَاةُ تَخَلَّفَتْ مِنْ خَوْفِهِ      لَمْ يَعُدْ أَنْ يَهْوِيَ بِهَا مِنْ حَالِقِ

ومن رسالة لبعض فضلاء الأندلس، جاء منها :

«كأَنَّمَا أَكْتَخَلَ بِلَهَبٍ، أَوْ أَتَعَلَّ بِذَهَبٍ . مَلْتَفٌ فِي سِنْبَرِهِ، وَمَلْتَحِفٌ بِجَبْرِهِ . مِنْ  
سَيُوفِهِ مِيقَارُهُ، وَمِنْ رِمَاحِهِ أَظْفَارُهُ . وَمِنْ اللَّوَاتِي تَتَنَافَسُ الْمُلُوكُ فِيهَا، تُمَسِّكُهَا عُجْبًا بِهَا

(١) القبيح : الحجل، وهو جنس طيور تصاد .

(٢) الدستبان : الضارب بالدستان، وهي النغمة بالفارسية .

(٣) العاتق : الجارية أول ما أدركت والتي لم تتزوج .

(٤) الوامق : المحب .

وتَيْهًا. فهي على أَيْديها آيَةٌ بادية. ونعمة من الله نامية، تَبْدُلُ لك الجَهْدَ ضَرَاخًا، وتُعِيرُكَ في نَيْلِ بُغْيَتِكَ جَنَاحًا. وتَتَّفِقُ معَكَ في طلب الأرزاق، وتَأْتِلِفُ بِكَ على اِخْتِلَافِ الخَلْقِ والأخلاق. ثم تلوذ بك لِيَاذَ من يَرْجُوكَ، وتفي لك وفاء لا يلتزمه لك أَبْنُكَ ولا أَخُوكَ». ثم ذَكَرَ حَمَامَةً صَادَهَا، فقال: «اِخْتَطَفَهَا أَسْرَعُ من اللَّحْظِ، ولا مَحِيدَ لها عنه، وأنحدر بها أعجلُ من اللَّفْظِ، وكأنها هي منه؛ ثم جعل يتناولها بَعْقَدِ السَّبعين، ويُدْخِلُهَا في أَضِيقَ من التسعين. وكان لها موتًا عاجلاً، وكانت له قُوتًا حاصلاً». والله الهادي للصواب.

وأما العَفْصِيُّ - وهو الصنف الرابع من البازي. وهو من الباشق كالزُرْق من البازي، إلا أَنَّهُ أَصْغَرُ الجوارح نَفْسًا، وَأَضْعَفُهَا حِيلَةً، وَأَشْدُّهَا دُعْرًا، وَأَيَّسَهَا مِزَاجًا. وربما صاد العصفورَ وتركه لخوفه وحَذَرِهِ. ومن عاداته أَنَّهُ يَرْصُدُ الطيرَ أَيَّامَ حِضَانِهِ، فإذا طار عن وَكْرِهِ خَلَفَهُ فيه وكَسَرَ بِيضَهُ ورماه وياض مكانه وطار عنه فيحْضُنُهُ صاحبُ الوكر؛ فهو أَبَدًا لا يحْضُنُ ولا يُرَبِّي.

وأما البَيْدَقُ - وهو الصنف الخامس من البازي، وهو لا يصيد غيرَ العصافير. وقد وصفه كُشَاجِمُ فقال: [من الرجز]

حَسْبِي مِنَ الْبُزَاةِ وَالزَّرَارِقِ	بَبَيْدَقٍ يَصِيدُ صَيْدَ الْبَاشِقِ
مُؤَدَّبٍ مُدَرَّبِ الْخَلَائِقِ	أُضِيدَ مِنْ مَعْشُوقَةٍ لِعَاشِقِ
يَسْتَبِقُ فِي السَّرْعَةِ كُلِّ سَابِقِ	لَيْسَ لَهُ عَنْ صَيْدِهِ مِنْ عَائِقِ
رَبَّيْتُهُ وَكُنْتُ عَيْنَ الْوَائِقِ	أَنْ الْفَرَاذِينَ مِنَ الْبَيَادِقِ <sup>(١)</sup>

### ذَكَرُ مَا قِيلَ فِي الصَّقْرِ

والصقْرُ ثلاثةُ أصنافٍ، وهي صقْرٌ، وَكَوْنَجٌ، وَيُؤْيُؤٌ.

فأما الصقْر - هو النوع الثالث من الجوارح. والعرب تُسَمِّي كل طائرٍ يصيد صقراً، ما خلا النسرَ والعُقابَ، وتُسَمِّيهِ «الأكدر» و«الأجلد». وهو من الجوارح بمنزلة البغال من الدوابِّ، لأنه أصبر على الشدة وأشدُّ إقداماً على جَلَّةِ الطير كالكَرَاقِي والحَبَّارِجِ<sup>(٢)</sup>. قالوا: ومِزَاجُهُ أَبْرَدُ من سائر ما تقدم ذِكْرُهُ من الجوارح وأَرْطَب. وهو يُضَرِّي على الغزال والأرنب ولا يُضَرِّي على الطير لأنها تفوته. وفعله في صيده

(١) الفرازين: جمع فزان، وهو الملكة بالفارسية.

(٢) الحبارج: واحدها حبرج (بضم أوله)، وهو من طير الماء.

الانْقِصَاضُ والصَّدْمُ. وهو غير صافٍ<sup>(١)</sup> بجناحه ولا خافق به. ومتى خفق بجناحه كانت حركته بطيئة بخلاف البازي. ويقال: إنه أهدأ نفساً من البازي، وأسرع أنساً بالناس، وأكثر رِضاً وقناعةً، وهو يَغْتَذِي بلحوم ذوات الأَرْبَع. وهو يَعَاف المِياة ولا يَقْرُبُها، وذلك لَبَرْد مِزاجه. وفي طبعه أنه لا يركب الأشجار ولا الشوامخ من الجبال، ولا يَأوي إلاّ المقابر والكهوف وصدوع الجبال. وهو يَنْقَى بالتَّمَعَك<sup>(٢)</sup> في الرَّمْل والتراب.

ومن صفاته المحمودة الدّالة على نجابته وفراسته: أن يكون أحمر اللون، عظيم الهامة، واسع العينين، تام المنسر، طويل العنق والجناحين، رَحْب الصدر، ممتلئ الزُّور، عريض الوسط، جليل الفخذين، قصير الساقين والدُّنْب، قريب القَفْذَة<sup>(٣)</sup> من الفَقَّار، سَبَط الكف، غليظ الأصابع فَيُزَوِّجُها، أسود اللسان، والله الموفق.

وأوّل مَنْ صاد بالصقر وضّراه الحارث بن معاوية بن ثور بن كِنْدَة. وسبب ذلك أنه وقف في بعض الأيام على صيّاد قد نَصَب شبكة للعصافير، فأنقَضَ أَكْدَرُ على عصفور قد عَلِقَ في الشبكة فجعل يأكله وقد عَلِقَ الأَكْدَرُ وأندق جناحه، والحارث ينظر إليه وَيَعْجَبُ من فعله، فأمر به فَحْمِلَ فَرُمِيَّ به في كِسْرِ بَيْتٍ ووُكِّلَ به من يُطْعِمه؛ وأنس الصقرُ بالموكِّل به، حتى صار إذا جاءه باللحم ودعاه أجاب؛ ثم صار يُطْعِمه على يده وصار يحمله. فبينما هو يوماً حامِله إذ رأى حمامةً، فطار عن يده إليها فأخذها وأكلها، فأمر الحارث عند ذلك باتّخاذها وتدريبها والتصيّد بها. فبينما هو يسير يوماً إذ لاحت أرنَبُ فطار الصقرُ إليها وأخذها؛ فلما رآه يصيد الطيرَ ويأكله أزداد به إعجاباً واعتباطاً، وأخذته العرب بعده.

ووصفه الشعراء؛ فمن ذلك ما قاله كُشَاجِم يصفه: [من الطويل]

عَدَوْنَا وَطَرَفُ النَجْمِ وَسَنَانُ غَائِرُ	وقد نزل الإصباح والليل سائرُ
بأَجْدَلٍ من حُمْرِ الصَّقُورِ مَوْدِبُ	وأكرمُ ما قَرَّبَتْ منها الأحامرُ <sup>(٤)</sup>
جريءٌ على قتلِ الطُّبَاءِ وإتني	ليُغْجِبَنِي أن يَكْسِرَ الوحشَ طائرُ
قصيرُ الدُّنَابِي والقُدَامَى كأنها	قَوَادِمُ نَسِيرٍ أو سيوفُ بواترُ <sup>(٥)</sup>

(١) صف الطائر جناحيه. بسطهما ولم يحركهما.

(٢) التمعك: التمرغ.

(٣) القفد: جزء من جانب الرأس الخلفي.

(٤) الأحامر: واحدها أحمر.

(٥) القدام: ما يوضع على القدم سداداً له.

ورُقُشَ منه جُؤْجُؤٌ فكأته  
فما زلتُ بالإضمارِ حتى صنعته  
وتحمّله منّا أكفٌ كريمةٌ  
وعنّ لنا من جانب السّفْحِ رَبْرُبٌ  
فجلى وحلت عُقْدَةُ السّيرِ فانتحى  
يَحْتُ جناحيه على حُرّ وجهها  
وما تمّ رَجْعُ الطّرفِ حتى رأيتها  
وقال عبد الله بن المعتز: [من الرجز]

وأجدلِ يفهم نُطَقَ النّاطِقِ  
أفنى المَخَالِبِ طُلُوبِ مَارِقِ  
ذي جُؤْجُؤٍ لا بَسَ وَشِي رَائِقِ  
أو كَأَمْتَدَادِ الكحلِ في الحَمَالِقِ  
عَشْرًا من الإوزِ في غَلَاْفِقِ  
حتى دنا منهمنّ مثل السّارِقِ  
\* فَطَفِقْتُ من هَالِكٍ أو فَائِقِ \*<sup>(٧)</sup>

وقال أيضاً: [من الرجز]

وأجدلِ لم يَخُلْ من تَأْدِيبِ  
يَهْوِي هَوِيّ الدَّلْوِ في القَلْبِيبِ  
كناظرِ الأقبَلِ ذي التَّقْطِيبِ  
فطار كالمُسْتَوْهَلِ المرعوبِ  
يرى بعيد الشيء كالقريبِ  
بناظرِ مُسْتَعْجِمِ مقلوبِ  
رأى إوزاً في ثَرَى رَطِيبِ<sup>(٨)</sup>  
ينقُذ في الشمال والجَنُوبِ

(١) الربرب: القطيع من الطباء ومن البقر الوحشي والأنسي.

(٢) انتحى: قصد، أو مال إلى ناحية.

(٣) المعاجر: واحدها المعجر، وهو ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها.

(٤) الململم: المجمع المدور المضموم.

(٥) المهارق: واحدها المهرق، وهو الصحيفة البيضاء يكتب فيها.

(٦) الغلاقق: واحدها غلقق، وهو الطحلب.

(٧) يقال: فاق الرجل: إذا كانت نفسه على الخروج.

(٨) الأقبل: الذي أقبلت حدقته على أنفه.

وأما الكَوْنَجُ - وهو الصنف الثاني من الصقر. ويُسمى بمصر والشَّام السَّقَاوِيَّة. ونسبته من الصقر كنسبة الرُّزْقِ من البازي، إلا أنه أحرُّ منه؛ ولذلك هو أخفُّ منه جناحاً. وهو يصيد الأرنب، ويعجز عن الغزال لصغره؛ ويصيد أشياء من طيرِ الماء. وشدة نفسه أقلُّ من شدة بدنه؛ ولأجل ذلك أطول في البيوت بُثْثاً، وأصبر على مقاصدة الشقاء من الصقر. وفي وصفه يقول بعض الشعراء: [من الرجز]

إن لم يكن صقرٌ فعندي كَوْنَجٌ      كأنَّ نَفْسَ ريشه المُدْرَجِ  
بُرْدٌ من المَوْشِيَّ أو مُدَبَّجِ      فكم به للطير قلبٌ مُزَعَجِ  
مَمْرُقٌ بدمه مُضْرَجِ      بمثله عتاً الهموم تُفْرَجِ  
وأما اليُوَيْؤُ - وهو الصنف الثالث من الصقر. ويسميه أهل مصر والشَّام «الجلَم» لخفة جناحيه وسرعتها. وهو طائر قصير الذنب. ومزاجه بالإضافة إلى الباشق باردٌ رطبٌ، لأنه أصبر منه نفساً وأثقل حركةً. ويشرب الماء شرباً ضرورياً كما يشربه الباشق. ومزاجه بالنسبة إلى الصقر حارٌّ يابس، ولذلك هو أشجع منه، لأنه يتعلّق بما يفترسه، ويصيد ما هو أجلُّ منه كالدرّاج. ويقال: إنَّ أوَّل من صاد به وأتخذَه لِلْعَب بَهْرَام جُور؛ وذلك أنه شاهد يُؤَيِّؤاً يُطارِد قُبْرَةً ويُرَاوِغها ويرتفع معها إلى أن صاهاها؛ فأعجبه وأتخذَه وصاد به.

وقال عبد الله النّاشي يصفه:

ويؤيؤُ مهذبٌ رشيق      كأنَّ عينيه على التحقيق  
\* فَصَانِ مَخْرُوطَانِ مِنْ عَقِيْقِ \*

وقال أبو نُوَاس: [من الرجز]

قد أغتدي والصبحُ في دجاء      كطُرة البُرد على مَثْناء<sup>(١)</sup>  
بيؤيؤُ يُعْجِب من رآه      ما في اليأيي يؤيؤُ شَرْواه<sup>(٢)</sup>  
أزرق لا تكذبه عيناه      فلو يرى القانصُ ما يراه  
\* فَدَاهِ بِالْأُمِّ وَقَدْ فَدَاهِ \*

وقال أبو إسحاق الصّابي<sup>(٣)</sup> يصفه من رسالة:

(١) الطُرة: الجبهة.

(٢) شروى الشيء: نظيره.

(٣) هو إبراهيم بن سنان بن ثابت بن قرّة الصّابي، الحراني (أبو إسحاق)، عالم بأنواع الحكمة، والغالب عليه علم الهندسة، وله مصنفات كثيرة. كانت وفاته سنة ٣٣٥ هجرية. (معجم المؤلفين ١: ٣٦).



«وكم من قُبْرٍ أطلقنا عليه يؤيؤاً لنا فَعَرَجَ إلى السماء عُرُوجاً، وَلَجَجَ في أثره تلجيجاً؛ فكان ذلك يعتصم منه بالخَلَقِ، وهذا يَسْتَطِيعُهُ من الرِّزَاقِ؛ حتى غابا عن النُّظَّارِ، وأحتجبا عن الأبصار؛ وصارا كالغَيْبِ المُرْجَمِ، والظنِّ المتوهم؛ ثم خطفه ووقع به وهما كهَيْئَةِ الطائر الواحد؛ فأعجبنا أمرهما، وأطربنا منظرهما».

### ذِكْرُ مَا قِيلَ فِي الشَّاهِينِ

والشاهين ثلاثة أصناف، وهي شاهين، وأنيقي، وقطامي.

فأما الشاهين - وأسمه بالفارسية شَوَذَانَه، فعربته العربُ على ألفاظ شتى منها: شَوَذَانِقَ وشَوَذَقَ وشَوَذْنِيقَ وشَيْذَنُوقَ. ويقال: إنه من جنس الصقر إلا أنه أبرد منه وأببس؛ ولذلك تكون حركته من العُلُوِّ إلى السُّفْلِ شديدة، وليس يحلّق في طلب الصيد على خطٍّ مستقيم إنما يحوم لِثِقَلِ جَنَاحِهِ، حتى إذا سامت الفريسة أنقضَّ عليها هاوياً من عُلُوِّ فضربها وفارقها صاعداً؛ فإن سقطت على الأرض أخذها، وإن لم تسقط أعاد ضربها لتسقط؛ وذلك دليلٌ على جُبْنِهِ وفتور نفسه وبَرْدِ مزاج قلبه. ومع ذلك كله فهو أسرعُ الجوارح وأخفُّها وأشدُّها ضراوةً على الصيد. إلا أنهم عابوه بالإباق<sup>(١)</sup> وبما يعتريه من الجِرْص؛ حتى إنه ربما ضرب بنفسه الأرض فمات. ويزعمون أنَّ عظامه أصلبُ من عظام سائر الجوارح؛ ولذلك هو يضرب بصدرة ويلتق بكفه.

وقال بعضٌ من تكلم في هذا النوع: الشاهين كاسمه. يريد شاهي<sup>(٢)</sup> الميزان لأنه لا يحتمل أدنى حال من الشَّبَعِ ولا أيسر حالٍ من الجوع.

والمحمودُ من صفاته: أن يكون عظيمَ الهامة، واسعَ العينين حادَّهما، تامَّ المِئْسَرِ، طويلَ العنق، رَحَبَ الصدر ممتلىء الزُّور، عريضَ الوسط، جليلَ الفخِذَين، قصيرَ الساقين، قريبَ القفْدة من الظهر، قليلَ الرِّيش ليَّنه، تامَّ الخوافي، دقيقَ الذَّنْبِ، إذا صَلَّبَ عليه جناحيه لم يفضل عنهما شيءٌ منه. فإذا كان كذلك فهو يقتل الكُرْكِيَّ ولا يفوته، وزعم بعضهم أنَّ السُّودَ من الشواهين هي المحمودة، وأن السواد أصل لونها، وإنما أحالته التُّرْبَةُ، ويكون في الشواهين المُكَمَّع. والله أعلم.

وأوَّلُ من صاد بالشَّوَاهِينِ قسطنطين ملكَ عُمُورِيَّة<sup>(٣)</sup>. حُكي أنه خرج يوماً يتصيد، حتى إذا أتى إلى مَرَجٍ فسبح نظر إلى شاهين يَنكفِيءُ على طير الماء؛ فأعجبه ما

(١) الإباق: الهروب.

(٢) شاهين الميزان: لسانه.

(٣) عمورية: بلد في بلاد الروم غزاها المعتصم في سنة ٢٢٣ هجرية.

رأى من سرعته وضراوته والحاجه على صيده، فأخذه وضراهُ؛ ثم رِيضَتْ له الشَّواهين بعد ذلك وعُلِّمَتْ أن تَحُومَ على رأسه إذا رَكِبَ فَتَظَلَّه من الشمس؛ فكانت تنحدر مرّة وترتفع أخرى، فإذا نزل وقعت حوله.

وقد وصف الشعراء الشواهين وشبهوها، فمن ذلك قولُ النَّاسِيءِ: [من الرجز]

هل لك يا قَنَاصُ في شاهينِ      شُودَانِيٍّ مُؤَدِّبٍ أَمِينِ  
جاء به السائسُ من رَزِينِ      ضَرَاهُ بالتَّخْشِينِ والتَّلِينِ  
حتى لأَغْنَاهُ عن التَّلْقِينِ      يكاد للتثقيفِ والتَّمْرِينِ  
يَعْرِفُ معنى الوَخِي بالجفونِ      يَظَلُّ من جَنَاحِهِ المَزِينِ  
في قُرْطَلِيٍّ من خَزَه الثَّمِينِ      يُشَبِّه من طِرَازِهِ المَصُونِ<sup>(١)</sup>  
بُرْدَ أَنُوشِزَوَانَ أو شِيرِينِ      أَخَوَى مَجَارِي الدَّمْعِ والشُّوونِ<sup>(٢)</sup>  
ذي مَنَسَرٍ مُؤَلِّلٍ مَسْنُونِ      وَاِفٍ كَشَطَرِ الحَاجِبِ المَقْرُونِ  
مُنْعَطِفٍ مِثْلَ أَنْعَاطِ النُّونِ      يُبْدِي أَسْمُهُ معناه للعيون

وقال أبو الفتح كُشَاجِمٌ وبدأ بالكُرْكِيَّ: [من الرجز]

يا رَبَّ أَسْرَابِ مِنَ الكَرَائِي      مُطْمِعَةِ السَّكُونِ فِي الحَرَائِي  
بَعِيدَةِ المَمَالِ والإِذْرَائِي      كُذِّرَ وَبِيضِ اللَّوْنِ كالأَفْنَائِي<sup>(٣)</sup>  
تَقْصُرُ عَنْهَا أَسْهُمُ الأَتْرَائِي      دُعِرْنَ قَبْلَ لَعَطِ المَكَاكِي<sup>(٤)</sup>  
وَقَبْلَ تَغْرِيدِ الحَمَامِ البَاكِي      بَفَاتِكِ يُزْبِي عَلَى الفُتَائِي  
مُؤَدِّبِ الإِطْلَاقِ والإِمْسَاكِي      مَلَمَلِمِ الهَامَةِ كالمَدَاكِي<sup>(٥)</sup>  
مِثْلَ الكَمِيٍّ فِي السَّلَاحِ الشَّاكِي      ذِي مَنَسَرٍ ضَخَمَ لَهُ شُكَّاكِي  
وَمِخْلَبٍ بِحَدِّهِ بَتَّاكِي      لِلحُجْبِ عَنْ قُلُوبِهَا هَتَّاكِي<sup>(٦)</sup>  
حَتَّى إِذَا قَلْتُ لَهُ دَرَّاكِي      وَحَلَّقْتُ تَسْمُو إِلَى الأَفْلَاكِي

(١) القرطقي: قباء ذو طاق واحد.

(٢) شيرين: اسم حظية كسرى أبرويز.

(٣) الأفناك: واحدها فنك، وهو دويبة يؤخذ منه الفرو.

(٤) المكاكي: واحدها مكاء، وهو طائر في ضرب القبرة، إلا أنه في جناحيه بلقاء؛ وسمي بذلك لأنه يمكنه، أي يصفر.

(٥) المداك: حجر يسحق عليه الطيب.

(٦) تباك: قطاع.

مُمْتَدَّةُ الأعناق والأوراك      مُوقِنَةٌ بعاجلِ الهلاك  
غادرها تهوي على الدكاك      أسرى بكفئته بلا فكاك<sup>(١)</sup>  
يا غدوات الصيد ما أحلاك      ومُتَّةُ الشاهين ما أقواك  
لم تكذبي فراسةً الأملاك      إياك أعني مادحاً إياك  
وأما الأنبيقي - وهو الصنف الثاني من الشاهين. وتسميه أهل العراق الكرك. وهو دون الشاهين في القوة، إلا أنَّ فيه سرعة. وهو يصيد العصافير. وفيه يقول الشاعر:  
[من الوافر]

عَنِيتُ عن الجوارح بالأنبيقي      بمثل الرِّيح أو لمع البروق  
أصُبُّ به على العصفور حثفاً      فأزمية بصخرة منجنيق  
وأما القطامي - وهو الصنف الثالث من الشاهين، وتسميه أهل العراق «البهرجة». يقال: إنه في طبع الشاهين، والعرب تُخالف ذلك، وتسمي بعض الصقور القطامي؛ والمعتنون بالجوارح يخالفونهم في ذلك.

## فَصْلٌ

ومما ناسبَ الجوارح في الافتراس وأكل اللحم الحي «الضرد»، ويُسمى «الشُّقراق» و«الأخطب»، و«الأخيل»، وقيل: إنَّ من أسمائه «الواق» وبعضهم يسميه «بازي العصافير». وهو طائر مُولَّعٌ بسواد وبياض، ضخْمُ المنقار. وفي طبعه شرَّةٌ وشراسةٌ وسرقةٌ لفراخ غيره ونفورٌ من الناس. وهو يصيد الحيات ويغتذي باللحم، ويأوي الأشجار ذوات الشوك وفي رؤوس التلاع، حذراً على نفسه ممن يصيده. وهو يتحيل في صيد ما دونه من الطير كالعصفور.

هذا ما ظفرت به في أثناء المطالعة من سباج الطير ممَّا تكلم عليه أربابُ هذا الفن. وقد أهملوا أصنافاً، منها ما هو أجلُّ من جميع ما ذكرناه، وهو «السُّنقر».

والسُّنقر - طائر شريف، حسنُ الشَّكل، أبيضُ اللون بنقط سود. والملوك تتغالى فيه وتشتريه بالثمن الكثير. وكان فيما مضى من السنين القرية يُشترى من التجار بألف دينار؛ ثم تناقص ثمنه حتى استقرَّ الآن بخمسة آلاف درهم. ولهم عادةٌ. أنَّ التجار إذا حملوه وأتوا به من بلاد الفرنج فمات منهم في الطريق قبل وصولهم أحضروا ريشه إلى أبواب الملوك، فيعطون نصف ثمنه إذا أتوا به حياً؛ كل ذلك ترغيباً لهم في حملها

(١) الدكاك: واحدها الدكة، وهي ما استوى من الرمال وسهل.

ونقلها إلى الديار المصرية. وهذا الطير لا يشتريه غير السلطان ولا يلعب به غيره من الأمراء إلا من أنعم السلطان عليه به. والله أعلم.

ومما أهملوا الكلام فيه «الكوهية» و«الصفية» و«الزغزي» وهو يُعدّ من أصناف الصقر. ولم أجد من أثق بنقله وعلمه بهذه الأصناف فأنقل عنه أخلاقها وطبائعها وعاداتها.

وقال أبو إسحاق الصابي في وصف الجوارح من رسالة طردية جاء منها:

«وعلى أيدينا جوارح مؤلّلة المخالب والمَناسر، مُدْرَبَةٌ<sup>(١)</sup> التّصال والخناجر، طامحة الألحاح والمناظر؛ بعيدة المرامي والمطارح؛ ذكية القلوب والنفوس، قليلة القُطوب والعُبوس؛ سابعة الأذنان، كريمة الأنساب؛ صُلْبَةُ الأعواد، قوّة الأوصال؛ تزيد إذا أُلْحِمَتْ<sup>(٢)</sup> شرهاً وقَرَمًا<sup>(٣)</sup>، وتَتَضَاعَف إذا أُشْبِعَتْ كَلْباً ونَهَمًا. ثم خرج إلى وصف الحمام فقال: فلما أوفينا عليها، أرسلنا الجوارح إليها؛ كأنها رسلُ المنايا؛ أو سهام القضايا؛ فلم نَسْمَعْ إلا مُسَمِّيًا، ولم نَر إلا مُذَكِّيًا».

## البَابُ الثَّانِي مِنَ الْقِسْمِ الْخَامِسِ مِنَ الْفَرْقِ الثَّالِثِ فِي كِلَابِ الطَّيْرِ

ويشتمل هذا الباب على ما قيل في النّسر، والرّخم، والجِذاة، والغراب. وإنما سمّيت هذه الأصناف بالكلاب لأنها تأكل المَيْتَةَ والجَيْفَ وتقصدها وتقع عليها، فهي في ذلك شبيهة بالكلاب.

### ذِكْرُ مَا قِيلَ فِي النّسْرِ

والنّسر ذو منسَر وليس بذِي مَخْلَب، وإنما له أظفار جِداد، كالمخالب، وهو يَسْفِد كما يَسْفِد الديك. وزعم من تكلم في طبائع الحيوان أنّ الأنثى من هذا النوع تَبْيَضُ من نظر الذّكر إليها، وأنها لا تحضن بيضها، وإنما تبيض في الأماكن العالية التي يقرعها حرّ الشمس وهجيرها، فيقوم ذلك للبيض مقام الحَضْن.

(١) ذرب السيف ونحوه: أحده.

(٢) ألحمت: أطعمت اللحم.

(٣) القرم: اشتداد الشهوة إلى اللحم.

والنَّسْر يُوصَفُ بِحَدَّةِ حَاسَّةِ البَصَرِ، حَتَّى إِنَّهُ يُقَالُ: إِنَّهُ يَرَى الْجِيْفَةَ عَنْ مَسَافَةٍ أَرْبَعِمِائَةِ فَرَسَخٍ، وَكَذَلِكَ حَاسَّةُ الشَّمِّ؛ إِلَّا أَنَّهُ إِذَا شَمَّ الطَّيْبَ مَاتَ. وَهُوَ أَشَدُّ الطَّيْرِ طَيْرَانًا وَأَقْوَاهَا جَنَاحًا؛ حَتَّى زَعَمُوا أَنَّهُ يَطِيرُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ. وَهَذَا الْقَوْلُ أَرَاهُ مِنَ التَّغَالِي فِيهِ. وَسَائِرُ الْجَوَارِحِ تَخَافُهُ. وَهُوَ شَرُّ نَهَمٍ رَغِيْبٍ؛ إِذَا سَقَطَ عَلَى الْجِيْفَةِ وَأَمْتَلَأَ مِنْهَا لَمْ يَسْتَطِعْ عِنْدَ ذَلِكَ الطَّيْرَانِ حَتَّى يَثْبُ عِدَّةٌ وَثَبَاتٍ يَرْفَعُ فِيهَا نَفْسَهُ فِي الْهَوَاءِ طَبَقَةً بَعْدَ طَبَقَةٍ حَتَّى تَدْخُلَ تَحْتَهُ الرِّيْحُ. وَمَنْ أَصَابَهُ بَعْدَ أَمْتَلَائِهِ وَأَعْجَلَهُ عَنِ الْوُثُوبِ أَمَكْنَهُ ضَرْبُهُ إِنْ شَاءَ بَعْصًا وَإِنْ شَاءَ بَغِيرَهَا. قَالُوا: وَالْأَنْثَى تَخَافُ عَلَى بَيْضِهَا وَفِرَاحِهَا مِنَ الْخُقَاشِ فَتَفْرُسُ فِي وَكْرِهَا وَرَقِّ الدَّلْبِ<sup>(١)</sup> لِيَفِرَّ مِنْهُ. وَالنَّسْرُ أَشَدُّ الطَّيْرِ حُزْنًا عَلَى فِرَاقِ إِنْفِهِ؛ يُقَالُ: إِنْ الْأَنْثَى إِذَا فَقَدَتِ الذَّكَرَ أَمْتَنَعَتْ عَنِ الطَّغْمِ أَيَّامًا وَلَزِمَتْ الْوَكْرَ؛ وَرَبَّمَا قَتَلَهَا الْحُزْنَ. وَهُوَ طَوِيلُ الْعُمُرِ؛ يُقَالُ: إِنَّهُ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ. وَفِيهِ أَلْوَانٌ: مِنْهَا الْأَسْوَدُ الْبَهِيمُ، وَالْأَزْيَدُ وَهُوَ لَوْنُ الرَّمَادِ. وَالْأَكْدَرُ مِثْلُهُ. وَهُوَ يَتَّبِعُ الْجِيُوشَ طَمَعًا فِي الْوُقُوعِ عَلَى جِيْفِ الْقَتْلَى وَالْدَّوَابِّ.

## ذَكَرُ مَا قِيلَ فِي الرَّخَمِ

يُقَالُ: إِنْ لَثَمَ الطَّيْرُ ثَلَاثَةَ الْغُرَبَانِ وَالْبُومِ وَالرَّخَمِ.

وَالرَّخْمَةُ تَلْتَمِسُ لِبَيْضِهَا الْمَوَاضِعَ الْبَعِيدَةَ وَالْأَمَاكِنَ الْوَحْشِيَّةَ وَالْجِبَالَ الشَّامِخَةَ وَصُدُوعَ الصَّخْرِ؛ وَلِذَلِكَ يُضْرَبُ الْمِثْلُ بِنَيْضِ الْأَنْثُوقِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

طَلَبَ الْأَبْلَقُ الْعَقُوقَ فَلَمَّا لَمْ يَنْلُهُ أَرَادَ بَيْضَ الْأَنْثُوقِ<sup>(٢)</sup>

وَالرَّخَمُ مِنْ أَحَبِّ الْحَيَوَانِ فِي الْعَذِيرَةِ، لَا شَيْءَ يَحِبُّهَا كَحَبِّهِ إِلَّا الْجَعْلُ. وَقَالَ الْمَفْضَّلُ لِمُحَمَّدِ بْنِ سَهْلٍ: إِنَّا لَا نَعْرِفُ طَائِرًا أَلَامَ لَوْمًا وَلَا أَقْدَرَ طُعْمَةً وَلَا أَظْهَرَ مَوْقًا مِنَ الرَّخْمَةِ. فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ: وَمَا حُمُقُهَا وَهِيَ تَحْضُنُ بَيْضَهَا، وَتَحْمِي فِرَاحَهَا، وَتُحِبُّ وَلَدَهَا، وَلَا تَمْكُنُ إِلَّا زَوْجَهَا، وَتَقْطَعُ فِي أَوَّلِ الْقَوَاطِعِ<sup>(٣)</sup>، وَتَرْجِعُ فِي أَوَّلِ الرُّوَاجِعِ، وَلَا تَطِيرُ فِي التَّحْسِيرِ<sup>(٤)</sup>، وَلَا تَغْتَرُّ بِالشَّكِيرِ<sup>(٥)</sup>، وَلَا تُرَبِّ<sup>(٦)</sup> بِالْوَكُورِ، وَلَا تَسْقُطُ عَلَى الْجَفِيرِ!

(١) الدَّلْبُ: شَجَرُ الصَّنَارِ، وَهُوَ عَرِيضُ الْوَرَقِ وَاسِعُهُ شَبِيهُ بَوْرَقِ الْكُرْمِ.

(٢) الْأَنْثُوقُ: الرَّخَمُ. وَالْعَقُوقُ: الْحَامِلُ، وَالذَّكَرُ لَا يَكُونُ حَامِلًا.

(٣) الْقَوَاطِعُ مِنَ الطَّيْرِ: الَّتِي تَجِيءُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ فِي وَقْتٍ حَرٍّ أَوْ بَرْدٍ.

(٤) التَّحْسِيرُ: سَقُوطُ الرِّيشِ.

(٥) الشَّكِيرُ: الرِّغْبُ، أَوْ الشَّعْرُ الْخَفِيفُ الرَّقِيقُ.

(٦) تَرَبَّبَ بِالْمَكَانِ: تَلَزَمَهُ وَتَقَيَّمُ فِيهِ.

قال الجاحظ: «أما قوله: «تقطع في أول القواطع وترجع في أول الرواجع»، فإن الرُماة وأصحاب الحبال والقناص إنما يطلبون الطير بعد أن يعلموا أن القواطع قد قطعت، فبقطع الرخمة يستدلون، فلا بد للرخمة من أن تنجو سالمة إذ كانت أول طالع عليهم. وأما قوله: «ولا تطير في التحسير ولا تغتر بالشكير»؛ فإنها تدع الطيران أيام التحسير، فإذا نبت الشكير وهو أول ما ينبت من الريش فإنها لا تنهض حتى يصير الشكير قصباً، وأما قوله: «ولا ترب بالوكور» فإن الوكور لا تكون إلا في عرض الجبل، وهي لا ترضى إلا بأعالي الهضاب ثم بمواضع الصدوع وخلال الصخور حيث يمتنع على جميع الخلق المصير إلى أفراخها؛ ولذلك قال الكميت<sup>(١)</sup>:

ولا تجعلوني في رجائي ودكم كراج على بيض الأثوق أحتبالها<sup>(٢)</sup>

وأما قوله: «ولا تسقط على الجفير»، فإنما يعني جعبة السهام. يقول: إذا رأيته علمت أن هناك سهاماً فلا تسقط في موضع تخاف فيه وقع السهام.

قال: والرخم من الطير التي تتبع الجيوش والحجاج لما يسقط من كسرى<sup>(٣)</sup> الدواب. وإذا فقدت الميتة عمدت إلى العظم فحملته وأرتفعت به في الهواء ثم تلقيه فيقع على الصخور فينكسر فتأكل ما فيه. والله أعلم بالصواب.

### ذكر ما قيل في الجدة

قالوا: والجدة تببيض بيضتين، وربما باضت ثلاثاً وخرج منها ثلاثة أفرخ. وهي تحضن عشرين يوماً. ومن ألوانها الأسود والأزبد. ويقال: إنها لا تصيد وإنما تخطف. وهي تقف في الطيران، وليس ذلك لغيرها من الكواسر. وزعم ابن وحشية: أن العقاب والجدة يتبدلان، فتصير الجدة عقاباً والعقاب جدةً. وهذا أراه من الخرافات. ويقال: إن الجدة من جوارح سليمان عليه السلام وإنها امتنعت من أن تؤلف أو تملك لغيره، لأنها من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده. وهي لا تختطف إلا من يمين من تختطف منه دون شماله. وليس فيها لحم، وإنما عظام وعصب وجلد وريش. ولم أقف على شعر فيها فأضعه.

(١) هو الكميت بن زيد من بني أسد ويكنى أبا المستهل وكان معلماً. وكان أصم أصلخ لا يسمع شيئاً، وكان بينه وبين الطرماح من المودة والمخالطة ما لم يكن بين اثنين على تباعد ما بينهما في الدين والرأي. (الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٩٠).

(٢) احتبل الصيد: أخذه بالجمالة.

(٣) كسر الدواب: واحدها كسير.

## ذكر ما قيل في الغراب

قالوا: والغراب أصناف وهي «الغُذافُ» و«الزَّاعُ الأكلُحْل» و«الزَّاعُ الأورق». والغراب يَخْكِي جميع ما يسمعه، وهو في ذلك أعجب من الببغاء. ويقال: إن متولّي ثغر الإسكندرية أهدى إلى السلطان الملك الظاهر رُكْن الدين بَيْرَس غراباً أبيض؛ وهو غريب نادر الوقوع. ويقال في صوت الغراب: نَعَقَ يَنْعَقُ نَغِيقاً، ونَعَبَ يَنْعَبُ نَعِيباً. فإذا مرّت عليه السنون الكثيرة وغَلِظَ صوته قيل فيه: شَحَجَ يَشْحَجُ شَحِيجاً. وفي طبعه الاستتار عند السّفاد وهو يَسْفِدُ مُوَجَّهَةً، ولا يعود إلى الأنثى إذا سَفَدَها أبداً، وذلك لقلّة وفائه.

قال الجاحظ: وإذا خرج الفرخُ حَضَّتْهُ الأنثى دون الذكر، ويأتيها الذّكر بالطعم. قال: والغراب من لثام الطير وليس من كرامها، ومن بُعَاثِها وليس من أحرارها، ومن ذوات المخالب المَقْفَّة والأظفار الجارحة، ومن ذوات المناكير وليس من ذوات المناسير؛ وهو مع ذلك قويّ البدن، لا يتعاطى الصيد، وربما راعى العُصفور. ولا يصيد الجراد إلا أن يلقاها في سُدٍّ<sup>(١)</sup> من جراد. وهو إن أصاب جيفة نال منها وإلا مات هزّالاً. ويتَقَمَّم كما تَتَقَمَّم<sup>(٢)</sup> بهائم الطير وضِعافها. وليس ببهيمة لمكان أكله الجيف، وليس بسبع لعجزه عن الصيد.

قال: وهو إما أن يكون حالك السواد شديد الاحتراق، ويكون مثله من الناس الزَّئِج لأنهم شرار الناس وأزدا الخلق تركيباً ومزاجاً، فلا تكون له معرفة ولا جمال؛ وإما أن يكون أبقع فيكون اختلاف تركيبه وتضاد أعضائه دليلاً على فساد أمره. والبُقُع الأُم من السّود وأضعف.

قال: ومن الغربان غراب الليل، وهو الذي ترك أخلاق الغربان وتشبه بأخلاق البوم. وقد رأيتُ أنا ببُلُنْيَاس<sup>(٣)</sup> - وهي على ساحل البحر الروميّ - غرباناً كثيرة جداً، فإذا كان وقت الفجر صاحب كلّها صياحاً عظيماً مُزْعِجاً، فهم يعرفون طلوع الفجر بصياحها.

قال: ومنها غراب البين؛ وهو نوعان: أحدهما غربان صغار معروفة بالضّعف واللؤم، والآخر إنما لزمه هذا الاسم لأن الغراب إذا بان أهل الدار للتّجعة<sup>(٤)</sup> وقع في

(١) السدّ: القطعة من الجراد تسدّ الأفق.

(٢) تقمم: تتبع القمامات.

(٣) بلنّياس: مدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر.

(٤) انتجع القوم: ذهبوا لطلب الكلاء.

مواضع بيوتهم يتلمس ويتَّقَم، فتشاءموا به وتَطَيَّرُوا منه، إذ كان لا يُلَمَّ بمنازلهم إلا إذا بانوا منها؛ فسمَّوه غرابَ البين. ثم كَرِهوا إطلاقَ ذلك الاسم مخافةَ الزَّجرِ والطَّيرة، وعلموا أنَّه نافذُ البصر صافي العين، فسمَّوه الأعور؛ من أسماء الأضداد. قال: والغَدْفَانُ جنسٌ من الغُربان، وهي لثام جدًّا. ومن أجل تشاؤمهم بالغراب أشتَقوا من اسمه الغُرْبَة والاعْتَرَابَ والغَرِيبَ. والعرب يتعايرون بأكل لحوم الغُربان. وفي ذلك يقول وَعَلَّةُ الجَرَمِيِّ<sup>(١)</sup>:

فما بالعار ما عيَّرتُمونا      شِواءُ النَّاهِضَاتِ من الخَبِيصِ<sup>(٢)</sup>  
فما لحمُ الغرابِ لنا بزايدٍ      ولا سَرَطانُ أنهارِ البَرِيصِ<sup>(٣)</sup>  
والغُربانُ من الأجناس التي تُقتلُ في الجِلِّ والحَرَمِ، وسُمِّيت بالفسقى.

قال الجاحظ: وبالبصرة من شأن الغُربان ضروبٌ من العجب، لو كان ذلك بمصر أو ببعض الشامات كان عندهم من أجود الطَّلُمَسَات؛ وذلك أنَّ الغُربان تَقْطَع إلينا في الخريف فترى النخيلَ وبعضها مصرومٌ وعلى كل نخلة عددٌ كثير من الغُربان، وليس فيها شيء يقرب نخلةً واحدةً من النخيل التي لم تُصَرِّم ولو لم يبق عليها إلا عَذْق<sup>(٤)</sup> واحد. قال: فلو أنَّ الله تعالى أذن للغراب أن يسقط على النخلة وعليها التمرُ لذهب جميعه. فإذا صرَموا ما على النخلة تسابَقَ الغُربانُ إلى ما سقط من التمر في جوف القلب<sup>(٥)</sup> وأصول الكَرَبِ<sup>(٦)</sup> تستخرجه وتأكله.

ومما يُتمثل به في الغراب: يقولون: «أخذَرُ من غراب». و«أصحُّ من غراب». و«أصفى نظراً من غراب». و«أسودُّ من غراب».

ومما وُصِفَتْ به الغُربانُ - فمن ذلك قولُ عنترة:

حَرِقُ الجَنَاحِ كَأَن لَخِييَ رَأْسِهِ      جَلَمَانُ بِالْأَخْبَارِ هَشٌّ مُوَلَعٌ<sup>(٧)</sup>  
وقال الطَّرِمَّاحُ بن حَكِيمٍ<sup>(٨)</sup>:

- 
- (١) هو وعلة بن عبد الله الجرمي الشاعر، أحد فرسان قضاة.
  - (٢) الناهضة: أنثى فرخ العقاب - والخبيص: ضرب من الحلواء.
  - (٣) السرطان: حيوان من خلق الماء ذو فكين ومخالب وأظفار حداد - والبريص: نهر دمشق.
  - (٤) العذق: القنو من النخل.
  - (٥) القلب من النخلة: الخوص الذي يلي أعلاها.
  - (٦) الكرب: أصول السعف الغلاظ العراض التي تقطع منها.
  - (٧) حرق الجناح: أنحص ريشه ونسل.
  - (٨) هو الطرمّاح بن حكيم من طيء ويكنى أبا نضر وكان جده قيس بن جحدر أسره ملك من ملوك جفنة فاستوهبه حاتم طيء. (طبقات الشعراء لابن قتيبة ص ٢٩٢).



وجرى ببينهم غداة تحمّلوا من ذي الأثارب شاحج يتعبد<sup>(١)</sup>  
 شنج النساء أذفى الجناح كأنه في الدار إثر الظاعنين مقيّد<sup>(٢)</sup>  
 وقال أبو يوسف بن هارون الرمادي الأندلسي<sup>(٣)</sup>: [من الطويل]  
 أبا حاتم ما أنت حاتم طييء وما أنت إلا حاتم الحدّان  
 خطبت ففرقت الجميع بلكنة فما الظن لو تُعطى بيان لسان  
 كأنهم من سرعة البين أودعوا جناحينك وأسْتُحثت للطيران  
 وقال أحمد بن فرج الجبائي:  
 أما الغراب فمؤذن بتغرّب وشكاً فصدّق بالنوى أو كذب<sup>(٤)</sup>  
 داجي القناع كأن في إظلامه إظلام يوم تفرّق وتغرّب

### الباب الثالث من القسم الخامس من الفن الثالث في بهائم الطير

ويشتمل هذا الباب على ما قيل في «الدراج» و«الحباري» و«الطاؤس» و«الديك»،  
 و«الدجاج» و«الحجل» و«الكركي» و«الإوز» و«البط» و«الثخام»<sup>(٥)</sup> و«الأنيس» و«القائند»  
 و«الخطاف» و«القيق» و«الرزور» و«السّماني» و«الهُدُهد» و«العَقَاق»، و«العَصافير».

قال الجاحظ: والبهيمة من الطير ما أكل الحب خالصاً.

فأما الدراج وما قيل فيه - قال الجاحظ: إنه يبيض بين العشب، ولا سيما فيما  
 طال منه وألتوى.

وقال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا: لحم الدراج أفضل من الفواخت وأعدل

(١) الأثارب: قلعة بين حلب وإنطاكية، وتحت جبلها قرية تسمى باسمها.

(٢) الشنج: تقبض الجلد والأصابع وغيرهما. والنسا: عرق من الورك إلى الكعب - وأدفى الجناح: طويله.

(٣) هو يوسف بن هارون الكندي المعروف بالرمادي (أبو عمر) شاعر. أصله من رمادة، وولد بقرطبة ومدح المنصور بن أبي عامر. ومدح بعض الملوك. توفي سنة ٤٠٣ هجرية. (معجم المؤلفين ١٣: ٣٤٠).

(٤) وشك الغراب: سرعته.

(٥) النحام: طائر أحمر على خلفة الأوز.

والطف وأيبس. قال: وهو يزيد في الدماغ والفهم، ويزيد في المني.  
وقال أبو طالب المأموني<sup>(١)</sup>:

قد بعثنا بذاتِ حُسنٍ بديعٍ      كَنَبَاتِ الرَّبِيعِ بل هي أحسنُ  
في رِداءٍ من جُلَلِئارِ وآسٍ      وقميصٍ من يَاسَمِينٍ وَسُوسَنٍ  
وقال آخر: [من الطويل]

صدورٌ من الدُّرَاجِ نُمِّقَ وَشِيْهَا      وَصِلْنَ بِأَطْرَافِ اللَّجِينِ السَّوَادِجِ<sup>(٢)</sup>  
وأحداقُ تَبَرٍ في خُدودِ شَقَائِقِ      تَلَأَلَا حُسْنًا كَاشْتَعَالَ الْمَسَارِجِ  
وأذْنَابُ طَلَعٍ في ظُهُورِ مَلَاعِقِ      مجزعة الأعطافِ ضُهِبَ الدِّمَالِجِ<sup>(٣)</sup>  
فإن فَخَرَ الطَّائِوسَ يوماً بحسنه      فلا حُسْنَ إِلَّا دُونَ حَسَنِ الدَّرَاجِ  
وأما الحُبَارَى وما قيل فيه - وتسميه أهلُ مصر الحُبْرُجَ.

قال الجاحظ: والحُبَارَى أشدُّ الطير طَيْرَانًا وأبعدها سقطاً<sup>(٤)</sup> وأطولها شوطاً وأقلها عَزْجَةً<sup>(٥)</sup>؛ وذلك أنه يُصَاد بالبصرة فيُشَقَّ عن حَوْصَلَتِهِ بعد الذَّبْح فتُوجَد فيها الحَبَّة الخضراء لم تتغيَّر ولم تُفْسَد؛ والحَبَّة الخضراء من شجر البُطْم<sup>(٦)</sup> ومنابتها جبال الثغور الشامية. والحُبَارَى له خِزَانَةٌ بين دُبُرِهِ وأمعائه، لا يزال فيها سَلْحٌ رقيق لَزَجٌ، فتمتَّى أَلَحٌ عليه جارِحٌ ذَرَقَ عليه فتمعَّط<sup>(٧)</sup> ريشه. ولذلك يقال: الحُبَارَى سِلَاحُهُ سِلَاحُهُ.

قال الشاعر:

وهم تركوك أسلَحَ من حُبَارَى      رأى صَفَرًا وَأَشْرَدَ من نَعَامٍ  
وهو يَغْتَنِذِي بِسَلْحِهِ إِذَا جَاعَ. ويقال: الحُبَارَى دَجَاجَةٌ تَأْكُلُ كُلَّ مَا دَبَّ حَتَّى  
الخنَافس؛ فلذلك يُعَافُ أَكْلُهُ.

ووصف أبو نُؤَاس الحُبَارِيَّات فقال:

(١) هو عبد السلام بن حسن المأموني (أبو طالب) فاضل. له كنز الرويا في التعبير. كانت وفاته سنة ٣٨٣ هجرية. (معجم المؤلفين ٥ : ٢٢٣).

(٢) السوادج: جمع الساذج: وهو الخالص غير المشوب وغير المنقوش - واللجين: الفضة.

(٣) الدمالج: واحدها الدملاج، وهو سوار يحيط بالعضد.

(٤) السقط: (بكسر أوله): الجناح.

(٥) العرجة: المقام.

(٦) البطم: شجر كالفسق جرمًا سبط الأوراق وله حب مفرطح في عناقيد كالفلفل.

(٧) تمعط: تساقط.

يَخْطِرْنَ فِي بَرَانِسٍ قُشُوبٍ مِنْ جَبَرِ طَوْهَزَنْ بِالتَّذْهِيْبِ<sup>(١)</sup>

\* فَهِنَّ أَمْثَالُ النَّصَارَى الشَّيْبِ \*

وأما الطاؤس وما قيل فيه - فهو ألوان منها الأخضر، والأرقط، والأبيض، ويوجد في كلها الخيلاء. ولا تُعرَف هذه الألوان إلا في بلاد الزابج. وفي طبع الطاؤس الخيلاء والإعجاب بريشه. والأنثى تبيض بعد أن يمضي من عمرها ثلاث سنين. ولا يحصل التلوُّن في ريش الذكر إلا بعد مضي هذه المدة. وتبيض الأنثى مرتين في السنة، في كل مرة اثنتي عشرة بيضة.

وقال الجاحظ: أول ما تبيض ثمانى بيضات، وتبيض أيضاً بيض الرِّيح. ويسفد الذكر في أوان الربيع. ويلقي ريشه في فصل الخريف، كما يلقي الشجر ورقه فيه؛ فإذا بدأت الأشجار تكسِّي الأوراق بدأ الطاوس فاكسِّي ريشاً. والذكر كثير العبث بالأنثى. والفرخ يخرج من البيضة كاسياً كاسباً.

وزعم أرسطو أن الطاوس يُعمَّر خمساً وعشرين سنة. وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي يصفه: [من السريع]

أبدى لنا الطاؤس عن منظرٍ  
لم ترَ عيني مثله منظرًا  
متوجَّ المَفْرِقِ إلا يكن  
كسرى بن ساسان يكن قيصرًا  
في كل عضو ذهب مُفَرَّغ  
في سُندس من ريشه أخضرًا  
نزهة من أبصر، في طيها  
عبرة من فكر واستبصرًا  
تبارك الخالق في كل ما  
أبدعه منه وما صورًا  
وقال فيه أيضاً: [من الرجز]

أهلاً به لما بدا في مشيه  
يختال في حُللٍ من الخيلاء  
كالروضة الغناء أشرف فوقه  
ذنب له كالذوحة الغناء  
ناديته لو كان يفهم منطقي  
أو يستطيع إجابة لندائي  
يا رافعاً قوس السماء ولايساً  
للحسن روض الحزن غب سماء  
أيقنت أنك في الطيور مملك  
لما رأيتك منه تحت لواء

وقال أبو الفتح كُشَاجِم من قصيدة ذكر فيها طاوساً: [من المنسرح]

وأي عُذر لمُفْلَةٍ بَعْدَ الطَّـ  
طاؤس عنها إن لم تفيض بدم

رُزِئَتْهُ رَوْضَةٌ تَرُوقُ وَلَمْ      أَسْمَعَ بِرَوْضٍ سَعَى عَلَى قَدَمٍ  
مُتَوَّجاً خَلْعَةً حَبَاهُ بِهَا      ذُو الْفِطْرِ الْمَعْجَزَاتِ وَالْحِكَمِ  
كَأَنَّهُ يَزْدَجِرُ ذُؤُنْتَصِباً      يَبْنِي فِيُغْلِي مَائِرَ الْعَجَمِ  
يُطَبِّقُ أَجْفَانَهُ وَيَحْسِرُ عَنْ      فَصَّيْنِ يُسْتَصْحَبَانِ فِي الظُّلَمِ<sup>(١)</sup>  
أَدَلَّ بِالْحَسَنِ فَاسْتَذَالَ لَهُ      ذِيلاً مِنَ الْكِبَرِ غَيْرَ مُحْتَشِمِ  
ثُمَّ مَشَى مِشْيَةَ الْعُرُوسِ فَمِنْ      مُسْتَظَرِفٍ مُعْجَبٍ وَمُبْتَسِمِ

وَأَمَّا الدِّيكُ والدَّجَاجُ وَمَا قِيلَ فِيهِمَا - قالوا: والدَّجَاجُ ثلاثة أصناف: «نَبْطِي»، وهو ما يُتخذ في القرى والبيوت، و«هِنْدِي» وهو عظيم الخلق يُتخذ لحسن شكله، و«حَبَشِي» وهو نوعٌ بديع الحسن أرقط: نقطة سوداء ونقطة بيضاء، وله قُرْطَانٍ أخضران.

قالوا: والدَّجَاجَةُ تجمع البيضَ بعد السَّفَادِ في أَحَدَ عَشَرَ يوماً؛ وهي تبيض في السنة كلها ما خلا شهرين شتويين. والذي عَرَفْنَاهُ نحن بديار مصر أَنَّ البيضَ لا ينقطع أبداً في الفصول الأربعة، فيدلّ على أنها تبيض دائماً. ومن الدَّجَاجِ ما يبيض في اليوم مرتين. والبيضة تكون عند خروجها لينة القشر جداً، فإذا أصابها الهواء يَسْت. وربما وُجِدَ في البيضة مُحَانٍ. وقال أرسطو: باضت دجاجةٌ فيما مضى ثمانِي عشرة بيضة لكل بيضة مُحَانٍ، ثم حضنت البيضَ فخرج من كل بيضة فرخان، أحدهما أعظمُ جثةً من الآخر.

والدَّجَاجَةُ تحضن عشرين يوماً. وخلق الفُرُوج يتبين إذا مضت عليه ثلاثة أيام، ويُعرَف الذُّكْرُ من الأنثى بأن يعلّق الفُرُوجُ برأسه فإن تحرّك فذُكْرٌ، وإن سَكَنَ فأنثى.

قال الجاحظ: والفرخُ يخلق من البياض ويَعْتَذِي بالصفرة ويتم خلقه لعشرة أيام، والرأس وحده يكون أكبر من سائر جسده. والدَّجَاجَةُ إذا هَرِمَتْ لم يكن لبيضها مُحٌ، وإذا لم يكن له مُحٌ لا يخلق منه فرُوجٌ.

والدَّجَاجَةُ تَخشى أبَنَ آوى دون سائر السباع، وذلك أنه يمرّ عليها في القرى ما يمرّ من السباع وغيرها فلا تَخشاه؛ فإذا مرّ عليها أبَنُ آوى وهي على سطح نالها من الفزع منه ما تُلقِي به نفسها إليه. وهي إذا قابلت الدِّيكَ تشهته ورامت السَّفَادَ. والدَّجَاجَةُ تُوصَفُ بقلة النوم. والفُرُوجُ يخرج من البيضة كاسياً كاسياً، سريع الحركة، يُدعى فيجيب ويتبع من يُطعمه؛ ثم هو كلما كبر ماق وحقق وزال كَيْسُهُ. وهو مشترك

(١) يستصحبان: يستضاء بهما.

الطبيعة: يأكل اللحم، ويخسو الدَّم، ويصيد الذَّبَابَ، وذلك من طباع الجوارح، ويلْقُط الحبوب، ويأكل البقول، وذلك من طباع بهائم الطير. والله أعلم بالصواب.

## ذَكَرَ مَا جَاءَ فِي الدِّيَكَةِ مِنَ الْأَحَادِيثِ

### وَمَا عُدَّ مِنْ فَضَائِلِهَا وَعَادَاتِهَا وَمَنَافِعِهَا

جاء في الحديث عن عبيد الله بن عبد الله بن عُثْبَةَ: أَنَّ دِيكاً صَرَخَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَبَّهَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «لَا تَسْبُهُ فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الصَّلَاةِ». وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُعْفِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ سَبِّ الدِّيَكِ وَقَالَ: «إِنَّهُ يُؤَذِّنُ لِلصَّلَاةِ». وَعَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ يَرْفَعُهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ لَدَيْكَاءَ عَرْفُهُ تَحْتَ الْعَرْشِ وَبِرَائِئِهِ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى وَجَنَاحَاهُ فِي الْهَوَاءِ فَإِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ وَبَقِيَ ثُلُثُ ضَرْبِ بَجْنَاحِيهِ ثُمَّ قَالَ: سَبَّحُوا الْمَلِكَ الْقُدُّوسَ سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ لَا شَرِيكَ لَهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَضْرِبُ الطَّيْرُ بِأَجْنَحَتِهَا وَتَصْبِيحُ الدِّيَكَةِ»، وَعَنْ كَعْبٍ: «إِنَّ اللَّهَ دِيكاً عِنْفُهُ تَحْتَ الْعَرْشِ وَبِرَائِئِهِ فِي أَسْفَلِ الْأَرْضِ فَإِذَا صَاحَ صَاحَتِ الدِّيَكَةُ يَقُولُ: سَبْحَانَ الْقُدُّوسِ الْمَلِكِ الرَّحْمَنِ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ»، وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الدِّيَكِ الْأَبْيَضَ صَدِيقِي وَعَدُوُّ عَدُوِّ اللَّهِ يَحْرُسُ دَارَ صَاحِبِهِ وَسَبْعَ دُورٍ». وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَبِيتُهُ مَعَهُ فِي الْبَيْتِ. وَرَوَى أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ كَانُوا يَسَافِرُونَ بِالدِّيَكَةِ.

قال الجاحظ: وزعم أصحاب التجربة أن كثيراً ما يَرَوْنَ الرَّجُلَ إِذَا ذَبَحَ الدِّيَكَةَ الْأَبْيَضَ الْأَفْرَقَ<sup>(١)</sup> إِنَّهُ لَا يَزَالُ يُنْكَبُ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ.

وقال في كتاب الحيوان في المناظرة بين الدِّيكِ وَالْكَلْبِ: وفي الدِّيكِ الشَّجَاعَةُ وَالصَّبْرُ وَالْجَوْلَانُ وَالثَّقَافَةُ وَالتَّسْدِيدُ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَقْدُرُ إِيقَاعُ صِيصِيَّتِهِ<sup>(٢)</sup> بَعَيْنِ الدِّيكِ الْآخَرِ أَوْ مَذْبَحِهِ فَلَا يُخْطِئُ. قَالَ: ثُمَّ مَعْرِفَتُهُ بِاللَّيْلِ وَسَاعَاتِهِ وَأَرْتِفَاقُ بَنِي آدَمَ بِمَعْرِفَتِهِ وَصَوْتِهِ، يَتَعَرَّفُ آثَاءَ اللَّيْلِ وَعَدَدَ السَّاعَاتِ وَمَقَادِيرَ الْأَوْقَاتِ ثُمَّ يَقْسُطُ أَصَوَاتَهُ عَلَى ذَلِكَ تَقْسِيطاً مُوزَوِناً لَا يَغَادِرُ مِنْهُ شَيْئاً. فَلْيَعْلَمْ الْحُكَمَاءُ أَنَّهُ فَوْقَ الْإِنْسِطِرْلَابِ وَفَوْقَ مَقْدَارِ الْجَزْرِ وَالْمَدِّ عَلَى مَنَازِلِ الْقَمَرِ، حَتَّى كَأَن طَبْعَهُ فَلَكٌ عَلَى حِدَّتِهِ.

ومن عجيب أحوال الدِّيَكَةِ أَنَّهَا إِذَا كَانَتْ فِي مَكَانٍ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا دِيكٌ غَرِيبٌ سَفَدَتْهُ جَمِيعاً. وَالدِّيَكُ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي السَّخَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَنْقُرُ الْحَبَّ وَيَحْمِلُهُ بِطَرْفَيْهِ مِنْقَارَهُ إِلَى الدَّجَاجِ، فَإِذَا ظَفِرَ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَبِّ وَالدَّجَاجُ غَيَّبَ دَعَاهُنَّ إِلَيْهِ وَقِنَعَ

(١) الأفرق: ذو العرفين لانفراق ما بينهما.

(٢) الصيصة: شوكة الديك.

منه بدون حاجته توفيراً عليهنّ. قالوا: والدَيْكَةُ تعظم بدبيل<sup>(١)</sup> السُّنْد حتى تكون مثلّ النعام.

وقال الشيخ الرئيس أبو عليّ بن سينا: إنّ مَرَقَةَ الديوك العُتْق لها خاصيّات، سنذكرها. قال: والوَخَةُ الذي ذكره جالِينُوس في طبخها أن تُذْبَح بعد عُلْفِها وبعد إعدائها إلى أن تَنْبَتَ<sup>(٢)</sup> فتسْقُط فتُذْبَح، ثم يُخْرَج ما في بطنها ويُمَلَأ بطنها مِلْحاً ويُخَاط ويُطَبَخ بعشرين قسطاً ماءً حتى ينتهي إلى الثُلُث ويُشْرَب. قال: ثم يُزَاد في ذلك ما نذكره. قال: وأجودُ الدَيْكَةِ ما لم يَصْفَع<sup>(٣)</sup> بعدُ. وأجودُ الدَّجَاج ما لم يَبْض، والعَتِيقُ رديءٌ. قال: ولحمُ الفراريج أحزُّ من لحم الدَّجَاج الكبير. وَخَصِيّ الديوك محمودٌ سريعُ الهَضْم. ومَرَقَةُ الديوك المذكورة تُوافِق الرُّعْشَةَ ووجع المفاصل. ولحمُ الدَّجَاج الفَتِيّ يزيد في العقل، ودماغها يمنعه التَّرَف الرُّعَافِيّ العَارِض من حُجْب الدُّمَاغ. ومَرَقَةُ الديوك المذكورة نافعةٌ من الرُّبُو. ولحمُ الدَّجَاج يُصَفِّي الصوت. ومَرَقَةُ الدَّيْكِ الهَرِمِ المعمولة بالْقُرْطُم<sup>(٤)</sup> والشَّبِث تنفع من جميع ذلك. ومَرَقَةُ الديوك نافعةٌ لوجع المَعِدَةِ من الرِّيح، وتنفع القَوْلنج<sup>(٥)</sup> جذاً. ولحمُ الدَّجَاج الفَتِيّ يزيد في المَنِيّ؛ والمَرَقَةُ المذكورة مع البسفَاج<sup>(٦)</sup> تُسهِّل السُّوداء، ومن القرطم تسهِّل البَلْغَم. وقد تُطَبَخ بالأدوية القَابِضَةُ لِلسَّحَج<sup>(٧)</sup>، وبالبَلْبَن لقروح المثانة. والمَرَقَةُ نافعةٌ من الحُمَيَّات المزمنة. قال: والدَّجَاجُ المشقوق عن قلبه أو الديك يوضع على نَهْش الهوام ويُدَل كلُّ ساعة فيمنع من فُشُو السَّم. وفي السموم المشروبة يُتَحَسَّى طَبِيخُهُ بالشَّبِث والملح ويَتَقَيَّأ.

ومن الحكايات التي تُعَدُّ من خرافات العرب ما حكاه بعضهم عن الرِّياشيّ قال: كُنا عند الأصمعيّ، فوقف عليه أعرابي فقال: أنت الأصمعيّ؟ قال: نعم؛ قال: أنت أعلم أهل الحَضَر بكلام العرب؟ قال: يزعمون؛ قال: ما معنى قول أُمَيَّة بن أبي الصَّلْت<sup>(٨)</sup>:

(١) دبيل: مدينة من مدن السند.

(٢) تَنْبَت: تنقطع إعياء وتعباً.

(٣) يقال: صقع الديك: إذا صاح.

(٤) القرطم: نبات زراعي صبغي من الفصيلة، يستعمل زهره تابلاً وملوناً للطعام، ويستخرج منه صبغ أحمر.

(٥) القولنج: مرض معوي مؤلم يصعب معه خروج البراز والريح، وسببه التهاب القولون.

(٦) البسفَاج: نبات ينبت بين الصخور التي عليها الخضرة وفي سوق شجر البلوط العتيقة.

(٧) السحج: قشر الجلد من شيء يصيبه.

(٨) هو أُمَيَّة بن أبي الصلّت بن أبي ربيعة بن عبد عوف بن عقدة بن غيرة بن قسي. وكان قد قرأ الكتب المتقدمة من كتب الله عزّ وجلّ وعزّ ورغب عن عبادة الأوثان وكان يخبر بأن نبياً يبعث قد أظلم زمانه ويؤمل أن يكون ذلك النبي. (الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٢٧).

وما ذاك إلا الدَّيْكَ شارب خمرة نديم غراب لا يَمَلُّ الحَوَانِيَا<sup>(١)</sup>  
فلما أَسْتَقَلَّ الصَّبح نادى بصوته أَلَا يَا غَرَابُ هَل رَدَدْتَ رَدَائِيَا  
فقال الأصمعيّ: إِنَّ العَرَب كانت تزعمُ أَنَّ الدَّيْكَ كان ذا جَنَاح يطير به في الجوّ  
وَأَنَّ الغراب كان ذا جَنَاح كجناح الدَّيْكَ لا يطير به وأنهما تنادَما ليلَةً في حانة يشربان  
فنفد شرابُهما؛ فقال الغراب للدَّيْكَ: لو أَعَزَّتَنِي جَنَاحُكَ لَأَتَيْتُكَ بِشَرَابٍ؛ فأعاره  
جناحه، فطار ولم يرجع إليه؛ فزعموا أَنَّ الدَّيْكَ إنما يصيح عند الفجر أَسْتَدْعَاءُ لجناحه  
من الغراب؛ فضحك الأعرابيُّ وقال: ما أنت إلا شيطان. وهذه الحكاية ذكرها  
الجاحظُ في كتاب الحيوان بنحو ما حُكي عن الأصمعيّ، وساق أبيات أُمَيَّة بن أبي  
الصَّلْت، وهي: [من الطويل]

ولا عَزَوُ إِلَّا الدَّيْكَ مُذْمِنُ خَمْرَةٍ	نديم غراب لا يَمَلُّ الحَوَانِيَا
ومرهنه عند الغراب جبينه	فأوفيت مرهوناً وخان مسابيا
أَدَلَّ عَلَيَّ الدَّيْكَ أَتَيَ كَمَا تَرَى	فأَقْبِلْ عَلَيَّ شَأْنِي وَهَآكَ رِدَائِيَا
أَمْنَتِكَ لَا تَلْبَثُ مِنَ الدَّهْرِ سَاعَةً	ولا نَصَفْهَا حَتَّى تَوْوَبَ مَآبِيَا
ولا تُذَرِكَنَّ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا	فَأَغْلَقْ فِيهِمْ أَوْ يَطُولُ ثَوَائِيَا <sup>(٢)</sup>
فردَّ الغرابُ والرداءُ يحوزه	إلى الديك وعداً كاذباً وأمانيا
بأية ذنبٍ أو بأية حُجَّةٍ	أَدْعُكَ فَلَا تَدْعُو عَلَيَّ وَلَا لِيَا
فإني نذرتُ حِجَّةً لَنْ أَعُوقِهَا	فلا تَدْعُوْنِي دَعْوَةً مِنْ وَرَائِيَا
تَطِيرْتُ مِنْهَا وَالدَّعَاءُ يَعُوقُنِي	وَأَزْمَعْتُ حَجًّا أَنْ أَطِيرَ أَمَامِيَا
فلا تَيَاسَّنْ إِنِّي مَعَ الصَّبحِ بَاكِرًا	أُوفِي غَدًا نَحْوَ الْحَجِيجِ الْعَوَادِيَا
كحب أمرىءٍ فأكهته قبل حجّتي	وأثرت عمداً شأنه قبل شانيا
هنالك ظنَّ الدَّيْكَ أَنْ زَالَ زَوْلُهُ	وطال عليه الليل أن لا مُقَادِيَا
فلما أضاء الصَّبحُ طَرَّبَ صَرْخَةً	أَلَا يَا غَرَابُ هَل سَمِعْتَ نَدَائِيَا
على وَدَّه لو كان ثَمَّ يَجِيبُهُ	وكان له نَذْمَانٌ صِدْقِ مُوَاتِيَا
وَأَمْسَى الْغَرَابُ يَضْرِبُ الْأَرْضَ كُلَّهَا	عَتِيقًا وَأَضْحَى الدَّيْكَ فِي الْقَدِّ عَانِيَا <sup>(٣)</sup>

(١) الحواني: الحانات.

(٢) يقال: غلق الرهن: إذا لم يفك واستحققه المرتهن.

(٣) العتاق من الطير: الجوارح.

فذلك مما أسهت الخمر لبيّه ونادم ندماناً من الطير عاديّا  
ومن الحكايات التي لا بأس بإيرادها في هذا الموضع ما حكاه الجاحظ قال: قال  
أبو الحسن: حدثني أعرابيّ كان نزل البصرة قال: قدِم عليّ أعرابيّ من البادية فأنزله،  
وكان عندي دجاج كثير ولي امرأة وأبنان وأبنتان منها؛ فقلتُ لأمرأتي: بادري وأشوي  
لنا دجاجة وقدميها إلينا نتغذّاها. فلما حضر الغداء جلسنا جميعاً أنا وأمرأتي وأبناي  
وأبنتاي والأعرابيّ. قال: فدفعنا إليه الدجاجة فقلنا له: إقسمها بيننا، نريد بذلك أن  
نضحك منه؛ فقال: لا أحسن القسمة، فإن رَضِيتُم بقسمتي قسمتها بينكم؛ قلنا: فإنّا  
نرضى. فأخذ رأس الدجاجة فقطّعه وناولنيّه وقال: الرأس للرئيس، وقطّع الجناحين  
وقال: الجناحان للأبنتين، ثم قطع الساقين وقال: الساقان للأبنتين، ثم قطع الزمكيّ<sup>(١)</sup>  
وقال: العَجُز للعجوز، وقال: الزور<sup>(٢)</sup> للزائر؛ قال: فأخذ الدجاجة بأسرها وسخر بنا.  
قال: فلما كان من العَد قلت لأمرأتي: أشوي لنا خمسَ دجاجات، فلما حضر الغداء  
قلنا له: أقسم بيننا، فقال: إني أظن أنكم وجدتم<sup>(٣)</sup> في أنفسكم؛ قلنا: لم نجد فأقسم  
بيننا؛ قال: أقسم شفعاً أو وترّاً؟ قلنا: اقسم وترّاً، قال: أنت وأمرأتك ودجاجة ثلاثة،  
ثم رمى إلينا بدجاجة؛ ثم قال: وأبنائك ودجاجة ثلاثة، ورمى إليهما بدجاجة؛ ثم قال:  
وأبنتاك ودجاجة ثلاثة، ورمى إليهما بدجاجة؛ ثم قال: وأنا دجاجتان ثلاثة وأخذ  
دجاجتين وسخر بنا. فرأنا ننظر إلى دجاجتيه فقال: ما تنتظرون! لعلكم كرهتم قِسمتي!  
الوتر لا يجيء إلا هكذا، فهل لكم في قسمة الشُّفع؟ قلنا: نعم؛ فضمّهنّ إليه ثم قال:  
أنت وأبنائك ودجاجة أربعة، ورمى إلينا بدجاجة؛ ثم قال: والعجوز وأبنتاها ودجاجة  
أربعة، ورمى إليهنّ بدجاجة؛ ثم قال: وأنا وثلاثُ دجاجات أربعة وضمّ إليه الثلاث،  
ورفع يديه إلى السماء فقال: اللهم لك الحمد، أنت فهِمْتَنِيهَا. هكذا ساقها أبو عثمان  
عمرو بن بحر الجاحظ. وحكى غيره هذه الحكاية عن الأصمعيّ وفيها زيادة قال:  
حكى الأصمعيّ: بينا أنا في البادية إذا أنا بأعرابيّ على ناقة وهي ترقُص به في الآل<sup>(٤)</sup>؛  
فلما دنا مني سلّم عليّ، فسلمتُ عليه وقلت: يا أخا العرب.

قوم يَحْقَن عَهْدناهُم سقاهاهم الله من التّو<sup>(٥)</sup>

ما التّو؟ فقال:

- 
- (١) الزمكي: أصل ذنب الطائر.  
(٢) الزور: وسط الصدر.  
(٣) وجد عليه: غضب.  
(٤) الآل: السراب.  
(٥) خفان: موضع قرب الكوفة تكثر فيه الأسود - والنوء: النجم إذا مال للغروب.



نُوءُ السُّمَاقِينِ وَرِيَّاهُما نُورٌ تَلَالَا بَعْدَ إِيمَاضِهِ ضَوْ  
فقلت: ما الضُّو يا أخا العرب؟ فقال:

ضَوْءٌ تَلَالَا فِي دُجَى لَيْلَةٍ مُقْمَرَةٌ مُسْفِرَةٌ لَو  
فقلت: لو إيش يا أخا العرب؟ فقال:

لَو مَرَّ فِيهَا سَائِرٌ رَاكِبٌ عَلَى نَجِيبِ الْأَرْضِ مُنْطَوٍ  
فقلت: منطو إيش يا أخا العرب؟ فقال:

مُنْطَوِي الْكَشْحِ هَضِيمُ الْحَشَى كَالْبَازِ يَنْقَضُ مِنَ الْجَوِّ  
فقلت: ما الجَوُّ يا أخا العرب؟ فقال:

جَوُّ السَّمَاءِ وَالرَّيْحُ تَعْلُو بِهِ فَاسْتَمَّ رِيحَ الْأَرْضِ فَأَعْلَوُ  
فقلت: فأعلو إيش يا أخا العرب؟ فقال:

فَأَعْلَوُ لِمَا قَدْ فَاتَ مِنْ صِيده لَا بَدَأَ أَنْ تُلْقَى وَيُلْقَوُ  
فقلت: ماذا يلقوا يا أخا العرب؟ فقال:

يُلْقَوُ بِأَسْيَافٍ يَمَانِيَةٍ وَعَنْ قَلِيلٍ سَوْفَ يَفْتَنُوا  
فقلت: ما يَفْتَنُوا يا أخا العرب؟ فقال:

إِنْ كُنْتَ تُنْكَرُ مَا قُلْتَهُ فَأَنْتَ عِنْدِي رَجُلٌ بَو  
فقلت: وما البَوُّ يا أخا العرب؟ فقال:

الْبَوُّ مَنْ يُفْقَدُ عَنْ أَمِّهِ يَا أَحْمَقَ النَّاسِ فَرُخٌ أَوْ  
قلت: أو إيش؟ فقال:

تُثَدِّفُ الْكَفَّ بِصَفْعِ الْقَفَا تَسْمَعُ مَا بَيْنَهُمَا قَو  
فقلت: يا أخا العرب، هل لك في الضيافة؟ فقال: لا يأبى الكرامة إلا لثيم؛

فَأَتَيْتُ بِهِ مَنْزَلِي. ثُمَّ سَأَلَ الْحِكَايَةَ بَنَحُو مَا تَقَدَّمَ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي  
بِثَلَاثِ دَجَاجَاتٍ، وَقُلْتُ: وَنَحْنُ كَمَا عَلِمْتَ، أَقْسِمُ بِهَا بَيْنَنَا أَزْوَاجًا؛ فَقَالَ: أَنْتَ وَأَبْنَاكَ  
وَدَجَاجَةٌ زَوْجٌ، وَأَمْرَأَتُكَ وَأَبْنَاتُهَا وَدَجَاجَةٌ زَوْجٌ، وَأَنَا وَدَجَاجَةٌ زَوْجٌ. وَسَأَلَ خَبَرَ  
الْخَمْسَةِ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ كَمَا تَقَدَّمَ.

### ذَكَرُ شَيْءٍ مِمَّا وَصَفْتُ بِهِ الشَّعْرَاءُ الْبَيْضَةَ وَالذَّجَاجَةَ وَالذِّيكَ

فَمِنْ ذَلِكَ مَا وَصَفُوا بِهِ الْبَيْضَةَ. قَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ مِنْ أُبَيَاتٍ: [مِنْ

الْكَامِلِ]

فيها بدائع صنعة ولطائف      أَلْفَنَ بالتَّقْدِيرِ والتَلْفِيقِ  
 خلطان مائتان ما أختلطا على      شكل ومختلف المزاج رقيق  
 فبياضها ورق وزئبق مُحها      في حَقِّ عاج بَطُنْتُ بِدَيْيْقِي<sup>(١)</sup>  
 وقال شاعر:  
 وصفراء في بياض رَقَّتْ غلالة      لها وصفا ما فوقها من ثيابها  
 جماد ولكن بعد عشرين ليلة      ترى نفسها معمورة من خرابها  
 وقال كُشَاجِم من أبيات يذكر فيها جُونة أهديت إليه وفيها بياض مسلوقة مصبوغة  
 أحمر: [من الرجز]

وجاءنا فيها ببيض أحمر      كأنه العقيق ما لم يُقَشِّرِ  
 حتى إذا قدمه مُقَشَّراً      أبرز من تحت عقيق دُرّاً  
 حتى إذا ما قطع البيض فلق      رأيت منه ذهباً تحت ورق  
 يخال أن الشطر منه من لمخ      أعاره تلويثه قوس قزح

### ومما قيل في الدجاجة والديك

قال الشاعر: [من الوافر]

غدوت بشربة من ذات عرق      أبا الدهناء من حلب العَصِيرِ<sup>(٢)</sup>  
 وأخرى بالعقنقل ثم رُخنا      نرى العصفور أعظم من بعير<sup>(٣)</sup>  
 كأن الديك ديك بني ثَمِير      أمير المؤمنين على السُرير  
 كأن دجاجهم في الدار رُقْطاً      وفود الروم في قُصص الحرير  
 فبت أرى الكواكب دانيات      يَنلُن أنامل الرجل القصير  
 أدافعهن بالكففين عني      وأمسخ جانب القمر المنير  
 وقال أبو بكر الصنوبري من أبيات يصف ديكاً:

مغرّد الليل ما يألوك تغريداً      ملّ الكرى فهو يدعو الصبح مَجْهُوداً  
 لما تطرب هزّ العطف من طرب      ومد للصوت لما مَدّه الجيدا  
 كلايس مطرفاً مُزخ جوانبه      تضاحك البيض من أطرافه السودا

(١) الديقي: نسبة إلى ديق وهي بليدة كانت بين الفرما وتيس من أعمال مصر.

(٢) ذات عرق: جبل بطريق مكة.

(٣) العقنقل: كتيب بيدر.

حالي المُقْلَد لو قِيسَت قِلَادَتُهُ      بِالْوَزْدِ قَصَّرَ عَنْهَا الْوَزْدُ تَوْرِيدَا  
رَآنِ بِفَضْصِي عَقِيقٍ يُذْرِكَانِ لَهُ      مِنْ جِدَّةٍ فِيهِمَا مَا لَيْسَ مَخْدُودَا<sup>(١)</sup>  
تَقُولُ هَذَا عَقِيدُ الْمَلِكِ مُنْتَسِبَا      فِي آلِ كَسْرَى عَلَيْهِ التَّاجُ مَعْقُودَا<sup>(٢)</sup>  
أَوْ فَارَسٌ شَدَّ مِنْهُمَا زِيَهُ حِينَ رَأَى      لَوَاءَ قَائِدِهِ لِلْحَرْبِ مَعْقُودَا  
وَقَالَ أَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ: [مَنْ الْمَجْتَثُ]

مَتَوَجُّجٌ بِعَقِيقٍ      مُقَرَّطٌ بِلُجَيْنِ  
عَلَيْهِ قُرْطُقٌ وَشِي      مَشْمَرُ الْكُمَيْنِ<sup>(٣)</sup>  
قَدْ زَيَّنَ النَّخْرَ مِنْهُ      ثُنْتَانِ كَالْوَرْدَتَيْنِ  
حَتَّى إِذَا الصَّبْحُ يَبْدُو      مَطَرَزُ الطُّرَّتَيْنِ  
دَعَا فَاسْمَعَ مَنَّا      مَنْ كَانَ ذَا أُذُنَيْنِ  
يُزْهِمِي بِطُوقٍ وَتَاجٍ      كَأَنَّهُ ذُو رُعَيْنِ<sup>(٤)</sup>  
وَقَالَ الْأَسْعَدُ بْنُ بَلَيْطَةَ: [مَنْ الطَّوِيلُ]

وَقَامَ لَنَا يَنْعَى الدُّجَى ذُو شَقِيقَةٍ      يُدِيرُ لَنَا مِنْ بَيْنِ أَجْفَانِهِ سَقْطَا<sup>(٥)</sup>  
إِذَا صَاحَ أَصْغَى سَمْعُهُ لِنِدَائِهِ      وَبَادَرَ ضَرْباً مِنْ قَوَادِمِهِ الْإِبْطَا  
وَمِهُمَا أَطْمَأْنَتَ نَفْسُهُ قَامَ صَارِخاً      عَلَى خِيزْرَانٍ نَيْطٌ مِنْ طُفْرِهِ خَرْطَا  
كَأَنَّ أُنُوسِيزْوَانَ أَعْلَاهُ تَاجَهُ      وَنَاطَتْ عَلَيْهِ كَفُّ مَارِيَةِ الْقُرْطَا<sup>(٦)</sup>  
سَبَى حُلَّةَ الطَّائِسِ حَسَنَ لِبَاسِهَا      وَلَمْ يَكْفِهِ حَتَّى سَبَى الْمِشْيَةِ الْبَطَا  
وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَالِكِيُّ:

رَعَى اللَّهُ ذَا صَوْتٍ أَنْسَنَا بِصَوْتِهِ      وَقَدْ بَانَ فِي وَجْهِ الظَّلَامِ شُحُوبُ  
دَعَا مِنْ بَعِيدٍ صَاحِباً فَأَجَابَهُ      يُخَبِّرُنَا أَنَّ الصَّبَاحَ قَرِيبُ  
وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ: [مَنْ الْمُنْسَرَحُ]

(١) رنا: أدام النظر في سكون طرف، فهو ران.

(٢) العقيد: الحليف.

(٣) القرطقي: القباء.

(٤) ذو رعين: من ألقاب ملوك اليمن.

(٥) المراد بالشقيقة هنا: عرف الديك. وسقط الزند: ما يقع من النار عند القدح.

(٦) مارية: امرأة قيل كان في قرطبيها درتان كبيضتي حمامة.

بَشَّرَ بِالصَّبْحِ هَاتِفٌ هَتَفَا      صَاحَ مِنَ اللَّيْلِ بَعْدَمَا انْتَصَفَا  
مُذَكِّرٌ بِالصُّبُوحِ صَاحَ لَنَا      كَأَنَّهُ فَوْقَ مِنْبَرٍ وَقَفَا  
صَفَقَ إِمَّا أَرْتِيَا حَةً لِسَنَا أَلْ      فَعَجَرَ وَإِمَّا عَلَى الدُّجَى أَسَفَا  
وقال أيضاً فيه :

وقام فوق الجِدَارِ مُشْتَرِفٌ      كَمَثَلِ طِرْفٍ عِلَاهُ أُسْوَارُ<sup>(١)</sup>  
رَافِعُ رَأْسٍ طَوْرًا وَخَافِضُهُ      كَأَنَّمَا الْعُرْفُ مِنْهُ مِثْشَارُ  
وقال السَّريُّ الرَّفَاءُ : [من الكامل]

كشَفَ الصَّبَاحُ قِنَاعَهُ فَتَأَلَّقَا      وَسَطًا عَلَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ وَأَبْرَقَا  
وَعَلَا فَلَاحَ عَلَى الْجِدَارِ مُوَشَّحٌ      بِالْوَشْيِ تُوجُجٌ بِالْعَقِيقِ وَطُوقَا  
مُزْنِخُ فَضُولِ التَّاجِ مِنْ لَبَائِهِ      وَمُشْمَرٌ وَشِيَاءٌ عَلَيْهِ مُنَمَّقَا  
وقال أبو الفرج عليُّ بن الحسين الأصفهاني يريثي ديكًا ويصفه : [من الكامل]

أُبَيِّنِي مَنْزِلَنَا وَنَشْوُ مَحَلَّنَا      وَعَظِيَّيْ أَيْدِينَا نِدَاءَ مَشُوقِ  
لَهْفِي عَلَيْكَ أبا التَّذِيرِ لَوْ أَنَّهُ      دَفَعَ الْمَنَايَا عَنْكَ لَهْفٌ شَفِيقِ<sup>(٢)</sup>  
وعلى شمائلك اللّواتي ما نَمَتْ      حَتَّى ذَوَتْ مِنْ بَعْدِ حَسَنِ سُمُوقِ<sup>(٣)</sup>  
لَمَّا بَقِعَتْ وَصِرَتْ عِلْقٌ مَضْنَةٌ      وَنَشَأَتْ نَشْوُ الْمُقْبِلِ الْمُؤْمُوقِ<sup>(٤)</sup>  
وتكاملت جُمْلُ الجَمَالِ بِأَسْرَهَا      لَكَ مِنْ جَلِيلِ خَالِصٍ وَدَقِيقِ  
وَكُسِيتَ كَالطَّائِفِ رِيشًا لَامِعًا      مُتَالِفِيًّا ذَا رَوْقَتِي وَبَرِيقِ  
مِنْ صُفْرَةٍ مَعَ خُضْرَةٍ فِي حُمْرَةٍ      تَخْيِيلُهَا يَخْفَى عَلَى التَّحْقِيقِ  
عَرَضٌ يَجَلُّ عَنِ الْقِيَاسِ وَجَوْهَرٌ      لُطْفَتْ مَعَانِيهِ عَنِ التَّدْقِيقِ  
وَكَأَنَّ سَالِفَتَيْكَ تَبَرَّ سَائِلٌ      وَعَلَى الْمَفَارِقِ مِنْكَ تَاجُ عَقِيقِ  
وَكَأَنَّ مَجْرَى الصَّوْتِ مِنْكَ، إِذَا تَبَّتْ      وَجَفَّتْ عَنِ الْأَسْمَاعِ بُحُّ حُلُوقِ<sup>(٥)</sup>  
نَائِي رَقِيقٌ نَاعَمٌ قُرِئْتُ بِهِ

(١) الأسوار: الرامي بالنبال، أو هو قائد الفرس.

(٢) أبو النذر: كنية الديك.

(٣) السموق من النبات: ما ارتفع وعلا وطال.

(٤) بقع الطير: اختلف لونه. وعلق مضنة: يقال للشيء النفيس الذي يضمن به ويحرص عليه.

(٥) ببح: جمع أببح من البحة، وهي خشونة وغلظ في الصوت.

تَرْقُو وَتَصْفِقُ بِالْجَنَاحِ كَمُنْتَشٍ  
وخطرت ملتحفاً بمزطٍ حَبْرَتْ  
كالجُلْنَارَةِ أو ضياءٍ عَقِيقَةٍ  
أو قهوةٍ تَخْتَالُ فِي بِلْوَرَةٍ  
وكانما الجادِي جَادَ بِصَبْغِهِ  
وقال شاعر أندَلُسِيّ: [من المتقارب]

وكائِنْ نَفَى النَوْمَ مِنْ عَيْنِ فَإِنْ  
بأجفانٍ عَيْنِيهِ ياقوتَتَانِ  
على رأسه التاجُ مُسْتَشْرِفًا  
وَقُرْطَانِ مِنْ جَوْهَرِ أَحْمَرٍ  
له عُتُقٌ حَوْلَهَا رَوْنُقٌ  
ودار بُرَائِلُهُ حَوْلَهَا  
ودارثٌ بِجُؤْجُئِهِ حُلَّةٌ  
وقام له دَنْبٌ مُغْجِبٌ  
وقاس جناحاً على ساقه  
وصَفَقَ تَصْفِيقٌ مُسْتَهْتِرٍ  
وَعَرَّدَ تَغْرِيدٌ ذِي لَوْعَةٍ

وقال أبو عليّ بن رَشِيق<sup>(٦)</sup> حيث مَزَقَ عنه جِلْبَابَ المَمَادِحِ، وتركه من شَمَلِ الدَمِّ  
في الرأْيِ الفاضِحِ: [من السريع]

قَامَ بِلَا عَقْلِ وَلَا دِينٍ يَخْلُطُ تَصْفِيقاً بِتَأْذِينٍ

(١) المرط: كساء من خز أو صوف أو كتان، يؤتز به وتلفع به المرأة.

(٢) القهوة: المراد بها الخمر.

(٣) الخلق: ضرب من الطيب.

(٤) الحصان: المرأة العفيفة.

(٥) البرائل: ما استدر من ريش الطائر حول عنقه.

(٦) هو الحسن بن رَشِيق المعروف بالقيروان (أبو علي) شاعر، أديب، نحوي، لغوي، مؤرخ، عروضي، ناقد. توفي سنة ٤٦٣ هجرية. (معجم المؤلفين ٣: ٢٢٥).

فنبّه الأحاباب من نومهم ليخرجوا من غير ما حين  
 بصرخة تبعث موتى الكرى قد أذكرت نفخ سرافيين<sup>(١)</sup>  
 كأنها في خلقه غصة أغصه الله بسكين  
 وأما الحجل وما قيل فيه - والحجل طائر يسمى: «دجاج البر» وهو صنفان:  
 نجدي، وتهامي. فالنجدي أخضر أحمر الرجلين. والتهامي فيه بياض وخضرة. وسمي  
 الذكر «يعقوب»، والفرخ الذكر «السلك»، والأنثى «السلكة»، وهو من الطير الذي  
 يخرج فرخه كاسياً كاسباً. ويقال: إن الحجلة لم تلّح تمزغت في التراب ورشته على  
 أصول ريشها فتلقح. ويقال: إنها تبيض بسماع صوت الذكر وبريح تهب من ناحيته.  
 قال أبو عثمان الجاحظ: وإذا باضت الحجلة ميز الذكر الذكور منها فيحضنها  
 وميزت الأنثى الإناث فتحضنها، وكذلك هما في التربية. قال: وكل واحد منهما يعيش  
 خمساً وعشرين سنة. ولا تلّح الأنثى بالبيض، ولا يلّح الذكر إلا بعد مضي ثلاث  
 سنين. والذكر شديد الغيرة على الأنثى. فإذا اجتمع ذكران اقتتلا، فأيهما غلب دلّ له  
 الآخر؛ وذهبت الأنثى مع الغالب. والأنثى إذا أصيبت بيضها قصدت عش أخرى  
 وغلبتها على بيضها. وقد وصف أبو علي بن رشيّق القيروانيّ الحجل فقال: [من  
 مجزوء الكامل]

ما أغربت في زيها      إلا يعاقب الحجل<sup>(٢)</sup>  
 جاءتك مقلّة الثرا      بب بالحلي وبالحل<sup>(٣)</sup>  
 صفر الجفون كأنما      باتت بتبر تكجل  
 مشقوقة شق الزجا      ج لمن أمل أو عقل  
 وصلت مذابحها الرؤو      س بحمرة فيها شعل  
 لولا اختلاف الجنس والت      ركيب جاء في المثل  
 كلى الثمانين التي      خضبت ومنها ما نصل  
 أو كاللثام أزاله      فزط التلقت والعجل  
 وتخالهن جوارياً      لا يزدن من العطل

(١) سرافين: جمع سراف، وهو الملك.

(٢) يعاقب: جمع يعقوب، وهو ذو العقب.

(٣) الترائب: عظام الصدر مما يلي الترقوتين. أو هو موضع القلادة.

رَمَتْ الثِّيَابَ إِلَى وَرَا      ءَ عَنِ الْمَنَاكِبِ تَنْجِيدٌ<sup>(١)</sup>  
وَيَدَتْ سِرَاوِيلَاتُهَا      يَسْحَبْنَ وَشَيْئاً مِنْ قُبُلْ  
حُمُرٌ مِنَ الرُّكَبَاتِ فِي      لَوْنِ الشَّقَائِقِ أَوْ أَجَلْ  
عَقَّدَتْهَا فَوْقَ الصَّدُ      رُمُخَالَسَاتٍ لِلْقُبُلْ  
وَشَدَّدْنَ بِالْأَغْضَادِ مِنْ      حَذَرٍ عَلَيْهَا أَنْ تُحَلْ  
وَكَأَنَّمَا بَاتَتْ أَصَا      بَعُهَا بِحِثَاءٍ تُعَلُّ<sup>(٢)</sup>  
مَنْ يَسْتَحِلُّ لَصِيدَهَا      فَأَنَا أَمْرُؤُ لَا أَسْتَحِلُّ

وأما الكُرْكِي وما قيل فيه - ويقال: إنه «الغُرْنِيق»؛ ويقال: إن الغُرْنِيقَ صِنْفٌ مِنْهُ. وهو طائر أخضرٌ طويلُ المنقار والرجلين. وسيفأذه في الشُّرْعَةِ كالعصفور. وله مَشَاتٍ وَمَصَايِف. وفي طبعه التَّنَاصُر؛ ولهذا أنه لا يطيرُ متقطعاً ولا مُتَبَاعِداً بِلَ صَفَاً واحداً، يُقَدِّمُهَا واحداً منها كالرئيس لها المقدم عليها وهي تتبعه، يكون كذلك حيناً، ثم يخلفه آخرُ منها. وفي طبع الكُرْكِي وعادته أن أبويه إذا كبرا عالهما.

وقال أرسطو: إن الغرائيقَ من الطير القواطع وليست من الأوابد، وإنها إذا أَحَسَّتْ بتغير الزمان أَعْتَزَمَتْ على الرجوع إلى بلادها. وكلُّ منها ينام على إحدى رجليه قائماً. ويقال: إن الكَرَائِي إذا كَبُرَتْ أَسْوَدَ ريشها وهو في شيبتها زَمَادِيٌّ. وقد ظهر بالديار المصرية في شهور سنة خمس عشرة وسبعمائة صِنْفٌ مِنَ الكَرَائِي أبيضُ اللون ناصعُ البياض حَسَنُ الصورة، وهو أكبرُ جُثَّةً مِنَ الكَرَائِي المعتاد. وقال النَّاشِي في وصف الكَرَائِي: [من الرجز]

وَمَوْرِدٌ يُجْذِلُ قَلْبَ الْوَامِقِ      مُنْظَمٌ بِالْغُرِّ وَالْغَرَائِقِ<sup>(٣)</sup>  
وَكُلُّ طَيْرٍ صَافِرٍ أَوْ نَاعِقِ      مَكْتَهَلٍ وَبَالِغٍ وَلاحِقِ  
مَوْشِيَّةِ الصَّدُورِ وَالْعَوَاتِقِ      بِكُلِّ وَشْيٍ فَاخِرٍ وَفَائِقِ  
تَخْتَالُ فِي أَجْنَحَةٍ خَوَافِقِ      كَأَنَّمَا تَخْتَالُ فِي قَرَاطِقِ<sup>(٤)</sup>  
يَزْفُلْنَ فِي قُمْصٍ وَفِي يَلَامِقِ      كَأَنَّهُنَّ زَهَرُ الْحَدَائِقِ<sup>(٥)</sup>

(١) انحدل: انصرع.

(٢) تعلّ بحناء: تخضب مرة بعد أخرى.

(٣) الغرائق: نبات شجري معمر من الفصيلة الجارونية.

(٤) يقال: خفق الطير إذا طار، وهو خافق.

(٥) يلامق: جمع يلمق، وهو القباء المحشو.

حُمْرِ الْجِدَاقِ كُحْلِ الْحَمَالِقِ كَأَنَّمَا يَجُلْنَ فِي مَخَانِقِ<sup>(١)</sup>  
 وَأَمَّا الْإِوَزُ وَمَا قِيلَ فِيهِ - وَالْإِوَزُ ثَلَاثُ أَصْنَافٍ: بَطَاطِحِيّ وَهُوَ الطَّوِيلُ الْأَسْوَدُ  
 بَزُرْقَةٍ وَتَرْكِيّ وَهُوَ الْمُدَوَّرُ الْمَائِلُ إِلَى الْبَيَاضِ، وَخَبِيّ وَهُوَ الضَّخْمُ الْكَبِيرُ مِنْهَا. وَيُقَالُ:  
 إِنَّ الْإِوَزَ إِذَا فَرَّغَ مِنَ السُّفَادِ وَسَبَحَ فِي الْمَاءِ فَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ لَتَمَامِ اللَّذَّةِ. وَالْأُنْثَى  
 تَحْضُنُ بَيْضَهَا ثَلَاثِينَ يَوْمًا. وَالذَّكَورُ تَحْنُو عَلَى الْفَرَاخِ. وَلِكُلِّ مِنْهَا قَضِيبٌ يَسْفِدُ بِهِ  
 كَالْبَطِّ، وَالْإِوَزُ الْبَطَاطِحِيّ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِمِصْرَ بِالْعِرَاقِيِّ يَخَالِفُ الْخَبِيّ فِي الصِّيَاحِ؛  
 لِأَنَّ الْخَبِيَّ تَصِيحُ ذَكَوْرَهَا وَلَا تَصِيحُ إِنَاثُهَا، وَالْبَطَاطِحِيّ بِخِلَافِ ذَلِكَ. وَالْخَبِيّ مِنَ الطَّيْرِ  
 الْأَوَابِدِ الَّتِي لَا تَبْرَحُ مِنَ الْأَمَاكِنِ الَّتِي تُرَبَّى فِيهَا لِثِقَلِ أَجْسَامِهَا، وَإِذَا نَهَضَتْ فَلَا تَرْتَفِعُ  
 مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا سَيْرًا. وَالْعِرَاقِيَّاتُ مِنَ الطَّيْرِ الْقَوَاطِعِ الَّتِي تَنْتَقِلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ،  
 وَتُرَى فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ.

وَقَالَ أَبُو رَشِيقٍ يَصِفُ فَحْلَ إِوَزٍ: [مِنَ الطَّوِيلِ]

نَظَرْتُ إِلَى فَحْلِ الْإِوَزِ فَخِلْتُهُ      مِنْ الثَّقَلِ فِي وَحْلٍ وَمَا هُوَ فِي وَحْلٍ  
 يُنْقَلُ رَجْلِيهِ عَلَى حِينِ فَشْرَةٍ      كَمُنْتَعِلٍ وَلَا يُحْسِنُ الْمَشْيَ فِي الثَّغْلِ  
 لَهُ عُنُقٌ كَالصَّوْلَجَانِ وَمَخْطَمٌ      حَكَى طَرَفَ الْعُرْجُونِ مِنْ يَانِعِ الثُّخْلِ<sup>(٢)</sup>  
 يُدَاخِلُهُ زَهْوٌ فَيَلْحِظُ مِنْ عَلٍ      جَوَانِبَهُ أَلْحَاطُ مَثْهَمِ الْعَقْلِ  
 يَضُمُّ جَنَاحِيهِ إِلَيْهِ كَمَا أَرْتَدَى      رِدَاءً جَدِيدًا مِنْ بَنِي الْبَدْوِ ذُو جَهْلٍ  
 وَأَمَّا الْبَطُّ وَمَا قِيلَ فِيهِ - وَهُوَ أَصْنَافٌ: مِنْهَا الْوَحْشِيّ، وَالْأَهْلِيّ، وَمِنَ الْوَحْشِيِّ  
 «الْلُقْلُقُ»<sup>(٣)</sup>؛ وَمِنَ الْأَهْلِيِّ «الصَّيْنِيّ»، وَفَرَاخُهُ تَخْرُجُ كَاسِيَةً كَاسِبَةً. وَقِيلَ: إِنَّ بِالزَّابِجِ  
 بَطًّا بَيْضًا وَحُمْرًا وَرَقْطًا طَوَالَ الْأَعْنَاقِ قِصَارَ الْأَرْجُلِ. وَالْبَطُّ يَطِيرُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ،  
 وَلَيْسَ مِنْ طَيْرِ الْمَاءِ، لِأَنَّهُ لَا يَأْوِيهِ دَائِمًا وَلَا يَغْتَذِي بِالسَّمَكِ، وَهُوَ يَأْكُلُ النَّبَاتَ  
 وَالْبُذُورَ، وَلَهُ قَضِيبٌ يَخْرُجُ مِنْ دُبُرِهِ كَذَكَرِ الْكَلْبِ عَظِيمٌ جَدًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ؛ فِي رَأْسِهِ زُرٌّ  
 كَالْفُلْكَةِ<sup>(٤)</sup>؛ فَإِذَا سَفِدَ لَمْ يُخْرِجْهُ حَتَّى يَنْقَلِبَ لَجَنِيهِ، وَيَحْصُلُ لَهُ عِنْدَ السُّفَادِ مِنَ  
 الْإِلْتِحَامِ مَا يَحْصُلُ لِلْكَلْبِ.

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ سِينَا: وَطِيعُ الْبَطِّ حَارٌّ أَسْخَنُ مِنْ جَمِيعِ الطَّيُورِ الْأَهْلِيَّةِ. قَالَ:

(١) المَخَانِقُ: الْقَلَانِدُ.

(٢) الْعُرْجُونُ مِنَ النَّخْلِ كَالْعَتُقُودِ مِنَ الْعَنْبِ.

(٣) الْقُلُقُ: طَائِرٌ أَعْجَمِي طَوِيلُ الْعُنُقِ.

(٤) فُلْكَةُ الْمَغْزَلِ: رَأْسُهُ.



قال بعضهم: وهو يستخّن المبرود ويورث المحرور حتى. قال: وشحمه عظيم في تسكين الوجع وتسكين اللذع من عمق البدن؛ وهو أفضل شحوم الطير. ولحمه يكثر الرياح، وقانصته كثيرة الغذاء؛ ولحمه يسمن، وهو بطيء في المعدة ثقيل. وإذا أنهضم كان أغذى من جميع لحوم الطير؛ وهو يزيد في الباه<sup>(١)</sup> ويكثر المني.

وأما الثحام<sup>(٢)</sup> وما قيل فيه - قالوا: والثحام يكون أفراداً وأزواجاً. وإذا أراد المبيت أجمع رُفواً<sup>(٣)</sup> فنام ذكوره ولا تنام إناثه. وتعد لها مباتات، إذا دُعرث في واحد منها طارت إلى آخر. ويقال: إنه لا يسفد ولا يخرج فراخه بالحضن وإنما تبيض الأنثى من رَق الذكر. وإذا باضت تغزبت وبقي الذكر عند البيض يذرق عليه ليس إلا، فيقوم دزقه مقام الحضن. فإذا تمت مدة ذلك خرجت الفراخ لا حراك بها؛ فتجيء الأنثى فتنفخ في مناقيرها حتى يجري ذلك النفخ فيها روحاً، ثم يتعاون الذكر والأنثى جميعاً على التربية، وإذا قويت الفراخ على الطعام وأمكنها التكسب لنفسها طردها الذكر.

وأما الأنيس وما قيل فيه - فقال أرسطو: إنه حاذ البصر، وصوته يشبه صوت الجمل ويحاكيه. ومأواه في قرب الأنهار في الأماكن الكثيرة المياه الملتفة الشجر. وله لون حسن وتديير في معاشه. والناس يتغالون به إذا وقع لهم ويجعلونه في بيوتهم.

وأما القاوند وما قيل فيه - قال صاحب كتاب مباهج الفكر ومناهج العبر في كتابه: كنت أسمع بشخم القاوند ولم أدري ما هو: حيوان هوائي أم مائي أم أرضي، حتى وقفت على كتاب موضوع في طبائع الحيوان وخواصه ليس عليه أسم المصنف، فرأيت قد قال: «القاوند طائر يتخذ وكره على ساحل البحر ويحضن بيضه سبعة أيام، وفي اليوم السابع يخرج فراخه ثم يزقها سبعة أيام. والمسافرون في البحر يتيمنون بهذه الأيام ويوقنون بطيب الرّيح وحلول أيام السفر».

وأما الخطاف وما قيل فيه - والخطاف يسمى «زوّار الهند»، وهو من الطيور القواطع التي تقطع البلاد البعيدة إلى الناس رغبة في القرب منهم والإلف بهم، وهو مع ذلك لا يئني بيته إلا في أبعد المواضع حيث لا تناله أيديهم. ومن عجيب حاله أن عينه تُقلع فترجع؛ وهو لا يرى أبداً يقف على شيء يأكله، ولا يرى يسافد ولا يجتمع بأنثاه، والأنثى تبيض مرة واحدة في السنة، وقيل: مرتين؛ وكلاهما قاله الجاحظ.

(١) الباه: النكاح.

(٢) النحام: طائر أحمر كالأوز.

(٣) الرفوف: جمع رف، وهو القطيع من الطير.

والخُفَّاش عدوُّ الخُطَّاف؛ فهو إذا فَرَّخ وضع في أعشاشه قُضبان الكَرَفْس<sup>(١)</sup>، فلا يُؤذي فراخه إذا شَمَّ رائحة الكَرَفْس. وهو لا يُفَرِّخ في عِشٍّ عتيقٍ حتى يُطَيِّنه بطينٍ جديدٍ. وهو يَبْنِي عِشَّةً بالطين والتُّبْن. فإذا لم يجد طينا مُهيأً ألقى نفسه في الماء ثم تَمَرَّغ في التراب حتى يمتلئَ جَنَاحاه ثم يجمعه بِمَنقاره. وهو يُسَوِّي في الطَّعم بين فراخه. ولا يترك في عِشِّه زَبلاً بل يُلْقِيه خارجاً. وأصحابُ اليرقان يُلَطِّخون فراخَ الخُطَّاف بالزعفران، فإذا رآها صُفْراً ظنَّ أنَّ اليرقان أصابها من شدة الحرِّ، فيذهب ويأتيها بحجر اليرقان فيَطْرَحُه على الفِراخ، وهو حجرٌ أَصْفَرُ، فيأخذه المُحتالُ فيعلِّقه على نفسه أو يَحْكُه ويشرب من مائه يسيراً فيبرأ. والخُطَّاف متى سمع صوت الرِّعد مات.

وقال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا: قال ديسقوريدس: إنَّ أوَّل بطن للخُطَّاف إذا شَقَّ وُجد فيه حَصَّاتان، إحداهما ذات لونٍ واحد والأخرى ذات ألوانٍ كثيرة، إذا جُعِلتا في جِلْد عجلٍ قبل أن يصيبه ترابٌ ورُبِطَ على عَضُد المصروع ورقبته أُنْفَع به، قال: وقد جَرِيت ذلك وأبرأ المصروع. قال: وأكلُ الخُطَّاف يُجِدُّ البصرَ، وقد يُخَفِّفُ وَيُسَقِّى. والشربةُ منه مثقالٌ. وقيل: إنَّ دماغه بعسلٍ نافعٍ من ابتداء الماء، وكذلك دماغُ الخُفَّاش. قال: وإن مُلِح الخُطَّاف وجُفِّف وشُرب منه درهمان نفع من الخُنَّاق. قال بعضُ الأطباء: المشهور عند الأطباء أن عِشَّ الخُطَّاطيف إذا حُلَّ في ماء وصُفِّي وشُرب سهَّل الولادة.

وقد أَلَم الشعراء في أشعارهم بوصف الخُطَّاف؛ فمن ذلك ما قاله أبو إسحاق الصَّابِي: [من الطويل]

وهنديَّة الأوطان زنجيَّة الخَلْق      مُسَوِّدة الأنواب مُخَمَّرَة الحَدَق  
كأنَّ بها حُزناً وقد لَبِسَتْ له      حِداداً وأذرت من مدامعها العَلَق<sup>(٢)</sup>  
إذا صرَّصرت صرَّت بآخر صوتها      كما صرَّ مَلَوَى العود بالوتر الحَزَق<sup>(٣)</sup>  
تَصِيفُ لدينا ثم تشتو بأرضها      ففي كلِّ عامٍ نَلْتَقِي ثم نَفْتَرِق  
وقال السَّريُّ الرِّقَاء يصفها من أبيات ويذكر غرفة: [من الطويل]

وغرفتنا بين السحائب نَلْتَقِي      لهنَّ عليها كِلَّةٌ ورواق  
نَقَسَم زُؤاراً من الهند سَقَفَها      خِفَافٌ على قلب النديم رِشاق

(١) الكرفس: عشب ثنائي الحول من الفصيلة الخيمية، له جذر وتدي مغزلي، وساق جوفاء قائمة.

(٢) العلق: الدم الشديد الحمرة.

(٣) الحزق: اسم من حزق الشيء يحزقه إذا شدَّه وضغطه.

أعاجِمُ تَلْتَدُ الْخِصَامَ كَأَنهَا كَوَاعِبُ زَنْجٍ رَاعِهِنَّ طَلَّاقُ  
أَنَسْنَ بَنَا أَتَسَّ الْإِمَاءَ تَحَبَّبَتْ وَشِيمْتُهَا غَذَرُ بَنَا وَإِبَاقُ  
مُوَاصِلَةٌ وَالْوَزْدُ فِي شَجَرَاتِهِ مُفَارِقَةٌ إِنْ حَانَ مِنْهُ فِرَاقُ  
وقال أيضاً: [من الطويل]

وَعَرَفْتُنَا الْحَسَنَاءَ قَدْ زَادَ حُسْنُهَا بِزَائِرَةٍ فِي كُلِّ عَامٍ تَزُورُهَا  
مُبَيَّضَةُ الْأَحْشَاءِ حُمِرَ بَطُونُهَا مُزَيَّرَجَةُ الْأَذْنَابِ سَوْدَ ظَهْرُهَا  
لَهَنَ لُغَاتٌ مُفْجَمَاتٌ كَأَنهَا صَرِيرُ نَعَالِ السُّبَّتِ عَالٍ صَرِيرُهَا<sup>(١)</sup>  
وقال أبو هلال العسكري: [من الطويل]

وزائرة في كل عام تزورنا فيخبر عن طيب الزمان مزارها  
تُخَبِّرُ أَنَّ الْجَوْ رَقَ قَمِيضُهُ وَأَنَّ رِيَاضاً قَدْ تَوَشَّى إِزَارُهَا  
وَأَنَّ وَجْهَ الْغُذْرِ رَاقَ بِيَاضُهَا وَأَنَّ مُتَوْنَ الْأَرْضِ رَاعٍ أَخْضَرَارُهَا  
تَجِنُ إِلَيْنَا وَهِيَ مِنْ غَيْرِ شَكْلِنَا فَتَدْنُو عَلَى بُغْدٍ مِنَ الشَّكْلِ دَارُهَا  
وَيُغْجِبُنَا وَسَطُ الْعِرَاصِ وَقَوْعُهَا وَيُؤْنِسُنَا بَيْنَ الدِّيَارِ مَطَارُهَا<sup>(٢)</sup>  
أَغَارَ عَلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ قَمِيضُهَا وَفَازَ بِالْوَانِ اللَّيَالِي خِمَارُهَا  
تَصِيحُ كَمَا صَرَّتْ نَعَالُ عِرَائِسٍ تَمَشَّتْ إِلَيْنَا هُنْدُهَا وَتَوَارُهَا  
وقال آخر:

أَهْلًا بِخُطَافٍ أَتَانَا زَائِرًا غَرْدًا يُذَكِّرُ بِالزَّمَانِ الْبَاسِمِ  
لَيْسَتْ سَرَابِيلُ الصَّبَاحِ بَطُونُهُ وَظَهْرُهُ ثَوْبُ الظَّلَامِ الْعَاتِمِ  
وقال أبو نؤاس:

كَأَنَّ أَصْوَاتَهَا فِي الْجَوْ طَائِرَةٌ صَوْتُ الْجِلَامِ إِذَا مَا قَصَبَتِ الشَّعْرَا<sup>(٣)</sup>  
وَأَمَّا الْقَيْقُ وَالزُّرْزُورُ وَمَا قِيلَ فِيهِمَا - وَالْقَيْقُ: طائر في قَدْرِ الْحَمَامِ اللَّطِيفِ؛ وَأَهْلُ  
الشَّامِ يُسَمُّونَهُ «أَبَا زُرَيْقٍ». وفي طبعه كثرة الإلف بالناس، وقبول التعليم، وسرعة الإدراك  
لما يُلقَن من الكلام مُبَيَّنًا حتى لا يشك سامعه إذا لم يره أنه إنسان؛ وربما زاد على الْبَيْغَاءِ.  
وله حكايات وأخبار في الذكاء والفطنة يطول شرحها، وهو طائر مشهور بذلك.

(١) نعال السبت: نعال تتخذ من جلود البقر المدبوغة بالقرظ.

(٢) العراص: واحدها عرصة، وهي البقعة الواسعة بين الدور لا بناء فيها.

(٣) الجلام: واحدها جلم، وهو المقص.

وأما الزُرْزُورُ - فيقال: إنه ضَرَبٌ من الغراب يسمّى «العُدَّاف»؛ ويقال: إنه «الزَّاع». وهو يقبل التعليم، ولا يُرى إلا في أيام الربيع. ولونه أرقط لكن السواد أغلب. وقد يوجد في لونه الأبيض، وهو قليل جداً.

وقال بعض شعراء الأندلس: [من الكامل]

يا رَبِّ أعجمَ صامتٍ لِقْنَتُهُ      طُرَفَ الحديدِ فصارَ أفصحَ ناطقِ  
جَوْنُ الإهابِ أعيرَ قوَّةَ صُفْرَةٍ      كاللَّيْلِ طَرزَه وَمِیْضُ البارقِ  
حِكْمُ من التدبیرِ أعجزتِ الوری      ورأى بها المخلوقُ لُطْفَ الخالقِ  
وقال آخر: [من مخلَع البسيط]

أَمُنْبَرُ ذَاكَ أَمَ قَضِيبُ      يَفْرَعُهُ مَضَقَّ خَطِيبُ  
يَخْتَالُ فِي بُزْدَتِي شَبَابُ      لَمْ يَتَوَضَّحْ بِهَا مَشِيبُ  
أَخْرَسُ لَكُنْهُ فَصِيحُ      أَبْلَهُ لَكُنْهُ لِسِيبُ

وقال الوزير أبو القاسم بنُ الجَدِّ الأندلسي من رسالة كتبها إلى الوزير أبي الحسن بن سراج جواباً عن رُقعة وصلت منه إليه، يشفعُ لرجل يُعرف بالزُرْزِيرِ، ابتدأها بأن قال:

حُسْنُكَ لَكَ أبا الحسن ضرائبُ الأيام، وتشوَّقْتُ نحوكَ غرائبُ الكلام، وأهتزت لمكاتبتك أعطافُ الأقلام، وجادت على مَحَلِّكَ الطُفَّ الغمام، وأشادت بفضلك وتُبَلِّك أصنافُ الأنام. فإن كان روض العهد أعزَّكَ الله لم يُصِبْهُ من تَعَهَّدنا طُلٌّ<sup>(١)</sup> ولا وابل<sup>(٢)</sup>، ولا سَجَعَتْ على أَيْكِهِ وُزْقٌ ولا بَلابل؛ فإن أزهاره على شِرْبِ الصفاء نابته، وأشجاره في ثُرْبِ الوفاء راسخة ثابتة، وقد آن الآن لعقم شجره أن تُطْلِع من الثمر ألواناً، ولعُجْم طيره أن تَسْجَعَ من الثَّغْم ألحاناً، بما سقط لديّ ووقع عليّ من طائرٍ شِهِيهِ الصَّفِيرِ، مَبْنِي الاسم على التصغير؛ فإنه رَجَّع بِأَسْمِكَ جِيناً، وأبتدع في نوبة شكرِكَ تَلْجِيناً، وحرَّكَ من شوقي إليك سكوناً، ودُمْتُ<sup>(٣)</sup> في قلبي لودِّكَ وُكُوناً، ثم اسمعني أثناء ترنمه كلاماً وصف به نفسه، لو تغنَّت به الوُرَقاء، لأَذِنْتُ له<sup>(٤)</sup> العنقاء، أو ناح بمثله الحمام؛ لبكى لشَجْوِهِ الغمام، أو سَمِعَهُ قيسُ بن عاصم في ناديه، وبين

(١) الطل: المطر الخفيف يكون له أثر قليل.

(٢) الوابل: المطر الشديد الضخم القطر.

(٣) دمت: هيا وسهل.

(٤) أذنت: أصغت واستمعت.

أعاده، لَحَلَّ الزَّمْعُ<sup>(١)</sup> حُبَاهُ، وَأَسْتَرَدَّ الطَّرْبُ صِبَاهُ:

كلاماً لَوْ أَنَّ الْبَقْلَ يُزْهَى بِمِثْلِهِ زَهَا الْبَقْلُ وَأَخْضَرَ الْغُضَا بِمَصِيفٍ  
فَتَلَقَّيْتُ فَضْلَ صَاحِبِهِ بِالتَّسْلِيمِ، وَأَعْتَرَفْتُ بِسَبْقِهِ أَعْتَرَفَ الْخَبِيرُ الْعَلِيمُ.

وبعدُ، فإني أعود إلى ذكر ذلك الحيوان الغرَّيد، والشيطان المرَّيد؛ فأقول: لئن سُمِّيَ بالزُّرْزِيرِ، لقد صُعِّرَ للتكبير؛ كما قيل: حُرَيْقِيصٌ وَسَقَطُهُ يُحْرِقُ الْحَرَجَ، وَدَوْبِيهَةٌ وهي تلتهم الأرواحَ والمُهَجَّ. ومعلومٌ أنَّ هذا الطائرَ الصافرَ يفوق جميعَ الطيورِ في فهمِ التلقينِ، وحسنِ اليقينِ، فإذا عَلَّمَ الكلامَ لهجَ بالتسييحِ، ولم يُنطقْ لسانُهُ بالقبيحِ، وتراه يقومُ كالنصيحِ، ويدعو للخيرِ بلسانٍ فصيحٍ. فمن أحبَّ الاتعاضَ، لقي منه قَسًّا إِيَادَ بَعُكَاظٍ؛ أو مالَ إلى سماعِ البسيطِ والنشيدِ، وجَدَ عنده نُحْبَ الْمُؤْصِلِي لِلرَّشِيدِ. فطوراً يُبْكِيكَ بأشجى من مراثي أَرْبَدٍ، وحيناً يُسَلِّيكَ بأحلى من أغاني مَعْبَدٍ. فسبحان من جعله هادياً خطيباً، وشادياً مُطرباً مُطِيباً. ولما طار ببلاد الغربِ ووقع، وَرَقِيَ فِي أَكْنافِهَا وَصَقَّ وَعَايِنَ مَا اتَّفَقَ فِيهَا فِي هَذَا الْعَامِ مِنْ عَدَمِ الزَيْتُونِ، فِي تِلْكَ الْبَطُونِ وَالْمَتُونِ؛ أَزْمَعَ عَنْهَا فِرَاراً، وَلَمْ يَجِدْ بِهَا قَرَاراً؛ لِأَنَّ هَذَا الثَّمَرَ بِهَذَا الْأَفْقِ هُوَ قِوَامُ مَعَاشِهِ، وَمَلَكَ أَنْتَعَاشِهِ؛ إِلَيْهِ يَقْطَعُ، وَعَلَيْهِ يَقَعُ؛ كَمَا يَقَعُ عَلَى الْعَسَلِ الذُّبَابُ، وَتَقْطَعُ إِلَى الْعَرَادِ الضُّبَابُ، فَاسْتَحَقَّهُ هَائِجُ التَّذْكَارِ، نَحْوُ تِلْكَ الْأَوْكَارِ، حَيْثُ يَكْتَسِي رِيشَهُ حَرِيراً، وَيَحْتَشِي جَوْفَهُ بَرِيراً<sup>(٢)</sup>، وَيَحْتَسِي قُرَاحاً نَمِيراً، وَيَغْتَدِي عَلَى رَهْطِهِ أَمِيراً. فخذهِ إِلَيْكَ، نَازِلاً لَدَيْكَ، مِثْلَ بَيْنِ يَدَيْكَ، يَتَرْتَمُ بِالثَّنَاءِ، تَرْتُمُ الذُّبَابُ فِي الرُّوضَةِ الْعَنَاءِ، وَقَدْ هَزَّ قَوَادِمَ الْجَنَاحِ، لِعَادَةِ الْاسْتِمْنَاحِ؛ وَحَبَّرَ مِنْ لُحْمِ الْأَسْجَاعِ، وَمَا يَصْلُحُ لِلانْتِجَاعِ، وَاتَّقَا بِأَنَّ ذَلِكَ الْقَطْرَ النَّاضِرَ سَتَنْفَعُهُ حِدَائِقُهُ، وَلَا تَلْفَحُهُ وَدَائِقُهُ<sup>(٣)</sup>؛ لَا سِيَّما وَفَضْلُكَ دَلِيلُهُ إِلَى تَرْعِ رِيَاضِهِ، وَفَرَضِ حَيَاضِهِ؛ مَعَ أَنَّهُ لَا يَغْدَمُ فِي جَنَابِكَ حَبّاً نَثِيراً، وَخَصَباً كَثِيراً، وَعُشّاً وَثِيراً.

فَإِذَا مَا أَرَادَ كُنْتَ رِشَاءً وَإِذَا مَا أَرَادَ كُنْتَ قَلِيباً<sup>(٤)</sup>

والله تعالى يَكْفِيهِ فيما ينوبه شرَّ الجوارحِ، وَيَقِيهِ شَوْمُ السَّانِحِ وَالْبَارِحِ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

وَأَمَّا السُّمَانَى وَمَا قِيلَ فِيهِ - يُقَالُ: إِنَّ السُّمَانَى هُوَ السَّلْوَى، وَهُوَ مِنَ الطَّيُورِ

(١) الزمعة: الخفة والطيش.

(٢) البرير: أول ما يظهر من ثمر الأراك وهو جلد.

(٣) الوديقة: حر نصف النهار.

(٤) القليب: البئر.

القواطع التي لا يُعْلَم من أين تأتي، ويقال: إنه يخرج من البحر المالح؛ فإنه يرى وهو يطير عليه أوانٌ ظهوره وأحد جناحيه منغمس في الماء، والآخر منتشر كالقَلْع. وأكثر من يعتني بتربيته أهل مصر ويتغالون في ثمنه ويحتفلون بأمره، حتى ينتهي ثمن جَيْده إلى ألف درهم بعد أن يباع كلُّ عشرة منها بدرهم وأرخص. وهو صِنْفان: رِبِيعي وطَرْماهي، فالرِبِيعي القادم الراحل. والطَرْماهي القاطن في الأرض والبلاد الخصيبة، وَيَبِض وَيُقْرُخُ فيها كالحَجَل. وسببُ مغالاتهم في أثمانها لأجل كثرة صياجها وعدد أصواتها. وقد وُجد فيها ما صاح في الليلة الواحدة إلى الثانية من النهار أربعة آلاف وستمئة صوت. والصوت عندهم أن يُفَصِّلَ بينه وبين الصوت الثاني بسكّته. وهم في تربيته يبدؤون بإطعامه دُقاق القمح (وهو القمح الصغير الذي لا يُمسكه الغُرْبَال لِصِغَرِه) مدّة شهر؛ وتكون ذلك الوقت مجتمعة في قَفَص كبير يسمونه «المرح»؛ ثم يُفَرَّدُ بعد ذلك كلُّ سَمَانِي بمفرده في قَفَص وَيُطْعَمُ الدُّخْنُ<sup>(١)</sup> والشَّادَانِقُ<sup>(٢)</sup>. وَيَصِيحُ في مبتدأ أمره مقدارَ شهر ثم يسكت مدّة شهرين. ويُنْقَلُ إلى أقفاصٍ أُخر يعتنون بجودتها ويرفعونها على البَرَازيد (والبرازيدُ عَصِيٌّ تُعَلَّقُ عليها الأقفاص) فيصيح بعد تلك السكّته أربعة أشهر. فإذا دخل فصل الخريف وهبط الماء سكت مدّة شهرين وتَقَرَّضَ<sup>(٣)</sup>، ثم يصيح أحياناً ويسكت أحياناً. وهو لا يطولُ عمره أكثر من سنة ونصف. وأوّل ما يصيح قبل أن يتفصّح بالوَعُوعَة، وحكاية صوته: «وَعُ وَعُ»؛ ثم يصيح بعد ذلك: «شَقْشَلَقْ».

وقال الشيخ الرئيس أبو عليّ بن سينا في كتاب الأدوية المفردة: إنه يُخاف من أكل لحوم السَّمَانِي من التمدّد والتشنج.

وأما الهُدْهُدُ وما قِيلَ فِيهِ - والهدْهُدُ طائرٌ معروف. وقال الجاحظ فيه: والعرب كانوا يزعمون أن القُتْرَعَةَ<sup>(٤)</sup> التي على رأسه ثوابٌ من الله عزّ وجلّ على ما كان من بَرّة لأُمّه، لَمَّا ماتت جعل قبرها في رأسه؛ فهذه القُتْرَعَةُ عَوْضٌ عن تلك الوَهْدَة. وهو طائر مُتَنَبِّئُ البَدَنِ من جوهره وذاته. والأعراب يجعلون ذلك الثَّنَّ شيئاً خامرَه بسبب تلك الحِيفَةِ التي كانت على رأسه. ويستدلّون على ذلك بقول أُمَيَّة بن أبي الصَّلْت حيث يقول من أبيات: [من الكامل]

(١) الدُّخْنُ: نبات عشبي من النجيليات، حبه صغير أملس كحب السمسم.

(٢) الشادانق: بزر العنب.

(٣) الباز المقرنص: المقتنى للاصطياد، أو ما ربط من الطير ليسقط ريشه، وقرنس الديك (باب

السين): أي هرب من ديك آخر.

(٤) القترعة: الريش المجتمع في رأس الديك.

غَيْمٌ وَظُلْمَاءٌ وَغَيْثٌ سَحَابَةٌ      أَزْمَانٌ كَفَنٌ وَأَسْتَرَادُ الْهُدْهُدُ  
يَبْغِي الْفِرَارَ لِأُمِّهِ لِيُجِنِّهَا      فَبْنَى عَلَيْهَا فِي قَفَاهِ يَمْهَدُ  
مَهْدًا وَطِيئًا فَاسْتَقَلَّ بِحَمْلِهِ      فِي الطَّيْرِ يَخْمِلُهَا وَلَا يَتَأَوَّدُ  
مِنْ أُمِّهِ فَجُزِيَ بِصَالِحِ حَمْلِهَا      وَلَدَا وَكَلَّفَ ظَهْرَهُ مَا يَغْقِدُ  
فَتَرَاهُ يُدْلِجُ مَاشِيًا بِجَنَازَةٍ      بِقَفَاهِ مَا اخْتَلَفَ الْجَدِيدُ الْمُسْنَدُ

وزعم صاحبُ الفِرَاسَةِ: أن سَبَبَ ثَنِّهِ أَنَّهُ يَطْلُبُ الزُّبْلَ؛ فإذا وجده نقل منه وأبتنى بيتاً منه؛ فإذا طال مُكثته في ذلك البيت، وفي مثله وُلِدَ، اخْتَلَطَ ريشه وبدنُه بتلك الرائحة فَوَرِثَ أَبْنُوهُ الثَّنَ، كما ورثه هو من أبيه، وكما ورثه أبوه من جدّه. قال شاعرٌ:

وَأَنْتَنَ مِنْ هُذْهَدٍ مَيِّتٍ      أَصِيبَ فُكُفْنٍ فِي جَوْرَبٍ

ويقال عنه: إنه يرى الماء في باطن الأرض كما يراه الإنسان في باطن الزُّجَاجِ. وزعموا: أنه كان دليل سليمان عليه السلام على الماء ولذلك تَفَقَّده، على أحد أقوال المفسرين لكتاب الله تعالى.

وقال الجاحظ فيه: إنه وَفِيَّ حَفُوظٌ؛ وذلك أن الذكر إذا غابت عنه أنثاه لم يأكل ولم يشرب، ولا يزال يصيحُ حتى تَعُودَ إليه، فإن لم تَعُدْ لا يَسْفِدْ بعدها أنثى أبداً، ولا يزال يصيحُ عليها ما عاش، ولم يَتَلَّ بعدها من طُعْمٍ بل ينال منه ما يُمَسِّكُ رَمَقَهُ.

ووصفه أبو الشَّيْصِ (١) فقال: [من البسيط]

لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى سَرِيٍّ وَسِرْكَمُ      غَيْرِي وَغَيْرِكَ أَوْ طَيِّ الْقِرَاطِيسِ  
أَوْ طَائِرٍ سَاجِلِيهِ وَأَنْعَثُهُ      مَا زَالَ صَاحِبَ تَنْقِيرٍ وَتَذْسِيسِ  
سُودٍ بَرَائِثُهُ مِيلَ ذَوَائِبِهِ      صُفْرٍ حَمَالِقُهُ فِي الْحَسَنِ مَغْمُوسِ  
قَدْ كَانَ هَمُّ سُلَيْمَانَ لِيَذْبَحَهُ      لَوْلَا سِعَايَتُهُ فِي مُلْكٍ بِلَقِيسِ  
وقال آخر من أبيات: [من البسيط]

كَأَنَّهُ إِذْ أَتَاهُ مِنْ قُرَى سَبَاٍ      مُبَشِّرًا قَدْ كَسَاهُ تَاجَ بِلَقِيسِ  
يَبْدُو لَهُ فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ بَاطِنُهَا      كَمَا تَبَدَّتْ لَنَا الْأَقْدَاءُ فِي الْكُوسِ (٢)

وَأَمَّا الْعَقَقُ وَمَا قِيلَ فِيهِ - وَيَسْمَى الْعَقَقُ أَيْضًا «كُنْدُشًا»، وَهُوَ طَائِرٌ لَا يَأْوِي

(١) هو محمد بن عبد الله بن رزين وهو ابن عم دعبل بن علي بن رزين الشاعر، وكان في زمن الرشيد: وقد رثاه بعد موته. (الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٤٣٧).

(٢) المراد بقوله: «الكوس» الكؤوس، واحداثها كأس.

تحت سَفَفٍ ولا يَسْتَظِلُّ به، بل يُهَيِّئُ وَكْرَهُ في المواضع المشرفة الفسيحة. وفي طبعه الزُّنَا والخِيَانَةُ والسَّرْقَةُ والخُبْثُ؛ والعرب تَضْرِبُ به المَثَلَ في ذلك كُلِّهِ. وإذا باضت الأنثى أَخَفَّتْ بِيضُهَا بورق الدُّلْبِ خوفاً عليه من الخُقَّاشِ، فإنه متى قَرُبَ منه مَذَرٌ<sup>(١)</sup> وَفَسَدٌ وتَغَيَّرَ من ساعته. وتقول العرب في أمثالها: «أَمَوُقٌ من عَفَقَقٍ». وهو شديد الاستلاب والاختطاف لما يراه من الحَلْيِ الثمين. قال إبراهيم الموصلي في: [من المتقارب]

إذا بَارَكَ اللُّهُ في طَائِرٍ      فلا بَارَكَ اللُّهُ في العَفَقَقِ  
قَصِيرُ الذَّنَابِ طَوِيلُ الجَنَاحِ      متى ما يَجِدُ غَفْلَةً يَسْرِقُ  
يُقَلِّبُ عَيْنَيْنِ في رَأْسِهِ      كأنهما قَطْرَتَا زَيْتَبَقٍ

وكان سببُ قوله لهذا الشعر فيه ما حكاه إسحاق بن إبراهيم قال: كان لي عَفَقَقٌ وأنا صَبِيٌّ قد رُبِّيْتُه، وكان يتكلم بكلِّ شيءٍ يسمعه؛ فَسَرِقَ خَاتَمَ ياقوتٍ كان أبي قد نَزَعَهُ من إصْبَعِهِ ودخل الخَلَاءَ ثم خرج فلم يجده، فضرب الغلام الذي كان واقفاً، فلم يَقِفْ له على خبر. فبينما أنا ذات يوم في دارنا إذ أبصرت العَفَقَقَ قد نَبَشَ ثُراباً وأخرج الخَاتَمَ منه، فَلَعِبَ به طويلاً ثم دَفَنَهُ؛ فأخذته وجئتُ به إلى أبي، فَسَرَّ به وقال هذا الشعر.

وأما العَصَافِيرُ وَمَا قِيلَ فِيهَا - والعصافير ضروبٌ كثيرةٌ: منها «العصفور البيوتي» و«عصفور الشوك»، و«عصفور التوفّر»، ومن ضروبها «الْقُبْرَةُ» و«حَسُونٌ» و«البُلْبُل».

فأما العصفور البيوتي - ففي طباعه أختلافٌ: ففيه من طبائع سباع الطير أنه يُلْقِمُ فِرَاحَهُ ولا يَزُقُّهَا، وَيَصِيدُ أَجْنَاساً من الحيوان كاللَّمْلَمِ إذا طار والجراد، ويأكل اللَّحْمَ. والذي فيه من طباع بهائم الطير أنه ليس بذِي مِخْلَبٍ ولا مِئْسَرٍ؛ وهو إذا سقط على عودٍ قَدَمُ أَصَابِعِهِ الثَّلَاثِ وَآخِرُ الذَّابِرَةِ؛ وسباع الطير تُقَدِّمُ أَصْبَعَيْنِ وتُوَخَّرُ إصْبَعَيْنِ؛ ويأكل الحبَّ والبقولَ. وَيَتَمَيَّزُ الذَّكَرُ منها من الأنثى بِلُحْيَةٍ سوداء. وهو لا يعرف المشي وإنما يرفع رجله ويثبُّ. وهو كثير السُّفَادِ، وربما سَفِدَ في الساعة الواحدة خمسين مرةً، ولذلك عمره قصيرٌ فإنه لا يُعْمَرُ غالباً أَكْثَرَ من سنةٍ؛ وإنَّهَا تُعْمَرُ أَكْثَرَ من ذكورها. والمثل يُضْرَبُ في التحقير والتصغير بأحلام العصافير.

قال دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ:

يا آلَ سَفِيانَ ما بالي وبِالْكُمِ      أنتم كَبِيرٌ وفي الأحلام عصفورٌ

(١) مذر البيض: فسد وتغير.



وقال حسان بن ثابت:

لا بأس بالقوم من طولٍ ومن عَظَمٍ جِسْمُ البغالِ وأحلامُ العصافير  
وأما عصفور الشُّوك - فزعم أرسطو أنَّ بينه وبين الحمار عداوةً، لأنَّ الحمارَ إذا  
كان به دَبْرٌ حَكَّهُ بالشُّوك الذي يأوي إليه هذا العصفورُ فيقتله؛ وربما نَهَقَ الحمارُ فتسقط  
فراخه أو بيضه خوفاً منه؛ فلذلك هذا العصفور إذا رأى الحمار رَفَرَفَ فوق رأسه وعلى  
عنقه وآذاه ونَقَرَه في عَقَرِه أنَّى كان.

وأما عصفور التَّيْلُوْفَر - وهو لا يوجد غالباً إلا بَثْرَ دِمِيَاط<sup>(١)</sup>، وشأنه غريب؛  
وذلك أنه عصفورٌ صغير جداً، فإذا كان قبل غروب الشمس جاء إلى بَرَكِ التَّوْفَر فيجد  
التَّوْفَرَة وهي طافحةٌ على وجه الماء مفتوحة فيقعده في وسطها، فإذا حصل فيها أنطبقت  
عليه وأنغمست في الماء طوال الليل؛ فإذا طلعت الشمس طَفَّتِ التَّوْفَرَة على وجه الماء  
وأنفتحت، فيخرج منها ويطير إلى غروب الشمس، فيأتي ويفعل كفعله.

وأما القُبْرَة - فقد عُدَّوها من أنواع العصافير. وهي غَبْرَاءٌ كبيرة المنقار على رأسها  
قُبْرَة. وهذا الضرب قاسي القلب. وفي طبعه أنه لا يَهْوُلُه صوت صائح به، ورُبَّمَا رُمِيَ  
بالحجر فاستخَفَّ بالرَّامِي وأَطْعَى إلى الأرض حتى يتجاوزَه الحجرُ، وهو يَضَعُ وَكْرَه  
على الجَادَّةِ رغبةً في الأُنْس بالناس.

وأما حَسُونٌ - وتُسَمِّيهِ أهل الأندلس «أم الحسن» والمصريون «السقاية» لأنه إذا  
كان في القفص أَسْتَقَى الماء من إناء بِأَلَةٍ لطيفةٍ يُوَضِعُ له فيها خيطٌ، فتراه يَرْفَعُ الخيطَ  
بإحدى رجليه ويضعه تحت رجله الأخرى حتى يصل إليه ذلك الإناء اللطيف فيشرب  
منه. وهو ذو ألوان حسنة التركيب والتأليف من الحمرة والصفرة والسواد والبياض  
والخضرة والزَّرْقَة. وله صوتٌ حسنٌ مُطْرَبٌ. ووصفه أبو هلال العسكري فقال:

وَمُفْتَنَّةِ الْأَلْوَانِ بَيْضُ جَوْهَرِهَا وَنَمِرِ تَرَاقِيهَا وَصَفَرِ جُنُوبِهَا<sup>(٢)</sup>

كَأَنَّ ذَرَارِيْعاً عَلَيْهَا قَصِيْرَةً مُرَقَّعَةً أَعْطَافُهَا وَجُيُوبُهَا<sup>(٣)</sup>

وأما البُئْل - وهو «العَنْدَلِيْب»، وتُسَمِّيهِ أهلُ المدينة «التُّغْر». وهو طائرٌ أغْبَرُ  
الرأس لطيف القَدِّ، مأواه الشجرُ.

قال الجاحظ: البلبل موصوفٌ بحسن الصوت والحنجرة، ومن شأنه إذا كان غير

(١) دمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم الملح والنيل، مخصصة بالهواء  
الطيب وعمل ثياب الشرب الفاخر، وهي ثغر من ثغور الإسلام. (معجم البلدان لياقوت).

(٢) الجنوب: واحدها الجنب، وهي الناحية، أو الشق من كل شيء.

(٣) الداربع: واحدها دراعة، وهي جبة مشقوقة المقدم.

حاذق أن يطارحه إنسان بشكل صوته، فيتدرب ويتعلم ويحسن صوته. وقد وصف أبو هلال العسكري البلابل فقال: [من الطويل]

مررتُ بدُكْنِ القُمْصِ سُودِ العمائم      تُعْنِي على أطرافِ غِيَدِ نواعِمِ<sup>(١)</sup>  
زُهَيْنِ بأصدغِ تَرُوقِ كائِها      نجومٌ على أعضادِ أسودِ فاجِمِ  
تَرى ذهباً منهنّ تحت مآخِرِ      لها وَلَجِيناً نُطْنَه بالقَوَادِمِ  
وقال آخر: [من الخفيف]

كيف أُلْحَى وقد خَلَعْتُ على الله      و عِذارِي وقد هَتَكْتُ قِنَاعِي  
وتعَشَّقْتُ بلبلاً أنا منه      في أنزعاجِ إلى الصُّبا والْتِياعِ<sup>(٢)</sup>  
أنا من ريشه المدبَّجِ في زَف      بر من شَجْوِ صوته في سماعِ  
ومن رسالة ذكرها العِماد الأصفهاني الكاتب في الخريدة، وهي لبعض فضلاء أصبهان، ذكر فيها وصفَ الرِّياض ومفاخرةَ الرِّياحين، وفضلَ فيها الورد، وأنتهى بعد ذكر الورد إلى وصف البلابل، فقال:

«فلما أرتفع صدرُ الثَّهَار، وأنقطعَ جدالُ الأزهار؛ سُمع من خَلَلِ الحديقة زَقَزَقَةٌ<sup>(٣)</sup> عَنْدَلِيب، قد آتخذ وَكْرًا على حاشية قَلِيب<sup>(٤)</sup>؛ كان يستتر به عن الجمع، ويجعله دريئةً لاستراق السَّمع. وحين أتقن ما وعاه، وأودَّعه سمعه وأزَّعاه؛ انتحى غُصْنًا رطيبًا، فأوقى عليه خَطِيبًا، ثم قال: يا فتنة الخَلِيقَة، لقد جئتِ بالشُّعَاء الفَلِيقَة<sup>(٥)</sup>؛ وربِّ بَسْمِ أَسْتَحال أحتدامًا، ولن تُغَدِّمِ الحسَناء ذاما. إلَامَ تَرُفُل في دَلال زَهْوك، وتغفل عن ردائل سهوك! وَحَتَّامَ تَتِيه على الأكفاء والأقران، كأنك أنت صاحب القرآن! أَلَسْتُ من عَجَبِكَ بنفسك، وأسترابتك بأبناء جنسك؛ لا تزال مشتملاً شُوك الغصون، معتصماً منها بأشباه المعازل والحصون! لكنك متى أنقضى مَهَبُ الشَّمال، وعدل عن اليمين إلى الشَّمال؛ خيف عليك نَفْحُ الإحراق، وتعرَّيت من حُلل الأوراق؛ وأصبحت للأرض فراشاً، وتلعب بك الهواء فعدت فَراشاً. ثم ما قدرُ جَوْرَتِكَ حتى تجور! وهل ينتج حضوره إلا الفجور! هذا إذا كنتم على الأصل الثابت، وعُرفتم في

(١) الدكن: جمع دكناء، وهي ما يميل إلى السواد، أو إلى اغبرار اللون.

(٢) الناع الفؤاد: احترق من الشوق أو الهم.

(٣) الزقزقة: صدح الطائر عند الصبح.

(٤) القليب: البئر.

(٥) الفليقة: الأمر العجب والداهية.

(٦) النهجوري، نسبة إلى النهبور: جمع النهاير، وهي جبال ورمال مشرفة.

أكرم المغارس والمنابت؛ فكيف وأنتم بين رَمْلِي وَجَبَلِي، وَنَهْجُورِي<sup>(١)</sup> أو تَيْهَورِي<sup>(٢)</sup>. وَهَبْ أَنْكَ وَرَهْطُكَ تَفَرَّدْتُمْ بِمُمَايَلَةِ الْقُدُودِ، وَتَوَحَّدْتُمْ بِمِشَابَهَةِ الْخُدُودِ؛ وَصِرْتُمْ دَررَ الْبَحُورِ، وَغَلَقْتُمْ عَلَى الْجِبَاهِ وَالتَّحُورِ، وَتَحَوَّلْتُمْ جُمَانًا وَمَرْجَانًا، وَحُلَيْثُمْ مَنَاطِقَ وَتَيْجَانًا؛ أَقْدَرْتُمْ عَلَى مَبَارَاةِ الشَّحَارِيرِ، وَمَجَارَاةِ الْقَمَارِي النَّحَارِيرِ! أَمْ مَلَكْتُمْ تَهْيِيجَ الْبَلَابِلِ<sup>(٣)</sup>، قَبْلَ أَصْوَاتِ الْبَلَابِلِ! أَمْ وَجَدْتُمْ سَبِيلًا إِلَى وَلُوجِ الْقُلُوبِ وَالْأَسْمَاعِ، وَاتَّخَذَ الطَّرَبَ وَالسَّمَاعَ؟! هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ، بَعْدَ عَنْكُمْ مَا فَاتَ! بَلْ نَحْنُ ذَوَاتِ الْأَطْوَاقِ، وَبَنَاتِ الْغُصُونِ وَالْأَوْرَاقِ؛ إِنَّمَا يُكْمِلُ صَيِّتُكُمْ بِنِعْمَاتِ أَصْوَاتِنَا، وَيَزْهَوُ غَنَاؤُكُمْ بِصَحَّةِ غَنَاتِنَا؛ وَيَحْسُنُ تَمَائُلُ دَوَّجِكُمْ بِتَرْنَمِنَا وَنُوحِنَا، وَيَرْوِقُ غَدِيرُكُمْ بِهَدِيرِنَا، وَيَشْوِقُ تَهْدِيلُكُمْ بِهَدِيلِنَا. لَمْ تَزَالُوا حَمَلَةً أَثْقَلْنَا، وَمُهِودَ أَطْفَالِنَا؛ وَجِيَادَ شُجْعَانِنَا، وَمَنَابِرَ خُطْبَانِنَا. فَرُوعُكُمْ مَحَطُّ أَرْحُلِنَا، وَرَوْوَسُكُمْ مَسَاقِطُ أَرْجُلِنَا. إِذَا أَوْفَى مُطَرِّبُنَا عَلَى عُودِهِ، وَعَبَثَ بِمَلَوَى عُودِهِ؛ وَشَدَّ الْمَثَالِثَ وَالْمَثَانِي، شَدَّ الثَّقِيلِينَ الْأَوَّلَ وَالثَّانِي؛ فَقَدْ أَحْيَا بِاللَّحْنِ الْأَيْكِي، وَبَدَّ يَحْيَى الْمَكِّي<sup>(٤)</sup>؛ وَأَعَادَ إِبْرَاهِيمَ<sup>(٥)</sup>، كَحَاطِبِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ، وَخَرَقَ لَهُ أَثْوَابَ مُخَارِقِ<sup>(٦)</sup> طَرَبًا وَحَسَدًا؛ وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ سَلِيمٌ<sup>(٧)</sup> غِيظًا وَكَمَدًا؛ وَأَخَذَ قَلْبَ<sup>(٨)</sup> أَبْنِ جَامِعٍ بِمَجَامِعِهِ، وَطَوَّقَهُ مِنَ الْإِقْرَارِ غَلًّا بِمَجَامِعِهِ؛ حَتَّى كَأَنَّهُ بِصَحَّةِ ضَرْبِهِ وَإِتْقَانِ أَوْتَارِهِ، يَطْلُبُ عَنْدهُمْ قَدِيمَ أَحْقَادِهِ وَأَوْتَارِهِ: [مِنَ الْخَفِيفِ]

فَهِى تُصْبِي الْأَبْصَارَ لَوْنًا قَرِيبًا      وَتَسْرُ الْأَسْمَاعَ ضَرْبًا بَعِيدًا  
خَضَبَ الْكَفِّ مِنْ دَمِ الْقَلْبِ وَأَبْتَزَّ سُدَّ      وَيَدَاءَهُ فُطُوقَ جِيدًا  
أَعْجَمِي اللَّسَانَ مُسْتَعْرِبُ اللَّحْدِ      مِنْ يُعِيدُ الْخَلِيَّ صَبًّا عَمِيدًا  
كُلَّ وَقْتٍ تَرَاهُ مِنْ فَرْطِ شَجْوٍ      مُظْهِرًا فِي الْغِنَاءِ لِحْنًا جَدِيدًا  
تَارَةً يَجْعَلُ النَّشِيدَ بَسِيطًا      وَيُعِيدُ الْبَسِيطَ طَوْرًا نَشِيدًا

(١) التيهوري، نسبة إلى تيهور: وهو من الرمل ما له جرف.

(٢) البلابل: الأشجان.

(٣) يحيى المكي: هو يحيى بن مرزوق مولى بني أمية، وكان يكتُم ذلك لخدمته الخلفاء من بني العباس خوفًا من أن يجتنبوه. (الأغاني ٦: ١٦).

(٤) هو إبراهيم الموصلي، المغني المشهور. (الأغاني ٥: ١٥٤).

(٥) هو مخارق بن يحيى الجزار، المغني، كان أبوه جزاراً مملوكاً لعاتكة بنت شهدة، وهي من المغنيات المحسنات المتقدّمات في الضرب. (الأغاني ٢١: ٢٢٠).

(٦) هو سليم بن سلام الكوفي، يكنى أبا عبد الله، وكان حسن الوجه حسن الصوت. (الأغاني ٦: ١٢).

(٧) هو أبو القاسم إسماعيل بن جامع، وهو من قریش.

مَغْبَدٌ لَوْ رَأَاهُ أَصْبَحَ عَبْدًا وَلَيْسَ أَمْسَى لَدَيْهِ بَلِيدًا  
ضَلَّ عَنْ إلفه وَأَقْلَقَهُ الْوَجْدُ دُفَأْمَسَى بِكَأُوهُ تَغْرِيدًا  
لَوْ عَارِضَ الْخَلِيلِ <sup>(١)</sup> فِي عَرُوضِهِ لَبَكَّتْهُ، أَوْ نَاطَرَ أَبْنَ السَّكَيْتِ <sup>(٢)</sup> فِي إِصْلَاحِهِ  
لَسَكَّتْهُ؛ أَوْ جَادَلَ الْفَارَسِيَّ <sup>(٣)</sup> لَفَرَسَهُ وَجَدَلَهُ، أَوْ نَازَلَ الْكُوفِيَّ لَأَكْفَاهُ عَنْ رُتْبَتِهِ وَأَنْزَلَهُ.

## البَابُ الرَّابِعُ مِنَ الْقِسْمِ الْخَامِسِ مِنَ الْفَنِّ الثَّالِثِ فِي بُغَاثِ الطَّيْرِ

ويشتمل هذا الباب على ما قيل في القُمَرِيِّ، والدُّبْسِيِّ، والوَرَشَانِ، والفَوَاحِثِ  
والشُّفْنَيْنِ، واليعتبط، والنُّوَّاحِ، والقَطَا واليَمَامِ وأصنافه، والبيَّغَاءِ. وهذه الأصناف قد  
عدها أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ أو أكثرها في الحمام، فقال: الحمام وَخَشِيّ،  
وأَهْلِيّ، وبُبُوتِيّ، وطُورَانِيّ، وكلّ طائر يُعرف بالنُّوَّاحِ وحسن الصَّوْتِ والدَّعَاءِ  
والترجيع، فهو حَمَامٌ وإن خالف بعضه بعضاً في الصُّورَةِ واللون وفي بعض النُّوْحِ  
ولنحْنُ الهَدِيلِ.

قال: وزعم أفليمون <sup>(٤)</sup> صاحبُ الفِرَاسَةِ أنَّ الحمامَ يَتَّخِذُ لضروب، منها ما يَتَّخِذُ  
للأنثى والنساء والبيوت، ومنها ما يَتَّخِذُ للفِرَاحِ، ومنها ما يَتَّخِذُ للزُّجَالِ والسَّبَاقِ.  
والزُّجَالُ: إرسال الحمام الهَوَادِي. ثم ذكر من أوصاف الحمام وما فيه من ضروب  
المعرفة والمنافع ما نُورِدَهُ عند ذكرنا للحمام المشتهر بهذه التَّسْمِيَةِ، وهو الذي أشار  
الجاحظ إليه. فلنذكر تفصيلاً ما قدّمناه من هذه الأصناف، فنقول وبالله التوفيق:

أما القُمَرِيُّ وما قيل فيه - فقد قالوا: إنما سُمِّيَ القُمَرِيُّ بهذه التَّسْمِيَةِ لبياضه،  
والأقمر: الأبيض. وحكاية صوته تشبه ضحك الإنسان. وهو شديد المودّة والرحمة.  
أما مودّته فإنه يُقَرِّخُ على فَنِّ <sup>(٥)</sup> من أفنان شجرة عليها أعشاش لأبناء جنسه، فيصَابِحُهَا

(١) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم.

(٢) هو يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت. كان عالماً بنحو الكوفيين وعلم القرآن واللغة  
والشعر وله تصانيف كثيرة.

(٣) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علي الفارسي، واحد زمانه في علم العربية، كان أستاذاً لابن  
جني وكانت وفاته سنة ٣٧٧ هجرية.

(٤) أفليمون: كان فاضلاً كبيراً عالماً في فن من فنون الطبيعة وكان معاصراً لبقرط.

(٥) الفن: الغصن المستقيم من الشجرة.

في كل يوم. وأما رحمته فإنه يرَبِّي ولده وَيَعِفُّ عن أنثاه ما دام ولده صغيراً. ومن عادته أنه يعمل عَشَّة في طَرَف فَنِّين دائم الاهتزاز، احترازاً على فرخه لئلا يسعى إليه من الحيوان الماشي ما يقتله.

وقال أبو الفتح كُشَاجِم يصفه من أبيات رثاه بها أولها:

ومطوَّقٍ من حسن صُنْعَةِ ربه طوقين خِلْتُهما من الثَّوَارِ  
منها:

لَهْفِي عَلَى الْقُمْرِي لَهْفاً دَائِماً يَكْوِي الْحَشَا بِجَوَى كُلِّ ذِئ النَّارِ  
لَوْ الْغَمَامَةِ لَوْنُهُ وَمُنَاسِبٌ فِي خَلْقِهِ الْأَقْلَامَ بِالْمَنْقَارِ  
وأما الدُّبْسِيُّ وما قيل فيه - وإنما سُمِّي الدُّبْسِيُّ بذلك للونه، لأنَّ الدُّبْسَةَ حمرةٌ في سواد. قالوا: والدُّبْسِيُّ أصناف، منها المصري، والحجازي والعراقي. وأفخر هذه الأصناف المصري ولونه الدكنة. وهو لا يُرى ساقطاً على وجه الأرض، بل له في الشتاء مَشْتَى، وفي الصيف مَصِفٌ. ولا يُعرف له وكر.

وأما الْوَرَشَانُ وما قيل فيه - والورشان أصناف منها الثُّوبِي وهو ورشان أسود؛ ومنها الْحِجَازِي. والنوبي أشجأها صوتاً. وهذا الطائر يوصف بالحُنُو على أولاده، حتى إنه ربما قتل نفسه إذا رآها في يد القانص.

وقال أبو بكر الصَّنَوْبَرِي فيه: [من الخفيف]

أنا في نزهتين من بستانِي حين أخلو به مِن وَرْشَانِ  
طائرُ قَلْبٍ مَنْ يَغْنِيهِ أَوْلَى مِنْهُ عِنْدَ الْغِنَاءِ بِالطَّيْرَانِ  
مُسْمِعٌ يُودِعُ الْمَسَامِعَ مَا شَاءَ وَمَا لَمْ تَشَأْ مِنَ الْأَلْحَانِ  
في رداءٍ من سَوَسَنِ وقَمِيصٍ زُرْزَتُهُ عَلَيْهِ تَشْرِبْنَانِ  
قد تَغَشَّى لَوْنُ السَّمَاءِ قَرَاهُ وَتَرَأَى فِي جِيده الْفَرْقَدَانِ<sup>(١)</sup>

وأما الْفَوَاحِشُ وما قيل فيها - والفواخش عراقيةٌ ليست حجازية. وفيها فصاحةٌ وحسنٌ صوت. وفي طبعها أنها تأنَّس بالناس، وتُعَشِّشُ في الدُّور. والعرب تضربُ بها في الكذب المثل، فيقولون: «أكذبُ من فاختة»؛ فإنَّ حكاية صوتها عندهم: «هذا أوانُ الرُّطْبِ». قال شاعرٌ:

أكذبُ من فاختة تقول وسط الكَرَبِ

وَالطَّلْعُ لَمْ يَبْذُلْنَا هَذَا أَوْأَنَّ الرُّطْبَ وهو يُعَمَّر. وحكى أرسطو أن منه ما عاش أربعين سنة.

وقال أبو هلال العسكري: [من الطويل]

مَرَرْتُ بِمَطْرَابِ الْعِدَاةِ كَأَنَّهَا تُعَلِّ مِنَ الْإِشْرَاقِ رَاحاً مُفْلَقاً<sup>(١)</sup>  
مُنْمَرَّةً كَذَرَاءٍ تَحَسَّبُ أَنَّهَا تُجَلِّلُ مِنْ جِلْدِ السَّحَابِ مُفَضَّلَا  
بَدَتْ تَجْتَلِي لِلْعَيْنِ طَوْقاً مَمْسُكاً وَطَرْفَاً كَمَا تَرْنُو الْغَزَالَةَ أَكْحَلَا  
لَهَا ذَنْبٌ وَافِي الْجَوَانِبِ مَثَلَمَا تُقَشِّرُ طَلْعاً أَوْ تَجَرَّدُ مُنْضَلَا  
إِذَا حَلَّقَتْ فِي الْجَوْ خِلَتْ جَنَاحَهَا يَرُدُّ صَفِيرَاً أَوْ يَحْرُكُ جُلْجُلَا<sup>(٢)</sup>

وَأَمَّا الشُّفْنَيْنِ وَمَا قِيلَ فِيهِ - وَالشُّفْنَيْنِ مِنَ الطَّيْرِ الَّتِي تَتَرَنَّمُ؛ وَصَوْتُهُ فِي تَرَنَّمِهِ يُشَبِّهُ صَوْتَ الرِّبَابِ<sup>(٣)</sup>. وَفِي طَبْعِهِ أَنَّهُ إِذَا فَقَدَ أَثْنَاهُ لَمْ يَزَلْ أَغْرَبَ، يَأْوِي إِلَى بَعْضِ فَرَاحِهِ حَتَّى يَمُوتَ؛ وَكَذَلِكَ الْأَنْثَى إِذَا فَقَدَتِ الذَّكَرَ. وَهُوَ مَتَى سَمِنَ سَقَطَ رِيشُهُ وَأَمْتَنَعَ مِنَ السَّفَادِ؛ فَهُوَ لِذَلِكَ لَا يَشْبَعُ. وَهُوَ طَائِرٌ يُؤْثِرُ الْغُرْلَةَ.

وَأَمَّا الْيَعْتَبُطُ وَمَا قِيلَ فِيهِ - وَإِنَّمَا سَمِّيَ الْيَعْتَبُطُ بِهَذِهِ التَّسْمِيَةِ لَصَوْتِهِ، وَهُوَ شَرِيفٌ فِي طَيُورِ الْحِجَازِ. وَحَالُهُ حَالُ الْقُمْرِيِّ، وَلَكِنَّهُ أَحَرُّ مِنْهُ مِزَاجاً وَأَعْلَى صَوْتاً. قَالَ كُشَاجِمُ:

وَنَاطِقٍ لَمْ يَخْشَ فِي النَّطْقِ غَلَطٌ مَا قَالَ شَيْئاً قَطُّ إِلَّا يَعْتَبُطُ

وَأَمَّا التَّوَّاحُ وَمَا قِيلَ فِيهِ - وَالتَّوَّاحُ: طَائِرٌ كَالْقُمْرِيِّ، وَحَالُهُ كَحَالِهِ؛ إِلَّا أَنَّهُ أَحَرُّ مِنْهُ مِزَاجاً وَأَرْطَبُ وَأَدْمَتُ وَأَشْرَفُ. قَالُوا: يَكَادُ التَّوَّاحُ يَكُونُ لِلْأَطْيَارِ الدِّمَّةِ مَلِكَاً، وَهُوَ يَهْيِجُهَا إِلَى التَّصْوِيتِ لِأَنَّهُ أَشْجَاهَا صَوْتاً؛ وَجَمِيعُهَا تَهْوِي أَسْتِمَاعَ صَوْتِهِ، وَهُوَ أَيْضاً يَسْرُهُ أَسْتِمَاعُ صَوْتِ نَفْسِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

وَأَمَّا الْقَطَا وَمَا قِيلَ فِيهِ - وَالْقَطَا نَوْعَانِ: «كُذْرِي» وَ«جُونِي»، وَالْكُذْرِيَّةُ غُبْرُ الْأَلْوَانِ، رُقُشُ الظُّهُورِ وَالْبَطُونِ، صُفْرُ الْخُلُوقِ، قِصَارُ الْأَذْنَابِ؛ وَهِيَ أَلْطَفُ مِنَ الْجَوْنِ. وَالْجَوْنِيَّةُ سُودُ بَطُونِ الْأَجْنِحَةِ وَالْقَوَادِمُ بَيْضُ اللَّبَانِ<sup>(٤)</sup> وَفِيهِ طَوْقَانِ أَسْوَدُ

(١) الرّاح: الخمر.

(٢) الجلجل: الجرس الصغير.

(٣) الرّباب: آلة وترية شعبية ذات وتر واحد.

(٤) اللّبان: الصدر.

(٥) الغنمة: العجمة في المنطق.

وأصفر؛ وظهورها غُبْرٌ رُفْطٌ تعلوها صفرة. وتسمى الجُونِيَّةُ غُثْمًا<sup>(١)</sup>؛ لأنها لا تُفْصِح بصوتها إذا صَوَّتَتْ إنما تُغْزِرُ بصوتٍ في حَلْقِهَا. والكُذْرِيَّةُ فصِيحةٌ تنادي بِأَسْمِهَا تقول: قَطَا قَطَا؛ ولهذا يُضْرَبُ بها المثلُ في الصدق. وتوصف القطا بحسن المشي لِتَقَارُبِ خُطَاها. والعرب تشبّه مشي النِّسَاءِ الخَفِيرات بِمَشْيِهَا إذا أرادوا مدَحَهنَّ. قال شاعر يصف القطاة - وأُخْتَلِفَ في الشاعر من هو، فقليل: هو أَوْسُ بنِ غُلْفَاءِ الهُجَيْمِيِّ، وقيل: مُزَاجِمُ العُقَيْلِيِّ، وقيل العباس بن يزيد بن الأسود الكِنْدِيِّ، وقيل: العُجَيْرُ السُّلُولِيُّ، وقيل: عمرو بن عقيل بن الحجاج الهُجَيْمِيُّ؛ قال أبو الفرج الأصفهاني: وهو أصحُّ الأقوال -: [من البسيط]

أَمَّا الْقَطَاةُ فَإِنِّي سَوْفَ أُنْعَثُهَا	نَعْتًا يُوَافِقُ نَعْتِي بَعْضَ مَا فِيهَا
سَكَّاءُ مَخْطُوبَةٌ فِي رِيشِهَا طَرَقٌ	سُودٌ قَوَادِمُهَا ضُهَبٌ خَوَافِيهَا <sup>(٢)</sup>
مِنْقَارُهَا كَنُوءِ الْقَسْبِ قَلَمُهَا	بِمَبْرَدٍ حَازِقُ الْكَفَّينِ بَارِيهَا <sup>(٣)</sup>
تَمْشِي كَمْشِي فَتَاةٍ الْحَيِّ مُسْرَعَةً	حِذَارٌ قَوْمٍ إِلَى سَتْرِ يُوَارِيهَا
تَسْقِي الْفَرَاحَ بِأَفْوَاهِ مَرْقَقَةٍ	مِثْلَ الْقَوَارِيرِ سُدَّتْ مِنْ أَعَالِيهَا
كَأَنَّ هَيْدَبَةً مِنْ فَوْقِ جُؤْجُئِهَا	أَوْ جِرْوَ حَنْظَلَةٍ لَمْ يَغْدُ رَامِيهَا <sup>(٤)</sup>

وقال إبراهيم بن خفاجة الأندلسي: [من الكامل]

وَلَرُبَّ طَيَّارٍ خَفِيفٍ قَدْ جَرَى	فَشَلَا بِجَارٍ خَلْفَهُ طَيَّارٍ
مِنْ كُلِّ قَاصِرَةِ الْخُطَا مُخْتَالَةٍ	مَشْيِ الْفَتَاةِ تَجَرُّ فَضْلَ إِزَارٍ
مَخْضُوبَةِ الْمِنْقَارِ تَحْسِبُ أَنَّهَا	كَرَعَتْ عَلَى طَمَلٍ بِكَأْسِ عُقَارٍ
لَا تَسْتَقَرُّ بِهَا الْأَيَادِي خَشِيَةً	مِنْ لَيْلٍ وَنَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ بَوَارٍ

وقال المَرَّارُ أو العكْبُ التُّغَلْبِيُّ - وهي أجود قَصِيدَةٍ قِيلَتْ فِي الْقَطَا: [من الطويل]

بِلَادُ مَرُورَةٍ يَحَارُ بِهَا الْقَطَا	تَرَى الْفَرْخَ فِي حَافَاتِهَا يَتَحَرَّقُ <sup>(٥)</sup>
يَظَلُّ بِهَا فَرْخُ الْقَطَاةِ كَأَنَّهُ	يَتِيَمٌ جَفَا عَنْهُ مَوَالِيهِ مُطَرِّقُ

(١) السكك: صغر الأذن ولصوقها بالرأس. والمخطوبة: التي لونها يضرب إلى الكدرة مشرب حمرة في صفرة - وطرق الريش: أي أن يغطي الريش الأعلى منه الأسفل.

(٢) القسب: التمر اليابس الصلب النواة.

(٣) الهيدب: خمل الثياب وهديه - والجرو: الصغير من الحنظل.

(٤) المروارة: المفازة التي لا شيء فيها.

(٥) الديمومة: المفازة الدائمة البعد.

- بِدَيْمُومَةٍ قَدْ بَاتَ فِيهَا وَعَيْئُهُ      عَلَى مَرِّهِ تُغْضِي مَرَاراً وَتَرْمُقُ<sup>(١)</sup>  
 شَبِيهَ بِلَا شَيْءٍ هُنَالِكَ شَخْصُهُ      يُوَارِيهِ قَيْنُضٌ حَوْلَهُ مُتَقَلِّقُ<sup>(٢)</sup>  
 لَهُ مَخْجَرٌ نَابٍ وَعَيْنٌ مَرِيضَةٌ      وَشِدْقٌ بِمِثْلِ الزَّعْفَرَانِ مُخَلَّقُ<sup>(٣)</sup>  
 تُعَاجِيهِ كَخَلَاءِ الْمَدَامِيعِ حُرَّةٌ      لَهَا ذَنْبٌ سَاجٍ وَجِيدٌ مُطَوَّقُ<sup>(٤)</sup>  
 سِمَاكِيَّةٌ كُذْرِيَّةٌ عَزْغَرِيَّةٌ      سُكَاكِيَّةٌ عَفْرَاءُ سَمْرَاءُ عَسَلَقُ<sup>(٥)</sup>  
 إِذَا غَادَرَتْهُ تَبْتَغِي مَا يُعِيشُهُ      كَفَاهَا رَذَايَاهَا الرِّقِيعُ الْهَبَنْقُ<sup>(٦)</sup>  
 غَدَتْ تَسْتَقِي مِنْ مَنَهْلٍ لَيْسَ دُونَهُ      مَسِيرَةٌ شَهْرٍ لِلْقَطَا مُتَعَلَقُ<sup>(٧)</sup>  
 لِأَزْغَبٍ مَطْرُوحٍ بِجَوْزٍ تَنُوفِيَّةٍ      تَلْظِي سَمُوماً قَيْنُظُهُ فَهُوَ أَوْزَقُ<sup>(٨)</sup>  
 تَرَاهُ إِذَا أَمْسَى وَقَدْ كَادَ جِلْدُهُ      مِنَ الْحَرِّ عَنْ أَوْصَالِهِ يَتَمَرَّقُ<sup>(٩)</sup>  
 غَدَتْ فَاسْتَقَلَّتْ ثُمَّ وَلَّتْ مُغِيرَةً      بِهَا حِينَ يَزْهَاهَا الْجَنَاحَانِ أَوْلَقُ<sup>(١٠)</sup>  
 تَيَمَّمُ ضَخْضَاحاً مِنَ الْمَاءِ قَدْ بَدَتْ      دَعَامِيصُهُ فَالْمَاءُ أَطْحَلُ أَطْرَقُ<sup>(١١)</sup>  
 فَلَمَّا أَتَتْهُ مُقْدَحِرًا تَغَوَّثَتْ      تَغَوَّثَ مَخْنُوقٍ فَتَطْفُو وَتَغْرُقُ<sup>(١٢)</sup>  
 تَجَرَّ وَتُلْقِي فِي سِقَاءٍ كَأَنَّهُ      مِنَ الْحَنْظَلِ الْعَامِيٍّ جِرْؤُ مُعَلَّقُ<sup>(١٣)</sup>  
 فَلَمَّا أَرْتَوَتْ مِنْ مَائِهَا لَمْ يَكُنْ لَهَا      أَنَاءَةٌ وَقَدْ كَادَتْ مِنَ الرِّيّ تَبْصُقُ<sup>(١٤)</sup>  
 طَمَتْ طَمُومَةٌ صُغْدَاءٌ وَمَدَّتْ جِرَانَهَا      وَطَارَتْ كَمَا طَارَ الشَّهَابُ الْمُحَلَّقُ<sup>(١٥)</sup>

- (١) المره: مرض في العين لترك الكحل - والقبض: قشرة البيضة العليا اليابسة.  
 (٢) محجر العين: ما دار بها.  
 (٣) معاجة الفصيل: هو أن يرضع بغير لبن أمه إذا كان لا لبن لها أو ماتت.  
 (٤) سماكية: نسبة إلى السماك، والسماكان: كوكبان نيران - عرعية: منسوبة إلى العرعر، وهو شجر السرو - السكاكية: منسوبة إلى السكاكة. والسكاكة: الصغير الأذن - والعسلق: الخفيف أو الطويل العنق.  
 (٥) قيل: الرقيع: هو الكروان، وهو يوصف بالحمق لتركه بيضه واحتضانه بيض غيره.  
 (٦) الأوزق: الذي فيه سواد في غيرة.  
 (٧) الأولق: الجنون.  
 (٨) الدعاميص: واحدتها دعموص، وهو دويبة، سوداء تكون في الغدران إذا نشأت. الطحلة: لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد - والطرق: التراكب.  
 (٩) المقدحز: المتهيء للسباب والشر تراه الدهر منتفخاً شبه الغضبان.  
 (١٠) طمت: ارتفعت.



## ذكرُ شيءٍ من الأوصافِ والتَّشبيهِاتِ والشُّعْريَّةِ الجَامِعَةِ لمجموع هذا النوع الذي ذكرناه

ومن ذلك قول بعض الشعراء: [من الكامل]

وقبلي أبكى كل من كان ذا هوى      هتوف البواكي والديارُ البلاقعُ  
وهن على الأفلاق من كل جانب      نوائح ما تخضل منها المدامعُ<sup>(١)</sup>  
مُزَنِّجَةُ الأعناقِ نُمِرَ ظهورُها      مَخْطُمَةٌ بالدُرِّ خُضِرَ روائعُ  
تَرى طُوراً بين الخَوَافِي كأنها      حَوَاشِي بُرودِ زينتِها الوشائعُ  
ومن قِطْعِ الياقوتِ صِيغَتْ عيونُها      خواضبُ بالحِثَاءِ منها الأصابعُ

وقال أبو الأسود الدؤلي من أبيات: [من البسيط]

وساجع في فروع الأيكَ هيجني      لم أذرٍ لِمَ ناحَ ممّا بي ولم سَجَعَا  
أباكياً إلفه من بعد فُرْقَتِهِ      أم جازعاً للتّوى من قبل أن تَقْعَا  
يدعو حمامته والطيرُ هاجعةً      فما هَجَعْتُ له ليلاً ولا هَجَعَا<sup>(٢)</sup>  
موشح سُندساً خُضِرَ مناكبه      تَرى من المسك في أذياله لُمَعَا  
له من الآس طوقٌ فوق لَبَتِهِ      من البَنَفْسِجِ والخَيْرِي قد جُمِعَا<sup>(٣)</sup>  
كأنما عَبَّ في مُسَوِّدٍ غاليةٍ      وحلّ من تحته الكافورُ فانتَقَعَا  
كأن عينيه من حسن أصفرارهما      فَصَانِ من حَجَرِ الياقوتِ قد قُطِعَا  
كأن رجليه من حسن أحمرارهما      ما رَقَّ من شُعْبِ المَرْجانِ فانتَسَعَا  
شكا التّوى فبكى خوفَ الأسَى فرمى      بين الجوانحِ من أوجاعه وجعا  
والريخُ تَخْفِضُهُ طوراً وترَفَعَهُ      طوراً فمِنْخَفِضاً يدعو ومرتَفَعَا  
كأنه راهبٌ في رأسِ صومعةٍ      يتلو الزُّبُورَ ونجمُ الصّبحِ قد طلعَا

وقال ابنُ اللبّانة الأندلسي<sup>(٤)</sup>: [من الرجز]

وعلى فروع الأيكَ شادٍ يَخْتَوِي      طَرْفِي لآخرِ تحتويه الأضلعُ

(١) الأفلاق: واحدتها الفلق، وهو المطمئن من الأرض بين ربوتين.

(٢) هجع: نام.

(٣) الخيري: نور.

(٤) هو الوزير الأديب أبو بكر بن اللبّانة الداني أحد شعراء دولة المعتمد في الأندلس.

يَنْدَى لَهُ رَطْبُ الْهَوَاءِ فَيَغْتَدِي      وَيُظِلُّهُ وَرَقُ الْغُصُونِ فِيهِجَعُ  
تَخِذُ الْأَرَاكَ أَرِيكَةً لِمَنَامِهِ      فَلَهُ إِلَى الْأَسْحَارِ فِيهَا مَوْضِعُ  
حَتَّى إِذَا مَا هَزَّهُ نَفْسُ الصَّبَا      وَالصَّبْحِ، هَزَّكَ مِنْهُ شَذُوْ مُبْدَعُ  
فَكَأَنَّمَا تِلْكَ الْأَرَاكَةُ مِنْبَرٌ      وَكَأَنَّهُ فِيهَا خَطِيبٌ مُضَقَّعُ  
وقال بعضُ الأعراب يصف مُطَوِّقَةً: [من الطويل]

دَعَتْ فَوْقَ سَاقٍ دَعْوَةً لَوْ تَنَاوَلْتُ      بِهَا الصُّخْرَ مِنْ أَعْلَى أَبَانَ تَحْدَرًا<sup>(١)</sup>  
تُبْكِي بَعِينَ لَيْسَ تُذَرِي دَمَوْعَهَا      وَلَكِنَّهَا تُذَرِي الدَّمَوِعَ تَذْكُرًا  
مَحَلَّةً طَوَّقٍ لَيْسَ تَخْشَى أَنْفَصَامَهُ      إِذَا هَمَّ أَنْ يَبْلَى تُجَدِّدُ آخَرًا  
لَهَا وَشَحَّ دُونَ التَّرَاقِي وَفَوْقَهَا      وَصَدْرٌ كَمَقْطُوفِ الْبَنْفَسَجِ أَخْضَرَا  
تَتَنَازَعُهَا الْأَلْوَانُ شَتَّى صِقَالُهَا      بَدَا لِتَلَالِي الشَّمْسِ فِيهِ تَحِيرَا  
وقال شاعر أندلسي: [من الطويل]

وَمَا شَاقَنِي إِلَّا أَبْنُ وَرَقَاءِ هَاتِفٌ      عَلَى فَنَنْ بَيْنَ الْجَزِيرَةِ وَالْجَسْرِ  
مُفَتِّقٌ طَوَّقٍ لِأَزْوَرْدِي كَلْكَلٍ      مَوْشَى الطَّلَى أَخْوَى الْقَوَادِمِ وَالظَّهْرِ<sup>(٢)</sup>  
أَدَارَ عَلَى الْيَاقُوتِ أَجْفَانٌ لَوْلُؤٍ      وَصَاغَ عَلَى الْأَجْفَانِ طَوْقًا مِنَ الثَّبْرِ  
حَدِيدُ شَبَا الْمِنْقَارِ دَاجٍ كَأَنَّهُ      شَبَا قَلَمٍ مِنْ فِضَّةٍ مُدٍّ مِنْ جَبْرِ<sup>(٣)</sup>  
تَوَسَّدَ مِنْ فِرْعِ الْأَرَاكَ أَرِيكَةً      وَمَالَ عَلَى طَيِّ الْجَنَاحِ مَعَ التَّحْرِ  
وَلَمَّا رَأَى دَمْعِي مُرَاقًا أَرَابَهُ      بِكَائِي فَاسْتَوَلَى عَلَى الْعُصْنِ النَّضْرِ  
وَحَثَّ جَنَاحِيهِ وَصَفَّقَ طَائِرًا      فَطَارَ بِقَلْبِي حَيْثُ طَارَ وَمَا يَدْرِي  
وقال آخر:

كَأَنَّ بِنَحْرَهَا وَالْجَيِّدِ مِنْهَا      إِذَا مَا أَمَكَنْتُ لِلنَّاطِرِينَ  
مَخْطَأً كَانَ مِنْ قَلَمٍ لَطِيفٍ      فَخَطَّ بِجِيدِهَا وَالنَّحْرِ نُونَا  
وقال أَبْنُ الرُّومِي:

مُطَوِّقَةٌ تَبْكِي وَلَمْ أَرِ بَاكِيًا      بَدَا مَا بَدَا مِنْ شَجْوِهَا لَمْ يُسَلِّبِ<sup>(٤)</sup>

(١) أَبَانَ: اسم جبل.

(٢) شَبَا القَلَمِ: طرفه.

(٣) يُقَالُ: سَلَبْتُ الْمَرْأَةَ: إِذَا لَبَسَتْ ثَوْبَ الْحَدَادِ.

(٢) الْأَحْوَى: أَسْوَدَ مِنْ شِدَّةِ النَّضَارَةِ.

وقد أوردنا في باب الغزل والنسيب من هذا المعنى فيما قيل على لسان الورقاء ما يُستغنى عن تكراره.

وأما اليمام وأصنافه وما وُصف به وما قيل فيه - فالعرب تقول: إن هذه التسمية واقعة على النوع التي تسميه عامة الناس الحمام؛ وهو أصناف مختلفة الأشكال والألوان والأفعال، منها «الرواعب» و«المراعيش» و«العَدَاد» و«الميساق» و«الشَّدَاذ» و«القلَّاب» و«الشَّقَاق»، و«المنسوب».

فأما الرواعب - وهو ألوان كثيرة. وزعم الجاحظ أنه تولد بين ورشان ذكر وحمام أنثى، فأخذ من الأب الحجة ومن الأم الصوت، وفاته سرعة الطيران فلم يشبههما فيه؛ وله من عظم البدن وكثرة الفراخ والهديل والقرقرة<sup>(١)</sup> ما ليس لأبويه، حتى صار ذلك سبباً للزيادة في ثمنه والحرص على اتخاذه.

وأما المراعيش - وهي تطير مرتفعة حتى تغيب عن النظر فترى في الجو كالنجم.

وأما العَدَاد - فهو طير ضخم، قليل الطيران كثير الفراخ.

وأما الميساق - وهو أضخم من العَدَاد وأنبل، ثقل الجسم لا يستطيع الطيران إلا قليلاً.

وأما الشَّدَاذ - فهو لا يلزم الطيران في الجو، وله قوة في جناحه حتى يقال إنه ربما يكسر الجوز به، ولا يأتي من الغاية لبَّله فيه. وأصحاب الرغبات في تربية هذا الصنف يلقونه على البصريّات فيخرج من بينهما حمام يُسمى «المضرب» يجتمع فيه هداية البصريّ وشدة الشَّدَاد. والشَّدَاذ يطير ضِعْداً حتى يرى كالنجم. وفي ذنبه إحدى وثلاثون ريشة.

وأما القَلَّاب - فتسميه العراقيون «المَلَّاح»؛ وسمي بذلك لتقلبه في طيرانه. والشَّقَاق - وطيْرانه تحويم.

وأما المنسوب - ويسميه العراقيون «الهُوَادِي»، والمصريون يسمونه «البَصَارِي»، يعنون البصرية، وهو بالنسبة إلى ما تقدّم ذكره كالعتاق من الخيل، وما عدها فيها كالبراذين. وفيها «العلوي» وهو الطف جِزْماً وأسرع طيراناً؛ وهو يطلب وكره ولو أرسل من مسافة ألف فرسخ، ويحمل البطائق ويأتي بها من المسافة البعيدة في المدة القريبة. قالوا: وفيه ما يقطع ثلاثة آلاف فرسخ في يوم واحد. وسباع الطير تطلبه أشد طلب. وخوفه من الشاهين أشد من خوفه من غيره. وهو أطير منه ومن سباع الطير

(١) القرقرة: الهدير.

كلّها؛ لكنه يُذَعَر فيجهل باب المَخْلَص.

والمحمودُ منه ما وصفه الجاحظُ عن أفليمون صاحبِ الفِرَاسَةِ أنه قال:

جميعُ الفِرَاسَةِ لا تخرجُ عن أربعة أوجه: أولها التقطيعُ، والثاني المجسّة، والثالث الشمائل، والرابع الحركة.

فأما التقطيع - فانتصابُ العُنُقِ والخَلْقَةِ، وأستدارةُ الرأسِ من غيرِ عِظَمٍ ولا صِغَرٍ، وعِظَمُ القِرْطَمَتَيْنِ<sup>(١)</sup> ونَقَاؤُهُمَا، واتِّسَاعُ المِنْخَرَيْنِ، وأنْهَرَاتُ الشَّدَقَيْنِ، وَسَعَةُ الجوفِ. ثم حَسَنُ خَلْقَةِ العينين مع توقدهما، وقِصَرُ المِنْقَارِ في غيرِ دِقَّةٍ، ثم اتِّسَاعُ الصدرِ، وأَمْتَلَاءُ الجَوْجُؤِ، وطولُ العُنُقِ، وإِشْرَافُ المَنْكِبَيْنِ، وأنْكَمَاشُ الجناحين، وطولُ القوادِمِ في غيرِ إِفْرَاطٍ، ولُحُوقُ بعضِ الخوافي ببعضِ، وصَلَابَةُ القَصَبِ في غيرِ انْتِفَاحٍ ولا يُبْسٍ، وأَجْتِمَاعُ الخَلْقِ في غيرِ الجُعُودَةِ والكَزَازَةِ<sup>(٢)</sup>، وعِظَمُ الفَخَذَيْنِ، وقِصَرُ السَّاقَيْنِ والوُظِيفَيْنِ، وأَفْتِرَاقُ الأصابعِ، وقِصَرُ الذَّنْبِ، وخَفْتُهُ من غيرِ تَفْنِينٍ<sup>(٣)</sup> وتَفْرِيقٍ، ثم تَوَقُّدُ الحدقتين وصفاء اللون. فهذه علامة الفِرَاسَةِ في التقطيع.

وأما علامة المجسّة - فَوَاقَاةُ الخَلْقِ، وشِدَّةُ اللَّحْمِ، ومَتَانَةُ العَصَبِ، وصلَابَةُ القَصَبِ، وَلِينُ الرِّيشِ في غيرِ رَقَّةٍ، وصلَابَةُ المِنْقَارِ في غيرِ دِقَّةٍ.

وأما علامة الشمائل - فَقَلَّةُ الاختيالِ، وصفاء البصرِ، وثَبَاتُ النظرِ، وشِدَّةُ الحَذَرِ، وحَسَنُ التَّلَقُّفِ، وَقَلَّةُ الرُّغْدَةِ عندَ الفِرْعِ، وخَفَّةُ النهوضِ إذا طارَ، وتركُ المبادرةِ إذا لَقَطَ.

وأما علامة الحركة - فالطيرانُ في عُلُوٍّ، ومدُّ العُنُقِ في سُمُوٍّ، وَقَلَّةُ الاضطرابِ في جَوِّ السماءِ، وضُمُّ الجناحين في الهواءِ، وتَتَابُعُ الرُّكُضِ في غيرِ اِخْتِلَاطٍ، وحَسَنُ القِصْدِ في غيرِ دَوْرَانٍ، وشِدَّةُ المَذِّ في الطيرانِ، فإذا أَصَبَتْه جَامِعاً لهذه الصفات فهو الطائرُ الكاملُ.

وقد وصف الجاحظُ الحمامَ في كتاب الحيوانِ وبسط فيه القولَ ووسَّعَ المجالَ. ونحن الآن نُورِدُ ملخَصَ ما قاله فيه، قال:

ومن مناقب الحمام حَبَّةٌ للناسِ وأنْسُ الناسِ به، وهو من الطير المَيَّامِينِ، وهو إذا عَلِمَ الذِّكْرُ منه أنه قد أودَعَ رَجِمَ الأنثى ما يكون منه الولدُ، تقدُّماً في إغداد العُشِّ،

(١) القِرْطَمَتَانِ: نقطتان على أصل منقار الحمام.

(٢) الكَزَازَةُ: يبس الشيء وانقباضه.

(٣) من غير تفنين: أي من غير اختلاط.

ونقل القصب وشقق الخوص، وأشبه ذلك من العيدان الخوارة<sup>(١)</sup> الدقاق، حتى يعملأ أفحوصة<sup>(٢)</sup> وينسجها نسجاً متداخلاً في الموضع الذي اتخذها وأصطنعها عشاً بقدر جثمان الحمامة؛ ثم أشخصا لتلك الأفحوصة حروفاً غير مرتفعة لتحفظ البيض وتمنعه من التدحرج، ولتلتزم كتفي الجؤجؤ، وتكون رفاً لصاحب الحضن، وسنداً للبيض، ثم يتعاوران ذلك المكان ويتعاقبان تلك الأفحوصة يسخنانها ويدفئانها ويطيبنها وينقيان عنها طباغها الأول ويحدثان طبيعة أخرى مشتقة من طباغتهما ومستخرجة من رائحة أبدانهما وقواهما، لكي تقع البيضة إذا وقعت في موضع يكون أشبه المواضع طباغاً بأرحام الحمام مع الحضانة والوثارة<sup>(٣)</sup>، كي لا تنكسر البيضة ببس الموضع، ولتلا تكثر طباغها طباغ المكان، وليكون على مقدار من البرد والسخونة والرخاوة والصلابة. ثم إن ضربها المخاض وطرقت ببيضها، بدرت إلى الموضع الذي قد أعدته وتحاملت إليه، إلا أن يقرعها رعد قاصف أو ريح عاصف فإنها ربما رمت بها دون الأفحوصة. والرعد ربما أفسد البيض. فإذا وضعت البيض في ذلك المكان الذي أعداه لا يزالان يتعاقبان الحضن ويتعاوران حتى تنتهي أيامه ويتم ميقاته؛ فعند ذلك ينصدع البيض عن الفرخ، فيخرج عاري الجلد صغير الجناح مستند الحلقوم؛ فيعلمان أنه لا يتسع حلقه وحوصلته للغذاء، فلا يكون لهما هم إلا أن ينفخا في حلق الفرخ الرياح لتتسع الحوصلة بعد التحامها، ثم يعلمان أنه وإن اتسعت الحوصلة لا يحمل في أول أغذائه أن يزق بالطعم، فيزق باللعب المختلط بقواهما وقوى الطعم. ثم يعلمان أن الحوصلة تضعف عن استمرار الغذاء، وهضم الطعم فيأكلان من شروج<sup>(٤)</sup> أصول الحيطان - وهو شيء من الملح المخض والتراب الخالص، وهذا هو السبخ - فيزقانه به. حتى إذا علما أنه قد أندبغ واشتد رقاها بالحب الذي قد غب في حواصلهما؛ ثم يزقانه بعد ذلك بالحب والماء. حتى إذا علما أنه قد أطاق اللقظ منعه بعض المنع ليحتاج إلى اللقظ فيتعوده. فإذا علما أن إرادته قد تمت وأنه قد قوي على اللقظ وبلغ بنفسه منتهى حاجته، ضرباه إذا سألهما الكفاية، ونقياه متى رجع إليهما، وتشتزع تلك الرحمة العجيبة منهما وينسيان ذلك التعطف. ثم يبتدان العمل ثانياً على ذلك النظام وتلك المقدمات. فسبحان الهادي الملهم.

قال: ثم يبتدىء الذكر بالدعاء والطراد؛ وتبتدىء الأنثى بالتأني والاستدعاء، ثم

(١) الخوارة: الضعيفة الرخوة.

(٢) الأفحوصة: حفرة تحفرها القطة، أو الدجاجة في الأرض لتبيض وترقد فيها.

(٣) الوثارة: كثرة الشحم، أو الفراش، أو... (اللسان وثر).

(٤) الشروج: الشقوق والصدوع.

تَزِيْفُ<sup>(١)</sup> وَتَشْكُلُ<sup>(٢)</sup>، وَتُمْكِنُ وَتَمْنَعُ، وَتُجِيبُ وَتُصَدِّفُ بوجهها؛ ثُمَّ يَتَعَاشِقَانِ وَيَتَطَاوَعَانِ وَيَكُونُ بَيْنَهُمَا قُبْلٌ وَأَرْتِشَافٌ وَإِدْخَالٌ فَمِهَا فِي فَمِهِ؛ وَذَلِكَ هُوَ التَّطَاعُمُ وَالْمُطَاعَمَةُ. قَالَ الشَّاعِرُ:

لَمْ أَعْطِهَا بِيَدِي إِذِ بَتْ أَرْشُفُهَا إِلَّا تَطَاوَلَ غُضْنُ الْجَيِّدِ بِالْجَيِّدِ<sup>(٣)</sup>  
كَمَا تَطَاعَمَ فِي خَضِرَاءِ نَاعِمَةٍ مُطَوَّقَانِ أَصَاخًا بَعْدَ تَغْرِيدِ<sup>(٤)</sup>

قَالَ أَبُو عَثْمَانَ: وَمِمَّا أَشْبَهَ فِيهِ الْحَمَامُ النَّاسُ أَنْ سَاعَاتِ الْحَضْنِ عَلَى الْبَيْضِ أَكْثَرُهَا عَلَى الْأُنْثَى، وَإِنَّمَا يَحْضُنُ الذَّكَرُ حَضْنًا يَسِيرًا. وَالْأُنْثَى كَالْمَرْأَةِ فِي كِفَالَةِ الصَّبِيِّ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ الْحَضْنُ وَصَارَ الْبَيْضُ فِرَاحًا كَالْأَطْفَالِ فِي الْبَيْتِ يَحْتَاجُونَ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ صَارَ أَكْثَرُ سَاعَاتِ الرَّقِّ عَلَى الذَّكَرِ.

وَقَالَ: قَالَ مُثْنَى بْنُ زُهَيْرٍ - وَهُوَ إِمَامُ النَّاسِ فِي الْبَصْرَةِ بِالْحَمَامِ -: لَمْ أَرْ شَيْئًا قَطَّ فِي رَجُلٍ وَلَا امْرَأَةٍ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُ مِثْلَهُ فِي الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى مِنَ الْحَمَامِ. رَأَيْتُ حَمَامَةً لَا تُرِيدُ إِلَّا ذَكَرَهَا، كَالْمَرْأَةِ لَا تُرِيدُ إِلَّا زَوْجَهَا أَوْ سَيِّدَهَا. وَرَأَيْتُ حَمَامَةً لَا تَمْنَعُ شَيْئًا مِنَ الذَّكُورَةِ؛ وَرَأَيْتُ امْرَأَةً لَا تَمْنَعُ يَدَ لَامِسٍ. وَرَأَيْتُ حَمَامَةً لَا تَزِيْفُ إِلَّا بَعْدَ طِرَادٍ شَدِيدٍ وَشَدَّةِ طَلَبٍ، وَرَأَيْتَهَا تَزِيْفُ لِأَوَّلِ ذَكَرٍ يَرِيدُهَا، وَرَأَيْتُ مِنَ النِّسَاءِ كَذَلِكَ. وَرَأَيْتُ حَمَامَةً لَهَا زَوْجٌ وَهِيَ تُمْكِنُ ذَكَرًا آخَرَ لَا تَعْدُوهُ، وَرَأَيْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فِي النِّسَاءِ. وَرَأَيْتَهَا تَزِيْفُ لغيرِ ذَكَرِهَا وَذَكَرُهَا يَرَاهَا، وَرَأَيْتَهَا لَا تَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا وَذَكَرُهَا يَطِيرُ أَوْ يَحْضُنُ. وَرَأَيْتُ الْحَمَامَةَ تَقْمُطُ<sup>(٥)</sup> الْحَمَامَةَ، وَرَأَيْتُ الْحَمَامَ الذَّكَرَ يَقْمِطُ الذَّكَرَ. وَرَأَيْتُ أَنْثَى كَانَتْ لَا تَقْمِطُ إِلَّا الْإِنَاثَ، وَرَأَيْتُ أُخْرَى تَقْمِطُ الْإِنَاثَ فَقَطَّ وَلَا تَدْعُ أَنْثَى تَقْمِطُهَا، وَرَأَيْتُ ذَكَرًا يَقْمِطُهَا وَيَدْعُهَا حَتَّى تَقْمِطُهُ. وَرَأَيْتُ ذَكَرًا يَقْمِطُ الذَّكُورَ وَتَقْمِطُهُ؛ وَرَأَيْتُ ذَكَرًا يَقْمِطُ الذَّكُورَ وَلَا يَدْعُهَا تَقْمِطُهُ؛ وَرَأَيْتُ أَنْثَى تَزِيْفُ لِلذَّكُورِ وَلَا تَدْعُ شَيْئًا مِنْهَا يَقْمِطُهَا وَرَأَيْتُ هَذِهِ الْأَصْنَافَ كُلَّهَا فِي السَّحَاقَاتِ وَاللَّاطَةِ. قَالَ: وَأَمْتَنَعْتُ عَلَيَّ خَصْلَةَ فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتَهَا؛ لِأَنِّي رَأَيْتُ مِنَ النِّسَاءِ مَنْ تَزْنِي أَبَدًا وَتُسَاجِقُ أَبَدًا وَلَا تَتَزَوَّجُ؛ وَمِنْ الرِّجَالِ مَنْ يَلُوطُ أَبَدًا وَيَزْنِي أَبَدًا وَلَا يَتَزَوَّجُ، وَرَأَيْتُ حَمَامًا ذَكَرًا يَقْمِطُ مَا لَقِيَ وَلَا يُزَاوِجُ، وَرَأَيْتُ حَمَامَةً تُمْكِنُ كُلَّ حَمَامٍ أَرَادَهَا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَتَقْمِطُ الذَّكُورَةَ وَالْإِنَاثَ وَلَا تُزَاوِجُ، وَرَأَيْتَهَا تُزَاوِجُ وَلَا تَبْيِضُ، وَتَبْيِضُ فَيَفْسُدُ بَيْضُهَا، كَالْمَرْأَةِ. قَالَ: وَرَأَيْتُ ذَكَرًا لَهُ أَنْثَيَانِ

(١) يقال: زافت الحمامة، إذا مشت مدلة متبخرة بين يدي الحمام الذكر.

(٢) شكلت المرأة: إذا كانت ذات شكل، أي غنج ودلال وغزل.

(٣) عطا فلان الشيء: أخذه وتناوله.

(٤) أصاخ: استمع.

(٥) قمط الشيء: أي شد عليه وضيق حتى يلتصق بالجسم.

وقد باضتاً منه، وهو يحضن مع هذه ومع تلك ويَزُقُّ مع هذه ومع تلك، ورأيت أنثى تبيض بيضةً، ورأيت أنثى تبيض في أكثر حالاتها ثلاث بيضات. قال: ورأيت حمامةً تُزاوج هذا الحمام ثم تتحول منه إلى آخر، ورأيت ذكراً فعل مثل ذلك في الإناث، ورأيت الذكر كثير الشَّلَّ قويّاً على القَمَط.

قال الجاحظ: والحمام يبيض عشرة أشهر من السنة؛ فإذا صانوه وحفظوه وأقاموا له الكفاية وأحسنوا تعهده باض في جميع السنة. والفواخت والأطْرُغَلَاتُ<sup>(١)</sup> والحمام البرِّي تبيض مرتين في السنة. قال: ويتم خلق الحمام في أقل من عشرة أيام. والحمامة في أكثر أمرها يكون أحد فرخيها ذكراً والآخر أنثى؛ وهي تبيض أولاً البيضة التي فيها الذكر ثم تُقيم يوماً وليلة وتبيض الأخرى، وتحضن ما بين السبعة عشر يوماً إلى العشرين. والأُنثى أبر بالبيض، والذكر أبر بالفراخ. ولقد أظن أبو عثمان الجاحظ وأوغل وبسط القول في ذكر الحمام وأوصافه ومناقبه والمغالات في ثمنه والحرص على اقتنائه، حتى إنه قال: وللحمام من الفضيلة والفخر أن الحمام الواحد يباع بخمسائة دينار؛ ولم يبلغ ذلك باز ولا شاهين، ولا عُقَاب. قال: وأنت إذا أردت أن تتعرف مبلغ ثمن الحمام الذي جاء من الغاية ثم دخلت بغداد والبصرة، وجدت ذلك بلا معاناة، وهذا يدل على أن قوله فيه كان مشهوراً عندهم في وقته. ثم قال: والحمام إذا جاء من الغاية بيع الذكر من فراخه بعشرين ديناراً وأكثر، وبيعت الأنثى بعشرة دنانير وأكثر وبيعت البيضة بخمسة دنانير؛ فيقوم الزوج منها من العلة مقام ضيعة، حتى ينهض بمؤونة العيال، وبقضاء الدين، وتُبْنَى من غلاته وأثمان رقبه الدُّور والجِنَانُ وتُبتاع الحوانيت. ثم وصف حَجَرَ الحمام ومقاصيرها المبنية في ذلك الزمان وما يُعانيه أهلها من حديثها والاحتفال بها في المسابقة وغيرها. وأطال في ذلك. وقال: وللحمام من حُسن الاهتداء، وجودة الاستدلال، وثبات الحفظ والذكر، وقوة النزاع إلى أربابه، والإلف لِوَطَنه، أن يكون طائراً من بهائم الطير يجيء من مسافة كذا إلى مسافة كذا. قال: ولن ترى جماعة طير أكثر طيراناً إذا كثُر من الحمام؛ فإنهن كلما ألتففن وضاق موضعهن كان أشد لطيرانهن قال النابغة<sup>(٢)</sup>: [من البسيط]

وأحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت إلى حمامٍ شرّاعٍ وإرِدِ الثَّمَدِ<sup>(٣)</sup>

(١) الأطرغلات: هي الدباسي والقماري والصلاصل ذات الأطواق.

(٢) هو زياد بن معاوية ويكنى أبا أمامة ويقال: أبا ثمامة، وأهل الحجاز يفضلون النابغة وزهيراً. (الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٦١).

(٣) الشرّاع: مجتمعة. والثمد: الماء القليل الذي يكون في الشتاء ويجف في الصيف.

يَحْفُهُ جَانِبًا نَيْقٍ وَتُشْبِعُهُ      مَثَلُ الزُّجَاجَةِ لَمْ تُكْحَلْ مِنَ الرَّمْدِ<sup>(١)</sup>  
 قَالَتْ أَلَّا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا      إِلَى حَمَامَتِنَا وَنَصْفُهُ فَقَدْ  
 فَحَسَبُوهُ فَأَلْقَوْهُ كَمَا حَسَبَتْ      تَسْعًا وَتَسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ  
 فَأَكْمَلْتُ مَائَةً فِيهَا حَمَامَتُهَا      وَأَسْرَعَتْ حِسْبَةً فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ  
 قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَمْدَحَ الْحَاسِبَ وَسُرْعَةَ إِصَابَتِهِ شَدَّدَ الْأَمْرَ وَضَيِّقَهُ عَلَيْهِ  
 لِيَكُونَ أَحْمَدَ لَهُ: إِذَا أَصَابَ؛ فَجَعَلَهُ حَزَرَ طَيْرًا وَالطَيْرُ أَخَفُّ مِنْ غَيْرِهِ؛ ثُمَّ جَعَلَهُ حَمَامًا  
 وَالْحَمَامُ أَسْرَعُ الطَّيْرِ وَأَكْثَرَ أَجْتِهَادًا فِي السَّرْعَةِ إِذَا كَثُرَ عِدْدُهُنَّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَشْتَدُّ طَيْرَانُهُ  
 عِنْدَ الْمَسَابَقَةِ وَالْمَنَافَسَةِ. وَقَالَ: «يَحْفُهُ جَانِبًا نَيْقٍ وَتُشْبِعُهُ»، فَأَرَادَ أَنَّ الْحَمَامَ إِذَا كَانَ فِي  
 مَضِيقٍ مِنَ الْهَوَاءِ كَانَ أَسْرَعَ مِنْ أَنْ يَتَسَعَ عَلَيْهِ الْفَضَاءُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

### ذَكَرُ مَا قِيلَ فِي طَوْقِ الْحَمَامَةِ

يَقَالُ: إِنَّ نُوْحًا ﷺ لَمَّا كَانَ فِي السَّفِينَةِ بَعَثَ الْغَرَابَ لِيَكْشِفَ لَهُ هَلْ ظَهَرَ مِنَ  
 الْأَرْضِ مَوْضِعٌ، فَوَقَعَ عَلَى جَيْفَةٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ؛ فَبَعَثَ بِالْحَمَامَةِ، فَاسْتَجَعَلَتْ عَلَى  
 نُوْحٍ الطَّوْقَ الَّذِي فِي عُنُقِهَا فَجَعَلَ لَهَا ذَلِكَ جُغْلًا. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي  
 الصَّلْتِ: [مَنْ الْوَافِر]

وَأُرْسِلَتْ الْحَمَامَةُ بَعْدَ سَبْعٍ      تَدُلُّ عَلَى الْمَهَالِكِ لَا تَهَابُ  
 تَلَمَّسُ هَلْ تَرَى فِي الْأَرْضِ عَيْنًا      وَعَايِنَهُ مِنَ الْمَاءِ الْعَبَابِ<sup>(٢)</sup>  
 فَجَاءَتْ بَعْدَمَا رَكَضَتْ بِقَطْفٍ      عَلَيْهِ الثَّأْطُ وَالطَّيْنُ الْكُبَابِ<sup>(٣)</sup>  
 فَلَمَّا فَرَّسُوا الْآيَاتِ صَاغُوا      لَهَا طَوْقًا كَمَا عُقِدَ السُّخَابِ<sup>(٤)</sup>  
 إِذَا مَاتَ تُورِثُهُ بَنِيهَا      وَإِنْ تُقْتَلْ فَلَيْسَ لَهَا أَسْتِلَابُ  
 وَقَالَ أَيْضًا فِيهَا: [مَنْ الْخَفِيف]

سَمِعَ اللَّهَ لَابِنِ آدَمَ نُوْحٍ      رَبُّنَا ذُو الْجَلَالِ وَالْإِفْضَالِ  
 حِينَ أَوْقَى بَنِي الْحَمَامَةِ وَالنَّا      سٌ جَمِيعًا فِي فُلْكَهِ كَالْعِيَالِ  
 حَاسِبًا خَوْفَهُ عَلَيْهِ رَسُولًا      مِنْ خِيفَةِ الْحَمَامِ كَالْتُمَثَالِ

(١) يحفه: يحيط به - والنيق: الجبل.

(٢) الماء العباب: الكثير.

(٣) الكباب: الثرى والتراب والطين اللازب.

(٤) السخاب: قلادة تتخذ من قرنفل.



فَرَشَاهَا عَلَى الرَّسَالَةِ طَوْقًا  
فَاتَتْهُ بِالصُّدُقِ لَمَّا رَشَاهَا  
قوله: «فرشاهها» أي جعل لها جُعلًا.  
وقال فيها: [من الطويل]

وما كان أصحاب الحمامة خيفةً  
رسولاً لهم والله يُحكم أمره  
فجاءت بِقَطْفِ آيَةٍ مُسْتَبِينَةٍ  
على خَطْمِهَا وَأَسْتَوْهَبَتْ ثَمَّ طَوْقَهَا  
ولا ذَهَباً إِنِّي أَخَافُ زِينَةَ  
وَزِدْنِي عَلَى طَوْقِي مِنَ الْحَلِيِّ زِينَةً  
وزدني لطرق الطين منك بنعمة  
يكون لأولادي جمالاً وزينةً  
غداةً غَدَتِ مِنْهُمْ تَضُمُّ الْخَوَافِيَا  
يُبَيِّنُ لَهُمْ هَلْ بَرَسَ الثُّرْبُ بِأَدْيَا  
فَأَصْبَحَ مِنْهَا مَوْضِعُ الطَّيْنِ جَادِيَا<sup>(١)</sup>  
وقالت ألا لا تجعل الطوق حالياً  
يخالونه مالي وليس بماليا  
تُصِيبُ إِذَا أَتَبَعْتَ طَوْقِي خِضَابِيَا<sup>(٢)</sup>  
وَوَزَّتْ إِذَا مَا مِثُّ طَوْقِي حَمَامِيَا  
وعنوان زَيْنِي زِينَةً مِنْ ثُرَابِيَا

### ذَكَرُ شَيْءٍ مِمَّا وَصِفَ بِهِ هَذَا النَّوعُ نَظْمًا وَنَثْرًا

قال عبد الواحد بن فتوح الأندلسي يصف حماماً بسرعة الطيران والسُّبْقِ: [من الكامل]

يَجْتَابُ أَوْدِيَةَ السَّحَابِ بِخَافِقِ  
لو سَابَقَ الرِّيحَ الْجَنُوبَ لَغَايَةِ  
كَالْبَرْقِ أَوْ مَضَّ فِي السَّحَابِ فَأَبْرَقَا  
يَسْتَقْرِئُ الْأَرْضَ الْبَسِيطَةَ مَذْهَبًا  
وَالْأَفْقَ ذَا السُّقْفِ الرِّفِيعَةِ مُرْتَقَى  
وَيَظَلُّ يَسْتَرْقِي السَّمَاءَ بِخَافِقِ  
يَبْدُو فَيُغْجِبُ مَنْ رَأَاهُ لِحُسْنِهِ  
مُتَرْقِقًا مِنْ حَيْثُ دُرَتْ كَأَنَّمَا  
لَيْسَ الزَّجَاجَةُ أَوْ تَجَلْبَبَ زُبْقَا  
وقال أبو هلال العسكري في حمام أبلق: [من الطويل]

(١) العثكال: العذق.

(٢) الجادي: الزعفران.

(٣) الخضاب: ما يخضب به من حناء ونحوه.

وَمُتَّفَقَاتِ الشَّكْلِ مُخْتَلِفَاتِهِ      لَيْسَنَ ظَلَاماً بِالصَّبَاحِ مُرْقِعاً  
أَخَذَنَ مِنَ الْكَافُورِ أَنْفَاً وَمَنْسِيراً      وَخَضْبِنَ بِالْحِجَاءِ كَفْأً وَإِصْبِعاً<sup>(١)</sup>  
وَتَرْنُو بِأَبْصَارٍ إِذَا مَا أَدْرَنَهَا      جَلَوْنَ عَقِيقاً لِلْعَيُونِ مُرْصِعاً  
تَطِيرُ بِأَمْثَالِ الْجَلَامِ كَأَنَّهَا      جَنَادِلُ تَذَحُوهَا ثَلَاثاً وَأَرْبِعاً<sup>(٢)</sup>  
تَبُوعُ بِهَا فِي الْجَوْ مِنْ غَيْرِ فَثْرَةٍ      كَانَ مَجَادِيفاً تَبُوعُ بِهَا مَعاً<sup>(٣)</sup>  
إِذَا هِيَ عَبَّتْ فِي الْغَدِيرِ حَسِبَتْهَا      تَزُقُّ فِرَاحَا فِي الْمَغَاوِرِ جُوعاً

وقال القاضي الفاضل عبد الرحيم البيهقي من رسالة يصف طائراً جاء من غاية: «وكان هذا الطائر أحد الرسل المُسَيَّرَةِ بل المُبَشِّرَةِ، والجنود المجردة بل المسخرة؛ فإنها لا تزال أجنحتها تحمل من البطائق أجنحة، وتُجَهِّز من جيوش المقاصد والأقلام أسلحة؛ وتحمل من الأخبار ما تحمل الضمائر، وتطوي الأرض إذا نُشِرَت الجناح الطائر؛ وتزوي لها حتى ترى ما سيبُلَّغُه مُلْك هذه الأمة، وتقرُب بها السماء حتى ترى ما لا يبلَّغُه وَهْم ولا هِمَّة؛ وتكون مراكب للأغراض لما كانت الأجنحة قُلُوعاً، وتركب الجوّ بحراً يصفق فيه هبوب الرياح موجاً مرفوعاً؛ وتعلّق الحاجات على أعجازها، فلا تُعرَف الإرادات غير إنجازها، ومن بلاغات البطائق استعارت ما هي به مشهورة من السَّجْع، ومن رياض كتبها أَلِفَتِ الرِّيَاضَ فهي إليها دائمة الرُّجْع. وقد سكنت البروج فهي أنجم، وأعدت في كنائنها فهي للحاجات أسهم. وقد كادت تكون ملائكة فإذا نبطت بالرفاع، صارت أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع. وقد باعد الله بين أسفارها وقرَّبها، وجعلها طيْفَ اليَقَظَةِ الذي صدق العين وما كذبها. وقد أخذت عهد الأمانة فهي في أعناقها أطوافاً، فأذنتها من أذنانها أوراقاً؛ فصارت خَوَافِي وراء الخَوَافِي، وغَطَّت سِرَّهَا المودع بكتمانٍ سحبت عليه ذيول ريشها الضوافي<sup>(٤)</sup>؛ تُرغم التَّوَى بتقريب العهود وتكاد العيون تلاحظها تلاحظ أنجم السعود؛ فهي أنبياء الطير لكثرة ما تأتي به من الأنباء، وخطبائها لأنها تقوم على منابر الأغصان مقام الخطباء». والله أعلم بالصواب.

وَأَمَّا الْبَيْغَاءُ وَمَا قِيلَ فِيهَا - وَالْبَيْغَاءُ طَائِرٌ هِنْدِيٌّ، وَحَبَشِيٌّ، حَسَنُ الْخَلْقِ، دَمِيثُ الْخُلُقِ، ثاقب الفهم، له قوَّةٌ على حكاية الأصوات بالتلقين والتعليم؛ تتخذهُ المملوكُ

(١) المنسر: متقار الطائر.

(٢) الجلام: ما جز من شعر وصف.

(٣) تبوع بها: أي تبسطها في الجو.

(٤) الضوافي: السابعة الكثيرة.

وأكابرُ الناس في منازلهم. وفي لونه الأخضرُ والأغبرُ والأسودُ والأحمرُ والأصفرُ والأبيضُ. وهذه الألوان كلها قليلة نادرة الوجود إلا الأخضر والأغبر. وقد شاهدتُ أنا بالقاهرة المُعْرِزِيَّة دُرَّة<sup>(١)</sup> بيضاء. وحكي أنه أُهدي إلى معز الدولة بن بُويه ببغداد هدية من اليمن كان فيها بَبْغَاء بيضاء، سوداء المنقار والرجلين، وعلى رأسها ذُوَابَةٌ فَسْتَقِيَّة. وهذا الطائر يتناول الطُعْمَ برجله. وله منقار مُعَقَّف قصير يكسر به ما صَلْب وَيَنْقُب به ما تَعَسَّر نَقَبه. وهو في مأكله ومشربه كالإنسان التَّرفِ الظريف. والناس يحتالون على تلقينه بأن ينصبوا تجاهه مرآة يرى خَيَاله فيها ويتكلم الإنسان من ورائها، فيتوهم الطائر أن خياله في المرأة هو المتكلم فيأخذ نفسه بحكاية ما يسمعه من ذلك الصوت.

وقال المولى تاج الدين عبد الباقي اليماني<sup>(٢)</sup> رحمه الله فيها مُلغِزاً: [من الرجز]

يا سيِّداً أبدعَ في المقالِ	ويا رئيساً فاق في المعالي
ما حيوانٌ مشبهُ الإنسانِ	مُرْتَلُ الآياتِ في القرآنِ
ذو مَبْسِمٍ صيغَ من النُّضارِ	ومُقْلَةٍ قد رُكِبَتْ من قارِ
ومِخْلَبٍ يُكْسِرُ الصَّلِيبَا	ومنطِقٍ يُفَاخِرُ الخطيبَا
ذو حُلَّةٍ بَنَدِيَّةٍ البرودِ	منسوجةٍ من أخضر البنودِ
كروضةٍ قد أينعتُ أزهارُها	وأدهشتنا بِالْغِنَا أطيارُها
قد جُمِعت في ذاته ألوانُ	كأنه في خَلْقِه بُسْتَانُ
فدأته من ناصع الزَّبْرِجِدِ	ونُورِه مُرْكَبٌ من عَسَجِدِ
وتارة يُبَصِّرُ من أقاحي	خَلَقَتَه في سائر النواحي
وعُزْفُه من خالص المِدادِ	وتُطْقُهُ مُسْتَحْكِم الإيرادِ
يأكل بالكفِّ خلافاً الطيرِ	ويَغْتَدِي وهو قديرُ السَّيرِ
إن لَقَطَ الحَبَّ لدى تفريقه	رأيتُ دُرّاً جال في عَقِيقِه
يحفظ بيتَ المرء في المغيبِ	ويغتدي كالحارس المرهوبِ
سميَّه في أسفل البحارِ	مُسْتودعٌ في آخر التَّيَّارِ

(١) الدُرَّة: الببغاء.

(٢) هو عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله اليمني المخزومي، المكي، الشافعي (تاج الدين أبو المحاسن) أديب، ناثر، ناظم، لغوي، مؤرخ، كانت وفاته بمكة سنة ٧٤٤ هجرية. (معجم المؤلفين ٥ : ٧٣).

إليه يُعزَى الشاعرُ المَجِيدُ      والكاتبُ النُّحْرِيرُ والمُجِيدُ  
فاكشف مُعَمَّى ما لغزتُ يا إمام      وأسلم على مرِّ الدهور في الدَّوام

## البَابُ الخَامِسُ مِنَ الْقِسْمِ الخَامِسِ مِنَ الْفَنِّ الثَّالِثِ فِي الطَّيْرِ اللَّيْلِيِّ

ويشتمل هذا الباب على ذكر ما قيل في الخُفَّاش، والكُرَّوان، والبُوم، والصَّدَى.  
فأما الخُفَّاش وما قيل فيه - فالخُفَّاش ليس من الطير في شيء، فإنه ذو أذنين  
ظاهرتين وأسنان وخُطْم وخُصَّيتين بارزتين، ويبول كما تبول ذوات الأُزْبُع، ويحيض،  
ويُلد، ويُرْضِع، ولا ريش له. قال بعض المفسرين لكتاب الله عزَّ وجلَّ: إِنَّ الخُفَّاش  
هو الطائر الذي خلقه عيسى ابن مريم عليه السلام بإذن الله تعالى؛ ولذلك هو مبين  
لصنعة الخالق؛ ولهذا سائرُ الطير تَقهره وتُبغضه؛ فما كان منها يأكل اللحم أكله، وما  
لا يأكل اللحم قتله؛ فلذلك لا يطير إلا ليلاً. وطعامه البعوض والفَرَّاش يصيدهما وقتَ  
طيرانه، ولا يبلغ ذلك إلا بما فيه من سرعة الاختطاف وشدة الطيران ولين الأعطاف.  
وهو مع ذلك ليس بذي ريش، وإنما هو لحم مُعَشَّى بجِلْد صُلْب كَأَنَّهُ جِلْد ضَفْدَع،  
وهو يطير بغير ريش؛ وهذا من العَجَب. وهو لا يطير في ضوء ولا ظلمة، وسببُ  
ذلك أنه ضعيف حاسة البصر، قليلُ شُعاع العين؛ فالشمس تُضعِف بصره عن التحديق  
في شعاعها، والظلمة تغمرُ ضياءَ بصره؛ فهو يجعل طيرانه لطلبِ قُوته، وقتَ غروب  
الشمس وظهور الشفق. وذلك وقتَ هَيْج البعوض وانتشاره. ومنازله تكون في الجبال  
وصُدُوع الصخور وبسيطِ القِيَافِ وجزائرِ البحر والأماكنِ الخَرِبة المهجورة. وهو يطلب  
قُرب الناس؛ فإذا كان في بيوتهم قصد أرفعَ مكانٍ وأخصنه فيكون فيه. ويُذكر بطول  
العمر، ويكبر حتى يكون في قدر الجِدَّة وأكبر. وهو يلد ما بين الثلاثة إلى التسعة.  
ويَسْفِد غالباً وهو طائر في الهواء. وهو يحمل ولده تحت جناحه، وربما قبض عليه  
بِفِيهِ لإشفاقه عليه. وربما أرضعت الأنثى ولدها وهي طائفة. أخبرني مَنْ شاهد ذلك  
ممن يُعتمد على نقله، وهو متى أصابه شجر الدُّلْب<sup>(١)</sup> خَلِرَ.

قال الجاحظ: والخُفَّاش يأتي الرُّمانة وهي على شجرتها فينقب عنها ويأكل جميع  
ما فيها حتى لا يدعَ إلا القشرَ وخُده. قال: ولحوم الخفافيش موافقةٌ للشواهين

(١) الدلب: جنس شجر للتزين، من الفصيلة الدلبية، وهو من الزهريات، يحب الماء.

والصُّقور والبَوَازِي ولكثير من جوارح الطير، وهي تَسْمَن عنها وتَصِحَّ أبدانها عليها، ولها في ذلك عملٌ محمود ناجع عظيم النفع بين الأثر.

وقال بعض الشعراء في الحُقَاش مُلَغِزاً: [من الرجز]

وطائرٍ جَنَاحُهُ في رِجْلِهِ      أبعد شيءٍ قَصُّهُ من وُصْلِهِ<sup>(١)</sup>  
لم يُوصَفِ اللُّهُ بخلقٍ مثله      وهو على تَأْلُفٍ في شكلِهِ  
\* لو بَيْعَ في سُوقٍ له لم أَغْلِهِ \*

وقال آخر:

أبى علماء الناس أن يُخبروني      وقد ذهبوا في العلم في كلِّ مذهبٍ  
بجلدةِ إنسانٍ وصورةِ طائرٍ      وأظفارٍ يَزْبُوعٍ وأنيابٍ تُغْلِبُ  
وأما الكُرَّوانُ وما قِيلَ فيه - والكروان طائرٌ من طبعه وعادته الطيرانُ في الليل،  
والإذلاجُ والصِّيَاحُ بالأسحار، والإشرافُ على مواضع العساكر، ويوصفُ بالحُمق؛  
ومن حمقه أنه يقال له: أَطْرَقَ كَرًّا، فَيَلْصَقُ بالأرض حتى يُزْمَى. وتقول العرب:  
«أَطْرَقَ كَرًّا أَطْرَقَ إِنَّ الثُّغَامَةَ فِي الْقَرَى»<sup>(٢)</sup>.

وأما البُومُ وما قِيلَ فيه - ويقال: إنه الصَّدَى، ويقال: بل الصَّدَى ذَكَرُ البوم،  
وللبوم ذكر له منه. ويقال: إنه خمسة أصناف: منه ما يصيد الأرنب. ومنه صِنْفٌ له  
لونان يأوي الأكامَ والبرِّيَّة. ومنه المدبَّجُ بالصُّفْرة، وله حواجِبُ وقروُنٌ من ريش،  
ويسكن الجُدرانَ. ومنه الهَامُ ويسمى «الغبشية»، ومنه «القن» وهو يصيح كالهام لكنَّ  
صوته أدق. وكل هذه الأصناف تحب الخُلُوةَ بنفسها. وهي تُبْغِضُ الغربانَ، وسائرُ  
أصناف الطير تُبْغِضُها، فإنَّ الطيور إذا رأيتها يَطْرُنَ حولها وَيَنْتَفِنَ ريشها، فلذلك صيادو  
الطيور يجعلونها في مصايدهم؛ لأن الطيور إذا رأوها أَجْتَمَعُوا عليها، فَتُصَادُ عند ذلك.

وأما الصَّدَى وما قيل فيه - العرب تزعم أن الإنسان إذا مات أو قُتِلَ تتصوَّرُ نفسه  
في صورة طائرٍ تصرخُ على قبره مستوحشةً لجسدها. وفي ذلك يقول تَوْبَةُ<sup>(٣)</sup>:

ولو أَنَّ لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةَ سَلَّمَتْ      عَلَيَّ ودُونِي جَنْدَلٌ وصفائِحُ  
سَلَّمْتُ تسليماً البَشَاشَةِ أو زَقَا      إِلَيْهَا صَدَى من جانب القبر صائِحُ  
ويحكون على ذلك حكاية. وتقول العرب: إن هذا الطائر يكون صغيراً ثم يكبر

(١) الوصل (يكسر أوله): كل عظم على حدة لا يكسر ولا يوصل به غيره.

(٢) هذا المثل يضرب للرجل الحقير إذا تكلم الذي لا يشبهه وأمثاله الكلام فيه.

(٣) هو توبة بن الحمير.

حتى يصيرَ في قَدْرِ البُوم، ويسْمُونَه الهَامَ، واحِدهُ هَامَةٌ، وهو يتَوَحَّش ويصيح ويوجد في الدِّيارِ المعطَّلة والنَّوَارِيس<sup>(١)</sup> وحيثُ مَصَارِعُ القَتْلَى وأحداثُ الأموات. ويقولون: إنه لا يزال عند وَلَدِ المِيتِ ومُخَلَّفِيهِ ليعلم ما يكون بعده فيخبره. وهذا كُلُّه أراه من خُرافات العربِ وأكاذيبِها. وما زالوا على ذلك حتى جاء الإسلام فنهى رسولُ الله ﷺ عنه فقال: «لا عَذْوَى ولا طَيْرَةَ ولا هَامَةً»، الحديث. والله أعلم.

## البَابُ السَّادِسُ مِنَ الْقِسْمِ الْخَامِسِ مِنَ الْقَنْ الثَّالِثِ فِي الْهَمَجِ

وقد قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فيه: إنه ليس من الطير، ولكنه مما يطير كالحشرات مما يمشي. والذي أطلق عليه أَسْمُ الْهَمَجِ هو مما يَشْتَمِلُ عليه هذا الباب، وهو النحل، والزنبور، والعنكبوت، والجَرَادُ، ودودُ القَرَزِ، والدُّبَابِ، والبَعُوضِ، والبراغيثُ، والحُرْفُوفُ.

فَأَمَّا النحلُ وَمَا قِيلَ فِيهِ - قال الله عز وجل: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ اللَّبَالِ يَوْمًا مِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النحل: ٦٨ - ٦٩]. وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أن رجلاً أتى النَّبِيَّ ﷺ فقال: إن أخي يشتكي بطنه يا رسول الله؟ فقال النَّبِيُّ ﷺ: «اسْقِهِ عَسَلًا»، ثم أتاه فقال: قد فعلت؟ فقال: «اسْقِهِ عَسَلًا». ثم أتاه فقال: قد فعلت؟ فقال: «اسْقِهِ عَسَلًا»، ثم أتاه في الرابعة؛ فقال: «صَدَقَ اللَّهُ وكَذَبَ بطنُ أخيك اسْقِهِ عَسَلًا»؛ فسقاه فَبَرِئَ الرجل.

وقال أرسطو: النحل تسعة أصناف: ستة منها يأوي بعضها إلى بعض، وذكر أسماءهما باليونانية. وغذاء النحل من الفضول الحُلُوة والرُّطوبات، والنحل لا تقعد على أزهارٍ مختلفة بل على زهر واحد؛ وإن قعدت على زهرٍ آخر فإنما تقعد عليه بعد أن تنصرف إلى الخلية، وبيوتها من أعجب المباني؛ لأنها مبنية على الشكل الذي لا يُنتَهَك ولا يُنْخَرَق، كأنه حُرَّرَ بِالْقِيَّاسِ هندسيًا. وإذا هلك شيء من النحل في باطن الخلايا أخرجته الأحياء إلى خارجها. وهو يعمل في فصل الربيع والخريف. والرَّبِيعِيّ

(١) النواويس: مفردة ناووس، وهو صندوق من خشب أو نحوه يضع النصارى فيه جثة الميت، أو هو مقبرة النصارى.

أجود من الحَرَيْفِي. والصغير منه أَعْمَلُ من الكبير. وهو يشرب من الماء النقي العذب الصافي، ويطلبه حيث كان. وهو يَسْلُخُ جلده كالحيات. وتوافقه الأصوات المطربة. ويجتمع للتصفيق بالأيدي والرقص. والسوس يضره. ودواؤه أن يطرح في كل خلية كَفٌّ من الملح، وأن تُفْتَحَ في كل شهر مرةً وتُدَخَّنَ بأخثاء البقر.

وقد وصف الشعراء الشَّهْد والعسل في أشعارها؛ فمن ذلك قول إبراهيم بن خَفَاجَة الأندلسي يصف شُهْدَةً بعث بها إليه بعضُ أصدقائه: [من المجتث]

لِلَّهِ رَيْقَةٌ نَحْلٍ رَعَى الرَّيْىَ وَالشُّعَابَا  
وَجَابَ أَرْضاً فَأَرْضَا يَغْشَى مَصَابَا مَصَابَا<sup>(١)</sup>  
حَتَّى أَرْتَوَى مِنْ شِفَاءٍ يُمَجِّجُ مِنْهُ رُضَابَا  
إِنْ شِئْتَ كَانَ طَعَاماً أَوْ شِئْتَ كَانَ شَرَابَا

وكتب مع هذه الأبيات رسالة، جاء منها: «وكفى التحلة فضيلة ذات، وجلالة صفات؛ أنها أَوْحِي إليها، وأُثْنِي في الكتاب عليها؛ تعلم مساقط الأنداء، وراء البيداء<sup>(٢)</sup>؛ فتقع هناك على ثَوَارَةٍ عَيْقَه، وبَهَارَةٍ أَنْقَه<sup>(٣)</sup>؛ ثُمَّ تصدر عنها بما تطبعه شمعه، وتبدعه صنعة وترتشف منها ما تحفظه رُضَابَا<sup>(٤)</sup>، وتلفظه شَرَابَا؛ وتتجافى بعدُ منه عن أكرم مُجْتَنِي، وأحكم مُبْتَنِي».

وأما الزُّنْبُور وما قيل فيه - والزنبور يُسَمَّى «الدُّبْر» - وهو جَبَلِيٌّ وسُهْلِيٌّ. فالجَبَلِيُّ يأوي الجبال والأماكن الخشنة، وقد يُعْشَشُ على الشجر، ولونه إلى السواد. والسُهْلِيُّ أحمر اللون ويتخذ عُشَّهُ تحت الأرض ويخرج التراب منه كما يفعل النمل، وهو يختفي في الشتاء فلا يظهر، وأكثره يهلك. ومن السُهْلِيِّ صنف مختلف الألوان مستطيل؛ وفي طبعه الشَّرَه يطلب المطابخ ويأكل اللحم، ويطيّر مفرداً ويسكن بطن الأرض.

وصنف الزنبور جميعه مقسومٌ في وسطه؛ وهو لذلك لا يتنفس من جوفه ألبته. ومتى غَمَسَ في الدهن سكنت حركاته وذلك لضيق منافذه.

وقد وصفه الشعراء، فمن ذلك قول السَّلامِي<sup>(٥)</sup>: [من الطويل]

(١) المصاب: موقع الغيث.

(٢) البيداء: الفلاة.

(٣) البهار: نبت طيب الريح جعد له فقاخة صفراء ينبت وقت الربيع.

(٤) الرضاب: رغو العسل.

(٥) قد يكون عبد الله بن موسى بن الحسن بن إبراهيم السَّلامِي (أبو الحسن)، محدث، أديب، شاعر،

مؤرخ.

ولايس لون واحد وهو طائر  
أغر تردي طيلسانا مدبجاً  
إذا حك أعلى رأسه فكأنما  
يخاف إذا ولي ويؤمن مقبلاً  
بدا فارسي الزي يغقد خضره  
فمغجره الوردئي أحمر ناصع  
يرجع ألحان الغريض ومغيد

وقال السري الرفاء يصفه: [من المنسرح]

ومخطف الخضر برده حبر  
مجنح طار في مجنحة  
كأنها والرياح تنثرها  
لها حمات كأنها شعر  
قد أذهبت في الجبين غرته  
سلاحه الدهر في مؤخره  
كأن شطر الذي يجرده

وأما العنكبوت وما قيل فيه - قد ضرب الله عز وجل المثل في الوهن<sup>(٥)</sup>  
بالعنكبوت؛ فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أُولِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ  
أَتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:  
٤١]. والعنكبوت أصناف: منها صنف يسمى «الرئيلا» من ذوات السموم القاتل، وهو  
عنكبوت صغير. ومنه صنف طويل الأرجل. ومنه يسمى «اللبيث» يصيد الذباب، وله  
ست عيون وثمانية أرجل. وقال الجاحظ: ولد العنكبوت يقوى على الشنج ساعة  
يولد، وذلك من غير تلقين ولا تعليم. وأول ما يولد دوداً صغيراً، ثم يتغير ويصير

(١) الجوامع: جمع الجامعة، وهي الغل لأنها تجمع اليدين إلى العنق.

(٢) الوشائع: جمع وشيعة، وهي الطريقة في البرد.

(٣) العجر: ثوب تلقه المرأة على استدارة رأسها.

(٤) مخطف الخصر: ضامره.

(٥) الوهن: الضعيف.



عنكبوتاً. وهو يطاولُ في السَّفَادِ. ومنه ما هو كبيرٌ ونسجه رديءٌ، ومنه ما هو دقيق. وهو في نسجه يَمُدُّ السَّدَى<sup>(١)</sup> ثم يعملُ اللَّحْمَةَ<sup>(٢)</sup>، وابتداءً من الوسط؛ وَيُهَيِّئُ موضعاً لِمَا يصيده يكون له كالخزانة. والأنثى منه هي التي تَنسِجُ، والذكر يَحُلُّ وَيَنْقُضُ. والتي تَنسِجُه لا تُخْرِجُه من جوفها بل من خارج جسدها، وفَمُ العنكبوت مشقوقٌ بالطول. وهو إذا صاد الذُّبَابَ يَثْبُ عليه وَتَوَبَّ الْفَهْدُ.

وقال الشيخ الرئيس أو علي بن سينا: إِنْ نَسَجَ العنكبوت يَفْطَعُ نَزْفَ الدَّمِ إِذَا جُعِلَ على الجِرَاحَةِ، وإذا وُضِعَ نَسْجُه على القروح مَنَعَهَا أَنْ تَرْمَ وعلى الجراحات. وإذا طَبِخَ العنكبوتُ الذي هو غليظ النُّسْجِ أبيضُه بذهن الورد وقَطُرَ في الأذن سَكَنَ وجعُها. قال: وقال بعضهم: إِنْ نَسَجَ العنكبوت إِذَا خُلِطَ ببعض المراهم وُضِعَ على الجَبْهَةِ والصُّدْغَيْنِ أبرأ حُمَى الغَبِ<sup>(٣)</sup>. قال: وزعم بعضهم أَنَّ نسج الصَّنْف الذي يكون نسجه كثيفاً أبيض إِذَا شُدَّ في خيط وعُلِقَ على العنق والعَضْد أبرأ حُمَى الغَبِ.

وقال ابن الرومي يَصِفُ فهد العنكبوت: [من منهوك المنسرح]

أَفَادَنِي زَمَانِي	أَغْجَبَ مُسْتَفَادٍ
فِي الْأَسْمِ وَالْعِيَانِ	مِنَ الْفَهْدِ فَهْدٌ
وَذَاكَ ذُو ثَمَمَانٍ	تِلْكَ ذَوَاتُ أَرْبَعٍ
مَخَالِبُ النُّغْرَانِ <sup>(٤)</sup>	كَأَنَّمَا أَزْجُلُهُ
وَالسِّدْرُ دَرْعُ جَانٍ	سَيْفَاهُ سَيْفَا بَطَلٍ
وَالْإِنْسَ فِي مَكَانٍ	مُسْتَأْنَسٌ مَا إِنْ بَنَى
مَصِيدُ فِي أَمَانٍ	وَصَائِدٌ وَهُوَ مِنَ الْـ
طَائِرُ مِثْلِ الْعَانِي	دُبَابُهُ فِي كَفِّهِ الْـ
بَطَائِرُ الْخِوَانِ	وَلَيْسَ يَبْغِي بَدَلًا
بَيْنَهُمَا عَقْدَانِ	إِذَا دَنَّا فَلَمْ يَكُنْ
تَعَانِقُ الْأَجْفَانِ	عَانَقَهُ أَسْرَعُ مِنْ

(١) السَّدَى: خلاف اللحمية، وهو ما يمد طولاً في النسج.

(٢) اللحمية: الخيوط.

(٣) حمى الغب: التي تنوب يوماً بعد يوم.

(٤) النغران: جمع نغر، وهي أفراس العصافير.

بَخْفَةَ الوَثُوبِ بِلْ بِجُرْزَةِ الْجَنَانِ

فَهُوَ عَزِيزٌ عَزَّةً فِي غَايَةِ الْهَوَانِ

وقال خَلْفَ الأحمر في الرُّتِيْلَاءِ: [من الرجز]

إِيعَثْ لَهُ يَا رَبُّ ذَاتَ أَرْجُلٍ فِي فَمِهَا أُخْجِنُ مِثْلَ الْمِنْجَلِ<sup>(١)</sup>

دَهْمَاءَ مِثْلَ الْعَنْكَبُوتِ الْمُخْوِلِ تَأْخُذُهُ مِنْ تَحْتِهِ وَمِنْ عَلِ

وأما الْجَرَادُ وَمَا قِيلَ فِيهِ - فالجراد أحد جُنْدِ الله الذي عَذَّبَ اللَّهُ بِهِ قَوْمَ فِرْعَوْنَ؛ قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ﴾ [الأعراف: ١٣٣]. والعرب تقول: سَرَأَتِ الْجَرَادَةُ إِذَا بَاضَتْ. فإذا خرج من بيضه فهو «دَبِّي»، ويخرج دوداً أصهب إلى البياض. فإذا تَلَوَّنَتْ فِيهِ خُطُوطٌ صُفْرٌ وَسُودٌ وَبَيْضٌ فهو «المُسِيخُ»، فإذا ضَمَّ جَنَاحِيهِ فِذَاكَ «الْكُتْفَانُ»؛ لأنه حينئذٍ يَكْتِفُ في المشي. فإذا ظهرت أجنحته وصار أحمر الغُبْرَةُ فهو «الْعَوْغَاءُ»، والواحدة عَوْغَاءَةٌ؛ وذلك حين يستقل فيمرج بعضه في بعض ولا يتوجّه إلى جهة. فإذا بدت في لونه الحمرَةُ والصفرةُ وأختلف في ألوانه فهو «الْخَيْفَانُ». وإذا أَصْفَرَتِ الذكور واسودَّت الإناث سُمِّيَ حينئذٍ «جَرَاداً».

وهو إذا أراد أن يبيض التمس لبيضه المواضع الصُّلْدَةَ<sup>(٢)</sup> والصخور الصُّلْبَةَ التي لا تعمل فيها المعاول فيضربها بذنبه فتتفرج له، ثم يلقي بيضه في ذلك الصَّدْعِ فيكون له كالأفْحُوصِ ويكون حاضناً له ومريباً.

والجرادة لها سِتُّ أَرْجُلٍ: يَدَانِ فِي صَدْرِهَا، وَقَائِمَتَانِ فِي وَسْطِهَا، وَرِجْلَانِ فِي مَوْخَرِ جَسَدِهَا، وَطَرَفَا رِجْلَيْهَا مَنَشَارَانِ. والجرادُ من الحيوان الذي ينقاد إلى رئيس يجتمع إليه كالعسكر، إن ظَنَّنَ أَوَّلُهُ تَتَابِعَ كُلِّهِ ظَاعِناً؛ وَإِذَا نَزَلَ أَوَّلُهُ نَزَلَ جَمِيعُهُ. وَلُعَابُهُ سَمٌّ عَلَى الْأَشْجَارِ، لَا يَقَعُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا أَهْلَكَهُ. والجرادة فيها شَبَّةٌ مِنْ عَشْرَةٍ مِنْ جَبَابِرَةِ الْحَيَوَانِ، وَهِيَ: وَجْهٌ فَرَسٌ، وَعَيْنَا فِيلٍ، وَعُنُقُ ثَوْرٍ، وَقَرْنَا إِبِلٍ، وَصَدْرُ أَسَدٍ وَبَطْنُ عَقْرَبٍ، وَجَنَاحَا نَسْرٍ، وَفَخْذَا جَمَلٍ، وَرِجْلَا نَعَامَةٍ، وَذَنْبُ حَيَّةٍ. قال شاعر:

[من الطويل]

لَهَا فَخْذَا بَكَرٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَقَادِمَتَا نَسْرٍ وَجُؤْجُؤُ ضَيْغَمٍ<sup>(٣)</sup>

حَبَبُهَا أَفَاعِي الرَّمْلِ بَطْنًا وَأَنْعَمَتْ عَلَيْهَا جِيَادُ الْخَيْلِ بِالرَّأْسِ وَالْقَمِ

(١) الأحجن: المعوج ويعني به السِّن.

(٢) الصلدة: الصلبة الملساء الشديدة.

(٣) الضيغم: الأسد الواسع الشدق.

وقال أبو علي بن سينا: أجودُ الجراد السمينُ الذي لا جناح له؛ وأرجلُ الجراد ثقَلَعُ الثاليل فيما يقال. قال: يؤخذ من مُسْتَدِيرَاتِهَا اثنتا عشرة وتُنزَع رؤوسُها وأطرافُها ويُجعل معها قليلُ آسٍ يابسٍ وتُشرب للاستسقاء كما هي. قال: والجراد نافع لتقطير البول؛ وإذا تُبَخِّر به نفع عسرُه وخصوصاً في النساء. ويُتَبَخَّر به من البواسير. والذي لا أجنحة له يُشَوَى ويؤكل للنع العقر.

وقال بعضُ الأعراب وذكر فساده: «بَاكَرْنَا وَسَمِيَّ<sup>(١)</sup>»، ثم خَلَفَهُ وَلِيَّ<sup>(٢)</sup>؛ حتى كأنَّ الأرضَ وشيَّ منشور، عليه لؤلؤ منشور؛ ثم أتتْنا غيومُ جراد، بِمَنَاجِلٍ حداد، فأخْرَبَتِ البلادَ وأهلكَتِ العباد. فسبحان من يُهْلِكُ القويَّ الأَكول، بالضعيف المأكول».

وقال العسكري يصف جرادة: [من مجزوء الرجز]

أَجْنَحَةٌ كَأَتْهَا	أَرْدِيَّةٌ مِنْ قَصَبٍ
لَكْنَهَا مِنْقُوطَةٌ	مِثْلُ صَدُورِ الْكُثْبِ
بِأَرْجَلٍ كَأَتْهَا	مِنَاشِيرٌ مِنْ ذَهَبٍ

وقال أيضاً: [من الوافر]

وَأَعْرَابِيَّةٌ تَزْتَادُ زَادًا	فَتَمْرُقُ مِنْ بِلَادٍ فِي بِلَادٍ
عَدَتْ تَمْشِي بِمِنْشَارٍ كَلِيلٍ	تَبُوعٌ بِهِ قَرَارَةٌ كُلِّ وَادٍ <sup>(٣)</sup>
وَتَنْشُرُ فِي الْهَوَاءِ رِدَاءَ شَرْيٍ	عَلَى أَطْرَافِهِ نُقْطُ الْمِدَادِ <sup>(٤)</sup>

وقال يعلَى بن إبراهيم الأندلسي:

وَحِيفَانَةٌ صَفْرَاءُ مَسْوَدَةُ الْقَرَا	أَتَتْكَ بِلَوْنٍ أَسْوَدٍ فَوْقَ أَصْفَرٍ <sup>(٥)</sup>
وَأَجْنَحَةٌ قَدْ أَلْحَقَتْهَا لِرُؤْيَةٍ	تَقَاصَرُ عَنْ أَثْنَاءِ بُزْدٍ مُحَبَّرٍ

وقال آخر: [من المنسرح]

جَرَادَةٌ حَنَّتِ الْقُلُوبَ لَهَا	حِينَ أَشَارَتْ بِنَاطِرِي رَبْرَبٍ
------------------------------------	-------------------------------------

(١) الوسمي: أول المطر.

(٢) الولي: المطر بعده.

(٣) تبوع الشيء: يدرك غايته.

(٤) الشرى: الحنظل.

(٥) القرا: الظهر.

صفراء جسيم يشوبها رَقَطٌ في نُقْطٍ من عَبيرها الأشهب<sup>(١)</sup>  
 كأنها والجَنَاحُ حُلَّتْها راقصةٌ في مُمَسِّكِ مُذْهَبٍ

ووقفْتُ على حكاية عجيبة في أمر الجراد، نقلها أبْنُ حلب راغب في تاريخه في حوادث سنة اثنتين وتسعين وخمسائة، قال: قال القاضي الفاضل عبد الرحيم البَيْسَانِي: حَدَّثَنَا القاضي بهاء الدِّين بن شَدَّاد قاضي حلب في يوم الثلاثاء من عشر شهر ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وخمسائة، وقَدِمَ علينا في صفر منها، قال: كان الجراد بالشَّام قد زاد أمرُهُ وعَظُمَ حَظُّهُ وأمَحَلَتِ السَّنَةُ بعد السَّنَةِ ولم يسلم من الزرع إلا أقله؛ فأَعْلَمَ المَلِكُ الظاهر غازي صاحب حلب عن طائر يسمى «السَّمَنْدَل»، إذا ظهر الجراد ببِلَادٍ أَخْضَرَ إليها ماءٌ من مكان مخصوص فتبعه ذلك الطائرُ ووقع على الجراد فأتلفه وأَسْتَخْرَجَ بِيضَهُ من التراب وَنَقَطَفَ البِلَادَ منه. قال: فندب ثلاثة نفرٍ من العجم ذوي قوَّةٍ في أبدانهم وَصَبَرَ على مشقَّةِ المَشْيِ في أسفارهم، وَأَزَاحَ عِلَّتَهُم بنفقة وسَعَّها عليهم، وساروا على خُوزِستان<sup>(٢)</sup>، واستدلُّوا على الضَّيعة التي هي من عملها وفيها هذا الماء، فوصلوا إليها وحملوا من الماء، ووجدوا هذه العين على وجه الأرض لا تبلغ إلى أن تَغِيضَ فتسبح ولا إلى أن تَغِيضَ فُتْسَقَى. ومن تدبير هذا الماء إلى أن يَتِمَّ به المَرَادُ أن يحمله الماشي ولا يركب، وإذا نَزَلَ بمنزلة علقه ولا يضعه على الأرض؛ وكان الملك الظاهر قد سَيَّرَ معهم دوابَّ يركبها من لم يحمل الماء بالثَّوبَةِ ويمشي من يحمله؛ ومن عادة من يحمله ألاَّ ينفردَ بنفسه وألَّا يَسِيرَ إلَّا في قافلةٍ وأنَّ يُعْلَمَ أهلُها بما معه ويُشْهَدُهم أنه ما رَكِبَ ظَهَرَ دَابَّةٍ في حال حمله، وأنه مشى والماء في إنائه في يده، وكلَّما وَصَلَتْ قافلةٌ إلى بلد أدَّى شهود القافلة ما شَهِدُوا به عند الحاكم؛ وَتَبَخَّرَ حَامِلُ الماء كِتَاباً حُكْمِيَّةً من قُضاة البلاد في أمر الماء بصحة نسبه وكيفية حَمَلِهِ. قال: ولم يزالوا على ذلك إلى أن وصلوا إلى حلب، فعُلِقَ ذلك الماء ووصل ذلك الطائرُ في جمع كَجَمع الجَرادِ وأكثر، وهو يشبه السَّمَانِي في قَدْرِهِ ولَوْنِهِ، وَوَقَعَ على الجراد فأتلفه وأَسْتَأَصَلَهُ. قيل: إنَّه كان يأكل الجرادَةَ والثَّنين والثلاث والأربع في دَفْعَةٍ ويرميها في الحال في بطنه، وإنَّه يَتَّبِعُ مكانَ بِيضِهِ في الأرض فيبحث عنه بمنافيره وأخرجه، حتى صارت الأرض كالغُرْبَالِ من أثر نقره، وإنَّ الجرادَ أَرْتَفَعَ من الشَّام وكُشِفَتْ به البلوى. قال: وأمرُ هذا الماء مشهور معلوم مستفيض.

(١) الرقط: جمع الرقطة، وهو لون مؤلف من بياض وسواد؛ أو من حمرة وصفرة وغيرهما.

(٢) خوزستان: اسم لجميع بلاد الخوز المذكورة. وقيل ليس بخوزستان جبال ولا رمال إلا شيء يسير يتاخم نواحي تستر وجنديسابور. (معجم البلدان لياقوت).

وأما دود القَرِّ وَمَا قِيلَ فِيهِ - ودود القَرِّ وإن لم يكن من الهَمَج الذي له جناح، فمآل أمره أن يصير له جناح؛ ولذلك أوردناه في هذا الباب وألحقناه بهذا النوع.

ودود القَرِّ أَوَّلُ ما يكون بِزْراً في قَدَرِ حَبِّ التين، وهو البيض الذي يتكوّن فيه الدود. ويكون خروجه منه في أَوَّلِ فصل الربيع. ويخرجُ أصغرَ من الدُرِّ، وفي لونه. وإذا تأخّر خروجه وضّعه النساء تحت ثُدْيَهِنَّ في صرر. فإذا خرج غُذِّيَ بورق التوت. ويأخذ في النمو إلى أن تصير الدودة منه في قَدَرِ الإصْبَعِ وينتقل من السواد إلى البياض أولاً فأولاً، وذلك في مدّة ستين يوماً فما دونها. وله في غضون هذه المدّة نَوَاطٍ لا يأكل فيها شيئاً ألبَنَةً، كلُّ نومةٍ يومان؛ فإذا أَسْتَيْقِظَ أكل أضعاف ما كان يأكل قبل النوم. فإذا أكمل المدّة أمتلاً حريراً فلا يبقى فيه مَسَاغٌ لمأكل، فيقطع الأكل عند ذلك ويهيج للنسج؛ فأَيُّ شيءٍ تعلق به نَسَجَ عليه. وهو يَنْسِجُ على نفسه بما يُخْرِجُه من فيه إلى أن يُخْرِجَ ما في جوفه، وهو أَرْقُ من العنكبوت، ويكمل عليه ما بينه، فيكون كهيئة اللوزة. ويبقى محبوساً في غِزْله قريباً من عشرين يوماً، ثم يَنْقُبُ عن نفسه ويخرج فراشاً أبيض ذا جناحين لا يَسْكُنَانِ عن الاضطراب وقرنين وعينين. وهو إذا نَقَبَ عن نفسه وخرج لا يُنتفع من نسجه بحرير لأنه يقطع طاقاته. وعند خروجه يهيج للسفاد فيُلصِقُ الذكر ذنبه بذنْبِ الأنثى ويلتحمان ساعةً زمانيةً ثم يفترقان، وتنتثر الأنثى البِزْرَ على الصفة التي ذكرناها على خِرْقٍ بيض تكون قد فُرِشَتْ له. فإذا نَفِدَ ما فيهما من السفاد والبِزْرَ ماتا. هذا إذا أريد من الدود البِزْرُ. وإذا أريد منه الحرير تُركَ ذلك النسج في الشمس بعض يومٍ فيموت.

وقد جعله بعض الشعراء مثلاً للحريص على جمع المال، فقال:

يُفْنِي الحريصُ لجمع المال مُدَّتَهُ      وللحوادث والوراث ما يَدَعُ

كدودة القَرِّ ما تَبْنِيهِ يُهْلِكُهَا      وغيرُها بالذي تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ

وهو كثيرُ العوارض. وأكثر ما يَغْرِضُ له الفساد إذا أَطْعِمَ وَرَقَ الثوت الحامض. ويَهْلِكُ من صوت الرعد وضرب الطُّسْتِ والهَؤُونِ، ومن رائحة الخَلِّ والدُّخَانِ. وكثرة الحرّ تهلكه وتُذْيِبُهُ؛ وكذلك البرد الشديد فإنه يبطيء به. ويؤذيه مَسُّ الجُنُبِ والحائض، ويُخْشَى عليه من الفأر والعصفور والنمل والوَرَزُ<sup>(١)</sup>.

وأما الدُّبَابُ وَمَا قِيلَ فِيهِ - فقد ضرب الله عَزَّ وَجَلَّ به المثل فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٦﴾﴾

(١) الوزغ: جمع الوزغة، وهو سام أبرص (للذكر والأنثى).

[الحج: ٧٣]. فهذا مَثَلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ تعالى لَضَعْفِ الناس وعجزِهِم عن الإتيان بمخلوق. وجاء في الحديث: «إِذَا سَقَطَ الذَّبَابُ فِي طَعَامِ أَحَدِكُمْ أَوْ شَرَابِهِ فَلْيَغْمِسْهُ فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ دَاءً وَفِي الْآخَرِ شِفَاءً». ويقال: إِنَّهُ يَغْمِسُ جَنَاحَ الدَّاءِ وَيَرْفَعُ جَنَاحَ الشِّفَاءِ، فَلِهَذَا نُدَبُ إِلَى غَمْسِهِ. والعرب تجعل النحلَ والفَرَّاشَ والدَّبَّيرَ من الذَّبَابِ.

قال الجاحظ: «والذَّبَابُ ضروبٌ سوى ما ذكروا من الفَرَّاشِ والنحل والزَّنَابِيرِ؛ فمنها الشُّغراء. قال الراجز:

\* ذَبَابٌ شُغْرَاءُ وَنَبْتُ مَائِل \*

وللكلاب ذبابٌ على حِدة يتخلَّق منها فلا يريد سواها. ومنها ذباب الكَلَأِ والرِّياض؛ وكلُّ نوعٍ منها يألف ما خُلِقَ منه.

ومنها الذَّبَابُ الذي يقتل الإبل وهو أزرق. والذَّبَابُ الذي يسقط على الدَّوابِّ وهو أصفر. ويقال: إِنَّ الذَّبَابَ يَكْثُرُ إِذَا هَاجَتْ رِيحُ الْجَنُوبِ، وإِنَّهُ يُخْلَقُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ؛ وَإِذَا هَبَّتْ رِيحُ الشَّمَالِ خَفَّ وَتَلَاشَى. وهو من ذوات الخراطيم، وكذلك البعوض. ويقال: إِنَّ الذَّبَابَ لَا يُعَمَّرُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا.

قال الجاحظ: «وليس بعدَ أرضِ الهند أَكْثَرُ ذُبَابًا مِنْ واسط<sup>(١)</sup>، وربما رأيت الحائطَ وكأنَّ عليه مِسْحًا شَدِيدَ السَّوَادِ مِنْ كَثَرَةِ مَا عَلَيْهِ مِنَ الذَّبَابِ».

ويقال: إِنَّ اللَّبَنَ إِذَا ضُرِبَ بِالْكُنْدُسِ<sup>(٢)</sup> وَنُضِجَ بِهِ بَيْتٌ لَمْ يَدْخُلْهُ ذُبَابٌ. ومن عَجِيبِ أَمْرِ الذَّبَابِ أَنَّهُ يَلْقِي رَجِيعَهُ عَلَى الشَّيْءِ الْأَبْيَضِ أَسْوَدَ وَعَلَى الْأَسْوَدِ أَبْيَضَ. ويقال: إِنَّهُ لَا يَظْهَرُ إِلَّا فِي مَوَاضِعِ الْعُقُونَاتِ وَالْقَادُورَاتِ، وَمُبْتَدَأَ خَلْقِهِ مِنْهَا، ثُمَّ يَكُونُ مِنَ السَّفَادِ.

قال الجاحظ: ويقال: إِنَّ الذَّبَابَ لَا يَقْرَبُ قِدْرًا فِيهِ كَمَاءٌ<sup>(٣)</sup>.

والذَّبَابُ بَطِيءٌ فِي سِفَادِهِ، وَرَبَّمَا بَقِيَ الذَّكْرُ عَلَى ظَهْرِ الْأُنْثَى عَامَّةَ النَّهَارِ؛ فَهُوَ يَتَجَاوَزُ فِي ذَلِكَ الْبَعِيرَ وَالْخَنَزِيرَ. وهو من الحيوان السُّمَسِيِّ لِأَنَّهُ يَخْفَى فِي الشِّتَاءِ وَيَظْهَرُ فِي الصَّيْفِ. وللذَّبَابِ يَدَانِ زَائِدَتَانِ فِي مُقَدِّمِ يَدَيْهِ يَتَّقِي بِهِمَا الْأَذَى عَنْ عَيْنَيْهِ فَإِنَّهُمَا بَغِيرُ أَجْفَانِ.

والعرب تضرب به المثل في الزَّهْوِ فتقول: «أَزْهَى مِنْ ذُبَابٍ». قالوا: لِأَنَّهُ يَسْقُطُ

(١) واسط: بلد متوسط بين البصرة والكوفة. (معجم البلدان).

(٢) الكندس: الخرشف البستاني، وهو عروق نبات داخله أصفر وخارجه أسود.

(٣) الكمأة: واحدتها الكمء، وهو فطر من الفصيلة الكمئية.

على أنف الملك الجبار وعلى موق عينيه ويطرُده فلا ينطرد. ويضرب به المثل في القدر وأستطابة الثن. فإذا عجز الذباب عن شم شيء فلا شيء أنتن منه.

وقال ابن عبدل في محمد بن حسان بن سعد ورماء بالبخر:

وما يدنو إلى فيه ذبابٌ ولو طليت مشافره بقنيد<sup>(١)</sup>

يرين حلاوة ويخفن موتاً دُعافاً إن همن له بورذ

ويقال لكل أبخر: أبو ذبان؛ وكانت من كنى عبد الملك بن مروان. وقد وصف

الشعراء الذباب؛ فمن ذلك قول عترة: [من الكامل]

جاءت عليها كل عين ثرة فتركَن كل حديقة كالدرهم

فترى الذباب بها يغني وحده هزجاً كفعل الشارب المترنم

غرداً يحك ذراعه بذراعه فعل المكب على الزناد الأجذم

وقال العسكري، وجمع بين البراغيث والبغوض والذباب: [من الكامل]

وبدا فغتناني البعوض تطرباً فهرقت كأس النوم إذ غناني

ثم أنبرى البرغوث ينقط أضلعي نقط المعلم مُشكِـل القرآن

حتى إذا كشف الصباح قناعه قرأت لي الذبان بالألحان

وأما البعوض وما قيل فيه - والبعوض صنفان: صنف يُشبه القزاد، لكن أرجله

خفية ورطوبته ظاهرة، يُسمى بالعراق والشام «الجرجس» و«الفسافس» وبمصر «البق».

ويشم رائحة الإنسان ويتعلق به. وله لسع شديد. ولدمه إذا قتل رائحة كريهة. ويقال:

إنه يتولد من النفس الحارة ولشدة رغبته في الإنسان لا يتمالك إذا شم رائحته، فإذا كان

في السقف رمى بنفسه عليه فلا يخطئه، وهذا الصنف ليس من الطير. والصنف الثاني

طائر ويُسمى أهل العراق «البق» و«البعوض»، ويسميه أهل مصر «الناموس». وهو يتولد

من الماء الراكد، فإذا صار الماء زرقاً استحال دعاميص<sup>(٢)</sup>، ثم تستحيل الدعاميص

فراشاً. والبعوض في خلقة الفيل إلا أنه أكثر منه أعضاء، فإن للفيل أربع أرجل

وخرطوماً وذنباً، وله مع هذه الأعضاء يدين زائدتان وأربعة أجنحة. وخرطوم البعوض

أجوف نافذ الخرق، فإذا طعن به جلد الإنسان استقى به الدم وقذف به إلى جوفه. وفيه

من الشره أن يمتص من دم الإنسان إلى أن ينشق ويموت، أو يمتص إلى أن يعجز عن

الطيران. ومن عجيب أمره أنه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الأربع، فيبقى طريحاً

(١) القند: عسل قصب السكر.

(٢) الدعاميص: واحده دعموص، وهو دويبة، أو دودة سوداء تكون في الغدران إذا نشأت.

في الصحراء فيجتمع حوله السباع والطير التي تأكل الجيف، فمن أكل منها منه مات لوقته في موضعه. ويقال: إن بعض جبابرة الولاة بالعراق كان يقتل بالعوض، فيأمر بمن يريد قتله أن يجرد من ثيابه ويربط ويخرج إلى بعض الآجام التي بالبطائح<sup>(١)</sup> فيوجد في أسرع وقت عظاماً عارية من جلد ولحم.

وقال الجاحظ: بعوض البطائح كجارات<sup>(٢)</sup> الأهواز وعقارب شهرزور. وربما ظفر بالسكران النائم فلا يبق في إلا العظام العارية.

وقد أكثر الشعراء في وصف البعوض؛ فمن ذلك قول فرج بن خلف الأندلسي:  
بعوض جعلن دمي قهوة      وغئني بصنوف الأغان  
كأن عروقي أوتارهن      وجسمي الرباب وهن القيان  
وقال آخر: [من الرجز]

إذا البعوض رجلت أصواتها      وأخذ اللحن مغنياتها  
لم تطرب السامع خافضاتها      وأرق العينين رافعاتها  
صغيرة كبيرة أذاتها      تنفض عن بغيتها بغاتها  
ولا يصيب أبداً رماها      راحة خرطومها قناتها

وقال أبو هلال العسكري: [من الهزج]

غناء يشخن العين      وينفي فرح القلب  
ولا يأتي على الزمر      ولا يجري مع الضرب  
غناء البق بالليل      ينفي طرب الشرب  
إذا ما طرقت الممر      جرى في طلق الكرب  
إذا ما نقب الجلد      أخفى أثر النقب  
سوى حمر خفيات      تحاكي نقط الكثر

وأما البراغيث وما قيل فيها - والبزغوث أسود أحذب. وهو من الحيوان الذي لا يمشي؛ وإنما أوردناه مع ذي الجناح لأنه ذو وثب لا يقصر عن الطيران؛ ومنه أيضاً ما يمشي ولا يثب. وقالوا: إنه يطيل السفاد، ويبيض ويفرخ. وأصله متولد من التراب في المواضع المظلمة. وهو يكثر ويستطيل ويؤذي في أواخر الشتاء وفصل الربيع. وإذا

(١) البطائح: واحدتها البطيحة، وهي المكان المتسع يمر به السيل فيترك فيه الرمل والحصى.

(٢) الجارات: واحدتها الجرارة: عقيرب صفراء على شكل التينة، تجر ذنبها.



أَشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ هَلَكَ .

ومن جناس الكلام فيه قولهم: أذى البراغيث إذا ألّبرى غيث . يَعْنُونَ بِالْبَرَى التراب إذا نزل عليه المطر .

والبرغوث يكمن بالنهار ويظهر بالليل ، ويتشدّ أذاه للإنسان إذا أخذ مضجعه . وهو يطول لبثه بمصر؛ ولا يوجد في البلاد الحارة مثل صعيد مصر ولا في البلاد الشديدة البرد .

وقد أكثر الشعراء في وصف البراغيث وأفعالها؛ فمن ذلك قول أبي الرّمّاح الأسديّ وكان قد سكن مصر: [من الطويل]

تَطَاوَلْ بِالْفُسْطَاطِ لَيْلِي وَلَمْ أَكُنْ      بِحِنْوِ الْعَصَى لَيْلِي عَلَيَّ يَطُولُ<sup>(١)</sup>  
يُؤْزِقْنِي حُذْبٌ صَغَارٌ أَذْلَةٌ      وَإِنَّ الَّذِي يُوقِظُنْهُ لَدَلِيلُ  
إِذَا مَا قَتَلْنَاهُنَّ أَضْعَفْنَ كَثْرَةً      عَلَيْنَا وَلَا يُنْعَى لَهُنَّ قَتِيلُ  
أَلَّا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً      وَلَيْسَ لِبَرْغوثٍ إِلَيَّ سَبِيلُ  
وقال العسكري من أبيات:

ومن براغيث تنفي النوم عن بصري      كَأَنَّ جَفَنِيَّ عَنْ عَيْنِي قَصِيرَانِ  
يَطْلُبُنْ مَنِّي ثَاراً لَسْتُ أَعْرِفُهُ      إِلَّا عِدَاوَةَ سُودَانَ لَبِيضَانِ  
وقال أبو الحسن أحمد بن أيوب البصري المعروف بالناهي: [من المنسرح]  
لَا أَعْدُلُ اللَّيْلَ فِي تَطَاوُلِهِ      لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا نَحْنُ فِيهِ نَقْصُ  
لِي فِي الْبَرَاغِيثِ وَالْبَعُوضِ إِذَا      يُلْحِقُنَا جِنْدِسُ الظَّلَامِ قَصَصُ<sup>(٢)</sup>  
إِذَا تَعَنَّيَ بَعُوضُهُ طَرَباً      سَاعِدَ بَرْغُوْثِهِ الْغِنَا فَرَقْصُ  
وقال عبد المؤمن بن هبة الله الأصبهاني:

بات البراغيث في الفراش معي      تَقْسِمُنِي قِسْمَةَ الْمَوَارِيثِ  
أَكَلْنِي بَعْدَ مَا شَرِبْتُ دَمِي      فَمَنْ مُغِيثِي مِنَ الْبَرَاغِيثِ  
وقال أيضاً فيها: [من السريع]

إِنَّ الْبَرَاغِيثَ إِذَا سَاوَرَتْ      مِنْ كَيْتِهَا تَرْقُصُ أَوْ تَقْرُصُ  
وَكَلَّمَا غَنَّتْ بَعُوضٌ لَهَا      فَهِيَ عَلَى شَرْبِ دَمِي أَحْرَصُ

(١) الغضى: شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب، وجمره يبقى زماناً طويلاً لا ينطفئ .

(٢) الحندس: الليل الشديد الظلمة .

تَقْفِزْ مِنْ ثَمَّ إِلَى هَاهُنَا      كَأَنَّهَا زَنْجِيَّةٌ تَرْقُصُ  
وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدِّيَنُورِيُّ:

وَحُمْشُ الْقَوَائِمِ حُذْبُ الظُّهُورِ      طَرَقْنَ فِرَاشِي عَلَى غِرَّةٍ  
وَيَنْقُطَنَّيْ بِخِرَاطِيْمِهِنَّ      كَنَقَطِ الْمَصَاحِفِ بِالْحُمْرَةِ  
وقال أبن المعتر:

وَبِرَاقِيَّتْ إِنْ ظَفِرَنْ بِجَسْمِي      خَلَّتْ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِنْهُ خَالَا  
وَأَمَّا الْحَرْقُوصُ وَمَا قِيلَ فِيهِ - فقد ذكره الجاحظ في كتاب الحيوان فقال: وزعموا  
أنه ذُوَيْبَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْبَرِغوثِ؛ وَأَكْثَرُ مَا يَنْبُتُ لَهَا جَنَاحَانِ بَعْدَ حَيْنٍ. وَعَضَّةُ الْحَرْقُوصِ  
أَشَدُّ مِنْ عَضَّةِ الْبَرِغوثِ. قالوا: وَالْحَرْقُوصُ يُسَمَّى التُّهْنِكَ. وَأَكْثَرُ مَا يَعْصُ أَخْرَاحٌ<sup>(١)</sup>  
النِّسَاءِ وَخُصَى الرِّجَالِ. قال أعرابي وقد عَضَ الْحَرْقُوصُ خَصِيَّتِيهِ:

لَقَدْ مَنَعَ الْحَرَاقِيصُ الْقَرَارَا      فَلَا لَيْلًا نَقِزْ وَلَا نَهَارَا  
يُغَالِبُنِ الرِّجَالَ عَلَى خُصَاهُمْ      وَفِي الْأَخْرَاحِ دَسًا وَأَنْجَجَارَا  
وقالت امرأة تشير إلى زوجها:

يَعَارُ مِنَ الْحَرْقُوصِ إِنْ عَضَ عَضَةً      بَفَخَذَيَّ مِنْهَا مَا يَجْذُ غَيُورُ  
لَقَدْ وَقَعَ الْحَرْقُوصُ مِنِّي مَوْعِعًا      أَرَى لَذَّةَ الدُّنْيَا إِلَيْهِ تَصِيرُ

## البَابُ السَّابِعُ مِنَ الْقِسْمِ الْخَامِسِ مِنَ الْفَنِّ الثَّالِثِ فِي أَنْوَاعِ الْأَسْمَاكِ

قال ابن أبي الأشعث: السَّمَكُ يَسْتَنْشِقُ الْمَاءَ بِأَصْدَاغِهِ فَيَقُومُ لَهُ مَقَامَ الْهَوَاءِ  
لِلْإِنْسَانِ. وَالسَّمَكُ كُلُّ شَيْءٍ كَثِيرُ الْأَكْلِ، وَحَاسَّةُ السَّمْعِ وَالشَّمِّ فِيهِ أَقْوَى مِنْهَا فِي  
الْإِنْسَانِ. وَأَسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِأَدَلَّةٍ يَطُولُ شَرْحُهَا. وَحَاسَّةُ الْبَصَرِ فِيهِ لَيْسَتْ كَالسَّمْعِ  
وَالشَّمِّ وَإِنَّمَا أَوْعَفُ. وَلِسَانُهُ غَلِيظٌ قَصِيرٌ شَبِيهُ بِاللِّسَانِ وَلَيْسَ لِسَانًا. وَلَهُ أَضْرَاسٌ لَيْسَتْ  
لِلْمَضْغِ عَلَيْهَا وَإِنَّمَا لِقَتْلُ مَا يَفْتَرِسُهُ مِنْ حَيَوَانَ الْمَاءِ وَيَفْرُغُ فِيهِ سُمًّا يَكُونُ سَبَبًا لِقَتْلِهِ.  
وَصَغَارُ السَّمَكِ تَحْتَرِزُ مِنْ كِبَارِهِ بِأَنْ تَطْلُبَ الْمَاءَ الْقَلِيلَ الَّذِي لَا يَحْمِلُ الْكِبَارَ.  
وَأَخْتَلَفَ النَّاسُ فِي سِفَادِ السَّمَكِ، فَلَا أَكْثَرَ عَلَى أَنَّهُ يَسْفِدُ مِثْلَ الْحَيَّةِ. وَقَالَ

(١) أخراح: واحدها حراح، وهو الحر، أي حر المرأة (اللسان مادة حرح).

الجاحظ: وفي السمك القواطع والأوابد كالطير. ومن أصناف السمك ما هو في شكل الحيات. قال: وهي إما أن تكون كانت بَرِّيَّةً أو جَبَلِيَّةً فاكسحتها السيول وألقتها في الماء الدائم فتوالدت فيه؛ وإما أن تكون أمهاتها وآباؤها من دواب الماء.

وقال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا في الأدوية المفردة: أفضل السمك في جثته ما كان ليس بكبير جداً ولا ضَلْب اللحم ولا يابسه، ولا دُسُومة فيه كأنه يتفتت، والذي لا مُخَاطِيَّة ولا سُهوكة فيه وطعمه لذيذ، فإن اللذيذ مناسب، وما هو دَسِمٌ دسومة غير مُفَرطٍ ولا غليظة ولا شحميَّة ولا جَرِيْفَة، والذي لا يُسرع إليه الثنن إذا فُصل عن الماء. ويُختار من السمك الضَلْب اللحم ما هو أصغر، ومن الرُّخص اللحم ما هو أكبر إلى حدٍّ ما. وضَلْب اللحم مملوحاً خَيْرٌ منه طَرِيّاً. وأما في الأجناس فالشَبَابِيْطُ أفضلها، ثم البِنِّي، والبياح البحري لا بأس به. وأما في مأواه فالذي يأوي الأماكن الصخرية ثم الرملية والمياه العذبة الجارية التي لا قَدْر فيها ولا حَمَاءة وليست بِطَيِّحَةٍ<sup>(١)</sup> ولا نَزِيَّةً ولا من البحيرات الصغار التي لا تَسْقِيها الأنهار ولا فيها عيون. قال: والسمك البحري محمودٌ لطيف، وأفضل أصنافه الذي لا يكون إلا في البحر واللُّجَّة. والذي يأوي ماءً مشكوفاً ترفرف الرياح عليه أجود من الذي بخلافه. والذي يأوي ماءً كثير الاضطراب والتموج أجود من الذي يأوي الماء الراكذ. والسمك البحري لطيف اللحم لا سيما إذا كان مأواه في الشطوط صخراً أو رملاً، والذي يصير من البحر إلى أنهارٍ عذبةٍ يعارض جَرِيَّة الماء بالطبع لطيفٌ كثيرُ الرياضة.

وأما غذاؤه، فالذي يغتذي بالحشيش وأصول النبات خَيْرٌ من الذي يغتذي الأقذار التي تُطرح من البلاد إلى المستنقعات. وأفضل ما يؤكل السمك اسفيداجاً<sup>(٢)</sup> ثم المشوي على الطابق. وأما المَقْلِي فيصلح لأصحاب المِعَدِ القويَّة ومعه الأباذير<sup>(٣)</sup>. والمشوي أغذى وأبطأ نزولاً، والمطبوخ بالصد. وأفضل طبيخه أن يُطَبَخ الماء حتى يَغلي ثم يُلْقَى فيه.

وأما المالح، فخيرُهُ ما كان طريّاً قريب العهد بالتمليح. وأحمدُهُ المَمْقُور<sup>(٤)</sup> بالخل والتوابل.

وأما طبعه، فجميع السمك باردٌ رطبٌ، لكن بعضه أسخن بالقياس إلى مزاج

(١) البطيحية: نسبة إلى البطيحة، وقد تقدم تفسيرها.

(٢) الأسفيداج: نوع من طعام السمك.

(٣) الأباذير: التوابل التي منها الكسبرة والمصطكا والفلفل وغيرها.

(٤) الممقور: المنقوع.

السمك مثل الكَوْسَج<sup>(١)</sup> والمارماهي<sup>(٢)</sup>.

وأما أفعاله وخواصه، فالطَّرِي منه يولد البلغم المائي مُرَخ للأعصاب، غيرُ موافقٍ إلا لِلْمَعِدَةِ الحَاذَةِ جَدًّا. قال: وجِلْدُ السمك المعروف «بسيْفَيَانوس» في ناحية بيت المقدس إن دُرَ رَمَادُ جلده في عيون المواشي أذهبَ بياضَها. والمالحُ من أصناف السمك يُخرج السِّلَاءَ<sup>(٣)</sup> من المَنَاشِبِ<sup>(٤)</sup>. قال: ورأس «سماريس» مُخْرَقًا يَقْلَعُ اللحم الزائد في القروح ويمنع سَعَتَهَا وَيَقْلَعُ الثَّالِيلَ واليُوث. وماء السمك المالح ينفع من القروح العَفِنَةِ ويغسلُها. قال: وإذا أَحْتَقِنَ بِسِلَاقَةِ المالح مراراً نَفَعَ من وجه الْوَرَك. والسمك الصغار الذي تسميه أهل الشام ومصر «الصَّيْر» إذا تمضمض صاحبُ الْفُلَالَعِ<sup>(٥)</sup> الخبيث بالمُرِّي الذي يُتخذ منه نفعه، و«الرَّعَاد» الحي إذا قُرِبَ من رأس المصدوع أَخَذَرَهُ عن الحَسَنِ بالصداع. قال: وجلد «سيفيانوس» تُحَكُّ به الأَجْفَانِ الجَرَبَةُ فينفع، وجلده المحرَّقُ أيضاً يدخل في أودية العين؛ وَيُذهِبُ الْاِتِّحَالُ به مع الملح الظَّفَرَةُ<sup>(٦)</sup> وأكله مَقْلِيًّا يورث غِشَاوَةَ العين بل جميعُ السمك؛ ورؤوسُ السَّمَكَاتِ المملوحة المجفَّفة تنفع اللِّهَاءَ<sup>(٧)</sup> الوارمة، وعلاجٌ جيّدٌ من شَقَاقِ المقعدة. وغراء السمك يُلْقَى في الْأَحْسَاءِ فينفع نَفَثُ الدِّم. قال: وخَوْضَلَةُ سيفيانوس تُلَيِّنُ البطن مع صعوبة انضمامها. قال: ورأس المالح من سماريس مُخْرَقًا يُجعل على عَضَةِ الْكَلْبِ الْكَلْبِ وَلَسَعَةِ الْعَقْرَبِ فينفع ذلك، وكذلك كُلُّ سَمَكَةٍ، ومِرْقَةٌ كُلِّ سَمَكٍ تنفع من السموم المشروبة والثَّهْوُش. قال: والسمك ينفع من عُسر النَّفْسِ والرَّبو واليَرَقَان ويسهل البلغم وينفع من خُنَاق الرِّجَم.

وقد وصف الشعراء السمك في أشعارها؛ فمن ذلك قول ابن الرُّومي يخاطب رئيساً ويستدعي منه سمكاً: [من الكامل]

عَسَرَتْ عَلَيْنَا دَعْوَةُ السَّمَكِ      أَتَى وَجُودَكَ ضَامِنُ الدَّرَكِ  
اعلم وَقِيَتِ الْجَهْلُ أَنْكَ فِي      قَضَرٍ تَلَنَتْهُ مَطَارُخُ الشُّبَكِ

(١) الكوسج: نوع من السمك له خرطوم كالمنشار.

(٢) المارماهي: هو حوت طويل.

(٣) السلاء: شوك النخل، الواحدة سلاء.

(٤) المناشب: جمع منشب، وهو اسم مكان من النشوب.

(٥) القلاع: قرحة تكون في جلدة الفم واللسان مع انتشار واتساع.

(٦) الظفرة: جلدة تثبت عند المآقي وقد تمتد إلى السواد، متغشية.

(٧) اللهاء: اللحمة المشرفة على الحلق.

وبنات دِجْلَةٌ في فِئائِكُمْ مأسورةٌ في كُلِّ مُغْتَرَكٍ<sup>(١)</sup>  
 بِيَضٍّ كَأَمْثَالِ السِّبَائِكِ بِلْ مشحونةٌ بالشحم كالْعُكَّكِ<sup>(٢)</sup>  
 حَسُنْتَ مَنَازِرُهَا وَسَاعَدَهَا طعم كَحُلِّ مَعَاقِدِ التُّكَّكِ<sup>(٣)</sup>  
 فَلْيَضْطِدِّ الصِّيَادُ حَاجَتَنَا يَضْطَدُّ مَوْدَّتَنَا بِلَا شَرِّكِ  
 وقال أبو الفتح كُشَّاجِم: [من الطويل]

ومحجوبةٌ بالماء عن كل ناظرٍ ولكنها في حَجْبِهَا تُتَخَطَّفُ  
 أَخَذْنَا عَلَيْهِنَّ السَّبِيلَ بِأَعْيُنٍ رَوَاصِدٍ إِلَّا أَنَّهَا لَيْسَ تَطْرِفُ  
 فَجئْنَا بِهَا بِيَضٍّ الْمَتُونِ كَأَنَّهَا خَنَاجِرُ فِي أَيْمَانِنَا تَتَعَطَّفُ  
 وقال أبو عُبَادَةَ الْبُخَيْرِيُّ وذكر بركة:

لَا يَبْلُغُ السَّمَكُ الْمَقْصُورُ غَايَتَهَا لِبُعْدِ مَا بَيْنَ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا  
 يَغْمُرَنَّ فِيهَا بِأَوْسَاطٍ مَجْنَحَةٍ كَالطَّيْرِ تَنْفُضُ فِي جَوْ حَوَافِيهَا  
 وقال أَبُو طَالِبِ الْمَأْمُونِيُّ فِي الْمَقْلِيِّ مِنْهُ: [من السريع]

مَاوِيَةٌ فَضِيَّةٌ لَحْمُهَا أَلْذُ مَا يَأْكُلُهُ الْآكِلُ  
 يَضْمَمُهَا مِنْ جِلْدِهَا جَوْشَنٌ مُذَيَّلٌ فَهِيَ لَهَا شَامِلٌ<sup>(٤)</sup>  
 لَوْنَتْ مِنْ فَضَّتِهَا عَسْجَدًا بِالْقَلِيِّ لَمَا ضَافَنِي نَازِلٌ  
 وقال أيضاً:

مَائِيَّةٌ فِي النَّارِ مَضْلِيَّةٌ يُضْبَغُ مِنْ فَضَّتِهَا عَسْجَدُ  
 كَأَنَّمَا جِلْدُهَا جَوْشَنٌ مُزْرَقُنُ الصَّنْعَةِ أَوْ مِبْرَدُ<sup>(٥)</sup>

وقال عطاء بن يعقوب يصف سمكةً من رسالة يَسْتَدْعِي بِهَا صَدِيقًا، جاء منها:  
 «قد أهدى لنا صديق سمكة، قد لُبست من جلدها شبكة؛ تُشَبِّهُ حَمَلًا شَكْلًا وَقَدًّا، أو  
 جَرَابًا قد أَمْتَلَأَ رُبْدًا؛ كأنها أرادت أن تحاربَ نَجْمَ السَّمَاءِ، أو حَوْتَ الْأَفْلاكِ؛ فَلَيْسَتْ  
 من جلدها جَوْشَنًا مُزْرَدًا. وَسَلَّتْ مِنْ ذَنْبِهَا سِيفًا مُجَرَّدًا».

(١) قد يراد بـ «بنات دجلة»: السمك.

(٢) العكك: جمع عكة، وهي وعاء من الجلد للسمن.

(٣) التلك: واحدها تكة، وهي رباط السراويل.

(٤) الجوشن: الدرع.

(٥) الزرفين: حلقة الباب.

وقال خالد بن صفوان ليزيد بن المهلب يصف سمكاً: «أَتَيْتُ بِنَاتٍ بِيضِ  
البطون، زُرْقِ العيون، سُودِ المتون، حُذْبِ الظهور، مُعَقَّقَاتِ الأذنان، صِغَارِ  
الرؤوس، غِلَازِ القَصْرِ<sup>(١)</sup>، عِرَاضِ الشَّرَرِ».

هذا ما أَتَفَقَ إِيرَادهُ في السمك المُطَلَقِ. فلنذكر أصنافاً من أنواع الأسماك.

### ذَكَرُ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَسْمَاكِ

وأنواع الأسماك كثيرة جداً، منها ما يعرفه الناس، ومنها ما لم يعرفوه، ومنها ما  
يكون في أماكن من البحار دون غيرها. وقد ذهب بعضهم أن كل حيوان في البر يكون  
مثله في البحر. فلتُورد في هذا الفصل ما أمكن إيرادُه، وهو الدُّلْفِين، والرَّعَاد،  
والتَّمَسَاح، والسَّقَنْقُور، والسَّلْحَفَة، واللَّجَأة، والفرس النهرى، والجندبيدستر  
والقُنْدُس، والقَاقِم، والضَّفَادِع، والسَّرَطَان، وشيء من عجائب الحيوان المائي، على  
حكم الاختصار حيث تعذر الاستيعاب.

فأما الدُّلْفِين - وهو كالزُّرْق المنفوخ، وله رأس صغير جداً، وهو يُوجد في بحر  
النيل يَقْذِفُه البحرُ المِلْحُ إليه. ويقال: ليس في دواب البحر ما له رئةٌ غيره، فلذلك  
يُسمع له التنفُّسُ والتَّنْفُخُ، وهو إذا ظَفِرَ بالغريق كان أقوى الأسباب في نجاته؛ فإنه لا  
يزال يدفعه إلى البر حتى ينجيه. وهو من أقوى الدواب المائية. ولا يؤذي ولا يأكل  
غير السمك. وربما ظهر على وجه الماء وهو نائم كالميت. وهو يلد ويرضع. وأولاده  
تتبعه حيث ذهب؛ ولا يلد إلا في الصيف. وفي طبيعته الأئسُّ بالناس وخصوصاً  
الصبيان. وإذا صيد جاءت الدلافين لقتال صائده، فإذا أطلقه لها أنصرفت. وأهل  
المراكب في البحر الفارسي إذا رأوه أستبشروا به وأيقنوا ببلوغ الأرب سيما الغزاة.

وأما الرَّعَاد - ويكون في نيل مصر، ولم أسمع به في غيره. وفيه من الخاصية  
لأنه لا يستطيع أحد من الناس أن يمسّه. ومتى وضع الإنسان يده عليه نزعها بحركته  
وصاح صيحةً مُنْكَرَةً، ربما دهش الإنسان لها؛ ويجد الرجل في فواده خَفَقَاناً من ذلك.  
وهو متى وقع في شبكة الصياد ارتعدت يداه عند إخراج الشبكة من الماء أو جذب  
الحبل، فيعلم أنه قد وقع له السمك الرَّعَاد.

وأما التَّمَسَاحُ - وهو أيضاً لا يكون إلا في نيل مصر؛ وزعم قوم أنه يوجد في  
مِهران السُّنْد<sup>(٢)</sup>، لزعهم أنه من النيل. وهو شديد البطش في الماء، وهو يعظم إلى أن

(١) القصر: جمع قصرة، وهي أصل العنق.

(٢) مهران السند: نهر عظيم بالسند تجري فيه السفن ويسقي بلاداً كثيرة ويصب في البحر عند الديبل.

ينتهي في الطول إلى عشرين ذراعاً في عرض ذراعين. ويفترس الفرس والإنسان. ولا يقوى على قتاله من الحيوان إلا الجاموس. وله يدان ورجلان وذنب طويل يضرب به ويلف. وهو لا يُصَاد إلا أن يُضرب في إبطيه، ومنهما مقتله، ويقال: إنه إذا أراد السَّفَاد، خرج هو والأنثى إلى البرّ فيقلبها على ظهرها ويستبطنها، فإذا فرغ قلبها لأنها لا تتمكن من الانقلاب لِقَصَر يديها ورجليها ويُبَس ظهرها. وهي تبيض في البرّ، فما وَقَعَ في الماء صار تمساحاً وما بقي في البرّ صار سَقَنْقُوراً. والتمساح يحرك فكّه الأعلى دون الأسفل، ولسانه معلق به. ويقال: إنه ليس له مَخْرَج، وإن جوفه إذا أمتلأ خرج إلى البرّ وفتح فمه فيجيء طائر صغير أَرْقَطُ فينقُر بمنقاره ما في جوفه ويخرجه، وذلك غداء الطائر وراحة للتمساح وفي رأس هذا الطائر شوكة فإذا غلّق التمساح فمه عليه نَحَسه بها فيفتحه. ويقال: إن للتمساح ستين سنّاً وستين عِزْقاً، ويسفد ستين مرة، ويبيض ستين بيضة. ويوجد في جلده ممّا يلي بطنه سلعة<sup>(١)</sup> كالبيضة فيها رطوبة لها رائحة كالسمك، وتنقطع رائحتها بعد أشهر.

ووصفه شاعرٌ فقال: [من الطويل]

وذي هامة كالثرس يفغر عن فمٍ      يُضَمّ على مثل الحُسام المثلّم  
ويفتّر عن مثل المناشير رُكبت      على مشفرٍ مثل القليب المهدّم  
مَشَى في شَوَاةٍ من فُقارة غِيلِمٍ      وسَقَفَ لحياً عن مناكب شَيْهَمٍ<sup>(٢)</sup>

وأما السَقَنْقُور - ويمسى الحِرْدَوْن البحري. ويقال: إنه ورلٌ مائي. ومنه ما هو مصري، وما هو هندي، وما يتولد في بحر القلزم وبلاد الحبشة، وهو يغتذي في الماء بالسمك وفي البرّ بالقَطَا. وأثناء تبيض عشرين بيضةً وتدفنها في الرَّمْل، فيكون ذلك حضنّها. وجلده حَسَنٌ مُدَبَّج بالسواد والصفرة. وهو إذا عَضَّ إنساناً وسبقه الإنسان إلى الماء فاغتسل منه مات السقنقور؛ وإذا سبق السقنقور الإنسان إلى الماء مات الإنسان. وبين السقنقور وبين الحية عداوة عظيمة، متى ظفر أحدهما بصاحبه قتله.

وقال الشيخ الرئيس: أجود السقنقور ما صيد في الربيع وقت هيجانه. وأجود أعضائه السرة، وهو ينفع من العلل الباردة في العصب. ومِلْحُه يَهِيحُ الباء فكيف لحمه، وخصوصاً لحم سُرّته وما يلي كُليّته وخصوصاً شحمها.

وأما السِّلْحَفَاءُ واللَّجَاءُ - يقال: إن اللَّجَاءَ تبيض في البرّ، فما أقام به سُمي

(١) السلعة: زيادة تحدث في الجسد كالغدة.

(٢) الغيلم: السلحفاة الذكر - والشيهم: ذكر القناذل أو ما عظم شوكة من ذكورها.

سُلْحَفَاءَ، وما وقع في البحر سُمِّيَ لَجَاءً. فأما ما يبقى في البر فإنه يعظم حتى لا يكاد الرجل الشديد يحمله. وقد رأيت في سنة سبع وسبعمئة بالقاهرة المَعِزِّيَّةَ سُلْحَفَاءَ تَحْمِلُ الرجلَ وتمشي به وهو قائم على ظهرها. وما ينزل البحر يعظم حتى لا يكاد الحمار يحمله، وربما وُجد منها ما زنته أربعمئة رطل. وتبيض أنثاه أربعمئة بيضة. وهي تحضن بيضها بالنظر إليه والرّضد له لا غير. وللدّكر نِزْكَانٌ وللأنثى فرجان. والذكر يطيل المُكث في السّفاد. والعرب تَكْنِيها «أَمَّ طَبَقٍ». ويزعمون أنها تبيض تسعاً وتسعين بيضة، وتبيض تمام المائة بيضة يخرج منها أسود (أي ثعبان). وهو مولعٌ بأكل الحيات؛ وإذا أكل الأفعى أكل صَغُراً جَبَلِيّاً؛ فإذا أكثر من أكل الحيات والصّغُورِ هَلَكَ. وله تحيّلٌ فيما يصيده من الطائر، وهو أنه يصعد من الماء ويتمرغ في التراب ويأتي موضعاً قد سقط الطير عليه ليشرب، فيخفي على الطير بكُدرة لونه التي أكتسبها من الماء والتراب، فيصيد منها ما يكون له قوتاً ويدخل به الماء فيموت الطائرُ فيأكله.

ووصفها شاعر فقال: [من مجزوء الرجز]

وَسُلْحَفَاءَ تَمِجْ سَكُونُهَا وَالْحَرَكَهَ  
شَبَّهْتُهَا بِذَيْلَمِي سَاقِطٍ فِي مَعْرَكَةٍ  
مُسْتَتِيرٍ بِتُرْسِهِ عَمَّنْ عَسَى أَنْ يُهْلِكَهُ

وقال أبو بكر الخُوَازِمِيُّ يصف لَجَاءً: [من الخفيف]

بِئْتُ مَاءً بَدَتْ لَنَا مِنْ بَعِيدٍ مِثْلَ مَا قَدْ طَوَى الْبَحَارِيُّ سَفْرَهُ  
رَأْسُهَا رَأْسُ حَيَّةٍ وَقَرَاهَا ظَهْرُ تُرْسٍ وَجِلْدُهَا جِلْدُ صَخْرَةٍ<sup>(١)</sup>  
مِثْلُ فَهْرِ الْعَطَارِ دُقَ بِهِ الْعَطْ رُفَحَلَتْ طَرَائِقُ الطَّيْبِ ظَهْرَهُ<sup>(٢)</sup>  
يَقْطَعُ الْخَوْفَ رَأْسُهَا فَإِذَا مَا أَمِنَتْهُ فَرَأْسُهَا مَسْتَقَرَّهُ

وقال آخر: [من المتقارب]

لَحَى اللَّهُ ذَاتَ فِمْ أَحْرَسٍ تُطِيلُ مِنَ الْعِيِّ وَشَوَاسَهَا  
تَكَبَّ عَلَى ظَهْرَهَا تُرْسَهَا وَتُظْهِرُ مِنْ جِلِّهَا فَاسَهَا<sup>(٣)</sup>  
إِذَا الْجِدْرُ أَقْلَقَ أَحْشَاءَهَا وَضَيَّقَ بِالْخَوْفِ أَنْفَاسَهَا  
تَضَمَّ إِلَى نَخْرَهَا كَفَهَا وَتُدْخِلُ فِي جَوْفِهَا رَأْسَهَا

(١) القراء: الظهر.

(٢) الفهر: الحجر الرقيق الذي تسحق به الأدوية.

(٣) الفأس: طرف مؤخر الرأس المشرف على القفا.



وأما الفرسُ النَّهْرِيُّ - وهو عظيم الجثة، وخَلَقَهُ خَلْقُ الفرسِ؛ إلا أن وجهه أوسع؛ وله أظلاف كالبقرة؛ وذنبه مثل ذنب الخنزير؛ وصوته يُشبه صوت الفرس، وهو لا يوجد إلا في نيل مصر. وهو يخرج من الماء إلى البر، ويرعى الزرع، وإذا قصد الزرع لا يبتدىء من أوله، ولكنه يجوز منه قطعة بقدر ما يأكل ويبتدىء منها بحيث يكون وجهه إلى البحر، وهو يقتل التمساح ويَقْهَرُهُ. وأهل الديار المصرية إذا رأوا أثر حافره في البر تباشروا بزيادة النيل وكثرة الخضب. وفي سنة اثنتين وسبعمائة طلع الفرسُ النهريُّ إلى البر بالجيزة وأبعد عن البحر، فثَحِيلَ عليه وقُتِل. وأهل الثوبة يصيدونه كثيراً، ويتخذون من جلده سياطاً يسوقون بها الإبل.

وأما الجندبيدستر - وهو السَّمُور، ويسمى «كَلْبُ الماء». ولا يوجد إلا ببِلاد القفجاق<sup>(١)</sup> وما يليها. وهو على هيئة الثعلب، أحمر اللون، لا يدان له، وله رجلان وذنب طويل، ورأسه كراس الإنسان، ووجهه مستدير. وهو يمشي متكئاً على صدره كأنه يمشي على أربع، وله أربع خُصَ: ثنتان ظاهرتان وثنتان باطنتان. وهو إذا رأى الصيادين يجِدُون في طلبه لأجل الجندبيدستر، وهو خُصِيَّتَاهُ الظاهرتان، قطعهما بفيه ورمى بهما إليهم؛ إذ لا حاجة لهم إلا بهما. فإن لم يرهما الصيادون وداموا في الجِدِّ في طلبه استلقى على ظهره ليُرِيَهُم الدَّم، فيعلمون أنه قطعهما فينصرفون عنه، وهو إذا قطع الظاهرتين ظهر الباطنتان وعرض عنهما غيرهما. وفي داخل الخصية شبه الدَّم أو العسل زهم الرائحة سريع التفكك إذا جف. ويقال: إنه يُوكَّرُ<sup>(٢)</sup> على الأرض، ويولد عليها ويرعى فيها، ويهرب إلى الماء ويعتصم به؛ ويُمكنه أن يَلْبَثَ في قعره حابساً لنفسه زماناً ثم يخرج إلى الهواء.

وأما حيوانُ القُنْدُس والقَاقِم - فالقُنْدُس يغتذي بالسمك والنبات. ويقال: إن فيه سادةً وعبيداً، وإنه يتخذ مساكن مرتبةً على ترتيب مساكن الناس. والسادة يتخذون في بيوتهم صُفَفاً<sup>(٣)</sup> مرتفعةً يكونون عليها، وفي أسفلها مواضع للعبيد، وليبوتهم أنفاقاً إلى البر وأبواباً إلى النهر. وبعض هذا الحيوان يُغَيِّر على بعض. والسادة لا تتكسب وإنما يتكسب لها العبيد، ويُعرف جلدُ السيد من جلد العبد بحسن لونه وبصيصه<sup>(٤)</sup>. وأهل تلك البلاد يسلخون خراطيم القُنْدُس والسَّمُور ويتعاملون بها كما يتعامل بالذنانير

(١) القفجاق: قوم كانوا يعرفون بالخفشاخ إلى بلاد القسطنطينية، وكان لهم ملوك كثيرة في بلاد المغرب. (تقويم البلدان ص ٢٠٦).

(٢) يوكَّر: أي يتخذ وكراً.

(٣) الصفة من البنيان: شبه البهو الواسع.

(٤) البصيص: البريق واللمعان.

والدراهم بحيث يكون عليها خَتَمُ الملك. وجِلْدُ هذا الحيوان هو الذي يُعْمَلُ شَرَابِيشَ<sup>(١)</sup> الأُمراء وأطواقَ الشَّاريف ودوائرها.

وَالْقَائِمُ: حيوان يُشَبِّه السُّنْجَابَ إِلَّا أَنَّهُ أَبْرَدُ مِنْهُ وَأَرْطَبُ؛ ولهذا هو أبيضُ يَقْقُ. وهو يُجَلِّبُ من بحر الخَزَر. وجلده يُشَبِّه جِلْدَ الْفَنَكِ<sup>(٢)</sup>.

وَأَمَّا الضَّفَادِعُ - وهي أصناف كثيرة، تكون من سِفَادٍ وغير سِفَادٍ. وهي تَبْيِضُ في البرِّ وتعيش في الماء. والذي من غير سِفَادٍ يتولَّد من المياه الضعيفة، ومن العُفُونات، وَغِبَّ الأمطار الغزيرة، حتى يتوهَّم المتوهَّم أنه يسقط من السَّحَاب لكثرة ما يُرى منه على الأسطحِ عَقِيبَ المطر. ويقال: إنه يُخْلَق في تلك الساعة.

والضَّفَدَع من الحيوان الذي لا عَظْمَ له. وفيه ما يَنْقُ وما لَيْسَ يَنْقُ. وليس صوتُ ما يَنْقُ من فيه ولكنه من جلودِ رِقَاقٍ تكون إلى جانبِ أذنيه؛ فإذا أراد النقيق أنفتحت فيخرج الصوتُ منها. وهي تَنْطَلِقُ في زمن الشتاء فلا تَنْفَتِحُ حتى يعتدلَّ الجو.

قال الجاحظ: والضَّفَدَعُ لا يَصِيح ولا يُمكنه الصياح حتى يُدْخَلَ حَنَكُهُ الأسفلَ الماء، فإذا صار في فيه بعضُ الماء صاح؛ ولذلك لا تَسْمَع للضفادع نَقِيْقاً إذا كنَّ خارجاتٍ من الماء. قال: والضفادع تَنْقُ، فإذا أبصرت النار أمسكت، وتوصف بحدة السمع إذا كانت خارجَ الماء. ويُضرب بها المثل في السمع والحدَر، فيقال: «أَحْدَرُ من ضِفْدَعٍ» و«أَسْمَعُ من ضِفْدَعٍ». وقال شاعر يصف الضفادع:

وَمُقْعَدَاتٍ زَائِهْنَ أَرْجُلُ كَقَعْدَةِ النَّاكِحِ حِينَ يُنْزَلُ  
\* يُكْسَيْنَ وَشَيْئاً وَعَيُونَ تَكْحَلُ \*

وقال آخر: [من المنسرح]

دَعَتْكَ فِي فَاضَةٍ مُدَّئِرَةً لَيْسَ لَهَا طُرَّةٌ وَلَا هُدْبُ<sup>(٣)</sup>  
قَدْ نُسِجَتْ مِنْ زَبَرْجَدٍ فَجَرَى بَيْنَ تَضَاعِيفِ نَسْجِهَا الذَّهَبُ  
يَظَلُّ صَمْتاً نَهَارَهُ فَإِذَا أَدْرَكَهُ اللَّيْلُ بَاتَ يَضْطَخِبُ  
وَهُوَ وَإِنْ لَمْ يَغْطُ مَقْلَتَهُ جَفَنُ وَلَا أَمْتَدَ خَلْفَهُ ذَنْبُ  
يُعْجِبُنِي مَا أَرَاهُ مِنْهُ فَفِي خَلْقَتِهِ وَأَخْتِلَافِهَا عَجَبُ  
وَأَمَّا السَّرَطَانُ وَمَا قِيلَ فِيهِ - وهو ذو فَكَّيْنِ وَمَخَالِبٍ وَأَظْفَارٍ جِدَادٍ، كثيرُ الأسنانِ،

(١) الشرايش: جمع شربش، وهو هذب الثوب.

(٢) الفنك: دابة يؤخذ منها الفرو.

(٣) الفاضة: القميص الواسع البراق - ومدنره: أي يشبه وشيها الدنانير.

صَلْبُ الظَّهْر، سريع العَدْو، وعينه على كَيْفِيهِ، وَقَمُهُ فِي صدره، وَفَكَاهِ مشقوقانِ من جانِبَيْنِ. وله ثَمَانِي أَرْجُلٍ. وهو يمشي على جانبٍ واحدٍ؛ وَيَسْتَنَشِقُ المَاءَ والهَوَاءَ معاً. وهو يسلُخُ جلده في السَّنَةِ سِتَّ مراتٍ، وَيَتَّخِذُ بَجُحْرِهِ بَابِينَ، أَحَدُهُمَا إِلَى المَاءِ والثَّانِي إِلَى البَرِّ. فإذا سلخ جلده سدَّ عليه ما يلي المَاءَ خوفاً من السمك وترك ما يلي البَرَّ مفتوحاً؛ فإذا جفَّتْ رطوبتُهُ وأَشْتَدَّ، فتح ما يلي المَاءَ وطلب مَعَاشَهُ.

قال شاعر يصفه: [من السريع]

فِي سَرَطَانِ المَاءِ أُعْجِبُ ظَاهِرَةً لِلخَلْقِ لَا تَخْفَى  
مُسْتَضْعَفُ المُنَّةِ لَكِنَّهُ أَبْطَشُ مِنْ حَارِبَتِهِ كَفَا  
يُسْفِرُ لِلنَّازِرِ عَنْ جَمَلَةٍ مَتَى مَشَى قَدَرَهَا نِضْفَا

وقال أبو عُبَيْدٍ البَكْرِيُّ<sup>(١)</sup> في كتابه المترجم بالمسالك والممالك: إِنَّ بِيحَرَ الصِّينِ سَرَطَانَاتٍ تَخْرُجُ كَالذَّرَاعِ والشَّيْبَرِ؛ فإذا صارت إِلَى البَرِّ عادت حجارةً وَأَنْقَلَبَتْ عَنْ الحَيَوَانِيَّةِ؛ والأطباء يتخذون منها كخلاً يجلو البياضَ.

### ذَكَرُ شَيْءٍ مِنْ عَجَائِبِ الْحَيَوَانِ الْمَائِيِّ

وعجائبُ البحر كثيرةٌ لَا يُسْتَغْرَبُ ما نذكر منها؛ ولذلك قيل: «حَدَّثَ عَنْ البحرِ وَلَا حَرَجٍ». وقد حكى صاحبُ كتابِ مَبَاهِجِ الْفِكْرِ وَمَنَاهِجِ الْعِبَرِ فِي كتابه، قال: رَأَيْتُ فِي بعضِ المَجَامِيعِ المَجْهُولَةِ أَنَّ فِي بعضِ البحارِ شاةً شَعْرَاءَ تكون فِي البَرِّ مع البهائم حين الرُّغْيِ؛ فإذا فرغت من رَغِيها عادت إِلَى المَاءِ، وتَأْكُلُ السمكَ. قال: وذكر لها خواصَّ. قال: وذكر بعضهم دابةً سَمَّاها «خَزَّ المَاءِ»، ولم يُسَمِّ المَكَانَ الَّذِي تكون فيه، وقال: إنها مثالُ أَبْنِ عِرْسٍ أو أَكْبَرُ قَلِيلًا، سَبَّاحَتُها فِي المَاءِ كَجَزِيها فِي البَرِّ، لها وَبَرٌّ ناعِمٌ تُعْمَلُ مِنْهُ ثِيَابُ الخَزِّ، وهذا الوَبَرُ موجودٌ تأتي به التَّجَارُ مِنْ البحرِ الرومِيِّ يُباعُ بالقاهرة، ويُسمونه صَوْفَ السمكِ؛ وهو أَخْضَرُ اللَّوْنِ؛ ويقال: إنه إذا طلعَ مِنْ البحرِ يكونُ أبيضَ يَقَقًا، فإذا صارَ إِلَى البَرِّ وأصابه النسيمُ أَنْقَلَبَ إِلَى الخَضْرَاءِ. وهم يَغْرِلُونَهُ وَيُلْجِمُونَهُ بِه الثِّيَابِ المُسَدَّاةِ بالحريرِ، وقيمتُهُ لَا تَقْصُرُ عَنْ قيمةِ الحريرِ وربما يَزِيدُ عَلَيْهِ. وأَرْخَصَ ما أَبْتَعْتُهُ أَنَا حَسَاباً عَنْ وَزْنِ كُلِّ مائَةِ درهمٍ أَرْبَعِينَ درهماً. وبه تُخَنَّقُ الْأَفَاعِي بِمِصْرَ، تُقْتَلُ مِنْهُ خِيوطٌ تُسَمَّى إِذَا خُنِقَ بِها الْأَفَاعِي حَبَالَ الخُنَاقِ، لها نَفْعٌ فِي تحليلِ مَرَضِ الخُنَاقِ.

(١) هو عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي المتوفى سنة ٤٨٧ هجرية، وكان مولده سنة ٤٣٢ هجرية. (كتاب التنبية على أوهم أبي القالي في أماليه).

ويقال: إن ببحر الرّوم - وربما بغيره أيضاً - حيواناً يُسمونه «بنات الماء» يُشبهن النساء، لهنّ شعورٌ سبّاط، ألوانهنّ إلى الشّمرة، ذوات فروج عظام وتُدّي، ولهنّ قهقهة وضحكٌ وكلامٌ لا يفهم، وربما يقعن لأصحاب المراكب وغيرهم فينكحونهنّ فيجدون لنكاحهنّ لذّة عظيمة ثمّ يعيدونهنّ إلى البحر. وفي البحر أيضاً أمثال الرجال، يقال: إنهم يظهرون بالإسكندرية وبالبرّلس ورشيد<sup>(١)</sup> في صورة الإنسان بجلودٍ لرجة لهم بكاء وعويل إذا وقعوا في أيدي الناس؛ وذلك أنهم ربما برّزوا عن البحر إلى البرّ يتشمّسون فيقع بهم الصّيادون؛ فإذا سمع الناس بكاءهم أطلقوهم رحمة لهم.

## الباب الثامن وهو الدّيل على القسم الخامس من الفنّ الثالث

ويشتمل هذا الباب على ذكر شيء مما وُصفت به آلات الصيد في البرّ والبحر ووصف رُماة البندق، وما يجري هذا المجرى.

ذكرُ شيءٍ ممّا قيل في رُماة البندق - ومما وُصفت به الجَلاهق<sup>(٢)</sup> وهو قِسيّ البندق. من ذلك ما كتب به أبو إسحاق الصّابي من رسالة إلى أبي الفرج محمد بن العباس بن فُسَابَخَش، جاء منها: «أقبلت رُفْقَةُ الرُّمّة قد برّزت قبل الذُّرور<sup>(٣)</sup> والشروق، وشمّرت عن الأذرع والسُّوق، مقلّدين خرائط شاكلت السيوف بحماثلها ونيّاطاتها<sup>(٤)</sup>، وناسبتّها في آثارها ونكاياتها؛ تحمل من البندق المَلْمُوم، ما هو في الصّحة والاستدارة كاللؤلؤ المنظوم؛ كأنما خرط بالجهر<sup>(٥)</sup>، فجاء كبنات الفهر<sup>(٦)</sup>؛ قد اختير طينه، وملّك عجيته<sup>(٧)</sup>؛ فهو كالكاפור<sup>(٨)</sup> المصّاعد في اللّمس والمنظر، وكالعنبر الأذقر في الشّمّ والمخبّر؛ مأخوذ من خير مواطنه، مجلوب من أطيب معادنه؛ كافلاً

(١) رشيد: بلدة على ساحل البحر والنيل قرب الإسكندرية. (معجم البلدان لياقوت).

(٢) الجلاهق: قوس تتخذ من القنا، ويلف عليها الحرير وتغزى. وفي وسط وترها قطعة دائرة تسمى الجوزة توضع فيها البندقة عند الرمي.

(٣) الذرور: ظهور الشمس أول شروقها.

(٤) النياط: الذي هو معلق القوس.

(٥) قد يراد بالجهر: الراية الغليظة.

(٦) بنات الفهر: الحجارة الصغيرة.

(٧) ملك العجين: عجنه فأنعم عجنه وأجاده.

(٨) الكافور: صمغ شجر ولونه أحمر ملمع أو أسمر؛ وخشبه أبيض رخو يضرب إلى السواد.

بمطاعم حاملييه، مُحَقَّقٌ لآمال آملِيه؛ ضامنٌ لِحِمَامِ الحِمَام، مُتَنَاولٌ لها من أبعد مَرَام، يعرُجُ إليها وهو سَمٌ نافع، ويهبطُ بها وهي رزقٌ نافع».

ومنها في وصف القسي: «وبأيديهم قِسيٌّ مكسوةٌ بأغشية السُّندس، مشتملةٌ منها بأحسن مَلَبَس؛ مثل الكُماة في جَوَاشِنِها ودُرُوعِها، والجِيَادِ في جِلَالِها وقُطُوعِها<sup>(١)</sup>؛ حتى إذا جُرِّدَت من تلك المطارق، وأنتَضِيَت من تلك المَلَاحِف؛ رأيت منها قُدوداً مُحْطَفَةً<sup>(٢)</sup> رشيقة، وألواناً مُعْجِبَةً أُنِيقَةً؛ صُلْبَةً المَكَاسِر<sup>(٣)</sup> والمَعَاجِم، نجيبَةُ المَنَابِت والمَنَاجِم؛ حَظِيَّةُ الأَسْمَاء والمَنَاسِب، سَمَهْرِيَّةُ الأَعْرَاقِ والمَنَاصِب؛ رُكِبَت من شَطَايا الرِّمَاح الداعسة، وقرون الأوعال الناخسة<sup>(٤)</sup>؛ فحازت الشرفَ من طَرَفِئِها، وأستولت عليه بِكَلْتَا يَدِيْها؛ قد أَنَحْنَت أَنَحْنَاءَ المَشِيخَةِ السُّسَاك، وصالت صِيَالِ الفَتِيَةِ الفُتَاك؛ وأستبدلت من قديمِها في عَزِّ الفوارس، بحدِيثِها من نفيسِ الملابس؛ وأنتقلت من جِدِّها في طِرَادِ المَغَارَات<sup>(٥)</sup> إلى هَزَلِها في طَرْدِ المُسْهَرَات<sup>(٦)</sup>؛ ظواهرُها صَفَرٌ وارسه<sup>(٧)</sup>، ودواخِلُها سوَدٌ دَامِسُه؛ كَأَنَّ شَمْسَ أَصِيلٍ طلعت على مُتُونِها، أو جَنَحَ ليل أَعْتَكِرَ في بطونِها؛ أو زعفراناً جرى فوق مناكِبِها أو غاليةً جَمَدَت على ترائِبِها؛ أو قضبانَ فضةٍ أَذْهَبَ شَطْرُها وأُخْرِقَ شَطْرُ، أو حَبَاتِ رَمَلٍ أَعْتَنَقَ السوَدَ منها صَفْرًا».

وجاء منها في وصف الوتر:

«فلَمَّا تَوَسَّطُوا تلك الروضة، وأنتشروا في أَكْتَافِ تلك الغَيْضَةِ؛ وَبَيَّثَ للزَّمِيِّ أَقْدَامُهم، وَشَخَّصَت للطيرِ أَبْصَارُهم؛ وَتَرَوُها<sup>(٨)</sup> بكلِّ وَتَرٍّ فُوقَ<sup>(٩)</sup> سَهِمِه منه، وهو مَفَارِقٌ للسهم وخارجٌ عنه؛ مُضَاعَفٌ عليها من وَتَرَيْنِ، كَأَنَّهُ شَخْصٌ ذو جَسَدَيْنِ، أو عِنَاقٌ ضَمَّ ضَجِيعَيْنِ في وسطه عَيْنٌ كَشْرَجَةٍ كَيْسٍ مَخْتومٍ، أو سُرَّةٌ بَطْنٍ خَمِيصٍ مَهْضومٍ؛ تَرَوُعٌ لقلب الطير بالإنْبَاضِ، وتُصِيبُ منها مَوَاقِعَ الأَغْرَاضِ».

(١) القطوع: جمع قطع، وهو ضرب من الثياب الموشاة.

(٢) المحطفة: الضامرة قليلة لحم الجنب.

(٣) يقال: فلان صلب المكسر والمعجم: إذا كان قوياً شديداً عند المختبر.

(٤) الرعل الناخس: الذي نخس قرناه استه من طولهما.

(٥) المغارات: جمع مغارة، وهي مصدر بمعنى الغارة.

(٦) الطرد: الصيد - والمسهرات: طيور يلتذ بها كل من يسمها ويسهر عليها ولا يشتهي النوم من لذة سماعها.

(٧) الوارس: الأصفر.

(٨) وتره: أي أدركه بمكروه وأصابه.

(٩) فوق السهم: إذا وضع في الوتر ليرمي به.

وقال ضياء الدين بن الأثير الجَزَرِيّ من رسالة في وصف القسيّ. وذكر الرّماة، جاء منها:

«وإذا تناولوها بأيديهم قلت: أهلة طالعة في أكف أقمار، وإذا مثل غناؤها وغناؤهم قلت: منا يا مسوقة في أيدي أقدار، وتلك قسيّ وضعت للعب لا للتضال، ولرَدَى الطير لا لردى الرجال. فإذا نعتها ناعت قال: إنها جمعت بين وضفي اللين والصلابة، وصيغت من نوعين غريبين فحازت معنى الغرابة؛ فهي مركبة من حيوان ونبات، مؤلفة منهما على بُعد الشّتات؛ هذا من سكان البحر وسواحل، وهذا من سكان البرّ ومجاهله، ومن صفاتها أنها لا تتمكّن من البطش إلا حين يُشْتَدّ، ولا تنطلق في شأنها إلا حين تُعْطَف وتردّ. ولها بنات أحكم تصويرها، وضُحّ تدويرها؛ فهي في لونها صندلية الإهاب، وكأنها صيغت لقوتها من حجر لا من تراب؛ فإذا حذّفتها نحو الأطيّار أحد، قيل: وتصعد من الأرض من جبال فيها من برد، فلا ترى حينئذٍ إلا قتيلاً بالمقتل الذي لا يجب في مثله من قود<sup>(١)</sup>؛ فهي كافلة من تلك الأطيّار بقبض نفوسها، ومُزَلّة لها من السماء على أم رؤوسها».

ومن إنشاء المولى الفاضل شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي الكاتب - أمتع الله ببقائه، وزاد في علوه وأرتقائه - رسالة في رمي البندق، وصف فيها الرّماة، ومواضع الرّمي ووقته، والقسيّ، وأفعال الرّماة، وجميع طير الواجب<sup>(٢)</sup>، لم أقف فيما طالعتُه لمُتَقَدِّم ولا متأخّر على أجمع لهذا الفن منها؛ وهي مما يستعين بها الكاتب على إنشاء ما يقصده من قدم البندق في أي نوع أراد من طير الواجب. وقد أوردتها بجملتها؛ لحسن التّمامها، وأتساق نظامها؛ وجودة ترتيبها، وبديع تهذيبها. وهي:

«الرّياضة - أطال الله بقاء الجناب الفلاني، وجعل حبه كقلب عدوه واجباً، وسعده كوصف عبده للمسارّ جالباً وللمضارّ حاجباً - تبعث النفس على مجانية الدّعة والسكون، وتصونها عن مشابهة الحمام في الرّكون إلى الوكون<sup>(٣)</sup>؛ وتحضّنها على أخذ حظّها من كل فنّ حسن وتحثّها على إضافة الأدوات الكاملة إلى فصاحة اللّسن؛ وتأخذ بها طوراً في الجِدّ وطوراً في اللّعب، وتُصَرِّفها في مَلَأَ السّموّ في المَشاقّ التي يستروح إليها التّعَب؛ فتارة تحمل الأكابر والعظماء في طلب الصيد على مواصلة

(١) القود: القصاص.

(٢) طيور الواجب: أربعة عشر طائراً وهي على ضربين: الضرب الأول طيور الشتاء.. والضرب الثاني طيور الصيف، أي التي يكثر وجودها فيه.

(٣) الوكون: جمع وكن، وهو عش الطائر في جبل أو جدار.

السرى، ومقاطعة الكرى؛ ومهاجرة الأوطار، ومهاجمة الأخطار، ومكابدة الهواجر<sup>(١)</sup>، ومبادرة الأوابد التي لا تُدرَك حتى تبلغ القلوب الحناجر، وذلك من محاسن أوصافهم التي يُذَمُّ المُعْرِض عنها، وإذا كان المقصود من مثلهم جدُّ الحرب فهذه صورة لعب يُخَرَّج إليها منها؛ وتارة تدعوهم إلى البروز إلى المَلَق<sup>(٢)</sup>، وتحذوهم في سلوك طريقها مع من هو دونهم على ملازمة الصدق ومجانبة المَلَق؛ فيَعْتَسِفون إليها الدُّجى، إذا سَجَى؛ ويقتحمون في بلوغها حُرَقَ النهار إذا أَنهار، ويتنعمون بوعثاء السفر، في بلوغ الظَّفَر؛ ويستصغرون ركوبَ الحَظَر، في إدراك الوَطَر؛ ويؤثرون السهر على النوم، وألَّيلة على اليوم، البندَق على السهام، والوَخْدة على الالتئام.

ولمَّا عُدنا من الصيد الذي اتَّصل بعلمه حديثه، وشرح له قديم أمره وحديثه؛ تُقْنَا إلى أن نَشْفَع صيدَ السَّوانح برمي الصَّواح، وأن نفعل في الطير الجوانح بأهْلَةِ القَيْسِي ما تفعل الجوارح؛ تفضيلاً لملازمة الارتحال، على الإقامة في الرِّحال<sup>(٣)</sup>؛ وأخذاً بقولهم:

لا يُصلَحُ النفسَ إذ كانت مُدْبِرَةً إِلَّا التَّنَقُّلُ من حالٍ إلى حالٍ  
فبرزنا وشمسُ الأصيلِ تجود بِنَفْسِها، وتَسِيرُ من الأفقِ الغربيِّ إلى جانبِ رَمْسِها؛  
وتُغَازِلُ عيونُ الثَّوَارِ بِمُقَلَّةِ أَرْمَدَ، وتنظر إلى صفحات الوردِ نظَرَ المريضِ إلى وجوه  
العُودِ؛ فكأنها كَثِيبٌ أضْحى من الفِراقِ على فَرَقٍ<sup>(٤)</sup>، أو عليلٌ يقضي بين صَحْبِهِ بقايا  
مدَّةِ الرَّمَقِ؛ وقد أَخْضَلَتْ عيونُ الثَّوَرِ لوداعِها، وهم الروض بخلع حلَّته المُمَوِّهَة  
بذهب شُعَاعِها: [من البسيط]

والطلُّ في أعين الثَّوَارِ تحسَّبه      دمعاً تحيِّرَ لم يَزَقاً ولم يَكِفِ  
كلُّوْلُو ظِلِّ عِطْفِ الغصنِ مُتَشِحاً      بعِقدِهِ وتَبَدَّى منه في شَنَفٍ<sup>(٥)</sup>  
يُضَمُّ من سندس الأوراقِ في صرَر      خُضِرَ ويُخْبَا من الأزهارِ في صَدَفِ  
والشمسُ في طَفَلِ الإِمْسَاءِ تنظر من      طَرَفِ غدا وهو من خوف الفِراقِ خَفِي<sup>(٦)</sup>

(١) الهواجر: جمع هاجرة، وهي نصف النهار في القيظ خاصة عند زوال الشمس مع الظهر، أو من زوالها إلى العصر، لأن الناس يسكنون في بيوتهم كأنهم قد تهاجروا.

(٢) الملق: الصفوح اللينة الملتزمة من الجبل، وقيل: هي الأكام المفترشة.

(٣) الرحال: جمع رحل، وهو المنزل والمأوى.

(٤) الفرق: الخوف.

(٥) الشنف: الذي يبس في أعلى الأذن، والذين في أسفلها يقال لها قرط.

(٦) الطفل: يقال: طفلت الشمس: أي مالت للغروب.

كعاشقٍ سار عن أحبابه وهَفَا به الهوى فَتَرَاءَاهُمْ عَلَى شَرَفٍ  
إِلَى أَنْ نَضَا الْمَغْرِبُ عَنِ الْأَفْقِ ذَهَبَ قَلَانْدَهَا، وَعَوَّضَهُ عَنْهَا مِنَ النُّجُومِ بِخَدَمِهَا  
وَوَلَانْدَهَا<sup>(١)</sup>؛ فَلَيْثُنَا بَعْدَ أَدَاءِ الْفَرَضِ لُبْتُ الْأَهْلَةَ، وَمَنْعَنَا جَفَوْنَنَا أَنْ تَرَدَّ النَّوْمُ إِلَّا تَجَلَّهْ؛  
وَنَهَضْنَا وَبُرُودُ اللَّيْلِ مُوْشَعٌ<sup>(٢)</sup>، وَعِيقْدُهُ مَرَّصَعٌ؛ وَإِكْلِيلُهُ مُجَوَّهَرٌ، وَأَدِيمُهُ مُعَنْبَرٌ؛ وَبِدْرُهُ  
فِي خِذْرِ سِرَارِهِ مُسْتَكِينٌ، وَفَجْرُهُ فِي حَشَى مَطَالَعِهِ مُسْتَجِنٌ؛ كَأَنَّ أَمْتِزَاجَ لَوْنِهِ بِشَفَقِ  
الْكَوَاكِبِ خَلِيطًا مِسْكٍ وَصَنْدَلٍ، وَكَأَنَّ ثُرَيَّا لَامْتِدَادَهُ مُعَلَّقَةً بِأَمْرَاسٍ كَثَانٍ إِلَى صَمِّ  
جَنْدَلٍ: [من الطويل]

وَلَا حَتَّ نَجُومُ اللَّيْلِ زُهْرًا كَانَتْهَا عَقُودٌ عَلَى خَوْدٍ مِنَ الزُّنْجِ تُنْظَمُ<sup>(٣)</sup>  
مُحَلَّقَةً فِي الْجَوِّ تَحْسَبُ أَنَّهَا طَيُورٌ عَلَى نَهْرِ الْمَجْرَةِ حَوْماً  
إِذَا لَاحَ بَازِي الصَّبَحِ وَلَّتْ يَوْمَهَا إِلَى الْغَرْبِ خَوْفاً مِنْهُ نَسَرَّ وَمِزَزَمُ  
إِلَى حَدَائِقَ مَلْتَقَةً، وَجَدَاوَلَ مُحْتَقَةً؛ إِذَا جَمَّشَ النَّسِيمُ غُصُونَهَا أَعْتَنَتْكَ اعْتِنَاقَ  
الْأَحْبَابِ، وَإِذَا فَرَّكَ مِنَ الْمِيَاهِ مَتَوْنَهَا أَنْسَابَتِ فِي الْجَدَاوَلِ أَنْسِيَابُ الْحُبَابِ<sup>(٤)</sup>، وَرَقَصَتْ  
فِي الْمَنَاهِلِ رَقَصَ الْحُبَابِ؛ وَإِنْ لَشِمَ ثُغُورَ نَوْرِهَا حَيْثُ بِأَنْفَاسِ الْمَعْشُوقِ، وَإِنْ أَيْقَظَ  
نَوَاعِسَ وَزُفْقَا غَتَّتْهُ بِالْحَانِ الْمَشُوقِ؛ فَنَسِيمُهَا وَانْ، وَشَمِيمُهَا لَعَزَفَ الْجَنَانِ عُنْوَانِ،  
وَرَدُّهَا مِنْ سَهَرٍ نَزَجِسَهَا غَيْرَانِ، وَطَلُّهَا فِي خُدُودِ الْوَرْدِ مُنْبَثٌّ وَفِي طُرَرِ الرِّيحَانِ  
خَيْرَانِ، وَطَائِرُهَا غَرْدٌ، وَمَاوَاهَا مَطَرِدٌ؛ وَغُصْنُهَا تَارَةً يَعْطِفُهُ النَّسِيمُ إِلَيْهِ فَيَنْعَطِفُ، وَتَارَةً  
تَحْتَ وَزَقَائِهِ فَتَحْسَبُ أَنَّهَا هَمْزَةٌ عَلَى أَلْفٍ، مَعَ مَا فِي تِلْكَ الرِّيَاضِ مِنْ تَوَافُقِ الْمَحَاسَنِ  
وَتَبَايُنِ التَّرْتِيبِ؛ إِذْ كُلَّمَا أَعْتَلَّ النَّسِيمُ صَحَّ الْأَرْجُ وَكُلَّمَا خَرَّ الْمَاءُ شَمَخَ الْقَضِيبُ: [من  
الكامل]

فَكَأَنَّمَا تِلْكَ الْغُصُونُ إِذَا ثَنَّتْ أَعْطَافُهَا رَسْلُ الصَّبَا أَحْبَابُ  
فَلَهَا إِذَا افْتَرَقَتْ مِنْ أَسْتَعْطَافِهَا صُلُحٌ وَمِنْ سَجْعِ الْحَمَامِ عِتَابُ  
وَكَاثِنَا حَوْلَ الْعَيُونِ مَوَائِسَا شَرْبٌ وَهَاتِيكَ الْمِيَاهُ شَرَابُ  
فَغْدِيرُهَا كَأَنَّ وَعَذْبُ نَطَافِهَا رَاحٌ وَأَضْوَاءُ النُّجُومِ حَبَابُ<sup>(٥)</sup>  
تُحِيطُ بِمَلَقِي نَطَافِهَا صَافٍ، وَظِلَالُ دَوْحِهَا ضَافٍ، وَحِصَاهَا لَصَفَاءُ مَائِهَا فِي نَفْسِ

(١) الولائد: جمع وليدة، وهي الصبية والأمة.

(٢) الموشع من الثياب: المعلم.

(٣) الخود: الفتاة الحسنة الخلق الشابة.

(٤) الحباب (بضم الحاء): الحية - والحباب (بكسر الحاء): القرط من جهة واحدة.

(٥) النطاف: جمع نطفة، وهي القليل من الماء.



الأمر راكد وفي رأس العين طاف؛ إذا دغدغها<sup>(١)</sup> النسيم حسبت ماءها بتمایل الظلال فيه يتبرج ويميل؛ وإذا أطردت عليه أنفاس الصبا ظننت أفياء تلك الغصون فيه تارة تتموج وتارة تسيل؛ فكأنه محب هام بالغصون هوئى فمئلا في قلبه، وكأن النسيم كلف بها غار من دئوها إليه فمئلا عن قربه: [من مجزوء الكامل]

والسَّزُو مثل عرائس لُفَّت عليهن الملاء  
شَمَرْنَ فَضَلَ الأُزْرَ عَنْ سُوقٍ خَلَّجُلَهْنَ ماء  
والنهر كالمرأة تُنبِ صر وجهها فيه ألسماء

وكان صواف<sup>(٢)</sup> الطير المبيضة بتلك الملقى خيام، أو ظباء بأعلى الرقمتين قيام، أو أباريق فضة رؤسها لها فدام<sup>(٣)</sup>، ومناقيرها المحمرة أوائل ما أنسكب من المدام؛ وكان رقابها رماح أسنثها من ذهب، أو شموع أسود رؤوسها ما أنطفأ وأحمره ما ألهب. وكنا كالطير الجليل عده، وكطراز العُمر الأول جدّه.

من كل أبلج كالنسيم لطافة عَفُ الضمير مُهَذَّبِ الأخلاق  
مثل البدور ملاحه وكعُمرها عَدَدًا ومثل الشمس في الإشراق

ومعهم قسي كالغصون في لطافتها ولينها، والأهله في نحافتها وتكوينها، والأزاهر في ترافتها وتلويها؛ بطونها مدبجة، ومتونها مدرجة؛ كأنها الشولة<sup>(٤)</sup> في أنعطافها، أو أزواق الظباء في ألنفافها؛ لأوتارها عند القوادم أوتار<sup>(٥)</sup>، ولبنادقها في الحواصل أوكار؛ إذا أنتصبت لطير ذهب من الحياة نصيبه، وإن انبضت<sup>(٦)</sup> لرمي بدا لها أنها أحق به ممن يُصيبه، ولعل ذاك الصوت زجر لبندقها أن يُبطىء في سيره، أو يتخطى العرّض إلى غيره؛ أو وخشة لمفارقة أفلاذ كبدها، أو أسف على خروج بنيها عن يدها؛ على أنها طالما نبذت بنيتها بالعرءاء، وشفعت لخصومها التحذير بالإغراء:

[من البسيط]

مثل العقارب أذنباً مُعَقَّدة لمن تأملها أو حَقَّقَ النَّظْرَا  
إن مدها قمر منهم وعائنه مُسَافِرُ الطير فيها أو نوى سفرا

(١) دغدغها النسيم: جمشها وزغزغها.

(٢) الصواف من الطير: هي التي تصف أجنحتها فلا تحركها.

(٣) الفدام: المصفاة تجعل على فم الإبريق ليصفى به ما فيه.

(٤) الشولة: إحدى منازل القمر في برج العقرب.

(٥) الأوتار: واحدها الوتر، وهو الذحل أو الظلم فيه.

(٦) انبض الرمي القوس: جذب وتره لتصوت.

فهو المسيء اختياراً إذ نوى سفرأ وقد رأى طالعا في العقرب القمرأ  
ومن البنادق كُراتٌ متفقة السُرد، متحدة العُكس والطُرد، كأنما خُرِطت من  
الْمَنْدَل<sup>(١)</sup> الرُّطْب أو عَجِنَتْ من العنبر الوُرد؛ تَسْرِي كالشُّهْب في الظلام، وتَسْبِقُ إلى  
مَقَاتِلِ الطير مُسَدَّدَاتِ السَّهَامِ: [من البسيط]

مثلُ النجوم إذا ما سِرْنَ في أفقٍ عن الأهلةِ لكن نوئها راء  
ما فاتها من نجوم الليل إن رُمِيتْ إلا ثبات يُرى فيها وأضواء  
تَسْرِي ولا يشعرُ الليلُ البهيم بها كأنها في جفون الليل إغفاء  
وتسمعُ الطيرَ إذ تَهفو قوادمه خَوَافِقا في الدُّباجي وهي صماء  
تَصُونُها جِراوة<sup>(٢)</sup> كأنها جُرح دُرر<sup>(٣)</sup>، أو دُرُجُ غُرر، أو كِمَامَة ثَمَر؛ أو كِنَانَة  
نَبْل، أو غَمَامَة وَبْل، حالكة الأديم، كأنما رُقِمَتْ بالشَّفَق حُلَّة ليلها البهيم: [من  
السريع]

كأنها في وصفها مَشْرِقٌ تَنَبَّثُ منه في الدُّجى الأنجمُ  
أو ديمةٌ قد أطلعت قَوْسَهَا مُلَوْنًا وَأَنْبَشَقَتْ تَسْنُجُمُ  
فاتَهذ كلُّ له مركزاً، وتقاضى من الإصابة وَغَدَا مُنْجَزَا، وَضَمَنَ له السعدُ أن  
يُصْبِحَ لِمُرَادِهِ مُخْرَزَا.

كأنهم في يُمْنِ أفعالهم في نظيرِ الْمُنْصِفِ والجاحِدِ  
قد وُلِدُوا في طالعٍ واحدٍ وأشرقوا في مطلعٍ واحدٍ  
فَسَرَتْ علينا من الطير عِصَابُهُ<sup>(٤)</sup>، أَظْلَمْنَا من أجنحتها سَحَابَهُ؛ من كَبَلِ طائرٍ أَقْلَعَ  
يرتاد مَرْتَعَا، فوجد ولكن مَضْرَعَا، وَأَسَفَ<sup>(٥)</sup> يَبْغِي مَاءَ جَمَامَا فورد ولكن السَّمُّ مُنْقَعَا،  
وحلَّق في الفضاء يبتغي ملعباً فبات هو وأشياؤه سَجْدَاً لِلْقَيْسِيِّ وَرُكْعَا؛ فتبركنا بذلك  
الوجه الجميل، وتداركنا أوائل ذلك القَبِيلِ.  
فأستقبل أولنا «تَمَّا»<sup>(٦)</sup> تَمَّ بَذْرُهُ، وَعَظُمَ في نوعه قدرُهُ؛ كأنه بَزَقَ كَرَعَ في عَسَقَ؛

(١) المندل: العود، وقيل: أجوده.

(٢) الجراوة: آلة من جلد يجعل فيها البندق الطين الذي يرمى به عن الجلاهي. والجلاهي: قد تقدم تفسيرها.

(٣) الجرج: وعاء من أوعية النساء.

(٤) عصابة الطير: الجماعة من الطير.

(٥) أسف الطائر من الأرض: دنا منها في طيرانه حتى كادت رجلاه تصبيانها.

(٦) التَّم: طائر في قدر الأوز أبيض اللون طويل العنق أحمر المنقار.

أو صَبَحَ عُطِفَ عَلَى بَقِيَّةِ الدَّجَى عَطَفَ النَّسَقُ؛ تَحَسَّبَهُ فِي أَسْدَافِ الْمُئَيَّ غُرَّةٌ تُجَحُّ،  
وتخاله تحت أذيال الدَّجَى طُرَّةٌ صُبَحَ؛ عَلَيْهِ مِنَ الْبَيَاضِ حُلَّةٌ وَقَارٌ، وَلَهُ كُرَّةٌ مِنْ عَنَبِرٍ  
فَوْقَ مِثْقَارٍ مِنْ قَارٍ. لَهُ عَنَقٌ ظَلِيمٌ، وَالْفَتَاةُ رِيمٌ، وَسُرَى غَيْمٍ يُصَرِّفُهُ نَسِيمٌ.

كَلَوْنُ الْمَشِيبِ وَعَضْرُ الشَّبَابِ      وَوَقْتُ الْوَصَالِ وَيَوْمُ الظَّفَرِ  
كَأَنَّ الدَّجَى غَارَ مِنْ لَوْنِهِ      فَأَمْسَكَ مِثْقَارَهُ ثُمَّ قَرَّ  
فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَنِ الْهَلَالِ نَجْمًا، فَسَقَطَ مِنْهُ مَا كَبُرَ بِمَا صَغُرَ حَجْمًا، فَأَسْتَبَشَرَ  
بِنَجَاحِهِ، وَكَبُرَ عِنْدَ صِيَاحِهِ، وَحَصَّلَهُ مِنْ وَسْطِ الْمَاءِ بَجَنَاجِهِ.

وتلاه «كَيَّ»<sup>(١)</sup> نَقِيَ اللَّبَاسَ، مُشْتَعِلُ شَيْبِ الرَّأْسِ، كَأَنَّهُ فِي عَرَانِينَ شَيْبِهِ لَا وَبِلَهُ  
كَبِيرٌ أُنَاسٌ؛ إِنْ أَسَفَ فِي طَيْرَانِهِ فَعَمَامٌ، وَإِنْ خَفَقَ بِجَنَاحِهِ فَقَلْعٌ لَهُ بِيَدِ التَّسِيمِ زِمَامٌ؛ ذُو  
غَبَبَةٍ<sup>(٢)</sup> كَالْجِرَابِ وَمِثْقَارٍ كَالْجِرَابِ، وَلَوْ نِ يَغُرُّ فِي الدَّجَى كَالنَّجْمِ وَيَخْدَعُ فِي الصُّحَى  
كَالسَّرَابِ؛ ظَاهِرُ الْهَرَمِ، كَأَنَّمَا يُخْبِرُ عَنْ عَادٍ وَيُحَدِّثُ عَنْ إِرَمَ: [مَنْ الْكَامِلُ]

إِنْ عَامَ فِي زَرْقِ الْغَدِيرِ حَسِبَتْهُ      مُبْنِيضٌ غَيْمٍ فِي أَدِيمِ سَمَاءٍ  
أَوْطَارَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ ظَنَنْتَهُ      فِي الْجَوِّ شَيْخًا عَائِمًا فِي مَاءٍ  
مُتَنَاقِضُ الْأَوْصَافِ فِيهِ خِفَّةٌ أَلْ      جُهَالٍ تَحْتَ رِزَانَةِ الْعِلْمَاءِ  
فَنَتَى الثَّانِي إِلَيْهِ عِنَانٌ بُنْدَقِهِ، وَتَوَخَّاهُ فِيمَا بَيْنَ رَأْسِهِ وَعُنُقِهِ، فَخَرَّ كِمَارِدٍ أَنْقَضَ  
عَلَيْهِ نَجْمٌ مِنْ أَفْقِهِ؛ فَتَلَقَّاهُ الْكَبِيرُ بِالتَّكْبِيرِ، وَأَخْتَطَفَهُ قَبْلَ مَصَافَحَتِهِ الْمَاءِ مِنْ وَجْهِ  
الْغَدِيرِ.

وقارنته «إِوَزَةٌ» حُلَّتْهَا دَكْنَاءٌ، وَجَلَّتْهَا حَسَنَاءٌ؛ لَهَا فِي الْفَضَاءِ مَجَالٌ، وَعَلَى  
طَيْرَانِهَا خِفَّةٌ ذَوَاتِ التَّبْرِجِ وَخَفَرُ رِبَاتِ الْحِجَالِ؛ كَأَنَّمَا عَبَثَ فِي ذَهَبٍ، أَوْ خَاصَّتْ فِي  
لَهَبٍ، تَخْتَالُ فِي مِشْيَتِهَا كَالْكَاعِبِ<sup>(٣)</sup> وَتَتَأَنَّى فِي خَطْوِهَا كَاللَّاعِبِ<sup>(٤)</sup>؛ وَتَغْطُو بِجِيدِهَا  
كَالظُّبِيِّ الْغَرِيرِ، وَتَتَدَافَعُ فِي سَبْرِهَا مَشْيَ الْقَطَاةِ إِلَى الْغَدِيرِ: [مَنْ الطَّوِيلُ]

إِذَا أَقْبَلَتْ تَمَشِي فَخَطَرَةٌ كَاعِبٍ      رَدَّاحٍ وَإِنْ صَاحَتْ فَصَوْلَةٌ حَازِمٌ<sup>(٥)</sup>  
وَإِنْ أَقْلَعَتْ قَالَتْ لَهَا الرِّيحُ لَيْتَ لِي      خَفَا ذِي الْخَوَافِي أَوْ قُوَى ذِي الْقَوَادِمِ

(١) الكَيَّ (بضم القاف): من الطيور التي تظهر في الصيف، وهو طير أغبر اللون إلى البياض أحمر المنقار والحوصلة رجلاه تضربان إلى السواد.

(٢) الغيبة: اللحم المتدلي تحت الحنك من الديك والبقرة.

(٣) الكاعب: الفتاة التي نهذ ثديها.

(٤) اللاعب: الذي أعيى من التعب فيتأني في خطوه تعباً.

(٥) الرداح: المرأة الثقيلة الأوراك.

فَأَتَّعِمَ بِهَا فِي الْبُعْدِ زَادَ مُسَافِرٍ وَأَحْسِنَ بِهَا فِي الْقَرْبِ تَخْفَةً قَادِمٍ  
فَلَوَى الثَّالِثَ حَيْدَهُ إِلَيْهَا، وَعَطَفَ بَوَاجِهَ قَوْسَهُ عَلَيْهَا؛ فَلَجَّتْ فِي تَرْفُعِهَا مُنْمَعَةً،  
ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَى حُكْمِهِ مُذْعِنَةً؛ فَأَعَجَلَهَا عَنْ أَسْتِكْمَالِ الْهَبُوطِ، وَأَسْتَوْلَى عَلَيْهَا بَعْدَ  
أَسْتِمْرَارِ الْقُتُوطِ.

وَحَازَتْهَا «لُغْلَغَةٌ» تَحْكِي لَوْنَ وَشَيْهَا، وَتَصِفُ حُسْنَ مَشْيِهَا؛ وَتُزَيِّي عَلَيْهَا بَعْرَتَهَا،  
وَتُنَافِسُهَا فِي الْمَحَاسِنِ كَضَرْتَهَا؛ كَأَنَّهَا مُدَامَةً قُطِبَتْ<sup>(١)</sup> بِمَائِهَا، أَوْ غِمَامَةً شَفَّتْ عَنْ  
بَعْضِ نَجُومِ سَمَائِهَا.

بِغَرَّةٍ بِيضَاءِ مَيْمُونَةٍ تُشْرِقُ فِي اللَّيْلِ كَبَدْرِ الثَّمَامِ  
وَإِنْ تَبَدَّتْ فِي الضُّحَى خِلَّتْهَا فِي الْحُلَّةِ الدُّكْنَاءِ بَرْقَ الْغَمَامِ  
فَنَهَضَ الرَّابِعُ لِاسْتِقْبَالِهَا، وَرَمَاهَا عَنْ فَلَكَ سَعْدِهِ بِنَجْمٍ وَبَالِهَا، فَجَدَّتْ فِي الْعُلُوِّ  
مُغْنَدَةً<sup>(٢)</sup>، وَتَطَارَدَتْ أَمَامَ بُنْدِقِهِ وَلَوْلَا طِرَازُ الصَّيْدِ لَمْ تَكُ لَذَّةً؛ وَانْقَضَ عَلَيْهَا مِنْ يَدِهِ  
شِهَابٌ حَتَفَهَا، وَأَدْرَكَهَا الْأَجَلُ لَخِيفَةِ طَيْرَانِهَا مِنْ خَلْفِهَا، فَوَقَعَتْ مِنَ الْأَقْفِ فِي كَفِّهِ،  
وَنَفَرَ مَا فِي بَقَايَا صَفِّهَا عَنْ صَفِّهِ.

وَأَتَتْ فِي أَثَرِهَا «أَنِيسَةً»، أَنِسَةً، كَأَنَّهَا الْعَذْرَاءُ الْعَانِسَةُ، أَوْ الْأَذْمَاءُ الْكَانِسَةُ<sup>(٣)</sup>؛  
عَلَيْهَا خَفَرُ الْأَبْكَارِ، وَخِيفَةُ ذَوَاتِ الْأَوْكَارِ، وَحِلَاوَةُ الْمَعَانِي الَّتِي تُعْجَلِي عَلَى الْأَفْكَارِ؛  
وَلَهَا أُنْسُ الرَّيِّبِ<sup>(٤)</sup>، وَإِدْلَالُ الْحَبِيبِ، وَتَلَفُّتُ الزَّائِرِ الْمُرِيبِ، مِنْ خَوْفِ الرَّقِيبِ؛ ذَاتُ  
عُنُقٍ كَالْإِبْرِيْقِ، أَوْ الْغُضَنِ الْوَرِيقِ، قَدْ جَمَعَ صُفْرَةَ الْبَهَارِ إِلَى حُمْرَةِ الشَّقِيقِ؛ وَصَدْرُ  
بَهِيٍّ الْمَلْبُوسِ، شَهِيٍّ إِلَى الثُّفُوسِ، كَأَنَّهَا رَقَمَ فِيهِ الثَّهَارُ بِاللَّيْلِ أَوْ نُقِشَ فِيهِ الْعَاجُ  
بِالْأَبْنُوسِ<sup>(٥)</sup>؛ وَجَنَاحٌ يُنْجِيهَا مِنَ الْعَطَبِ، يَحْكِي لَوْنُهُ الْمَنْدَلُ الرُّطْبَ إِلَّا أَنَّهُ حَطَبٌ.

مُدْبَجَةُ الصَّدْرِ تَفْوِيْفُهُ أَضَافَ إِلَى اللَّيْلِ ضَوْءَ النَّهَارِ  
لَهَا عُتُقٌ خَالَهُ مَنْ رَأَاهُ شَقَائِقُ قَدْ سَيَّجَتْ بِالْبَهَارِ  
فَوَثَبَ الْخَامِسُ مِنْهَا إِلَى الْغَنِيمَةِ وَنَظَمَ فِي سَلَكِ رَمِيهِ تِلْكَ الدَّرَّةَ الْيَتِيمَةَ؛ وَحَصَلَ  
بِتَحْصِيلِهَا بَيْنَ الرُّمَّةِ عَلَى الرَّتْبَةِ الْجَسِيمَةِ.

(١) قُطِبَتْ: فَرَجَتْ.

(٢) الْمُغْنَدَةُ: الْمُسْرَعَةُ.

(٣) الْعَانِسَةُ: الَّتِي دَخَلَتْ فِي كَنَاسِهَا.

(٤) الرَّيِّبُ: الْمَعَاهِدُ.

(٥) الْأَبْنُوسُ: شَجَرٌ يَنْبِتُ فِي الْحَبْشَةِ وَالْهِنْدِ، خَشَبُهُ أَسْوَدٌ صَلْبٌ، وَيَصْنَعُ مِنْهُ بَعْضُ الْأَدَوَاتِ وَالْأَوَانِي وَالْأَثَاثِ.

وَأَتَى عَلَى صَوْتِهَا «حُبْرُجٌ» تَسْبِقُ هَمَّتَهُ جَنَاحَهُ، وَيَغْلِبُ خَفَقُ قَوَادِمِهِ صِيَاخَهُ؛  
مَدْبِجِ الْمَطَا، كَأَنَّمَا خَلَعَ حُلَّةً مَنَكِبِيَهُ عَلَى الْقَطَا؛ يَنْظُرُ مِنْ لَهَبٍ، وَيَخْطُو عَلَى رَجْلَيْنِ  
مِنْ ذَهَبٍ.

يَزُورُ الرِّيَاضَ وَيَجْفُو الحِيَاضَ وَيُشْبِهُ فِي اللَّوْنِ كُذَرَ الْقَطَا  
وَيَهْوَى الزُّرُوعَ وَيَلْهُو بِهَا وَلَا يَرُدُّ الْمَاءَ إِلَّا خَطَا  
فَبَدَّرَهُ السَّادِسُ قَبْلَ ارْتِفَاعِهِ، وَأَعَا قَوْسَهُ بِأَمْتَدَادٍ بَاعِهِ، فَخَرَّ عَلَى الْأَلَاءَةِ<sup>(١)</sup>  
كَيْسُطَامِ بْنِ قَيْسٍ، وَأَنْقَضَ عَلَيْهِ رَامِيَهُ فَخَصَلَهُ<sup>(٢)</sup> بِحِذْقٍ وَحَمَلَهُ بِكَيْسٍ.

وَتَعَذَّرَ عَلَى السَّابِعِ مَرَامُهُ، وَتَبَا بِهِ عَنْ بُلُوغِ الْأَرْبِ مَقَامَهُ؛ فَصَعِدَ هُوَ وَتَرَبَّ لَهُ  
إِلَى جَبَلٍ، وَثَبَتَ فِي مَوْقِفِهِ مِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ بِمِرَافِقَتَيْهَا قَبْلَ. فَعَنَّ لَهُ «نَسْرٌ» ذُو قَوَادِمَ  
شِدَادٍ، وَمَنَاسِرَ حَدَادٍ، كَأَنَّهُ مِنْ نَسُورِ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ؛ تَحْسِبُهُ فِي السَّمَاءِ ثَالِثَ أَخُوْنِهِ،  
وَتَخَالُهُ فِي الْفَضَاءِ قَبْتَهُ الْمُنْسُوبَةَ إِلَيْهِ؛ قَدْ حَلَقَ كَالْفُقَرَاءِ رَأْسَهُ، وَجَعَلَ مِمَّا قَصُرَ مِنْ  
الدُّلُوقِ الدُّكْنَ لِيَاسِهِ؛ وَأَشْتَمَلَ مِنَ الرِّيَاشِ الْعَسَلِيِّ إِزَارًا، وَأَخْتَارَ الْعِزْلَةَ فَلَا يَجِدُ لَهُ إِلَّا  
فِي قُنْنِ الْجِبَالِ الشَّوَاهِقِ مَزَارًا، قَدْ شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي وَهُوَ لَمْ يَشِبْ، وَمَضَتْ  
الدَّهُورُ وَهُوَ مِنَ الْحَوَادِثِ فِي مَغْغَلٍ أَشِيبَ.

مَلِيكَ طَيُورِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَفِي الْأَفْقِ الْأَعْلَى لَهُ أَخَوَانِ  
لَهُ حَالٌ فَتَاكِ وَجَلِيَّةٌ نَاسِكٍ وَإِسْرَاحٌ مَقْدَامٍ وَفَثْرَةٌ وَإِنْ  
فَدْنَا مِنْ مَطَارِهِ، وَتَوَخَّى بِبُنْدُقِهِ عُنْقَهُ فَوَقَعَ فِي مِثْقَارِهِ؛ فَكَأَنَّمَا هَدَّ مِنْهُ صَخْرًا، أَوْ  
هَدَمَ بِنَاءً مَشْمُخِرًا؛ وَنَظَرَ إِلَى رَفِيقِهِ، مَبْشَرًا لَهُ بِمَا أَمْتَازَ بِهِ عَنْ فَرِيقِهِ.

وَإِذَا بِهِ قَدْ أَظْلَتَهُ «عُقَابٌ» كَاسِرٌ، كَأَنَّمَا أَضْلَعَتْ صَيْدًا أَفْلَعَتْ مِنَ الْمَنَاسِرِ، إِنْ حَطَّتْ  
فَسَحَبَتْ أَنْكَشَفَ، وَإِنْ قَامَتْ فَكَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابِ  
وَالْحَشَفِ، بَعِيدَةً مَا بَيْنَ الْمَنَاقِبِ، إِذَا أَفْلَعَتْ لَجَتْ فِي عُلوِّ كَأَنَّمَا تَحَاوَلُ ثَارًا عِنْدَ  
بَعْضِ الْكَوَاكِبِ.

تَرَى الطَّيْرَ وَالْوَحْشَ فِي كَفِّهَا وَمِنْقَارِهَا ذَا عِظَامٍ مُزَالَةٍ  
فَلَوْ أَمَكْنَ الشَّمْسَ مِنْ خَوْفِهَا إِذَا طَلَعَتْ مَا تَسَمَّتْ عَزَالَةٍ  
فَوَثَبَ إِلَيْهَا الثَّامِنُ وَثْبَةً لَيْثٌ قَدْ وَثِقَ مِنْ حَرَكَاتِهِ بِنَجَاحِهَا، وَرَمَاهَا بِأَوَّلِ بُنْدُقَةٍ فَمَا

(١) الْأَلَاءَةُ: شَجَرُ وَرْقَةٍ وَحَمَلُهُ دِبَاغٌ، يَمْدُ وَيَقْصُرُ، وَهُوَ حَسَنُ الْمَنْظَرِ مَرَّ الطَّعْمِ.

(٢) خَصَلَهُ: أَصَابَهُ.

أخطأ قادمةً جناحها؛ فأهوت كعودٍ صرع، أو طود<sup>(١)</sup> صديق؛ قد ذهب بأشها، وتذهب بدمها لبأشها؛ وكذلك القدر يخادع الجوَّ عن عقابه، ويستنزل الأعصم من عقابه؛ فحملها بجناحها المهيض<sup>(٢)</sup>، ورفعها بعد الترفع في أوج جوها من الحضيض؛ ونزلا إلى الرقفة، جذلّين بريح الصّفقة.

فوجدا التاسع قد مرّ به «كزكي» طويل السّفار، سريع النّفار، شهّي الفراق، كثير الاغتراب يشتو بمصر ويصيف بالعراق، لقّواده في الجوّ هفيف<sup>(٣)</sup>، ولأديمه لون سماء طراً عليها غيم خفيف، تَجَنّ إلى صوته الجّوارح، وتغجب من قوته الرّياح البوارح؛ له أثر حمرة في رأسه كوميض جمر تحت رماد، أو بقية جرح تحت ضماد؛ أو فص عقيق شفت عنه بقايا إمداد؛ ذو منقار كسنان، وعُنق كعنان؛ كأنما ينوس<sup>(٤)</sup>، على عودين من أبнос.

إذا بدا في أفق مُقلِعاً والجو كالماء تَفَويهُ  
حَسِبْتَه في لُجّة مَزكباً رجلاه في الأثق مجاديفهُ  
فصبر له حتى جازه مُجلّياً، وعطف عليه مُصلّياً؛ فخر مُضرجاً بدمه، وسقط مُشرفاً على عَدَمه. وطالما أفلت لدى الكواسر من أظفار المَنُون، وأصابه القدرُ بحبة من حملاً مسنون، فكثّر التكبير من أجله، وحمله راميه من على وجه الأرض برجله.  
وحاذاه «غرنوق» حكاه في زيّه وقَدْره، وأمتاز عنه بسواد رأسه وصَدْره؛ له ريشتان ممدوتان من رأسه إلى خلفه، معقودتان من أذنيه مكان شَفْهِه.

له من الكُرْكِي أوصافه سَوَى سَوَادِ الصّدرِ والرّأس  
إن شال رجلاً وأنبرى قائماً أَلْفِيَّتَه هيئة بِرْجَاس  
فأصغى العاشر له مُنصِتاً، ورماه ملتفتاً؛ فخر كأنه صريع الألحان، أو نَزيف<sup>(٥)</sup> بنت الحان؛ فأهوى إلى رجله بيده وأَيْدِه<sup>(٦)</sup>، وأنقض عليه أنقضاض الكاسر على صيده.

(١) الطود: الجبل.

(٢) المهيض: المكسور.

(٣) الهفيف: صوت هبوب الريح.

(٤) ينوس: يتذبذب ويتحرك.

(٥) النزيف: السكران الذي ذهب عقله.

(٦) الأيد: القوة.

وَتَبِعَهُ فِي الْمَطَارِ «صُوغ»<sup>(١)</sup>، كَأَنَّهُ مِنَ الثُّنَّارِ مَصُوغٌ؛ تَحْسِبُهُ عَاشِقًا قَدْ مَدَّ صَفْحَتَهُ، أَوْ بَارِقًا قَدْ بَثَّ لَفْحَتَهُ.

طَوِيلَةٌ رِجْلَاهُ مَسْوَدَةٌ كَأَنَّمَا مِنْقَارُهُ خُنْجَرٌ  
مِثْلُ عَجُوزٍ رَأْسُهَا أَشْمَطُ جَاءَتْ وَفِي قَمَّتِهَا مِغْجَرٌ<sup>(٢)</sup>  
فَاسْتَقْبَلَهُ الْحَادِي عَشَرَ وَوُثِبَ، وَرَمَاهُ حِينَ حَازَاهُ مِنْ كَثْبٍ؛ فَسَقَطَ كِفَارِسٍ تَقَطَّرَ  
عَنْ جَوَادِهِ، أَوْ وَامِقٍ أَصِيبَتْ حَبَّةُ فَوَادِهِ؛ فَحَمَلَهُ بِسَاقِهِ، وَعَدَلَ بِهِ إِلَى رِفَاقِهِ.  
وَأَقْتَرَنَ بِهِ «مُرْزَمٌ» لَهُ فِي السَّمَاءِ سَمِيٌّ مَعْرُوفٌ، ذُو مِِنْقَارٍ كَصُدْغٍ<sup>(٣)</sup> مَعْطُوفٌ؛ كَأَنَّ  
رِيَاشَهُ فَلَتَى<sup>(٤)</sup> اتَّصَلَ بِهِ شَفَقٌ، أَوْ مَاءٌ صَافٍ عَلِقَ بِأَطْرَافِهِ عَلَقٌ.

لَهُ جِسْمٌ مِنَ الثَّلْجِ عَلَى رِجْلَيْنِ مِنْ نَارٍ  
إِذَا أَقْلَعَ لَيْلًا قَلَّتْ بَرْقٌ فِي الدُّجَى سَارِي  
فَأَتَتْهُ الثَّانِي عَشَرَ مُمَيِّمًا، وَرَمَاهُ مَصْمَمًا؛ فَأَصَابَهُ فِي زَوْرِهِ، وَحَصَّلَهُ مِنْ قُورِهِ،  
وَحَصَلَ لَهُ مِنَ السَّرُورِ مَا خَرَجَ بِهِ عَنْ طُورِهِ.

وَأَلْتَحَقَ بِهِ «شُبَيْطِرٌ»<sup>(٥)</sup> كَأَنَّهُ مُذْيَةُ مُبَيِّطِرٍ<sup>(٦)</sup>؛ يَنْحَطُّ كَالسَّيْلِ وَيَكْزُرُ عَلَى الْكَوَاسِرِ  
كَالْخَيْلِ، وَيَجْمَعُ مِنْ لَوْنِهِ بَيْنَ ضَيْدَيْنِ يُقْبِلُ مِنْهُمَا بِالنَّهَارِ وَيُذْبِرُ بِاللَّيْلِ؛ يَتَلَوَّى فِي مِِنْقَارِهِ  
الْأَيْمَ، تَلَوَّى التَّيْنِ فِي الْغَيْمِ.

تَرَاهُ فِي الْجَوْ مَمْتَدًّا وَفِي فَمِهِ مِنْ الْأَفَاعِي شُجَاعٌ أَرْقَمٌ ذَكَرَ  
كَأَنَّهُ قَوْسٌ رَامَ عُتْقَهُ يَدُهَا وَرَأْسُهُ رَأْسُهَا وَالْحَيَّةُ الْوَتْرُ  
فَصَوَّبَ الثَّالِثَ عَشَرَ إِلَيْهِ بَيْنَدُقَهُ، فَقَطَعَ لَحْيَهُ<sup>(٧)</sup> وَعُتْقَهُ؛ فَوْقَ كَالصَّرْحِ الْمَمْرَدِّ، أَوْ  
الطَّرَافِ<sup>(٨)</sup> الْمَمْدَّدِ.

وَاتَّبَعَهُ «عُتَّازٌ»<sup>(٩)</sup> أَصْبَحَ فِي اللَّوْنِ ضِدَّهُ، وَفِي الشَّكْلِ نَدَّهُ؛ كَأَنَّهُ لَيْلٌ ضَمَّ الصَّبِيحَ

(١) الصوغ: طائر مختلط اللون من البياض والسواد أحمر الصدر، وأكثر ميله إلى الخضرة والأشجار.

(٢) المعجر: ثوب تعتجر به المرأة وتشده على رأسها.

(٣) الصدغ: الشعر المتدلي على ما بين العين والأذن.

(٤) الفلق: الصبح، وقيل: الفجر.

(٥) الشبيطير: هو طائر أبيض، أسود طرفي الجناحين ورجلاه ومنقاره حمر وهو يأكل الحيات ويوصف  
بالفطنة والذكاء.

(٦) المبيطير: معالج الدواب.

(٧) الأيم: الحية.

(٨) الطراف: بيت من آدم.

(٩) الفتاز: طائر أسود اللون أبيض الصدر أحمر الرجلين والمنقار.

إلى صدره، أو أنطوى على هالة بدره.

تراه في الجوّ عند الصبح حين بدا مُسَوِّدَ أجنحةٍ مبيّضٍ خيزوم  
كأسودٍ حبشيٍّ عامٍ في نَهَرٍ وَضَمَ في صدره طفلاً من الرُّومِ  
فنهض تمامُ القومِ إلى التَّيَمَّةِ، وأسفرت عن نُجُجِ الجماعة تلك الليلة المُذْلَهَمَةُ؛  
وغدا ذلك الطير الواجبُ واجباً<sup>(١)</sup>، وكَمُلَ العددُ به قبل أن تُطْلِعَ الشمسُ عيناً أو تُبْرِزَ  
حاجباً؛ فيا لها ليلةٍ حَصَرْنَا بها الصّوادِخَ في الفضاءِ المُتَّسِعِ، ولَقِيتَ فيها الطير ما  
طارَت به من قبل على كُلِّ شَمَلٍ مجتمِعٍ؛ وأَضْحَتِ أشلاؤها على وجه الأرض كفرائدَ  
خانها النُّظَامِ، أو شَرَبَ كَأَن رَقَابَهُم من اللَّيْنِ لم يُخْلَقْ لَهُنَّ عِظَامٌ؛ وأصبحنا مُنْثَنِينَ على  
مَقَامِنَا، مُنْثَنِينَ بِالظُّفَرِ إلى مستقرِّنا ومَقَامِنَا؛ داعين للمولى جَهْدَنَا، مُذْعِنِينَ له قَبْلَنَا أو  
رَدَّنَا؛ حامِلِينَ ما صرَعْنَا إلى بين يديه، عامِلِينَ على التَّشَرُّفِ بخدمته والانتماء إليه.

فأنت الذي لم يُلَفَّ من لا يَوَدُّه ويدعو له في السرِّ أو يَدَّعِي لَه  
فإن كان رَمِيَّ أنت تُوضِح طُرُقَه وإن كان جيشُ أنت تَحْمِي رَعِيَلَه<sup>(٢)</sup>  
والله تعالى يجعل الآمالَ مُنَوَّطَةً به وقد فعل، ويجعله كَهْفاً للأولياء وقد جعل.  
ومن إنشاء المولى علاء الدين علي بن عبد الظاهر<sup>(٣)</sup> في قِذْمَةِ بندق.

ابتدأها بأن قال: «الحمد لله مُهَيِّئ أسباب الارتياح، ومُهَيِّئ أوقات الانسراح،  
ومُطْلِق الأيدي في الاقتناص فليس عليها في صيد ذوات الجَنَاح جُنَاح؛ ومزِين السماء  
بمصابيح أنوارها، ومُوسِّي الأرض برُوضها ونُوارها؛ ومنوِّر الأيام بشموسها والليالي  
أقمارها، ومَطَرُز مطَارِفِ الأفاق بِمَطَارِ أطيَارها. والصلاة والسلام على سيِّدنا محمد  
وآله وصحبه الذين أنجدهم الله من ملائكته بأولي أجنحة، وأهْوَى بِصَرَائِعِهِمْ وَأَوْهَى  
قُوَى مُمَانِعِهِمْ بعزائمهم المُنْجِحَةِ.

وبعد، فإنَّ القنصَ شُغِفَتْ به قلوبُ ذوي العزائم، وصيَّرته عُنواناً للحرب إذ  
حمام الحمام فيه على الفرائس حوائم؛ تلتذُّ نفوسُهُم بالمطاردة فيه وترتاح، وتهواه فلو  
تمكنت لركبت إليه أعناقُ الرِّياح، تَرِدُ منه موردَ الظُّفَرِ، وتتمتّع فيه بَنَرِهِ نَقَسَمَ الحسَنُ  
فيهن بين السمع والبصر، وتتملى عند السرور إليه برياضٍ دَبَّجها صَوْبُ من المطر لا

(١) الواجب: الميت.

(٢) الرعيل: مقدمة الجيش والخيّل.

(٣) هو علاء الدين علي بن فتح الدين محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر رئيس الكتاب وسيد الرؤساء،  
وجليس الملوك.



صوب من الفكر، وَيَطْوِي من الأرض ما نشرت أيدي السماء به بروداً أَبْهَى من الجبر<sup>(١)</sup>؛ فتارةً تستنزل من العواصم الطباء العواصي، وأونةً تقتنص الطير وقد تحصنت من بروج السُحب في الصِّيَاصِي<sup>(٢)</sup> ببعوثها الدَّانِيَةِ من كلِّ قاصي. وأحسن أنواعه الذي جَمَعَ لِمُعَايِنِهِ بين رَوْضَةٍ ورياضة، وَغُدْرٍ مَفَاضَةٍ؛ ومغازلة عيون النور وهي تدمع حين طَرَفَهَا بذيله نسيماً الصباح، ومباكرة اللذات من قبل أن ترشف شمس الضحى ريق الغوادي من ثغور الأفاق؛ رمي البندق الذي هو عُقْلَةُ المستوفز<sup>(٣)</sup>، وأنتهاز عُقْلَةُ الطائر المتحرّز؛ ونزهة القلوب التي إن طالت لا تُمَلِّ؛ وإن أجتاز المتنزه بموطنها لم يؤجر. أحلى من صيد الطباء، وأشهى من لَمَحِ مُلَحِ الحساء؛ لا يحتاج إلى رَكُضِ جِوَادٍ، ولا يحتاج فيه خَفَضُ العيش جِوَادٍ<sup>(٤)</sup>، ولا يُهاجر متعاطيه إلى الهواجر، ولا يحجر على نفسه في الإفضاء إلى المَحَاجِر<sup>(٥)</sup>؛ أربابه يرتاضون في الروضة الغناء، ويسمعون من نَعَمَاتِ الأوتار وشذو الأطيّار مختلفِ الألحان والغناء؛ وَيَمْتَنُّونَ الليلَ طُرُفاً، ويستنيرون من النجوم شُمُوعاً لا تَقُطُّ ولا تُطْفَأُ؛ قد آتخذ كل منهم مُقَاماً أَكْرَمَ به من مُقَامٍ، وهام باللذة فترك كرائم كَرَاهٍ وكذا عادة المُسْتَهَامِ؛ وسَبَحَ في لُجَجِ الليل وكَرَعَ في نهر النهار، وتجلّى في حُللِ الصدق وتخلّى عن حُللِ العار. يَهْوُونَ لَذَّةَ الفَنَصِ في الليل إذا عَسَسَ، والصبح إذا تنفّس، ويرسلون رُسُلَ المَنَايا إلى صرائعهم فما تنفّس. إذا بَرَزُوا عند الغروب توارث شمسُ الأصيل حياء، وذهبت في حُلَّتِهَا الذهبية حين بَهَرَوْهَا سَنًا وَسَنًا؛ تراهم كالزُّهَرِ أو الأزهار، أو عِقْدٍ نُظِمَ باللُّجَيْنِ والزُّمَرْدِ والنُّصَارِ؛ أَوْجُهُمْ في أفلاك قَسِيَّتِهِمْ أقمار، كَوَلْدَانِ جَنانٍ، وأعطاف أغصان؛ قد طاف بهم سِيَّاحُ المَسَرَّةِ وأخدق، وحلّوا بشباب سُندس خُضَرٍ واستَبَرَقَ؛ كَأَنَّ الأرض ضاهت بهم السماء، فصيرت قَسِيَّتَهُمْ أفلاكها، وَغَرَزَهُمْ نجومها، وعزائمهم صواعقها وبنادقهم رُجُومها؛ يَخْفِقُ منهم قلبُ كُلِّ خافقه، وتقدّم ببعوثهم على ذوات القَوَادِمِ فبينما هي مترافقة إذا بها متفارقة، وكان صَوَافُ الطير لديهم في جِوِّ السماء، سطوراً في صفيحة زَرْقَاءٍ؛ أو كَأَنَّهَا في أَلْتِثَامِهَا، عقودٌ دُرٌّ في نظامِهَا؛ يَفْرُطُونَ سَلَكُهَا، ويَقْرَبُونَ هُلُكُهَا، وَيَغْدِرُونَ بها في الغُدْرِ، وَيَجْسُرُونَ عليها في الجسور، وتُقَايِضُ بِنَادِقُهُمْ صرائعهم فيصير وَكْرُ الطير الجراوة وجراوة البنادق حواصل الطيور. وإذا أَسْفَرُوا وجه صباح،

(١) الجبر: ضرب من البرود اليمانية مخطط.

(٢) الصياصي: الحصون وكل شيء امتنع وتحصن به.

(٣) المستوفز: المهيء للوثوب.

(٤) الجواد (بضم الجيم): جهد العطش.

(٥) المحاجر: واحداً المحجر، وهو الحديقة، أو الموضع الذي فيه رعي كثير وماء.

سمعت للطير صياحاً والطربُ كُلُّه في ذلك الصياح؛ وإن عَشَوْا مقاماتهم وجهَ عِشَاء رَأَيْت الطيرَ وهي لَدَى مَحَارِبِ قَسِيهِمْ وهي سُجُودٌ وَرُكْعٌ طرائحٌ من بِيضٍ وَسُودٍ كَأَنَّ أَدِيمَ الأرضِ مِنْهُمْ أَبْقَعَ. وإن تَعَلَّقُوا بِأَذْيَالِ اللَّيْلِ وَسَجَفَهُ؛ وَبَاتُوا فِي عِطْفِهِ؛ احْتَمَى مِنْهُمْ بِشُطْبِهِ، وَتَسْتَرَّ فِي حُجْبِهِ؛ وَتَوَارَى عَنْهُمْ الْبَدْرُ بِذَيْلِ الْغَمَامِ، وَهَالِ هَالَتَهُ أَنْ تَبْدُوَ لِقَسِيهِمْ الْمُوْتَرَةَ بِالْحِمَامِ. إلى غير ذلك مما أَلْتَزِمُوهُ مِنْ مُحَاسِنِ أَوْصَافٍ وَأَوْصَافٍ مُحَاسِنٍ، وَوَرَدُوهُ مِنْ مَنَاهِلِ مَصَافَاةٍ مَاؤُهَا غَيْرُ آسِنٍ، وَوَجَدُوهُ مِنْ طَيِّبِ عَيْشٍ مَا لَا نُوَا مَعَهُ وَلَا أَسْتَكَانُوا إِلَى الْمَسَاكِنِ؛ وَحَفَظُوهُ مِنْ صَنَاعَتِهِمْ مِنْ شُرُوطٍ وَأَوْضَاعٍ، وَوَقَفُوا فِي مَقَامَاتِهِمْ مِنْ مُطِيعٍ وَمُطَاعٍ؛ يَزْعُونَ قَدْرَ كَبِيرِهِمْ، وَلَا يُرَاعِ بَيْنَهُمْ قَلْبُ صَغِيرِهِمْ؛ وَيَتَنَاصَفُونَ فِي أَحْكَامِهِمْ، فَالْحَكْمُ وَاحِدٌ عَلَى أَمْرِهِمْ وَمَأْمُورِهِمْ، إِنْ تَفَرَّقُوا فَهَمٌّ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ مِنْهُمْ الْمَقَاعِدُ فَقَدْ اتَّفَقَتْ مِنْهُمْ الْمَقَاصِدُ. مَا خَلَا جَوْهُمْ مِنْ وَاجِبِ الطَّاعَةِ، وَلَا عَلَا بَيْنَهُمْ كَبِيرٌ إِلَّا بَدَّلُوا فِي خِدْمَتِهِ جُهْدَ الْإِسْطَاعَةِ؛ وَأَضْحَوْا وَأَمْرُهُمْ عَلَيْهِمْ مَحْتُومٌ، وَأَمْسُوا وَمَا فِيهِمْ إِلَّا مَنْ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ؛ بِأَيْدِيهِمْ قِيَمِي قَاسِيَةٍ، قُضْبَانُهَا قَاضِيَةٌ؛ مَنَعُطَةٌ جَافِيَةٌ، بَعُوثُهَا فِي الْخَوَافِي خَافِيَةٌ، تَمَثَّلُهَا الْأَفْكَارُ فِي سَاحَةِ الْفَضَاءِ، كَزَوَارِقٍ مَبْثُوثَةٍ فِي لُجَّةِ الْمَاءِ. وَكَيْفَ لَا! وَهِيَ تَحْمِلُ الْمَنَايَا إِلَى الطَّيْرِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ سَائِرَةً فَلَهَا بُعُوثٌ سَرِيعَةُ السَّيْرِ؛ كَأَنَّ صَانِعَهَا قَصَدَ وَضَعَهَا كَالْأَهْلَةِ وَاقْتَرَحَ، أَوْ حَكَّى بِمَدْبِجِ أَثَوَابِهَا قَوْسَ قَزَحٍ، وَكَأَنَّ ظَهْرَهَا وَقَدْ تَنَوَّعَتْ بِهِ مِنَ الْغُرُوزِ مَدَارِجُهُ، مَدْرُ سَحِيقٍ وَزَسْ دَبٍّ عَلَيْهِ مِنَ النَّمْلِ دَارِجُهُ؛ إِذَا حُطَّتْ عَنْهَا أَوْتَارُهَا كَانَتْ عَصَاً لَرَبِّهَا فِيهَا مَآرَبٌ وَمَغَانِمٌ، يُوجِسُ الطَّيْرُ فِي نَفْسِهِ مِنْهَا خِيفَةً وَكَيْفَ لَا! وَهِيَ فِي شَكْلِ الْأَرَاقِمِ؛ مُتَضَادَّةٌ تَجْفُو وَتَلِينُ، مُتَوَرَّةٌ وَغَيْرُهَا حَزِينٌ؛ تَضُمُّهَا أَنْأَمْلُ مِنْ يُسْرَاهِمِ هِيَ أَيْمَنُ مِنْ يَمِينِ عَرَابَةِ بْنِ أَوْسٍ<sup>(١)</sup>، وَيَطْلُعُ كُلُّ مِنْهُمْ فِي فَلَكِهَا وَالطَّالُعُ الْقَمَرُ فِي الْقَوْسِ؛ لَا تَعْتَصِمُ مِنْهَا الطَّرَائِدُ بِالْخَبَاءِ فِي وَكْرِ الدَّجَنَةِ، وَلَا يُخْفِيهَا اتِّخَاذُهَا الظُّلْمَاءِ جُنَّةً؛ وَلَا يُوقِيهَا نَزَقُهَا، وَلَا يَنْقِيهَا مَلَقُهَا وَلَا تَنْجَحُ بِخَفَقِ الْجَنَاحِ، وَلَا تَسْتَرْوِحُ بِمُسَاعَدَةِ الرِّيحِ؛ لَهَا بِنَادٍ كَأَنَّهَا حَبَاتِ الْقُلُوبِ لُونًا، وَأَشْكَالُ الْعُقُودِ كُونًا؛ كَأَنَّمَا صُبِغَتْ مِنْ لَيْلٍ وَصِغَتْ مِنْ شُهْبٍ، أَوْ صُنِعَتْ مِنْ أَدِيمٍ لِلشُّحْبِ؛ تُفْرِدُ مِنَ الطَّيْرِ الثَّوَامَ، وَتَجْمَعُ بَيْنَ رُوحِهَا وَالْحِمَامِ؛ قَدْ تَحَامَاهَا الثُّسْرَانُ فَاتَّخَذَا السَّمَاءَ وَكُرًا، وَاتَّفَقَا أَنْ يَصْبِحَا شَفْعًا وَيُمْسِيَا وَثْرًا؛ تَقْبِضُ مِنْهَا الْأَيْدِي عِنْدَ إِطْلَاقِهَا رَاحَةً رَابِحَةً، جَارِحَةً

(١) هو عرابة بن أوس بن قبيط الأنصاري. والإشارة هنا إلى مدح الشماخ بن ضرار المري لعرابة في قصيدة يقول فيها:

رَأَيْتْ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو      إِلَى الْخَيْرَاتِ مَنْقَطَعَ الْقَرِينِ  
إِذَا مَا رَايَةَ رَفَعْتَ لِمَجْدٍ      تَلْقَاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ

من الطير كل جارحة، لا ترى صادحة إلا صيرتها صائحة. قلب كل طير منها طائر، وكيف لا وهي للسهم ضرائر؛ تضرم النار لإشواء الطريدة قبل مفارقتها للأوتار، وتقتنص من الجوارح كل مستخف بالليل وسارب بالنهار؛ تهيج كامن الغنيمة وتستثير، وتبدو كأنما عجت من صندل وغير.

ولما كان من هو واسطة عقد هذه الأوصاف، والرافل في بزودها المؤشبة للأطراف؛ والمبدع في فته، والجامع بين فضيلة الرمي وحسنه؛ والمستطيق لسان قومه بالإحسان؛ والحافظ شروطه في طهارة العرض وصدق اللسان؛ والرامي الذي بلغ بهمته غاية المرام، وضاهى ببندقه السهام؛ وكان يوم كذا وكذا خرج إلى برزته المباركة وصرع طيرين في وجه واحد، وأبان عن حسن الرمي وسداد الساعد؛ وأضحى بينهما كثيراً بين قومه، وجعلهما لهم وليمة في يومه؛ وهما «تم» كأنما صيغ من فضة، أو تذرع من النهار حلة مبيضة؛ أو غابر بياضه الليل فلطم وجهه بيد ظلماته، فاقنص منه وخاض في أحشائه؛ لجناحه هفيف<sup>(١)</sup> في المطار، تسمع منه نغمة الأوتار. و«لغلغة» كأنها كؤنت من شقيق وعمام، أو مزج لونها بماء ومدام؛ لها غرة لو بدت في الليل خلتها بذراً، وإن أسفرت عند الصباح حسبتها فجراً، وحملها فلان وفلان، وقطع شبقه فلان وأذعي لفلان؛ وعاد الرامي قرير العين، مملوء اليدين، إذا فجر غيره بواحدة فخر بأثنين؛ معظماً بين أترابه، مكرماً لدى أحبابه؛ ألبسه الله من السرور أزهى أثوابه. بمته وكرمه.

وَمِمَّا وَرَدَ فِي وَصْفِ الْجَلَاهِقِ نَظْماً - قال أبو الفرج البيهقي يصفها: [من الوافر]  
 ومِزْنَانِ مُعْبَسَةٍ ضُحُوكِ      مُهَذَّبَةِ الطَّبَائِعِ وَالْكِيَانِ<sup>(٢)</sup>  
 مُغَالِبَةٍ وَلَيْسَ بِهَا حَرَكَ      وَبَاطِشَةٍ وَلَيْسَ لَهَا يَدَانِ  
 لَهَا فِي الْجَارِحِ النَّسَبُ الْمَعْلَى      وَإِنْ هِيَ خَالَفَتْهُ فِي الْمَعَانِي  
 تَطِيرُ مَعَ الْبُرْزَةِ بِلَا جَنَاح      فَتَنْسِبُهَا إِلَى قَصَبِ الرُّهَانِ  
 وَتُدْرِكُ مَا تَشَاءُ بِغَيْرِ رِجْلٍ      وَلَا بَاعَ يَطْوُلُ وَلَا بَنَانِ  
 وَتَلَحَّظُ مَا يَكِلُ الطَّرْفُ عَنْهُ      وَلَا نَظَرَ يَصِخُّ وَلَا عِيَانِ  
 لَهَا عُضْوَانٌ مِنْ عَصَبٍ وَلَحْمٍ      وَسَائِرُ جَسْمِهَا مِنْ خَيْرِ زَانِ  
 يُخَاطَبُ فِي الْهَوَاءِ الطَّيْرُ مِنْهَا      بِلَفْظٍ لَيْسَ يَصْدُرُ عَنْ لِسَانِ

(١) الهفيف: صوت الريح.

(٢) المِزْنَان: القوس وصف في رن إذا صوت.

فإن لم تُضغِ أزدتها بطغنٍ  
مُقَرَّطقةً بمنطقة خُلُوبٍ  
مذكِّرة مؤنثة تَهَادِي  
مُعَمِّرة تَزَايِدُ كُلَّ يَوْمٍ  
كَأَنَّ الله ضَمَّنَهَا فَبَانَتْ  
أَعَزَّ عَلَى الْعَيُونِ مِنَ الْمَاقِي  
إِذَا مَا أَسْتَوَطَنْتَ يَوْمًا مَكَانًا  
وقال أبو الفتح كُشَاجِمُ: [من الرجز]

وثيقةٌ مُذْمَجَّةُ الْأَوْصَالِ  
تَعُودُ إِنْ شِئْتَ إِلَى أَعْتَدَالِ  
وَالظَّهَرُ مِنْهَا لَقْنَا الْأَبْطَالِ  
فِي وَسْطِهِ مِنْ صِنْعَةِ الْمُحْتَالِ  
تَقْذِي بِصَدَفَاتٍ مِنَ الصُّلْصَالِ  
قَدَى يُقَرَّرُ أَعْيُنَ الْأَمَالِ  
رَجِيصَةٌ تَغْنَمُ كُلَّ غَالٍ  
تَعُولُ فِي الْجَدْبِ وَفِي الْإِمْحَالِ  
مَطِيئُهَا عَوَاتِقُ الرِّجَالِ  
كَمْ أَفْضَلْتُ عَلَى ذَوِي إِفْضَالِ  
مَخْنِيَّةٌ عَوَجَاءُ كَالِهَلَالِ  
بَاطِنُهَا لِعَاقِلِ الْأَوْعَالِ  
يَجْمَعُهَا أَسْمَرُ ذُو أَنْفَتَالِ  
مِثَالُ عَيْنٍ غَيْرِ ذِي أَخْوِلَالِ  
أَمْضَى مِنَ السُّهُامِ وَالنُّبَالِ<sup>(١)</sup>  
فَاقِعَةُ الصُّفْرَةِ كَالْجِرْيَالِ<sup>(٢)</sup>  
تُؤْمِنُ مِنْهَا وَنِيَّةُ الْكَلَالِ  
وَقَدْ يَكُونُ الصُّفْرُ كَالْعِيَالِ  
فِي غُلْفٍ مَمْدُودَةٍ طَوَالِ  
وَكَمْ أَنْالَتْ مِنْ أَخِي نَوَالِ

\* وَقَرَّبْتُ لِلطَّيْرِ مِنْ أَجَالِ \*

وقال أيضاً فيها من أبيات: [من البسيط]

وَفِي يَسَارِي مِنَ الْخَطِيئِ مُحْكَمَةٌ  
لِلْوَعْلِ بَاطِنُ شَطْرِيهَا وَمُعْظَمُهَا  
تَأْتِقُ الْقَيْنُ فِي تَزْيِينِهَا فَعَدَّتْ  
مَتَى طَلَبْتُ بِهَا أَدْرَكْتُ مَطْلُوبِي  
مِنْ عُودِ شَجَرَاءِ ظَمْيَاءِ الْأَنَابِيِبِ  
تُومِي بِأَحْسَنِ تَفْضِيضٍ وَتَذْهِيِبِ<sup>(٣)</sup>

(١) يقال: قذت العين تقذي: إذا قذفت ما فيها من قذى.

(٢) الجريال: الخمر أو لونها.

(٣) القين: الحداد.

في وسطها مُقْلَةٌ منها تُبَيِّنُ ما يُرمى فما مَقْتَلٌ عنها بمحجوبٍ  
فَقَمْتُ والطيرُ قد حُمَّ الجِمامُ لها على سبيلي في عادي وتجوّبي  
حتى إذا أَكْتَحَلَّتْ بالطينِ مُقْلَتُها صَبَّتْ عليهنَّ حتفاً جَدَّ مَضْبُوبٍ  
فَرُحْتُ جَذْلانَ لم تَكْدُرِ مشارِبُ لَذَاتِي ولم تُلْقَ آمالي بتخييبِ

### ذَكَرُ شَيْءٍ مِمَّا قِيلَ فِي سَبْطَانَةٍ<sup>(١)</sup>

قال أبو الفرج البَيْغَاءُ: [من المتقارب]

وَجَوْفَاءَ حَامِلَةٍ تَهْتَدِي إِلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَقْرُوحِهِ  
مُقْوَمَةِ الْقَدِّ مَمْشُوقَةٍ مُهْفَهَفَةِ الْجَسْمِ مَمْسُوحِهِ<sup>(٢)</sup>  
مُتَّقِفَةٍ فَمُها عَيْنُها تُبَشِّرُ قَلْبِي بِتَصْحِيحِهِ  
فَإِنْ هِيَ وَالْجَارِحُ اسْتَنْهَضَا إِلَى الصَّيْدِ عَاقَتَهُ عَنْ رِيحِهِ  
إِذَا أَلْمَرَّ أَوْدَعَهَا سِرَّهُ لُتْخَفِيهِ بِاحْتِ بِتَصْرِيحِهِ  
مَوَاتٌ تَعِيشُ إِذَا مَا أَعَادَ لَهَا النَافِخُ الرُّوحَ مِنْ رُوحِهِ  
هِيَ السَّبْطَانَةُ فِي شَكْلِهَا فِي الْقَلْبِ جَدُّ تَبَارِيحِهِ<sup>(٣)</sup>  
تَحُطُّ أَبَا الْفَرْخِ عَنْ وَكْرِهِ وَتَسْتَنْزِلُ الطَيْرَ مِنْ لُوحِهِ<sup>(٤)</sup>

وقال أبو طالب المأموني: [من الطويل]

مُتَّقِفَةٍ جَوْفَاءَ تُحَسِّبُ زَانَةً وَلَكِنِهَا لِأَرْجٍ فِيهَا وَلَا تُضَلُّ  
تُسَدُّ نَحْوَ الطَيْرِ وَهُوَ مُحَلَّقٌ فَيَنْقُذُ عَنْهَا لِلرَّدَى نَحْوَهُ الرُّنُلُ  
يَطِيرُ إِلَى الطَيْرِ الرَّدَى فِي ضَمِيرِهَا فَيَجْرِي كَمَا يَجْرِي وَيَعْلُو كَمَا يَعْلُو  
فَيَغْقِلُ مَا تَنْجُو بِهِ فَكَأَنَّمَا يُمَدُّ إِلَيْهِ مِنْ بِنَادِقِهَا حَنْبُلُ

### ذَكَرُ شَيْءٍ مِمَّا قِيلَ فِي عِيدَانِ الدَّبَقِ<sup>(٥)</sup>

قال عبد الله بن المعتز فيها مُلَغِزاً: [من الرجز]

(١) السبطانة: آلة من آلات الصيد تتخذ من خشب، مستطيلة كالرمح مجوّفة الداخل يجعل الصائد بندقه

من طين صغيرة في فيه، وينفخ بها فتخرج منها بحدّة فتصيب الطير فترمي، وهي كثيرة الإصابة.

(٢) الهفهفة: الضامرة البطن، الدقيقة الخصر.

(٣) تباريح الشوق: توهجه.

(٤) اللوح: الفضاء بين السماء والأرض.

(٥) الدبق: شيء يلزق كالغراء يصاد به الطير.

وما رِمَاحٌ غيرُ جارِحَاتٍ      وَلَسَنَ فِي الدَّمَاءِ وَالْغَاتِ  
 وَلَسَنَ لِلطُّرَادِ وَالْغَارَاتِ      يُخَضَّبْنَ لَا مِنْ عَلَقِ الْكُمَاةِ  
 بَرِيقٌ حَتَفَ مِنْجَزِ الْعِدَاتِ      مَتَمَكَّنَ لَيْسَ بِذِي إِفْلَاتِ  
 يَنْشَبُ فِي الصَّدُورِ وَاللَّبَاتِ      فَعَلَ إِسَارَ فُلُقِ السَّيَّاتِ<sup>(١)</sup>  
 عَلَى عَوَالِيهَا مُرَكَّبَاتِ      أَسِنَّةٌ لَسَنَ مَوْقَعَاتِ<sup>(٢)</sup>  
 مِنْ قَصَبِ الرِّيشِ مَجْرَدَاتِ      يُخَسَّبْنَ فِي الْهَوَاءِ شَائِلَاتِ  
 \* أَذْنَابَ جِرْذَانٍ مُنْكَسَاتِ \*

وقال أبو الفتح كُشَّاجُمُ : [من الرجز]  
 وَأَسِرَاتٍ مِثْلِي مَأْسُورَاتِ      مَمَكَّنَاتٍ غَيْرِ مُمَكَّنَاتِ  
 مَوْمَلَاتٍ غَيْرِ مُكْذِبَاتِ      صَوَادِقِ التَّعْجِيلِ لِلْعِدَاتِ  
 نَوَاطِرِ الْأَشْكَالِ ذَاهِبَاتِ      كَوَاسِرٍ وَلَسَنَ ضَارِيَاتِ  
 وَلَا بِمَا يَصِيدُنْ عَالِمَاتِ      بِمِثْلِ رَيْقِ النُّحْلِ مَطْلِيَّاتِ  
 أَقْتُلُ مِنْ سَمَائِمِ الْحَيَّاتِ      لَوْ صَلَحَتْ شَيْئاً مِنَ الْآلَاتِ  
 وَوَصَلْتُ بِالزُّجِّ وَالشُّبَابَةِ      كَانَتْ مَكَانَ الثُّبُلِ لِلرُّمَّاتِ  
 حَوَامِلِ لِلطَّيْرِ مُمَسِكَاتِ      تَعَلَّقَ الْأَحْبَابُ بِالْحَبَّاتِ  
 كَأَنَّهَا فِي النِّعَةِ وَالصِّفَاتِ      أَذْنَابُ مَا دَقَّ مِنَ الْحَيَّاتِ  
 أَغْدَرُ بِالْوُزْقِ الْمَغْرَدَاتِ      فِيهَا مِنَ الْفَتَيَانِ بِالْقَيْنَاتِ  
 فَهَنْ مِنْ قَتْلِي وَمِنْ عُنَاةٍ      بَلَا فَكَالِكِ وَبَلَا دِيَاتِ

### ذَكَرُ شَيْءٍ مِمَّا قِيلَ فِي الشُّبَاكِ

قال السَّرِي الرَّقَاءُ يَصِفُ شُبَكَةً : [من الرجز]  
 وَجَدُولٍ بَيْنَ حَدِيقَتَيْنِ      مُطَرِدٍ مِثْلِ حُسَامِ الْقَيْنِ<sup>(٣)</sup>  
 كَسَوْتُهُ وَاسِعَةَ الْقُطْرَيْنِ      تَنْظُرُ فِي الْمَاءِ بِأَلْفِ عَيْنِ  
 رَاصِدَةً كُلَّ قَرِيبِ الْحَيْنِ      تُبْرِزُهُ مُجَنِّحِ الْجَنْبَيْنِ

(١) الإِسَارُ: مَا شَدَّ بِهِ وَهُوَ الرِّبَاطُ - وَسِيَةِ الْقَوْسِ: مَا عَطَفَ مِنْ طَرَفِهَا.

(٢) مَوْقَعَاتٍ: مُحَدَّدَاتٍ.

(٣) الْقَيْنُ: الْحَدَادُ.

كُمُذِيَّةٍ مَصْقُولَةٍ الْمَثْنَيْنِ كَأَنَّمَا صِيغَ مِنَ اللَّجَيْنِ<sup>(١)</sup>  
 وقال أبو الفرج البَغَاءُ يصف شبكة العصافير: [من المنسرح]  
 زَقْرَاقَةٌ فِي السَّرَابِ تَحْسُبُهَا عَلَى الثَّرَى حُلَّةٌ مِنَ الزَّرْدِ  
 كَالدَّرْعِ لَكِنَّهَا مُعَوَّضَةٌ عَنْ الْمَسَامِيرِ كَثْرَةُ الْعُقَدِ  
 سَائِرُهَا أَعْيُنٌ مُفَتَّحَةٌ لَا تَزْتَضِي نَسْبَةً إِلَى جَسَدِ  
 ذَكَرُ مَا قِيلَ فِي الشَّصِّ، وَهُوَ الصَّنَائِيرُ - قَالَ كَاتِبُ أُنْدَلُسِي يَصِفُهُ مِنْ رِسَالَةٍ:  
 «صَّنَائِيرُ، كَأَظْفَارِ الصَّنَائِيرِ؛ قَدْ عَطَفَهَا الْقَيْنُ كَالرَّاءِ، وَصَيَّرَهَا الصُّفْلُ كَالْمَاءِ؛ فَجَاءَتْ  
 أَحَدٌ مِنَ الْإِبْرِ، وَأَرْقَ مِنَ الشَّعْرِ؛ كَأَنَّمَا مَخْلَبٌ صُرْدٌ<sup>(٢)</sup>، أَوْ نَصْفُ حَلْقَةٍ مِنْ زَرْدٍ».

وقال أبو الفتح كُشَاجِمُ: [من الرجز]  
 مِنْ كَانَ يَخْوِي صَيْدَهُ الْفَضَاءَ وَلِلْبُرَاةِ عِنْدَهُ ثَوَاءُ  
 وَطَالَ بِالْكَلْبِ لَهُ الْعَنَاءُ فَإِنْ صَنِيْدِي مَا حَوَاهِ الْمَاءُ  
 بِمِخْلَبٍ سَاعِدُهُ رِشَاءُ يَظَلُّ وَالْمَاءُ لَهُ غِطَاءُ  
 كَمَا طَوْتُ هِلَالَهَا السَّمَاءُ كَأَنَّهُ مِنَ الْحُرُوفِ رَاءُ  
 فَهُوَ وَنَصْفُ خَاتَمٍ سَوَاءُ يَحْمِلُ سَمًّا أَسْمُهُ غِذَاءُ  
 وَعَطَبًا فِيهِ لَنَا إِحْيَاءُ تَذْمَى بِهِ الْقُلُوبُ وَالْأَحْشَاءُ  
 عَادَ إِذَا سَاعَدَهُ الْقَضَاءُ أَمْتَعَنَا الْقَرِيْسُ وَالشُّوَاءُ<sup>(٣)</sup>

### وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

كمل الجزء العاشر من كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب» للشيخ العلامة  
 شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب البكري التميمي القرشي  
 نسباً المعروف بالتؤيري رحمه الله. ويليهِ الجزء الحادي عشر.

(١) اللجين: الفضة.

(٢) الصرد: طائر أبقع اللون أبيض البطن أخضر الظهر ضخم الرأس والمتنار.

(٣) القريس: سمك يطبخ ويتخذ له صباغ ويترك فيه حتى يجمد.





## فهرس المحتويات

٣	..... ذِكْرُ مَا وَصَفَتْ بِهِ الْعَرَبُ الْخَيْلَ
	وأما ما قيل في طبائعها، وعاداتها، والمحمود من صفاتها، ومحاسنها، والعلاماتِ
١٤	..... الدالة على جودة الفرس ونجابهته
٢٢	..... ذكر أسماء خيل رسول الله ﷺ
٢٥	..... ذكر أسماء كرام الخيل المشهورة عند العرب
٢٨	..... ذكر ما قيل في أوصاف الخيل وتشبيهها نظماً ونثراً
٣٩	..... طرائف في ذم الخيل بالهزال والعجز عن الحركة
٤٨	..... الباب الثاني من القسم الثالث من الفن الثالث في البغال والحمير
٤٨	..... ذكر ما قيل في البغال
٤٩	..... ذكر بغلات رسول الله ﷺ
٥١	..... ذكر شيء مما وُصفَتْ به البغال
٥٧	..... ذكر ما قيل في الحمير الأهلية
٥٩	..... ذكر ما يتمثل به مما فيه ذكر الحمار
٥٩	..... ذكر شيء مما وُصفَتْ به الحمير على طريقي المدح والذم
٦٣	..... الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثالث في الإبل والبقر والغنم
٦٣	..... ذكر ما قيل في الإبل
٦٥	..... ذكر أصناف الإبل وعاداتها وما قيل في طبائعها
٦٧	..... ذكر ما ملكه رسول الله ﷺ من الإبل
٦٩	..... ذكر شيء مما وُصفَتْ به الإبل نظماً ونثراً
٧٢	..... ذكر ما قيل في البقر الأهلية
٧٤	..... ذكر ما قيل في الجاموس
٧٥	..... ذكر ما قيل في الغنم الضأن والمعز
٧٥	..... ذكر ترتيب سن الغنم

٧٩	القسم الرابع من الفن الثالث في ذوات السموم
٧٩	الباب الأول
٧٩	ذكر ما قيل في الحيات
٨٤	ذكر ما في لحوم الحيات من المنافع والأدوية
٨٥	ذكر شيء مما وصفت به الأفاعي
٨٧	ذكر ما قيل في العقارب
٩١	الباب الثاني من القسم الرابع من الفن الثالث فيما هو ليس قاتلاً بفعله من ذواب السموم
١٠٨	القسم الخامس: من الفن الثالث في أجناس الطير وأنواع السمك
١٠٩	الباب الأول من القسم الخامس من الفن الثالث في سباع الطير
١٠٩	ذكر ما قيل في العقاب
١١٢	ذكر ما قيل في البازي
١١٧	ذكر ما قيل في الصفر
١٢١	ذكر ما قيل في الشاهين
١٢٣	فضل
١٢٤	الباب الثاني من القسم الخامس من الفن الثالث في كلاب الطير
١٢٤	ذكر ما قيل في النسر
١٢٥	ذكر ما قيل في الرخم
١٢٦	ذكر ما قيل في الحدأة
١٢٧	ذكر ما قيل في الغراب
١٢٩	الباب الثالث من القسم الخامس من الفن الثالث في بهائم الطير
١٣٣	ذكر ما جاء في الديكة من الأحاديث
١٣٣	وما عُد من فضائلها وعاداتها ومنافعها
١٣٧	ذكر شيء مما وصفت به الشعراء البيضة والدجاجة والديك
١٣٨	ومما قيل في الدجاجة والديك
١٥٦	الباب الرابع من القسم الخامس من الفن الثالث في بُعَاثِ الطير

- ذكرُ شيءٍ من الأوصافِ والتَّشْبِيهَاتِ والشُّعْرِيَّةِ الجَامِعَةِ لمجموعِ هذا النوعِ الذي  
ذكرناه ..... ١٦١
- ذكرُ ما قيلَ في طوقِ الحَمَامَةِ ..... ١٦٨
- ذكرُ شيءٍ ممَّا وُصِفَ بِهِ هَذَا النَّوعُ نَظْمًا وَنَثْرًا ..... ١٦٩
- البَابُ الْخَامِسُ مِنَ الْقِسْمِ الْخَامِسِ مِنَ الْفَنِّ الثَّالِثِ فِي الطَّيْرِ اللَّيْلِيِّ ..... ١٧٢
- البَابُ السَّادِسُ مِنَ الْقِسْمِ الْخَامِسِ مِنَ الْفَنِّ الثَّالِثِ فِي الْهَمَجِ ..... ١٧٤
- البَابُ السَّابِعُ مِنَ الْقِسْمِ الْخَامِسِ مِنَ الْفَنِّ الثَّالِثِ فِي أَنْوَاعِ الْأَسْمَاكِ ..... ١٨٦
- ذكرُ شيءٍ من أَنْوَاعِ الْأَسْمَاكِ ..... ١٩٠
- ذكرُ شيءٍ من عَجَائِبِ الْحَيَوَانِ الْمَائِيِّ ..... ١٩٥
- البَابُ الثَّامِنُ وَهُوَ الذَّلِيلُ عَلَى الْقِسْمِ الْخَامِسِ مِنَ الْفَنِّ الثَّالِثِ ..... ١٩٦
- ذكرُ شيءٍ ممَّا قيلَ فِي سَبْطَانَةِ ..... ٢١٣
- ذكرُ شيءٍ ممَّا قيلَ فِي عِيدَانِ الدَّبْتِيِّ ..... ٢١٣
- ذكرُ شيءٍ ممَّا قيلَ فِي الشُّبَاكِ ..... ٢١٤